رواية (تلك الزهرة قدري)

الكاتبة: أسماء محسن

الفصل الأول	بين الأخوة
الفصل الثاني	**ميلاد جديد**
الفصل الثالث	**الآنطباع الأول**
الفصل الرابع	**قلبها**
الفصل الخامس	**الحفلة**
الفصل السادس	**اللقاء الثاني**
الفصل السابع	**الزهرة النادرة**
الفصل الثامن	**الِخطبة**
الفصل التاسع	**مفاجأة غير متوقعة**
الفصل العاشر	**من أجل الحب**
الفصل الحادي عشر	**قرب النهاية**
الفصل الثاني عشر	**ضربة قاصمة تلو أخرى**
الفصل الثالث عشر	**ابن غير شرعي**
الفصل الرابع عشر	**قصة إياد**
الفصل الخامس عشر	**نهاية القصة**
الفصل السادس عشر	**تلك الزهرة قدري**

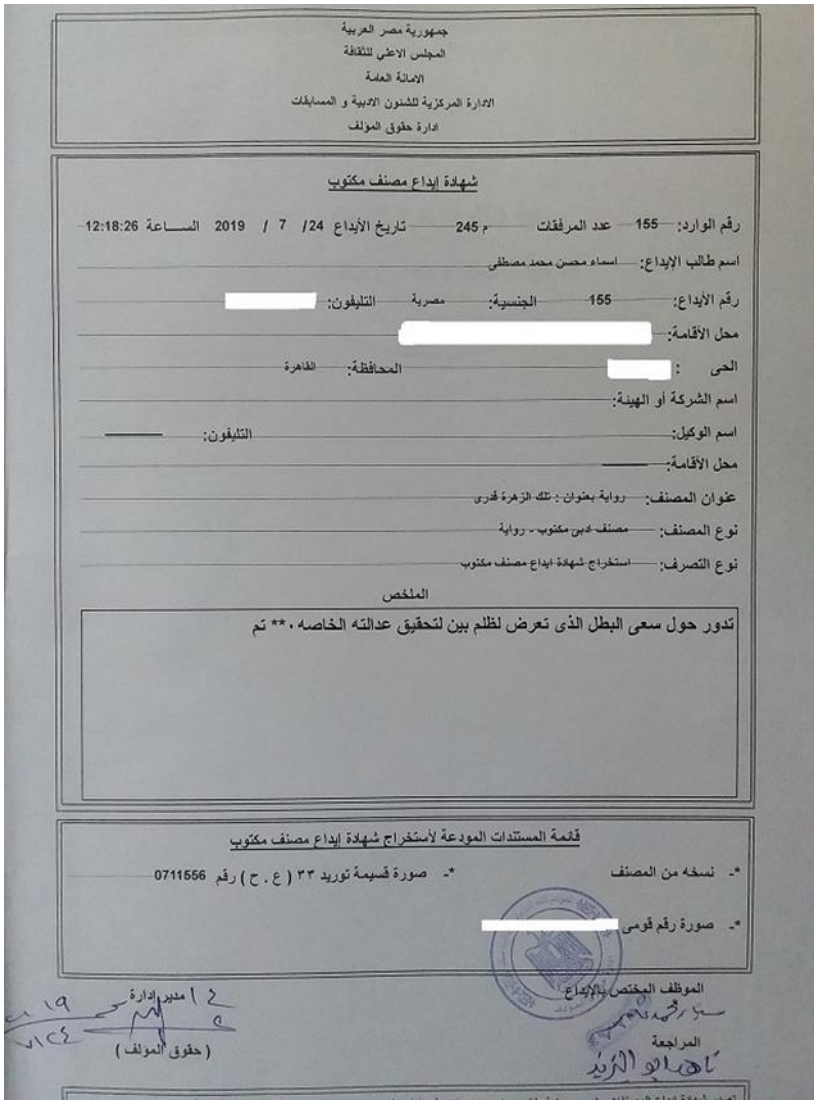

جمهورية مصر العربية
المجلس الاعلى للثقافة
الامانة العامة
الادارة المركزية للشئون الادبية و المسابقات
ادارة حقوق المولف

شهادة إيداع مصنف مكتوب

رقم الوارد: 155 عدد المرفقات م 245 تاريخ الأيداع 24/ 7 / 2019 الســـاعة 12:18:26

اسم طالب الإيداع: اسماء محسن محمد مصطفى

رقم الأيداع: 155 الجنسية: مصرية التليفون: [redacted]

محل الأقامة: [redacted]

الحى : [redacted] المحافظة: القاهرة

اسم الشركة أو الهيئة:

اسم الوكيل: التليفون: ———

محل الأقامة: ———

عنوان المصنف: رواية بعنوان : تلك الزهرة قدري

نوع المصنف: مصنف ادبى مكتوب - رواية

نوع التصرف: استخراج شهادة ايداع مصنف مكتوب

الملخص

تدور حول سعى البطل الذى تعرض لظلم بين لتحقيق عدالته الخاصه ،** تم

قائمة المستندات المودعة لأستخراج شهادة إيداع مصنف مكتوب

*- نسخه من المصنف *- صورة قسيمة توريد ٣٣ (ع . ح) رقم 0711556

*- صورة رقم قومى [redacted]

مدير إدارة
(حقوق المولف)

الموظف المختص بالإيداع

المراجعة

الفصل الأول

(بين الأخوة)

عام (20؟؟)

فرغ (إياد) من أداء صلاة الظهر في ذلك المسجد الصغير، وظل جالسًا هنيهة يتمتم بالتسبيح، ثم نهض مغادرًا ووقف يتأمل الحديقة الجميلة المواجهة للمسجد، ثم توجه نحوها، وجلس على أحد المقاعد الخشبية المنعزلة، وكان يلبس ثيابًا نظيفة أنيقة، ويضع على كتفه حقيبة صغيرة بداخلها حاسوبه الصغير المحمول فأخرجه على الفور وفتحه، إشتاق إلى زوجته وملكة فؤاده، إشتاق إلى توأم روحه ورفيقة دربه (جنى)، رغم أنه أمضى في القاهرة ثلاثة أيام فقط، ولكنه لم يعد يطيق البعد عنها، يريد أن يهرع بالعودة اليها في مرسى مطروح الهادئة الجميلة ويترك القاهرة الصاخبة المزدحمة، سينقل جميع أعماله إلى هناك كذلك.

ضغط زر الاتصال ووضع السماعات في أذنيه، ظهرت أمامه على الشاشة زوجته بملامحها الجميلة الوديعة وبطنها المنتفخ الذي يدل على اقتراب موعد إنجابها لطفليهما.

وأتاه صوت زوجته الرقيق الحاني لتطمئن عليه، وتسأله: هل ستعود اليوم؟

رد: أجل، سأركب القطار بعد ساعتين ونصف، هل أنتِ بخير وأمورك على مايرام؟

-الحمد لله، وأنت؟ هل تناولت الدواء؟

-أجل، هل تتألمين اليوم؟

-مطلقًا، لا تقلق.. لا أنوي وضع الطفل قبل قدومك، ثم إن معي جارتنا (أم يحي)، إذا شعرت بشيء فستوصلني بنفسها إلى المشفى.

-الحمد لله، لقد أشتريت لك ثوبًا رائعًا سيعجبك، وكذلك أشتريت ملابس وأحذية جديدة لابننا الغالي.

-ثانية؟ لديه مصنع ملابس وأحذية.

وابتسمت في رفق وقالت:أنه محظوظ لأن لديه أبٌ رائع وعظيم مثلك.

-أشتقت إليكِ.

-وأنا كثيرًا، أنتظر عودتك بفارغ الصبر، سأعد لك السمك المقلي الذي تحبه، سأعده في وقت متأخر كي يظل ساخنًا لحين عودتك.

-سلمت يداك يا حبي الوحيد.

-هل ستذهب لزيارة أخيك؟

-أجل، لا يمكنني تجاهل زيارته مهما حاولت، لا يطاوعني قلبي.

ابتسمت في تعاطف وتفهم وغمغمت: والشركة؟

-سأقوم بنقل أعمال الشركة كلها من القاهرة إلى مرسى مطروح.. هذ قراري، لم أعد راغبًا في البقاء هنا بعد وفاة والدي، أكره صخب القاهرة وازدحامها، أريد أن ينشأ ابني في مكان هاديء وجميل، لقد تحدثت مع أستاذة (جيهان) بالفعل.
وصمت لثوان يفكر، ثم قال: سوف تصلك اليوم الثياب والأحذية التي ابتعتها.. سوف أمر على أخي بعد قليل وسأبقى لديه لساعة ثم أعود، أراك قريبًا حبيبتي، في حفظ الله.

-في حفظ الله.

أغلق الاتصال وزفر زفرة حارة أودعها بعض ضيقه بسبب توتر علاقته بأخيه، قال (إياد) من بين أسنانه: أنه (عزمي) ذلك الوغد صديق السوء هو من أقنع أخي حتمًا بتلك الصفقات الحقيرة واستخدام الأساليب القذرة في العمل.

ووضع يده على قلبه وقد شعر بشيءٍ من الألم، لا ينبغي عليه الانفعال الشديد مع حالة قلبه المرضية.

***

كان قصر عائلة (نعمان) كبيرًا يوحي بالثراء الفاحش ويقع في أرقى مناطق القاهرة محاطًا بسور عال وحديقة كبيرة تم تصميمها من مهندس حدائق محترف، وقد أمتلئت بمختلف النباتات والأزهار العطرة الرائحة، وثمة حمام سباحة وأرجوحة

للعب، هناك ممر معبد ومرآب للسيارات في أحد الجوانب، ثمة حارس للبوابة مسن، وبستاني، وعدة خدم، كانت الأسرة ثرية حتى وقتٍ قريب، ثم خسرت شركتهم صفقة مهمة وتم التحقيق معهم من قبل الضرائب بتهمة التهرب فأصيب الأب بأزمة صحية وتوفي على أثرها منذ شهرين.

دلفت سيارة فارهة حديثة تعمل بالطاقة الشمسية من بوابة القصر، وراح البواب يركض خلف السيارة وعلى وجهه علامات الاحترام وخرج من السيارة السائق، ثم توجه ليفتح الباب الخلفي ل (عزمي الدمرداش) الذي ترجل متوجهًا نحو باب القصر، وقال لخادمة في الثلاثينات كانت تقرأ كتابًا لصبي وقد افترشت معه أرض الصالة بمجرد أن دخل إلى القصر: أبلغي الهانم والبك بقدومي يا (ملك).

ركض الصبي الذي كان في العاشرة من عمره نحوه، فاحتضنه وقال وهو يربت على رأسه: مرحبًا يا (فاروق)، كيف حالك؟

-بخير عمو (عزمي)، هل علمت أن عمي (إياد) سيأتي لزيارتنا اليوم؟

رد (عزمي) ساخرًا: أجل، عرفت.

في الطابق العلوي جلست (فيروز) في حجرة النوم الواسعة الفاخرة أمام المرآة، تضع بعض مساحيق التجميل الخفيفة، وطرقت الخادمة (ملك) الباب ثم دلفت وقالت بصوتٍ خفيض: لقد وصل (عزمي) بك يا هانم، لقد أبلغت (أكرم) بك.

ردت (فيروز): سأتي حالاً.

كانت (فيروز) قد بلغت سن الثلاثين منذ عدة أيام، كانت حقًا رائعة الجمال، طويلة القامة ونحيفة، لها عيون زرقاء وشعر بني ناعم كثيف وملامح غاية في الآنوثة والجمال الطاغي مع بشرة بيضاء مشربة بحمرة خفيفة، كانت تنتمي لعائلة فقيرة وقد أدركت منذ صغرها أنها لن تظل هكذا فقيرة، لقد وُهِبت صفتان عظيمتان، هما جمالها الخلاب وذكائها، وقد شفع لها ذلك أمام الآخرين إفتقارها للأخلاق والطيبة والعطف على الغير، كانت طموحة جدًا تحب الثراء والمال الوفير، لهذا اتخذت قرارها بإن من تملك جمالها تستحق أن تسكن في القصور وأن تركب أحدث السيارات وأن تسافر في كل مكان، من بجمالها يجب أن تتزوج من ثري يدللها ويغدق عليها الأموال، وهكذا في سن ال 18 ذهبت إلى شركة (نعمان وابنائه)

للاستيراد والتصدير وقد ارتدت أفضل ثوبٍ لديها وتأنقت ليبرز جمالها الآخاذ وقدمت طلبًا للحصول على العمل المؤقت المقدم كمنحة من الشركة كنوع من العمل المجتمعي للطلبة، وألقت شباكها على الفور حول ابن (نعمان) بك الأكبر (أكرم)، صحيح أن أخيه الأصغر أكثر وسامة وأكبر منها بعامين فقط ولكنها لاحظت أن الأكبر أكثر دهاءً ولا يتصرف بعفوية وطيبة زائدة ويعرف جيدًا كيف يحظى بحب والده بإتقان أي أنه الجواد الرابح في تلك الشركة، ثم إن (إياد) لم يظهر عليه لحظة أنه أعجب بها وكانت تدرك أن صنفه يبحث عن صفات أخرى في النساء لا تمتلكها هي، كما أنه كان مصاب بضعف في عضلة القلب وأسمه على لائحة الانتظار للحصول على قلب من متبرع ما.

سرعان ما تفوقت في عملها راغبة في إبهار صاحب الشركة وإقناعه بأن يمنحها فرصة عمل لديه برغم أنها لم تنهي دراستها وتمكنت خلال عام فقط من أن تأسر قلب (أكرم) وابيه، الأول أعتبر هدفه في الحياة أن يتزوجها ويسعدها، والثاني أعتبرها كابنته التي لم يحظى بها، كان الأب (نعمان) رجل رأسمالي وعملي وليس ساذجًا وقد أعجبته شخصيتها القوية المادية بشدة وقبل زواجها من ابنه.. وهاهي الآن تعيش في القصر وتدير الشركة مع زوجها وأنجبت له ولد عمره 10 أعوام الآن وقد نسيت كل شيء عن ماضيها والحي الفقير الذي كانت تسكن فيه.

نهضت وغادرت حجرتها وهبطت إلى الطابق الأرضي حيث وقف (عزمي) يداعب ابنها (فاروق) ولما رأها توجه نحوها، وقبل يدها بأناقة وقال: مرحبًا (فيروز) هانم، أظن أنني سأحتاج إلى دعمك الآن.

قالت (فيروز) موجهة حديثها إلى ابنها: (فاروق)، أذهب لتلعب في الحديقة قليلًا.

ثم استدارت نحو (عزمي) وقد أشتعلت نظرة غضب في عينيها وهي تقول: نحن على وشك الإفلاس يا (عزمي)، كل هذا بسببك.. أنت من أقنعت (أكرم) بتلك الصفقة ومن دفعه إلى التهرب من الضرائب، والآن أنظر إلى حالنا، إلى سمعتنا، علينا دفع أموال باهظة للضرائب وإلا فهو السجن، وقد خسرنا الصفقة.

أرتبك (عزمي)، برغم حقارته وصلابته كان دومًا يرتبك أمامها هي بالذات، أسرع يقول: أحم.. ولهذا يجب على (أكرم) إقناع أخيه (إياد) بأن يمنحه قرضًا، إنه في مكتبه أليس كذلك؟ دعينا نتحدث معه.

عقدت (فيروز) ذراعيها أمام صدرها، ورفعت أحدى حاجبيها وهي تجيب: ومن قال إن (إياد) سيقبل؟

-أنه طيب القلب و(أكرم) في النهاية هو أخوه.

أطلقت ضحكة ساخرة ثم عادت تقول وقد أنعكست مشاعر الغضب على نبرة صوتها: هل نسيت أن (أكرم) قد شجع والده على حرمان (إياد) من الميراث وطرده بسبب زواجه من.. من.. جنات أو جنى.. أو أيًا كان أسمها، هل نسيت أن (إياد) ُطرد من الشركة بسبب أخيه وأنه أضطر للبدء من جديد بشركته لمنتجات العناية الشخصية، وأنه عندما طلب من (أكرم) قرضًا رفض بسبب إقناعك أنت له بأن يرفض.

كان صوتها قد ارتفع بشكلٍ ملحوظ مع جملتها الأخيرة وغادر (أكرم) مكتبه إلى الصالة حيث تقف زوجته للشجار مع صديقه.

برغم تشابه الأخوة في الملامح كان (أكرم) مختلف عنه قليلًا، فبينما كان (إياد) شابًا وسيمًا وديع الملامح توحي ملامحه وتصرفاته بالطيبة والاستقامة، كان أخوه الأكبر منه بخمسة أعوام يبدو أكثر صرامة وعلى شيء من القسوة.

رحب بصديقه، ثم قال لزوجته بضيق: أخفضي صوتك قليلًا.

وأشار إليهما ليلحقا به إلى المكتب، ثم أغلق الباب بعد أن أمر أحد الخدم بإعداد القهوة.

قال (أكرم) في ضيق: نحن على وشك الإفلاس حرفيًا، لا بد من الحصول على قرض من البنك، ولكن البنك رفض.

وضع (عزمي) ساقًا على الأخرى وحاول إقناع صديقه: عليك أن تطلب القرض من (إياد)، أنه يملك نصف شركة (ورد الجوري) لمستحضرات التجميل ومنتجات العناية بالبشرة شراكة مع (جيهان نصر الدين).

-إنها شركة صغيرة.

-ولكنها بدأت تثبت نفسها على الساحة، سمعت أن رأس مال الشركة يقدر حاليًا بعشرة ملايين.. هذا يعني أن نصيب أخيك..

قاطعه (أكرم) مستنكرًا:ما هذا الكلام السخيف، الآن تريد مني أن أطالب أخي بثروته كلها؟ أنت السبب فيما نحن فيه الآن كما تعلم.

-أسمع خطتي أولًا، هل تذكر عندما كان (إياد) يوقع أوراق الشركة بعد وفاة والدك كي ينهي تلك الصفقة بين شركته وشركة والدك.

-وماذا؟

-لقد قام بتوقيع ورقة دسستها له دون أن ينتبه، تركت فيها فراغًا بسيطًا يمكن أن نضيف فيه سطرًا كاملًا، المشكلة أن تلك الورقة بلا قيمة، بل قد تدفعه إلى زجي بالسجن و..

قاطعه (أكرم): أنت وخططك الخبيثة الملتوية.

رد (عزمي):هل نسيت أنني أيضًا قد تضررت من تلك الصفقة.. هل..

طرقت إحدى الخادمات الباب ودلفت إلى المكتب حاملة أقداح القهوة فوضعتها على الطاولة، ثم قالت: لقد وصل (إياد) بك.

لمعت عينا (عزمي) في لهفة واعتدلت (فيروز) في مقعدها، تطلع الاثنان نحو (أكرم) وكانت نظرتهما واضحة وآمرة.. عليك إقناع أخيك وإلا فهو الإفلاس.

وقال (عزمي): إنها شركة والده أيضًا.

ردت (فيروز) هذه المرة: والتي ُطرد منها منذ عامين.

دلف (إياد) إلى المكتب حاملًا (فاروق) على كتفه وهو يقول بمرح: لقد كبر هذا الصبي بسرعة، أصبح رجلًا.

وأنزل ابن أخيه الصغير، ثم صافح أخاه وهو يقول: كيف حالك أخي، وكيف حالك يا زوجة أخي؟

-لست بخير. قالتها ببرود وهي جالسة واضعة ساق على ساق.

وعلى الفور أحتضن أخاه بحرارة وقال: هل تعرف كم أشتقت اليك؟

رد (أكرم): وأنا كذلك، أنت من توقف عن زيارتنا منذ زواجك.

قال (عزمي): مرحبًا (إياد).

لم يرد الأخير عليه بل قال لأخوه: ما الذي يفعله هذا الحقير هنا؟

قال (عزمي) وهو يبتسم في مزيج من الغيظ والسخرية: أرى أنك لم تتغير على الأطلاق.

رد (إياد): نفس الكلام ينطبق عليك.

هنا قال (أكرم) مقاطعًا: توقفا عن الشجا، لا يمكنكما الشجار في كل مرة هكذا.

نهض (عزمي) وقال: سأدخن في الشرفة.

وتوجه إلى شرفة المكتب الواسعة المطلة على الحديقة وأغلق بابها الزجاجي خلفه وهو ينظر إلى (أكرم) مشجعًا.

أشارت (فيروز) إلى ابنها آمرة: إذهب إلى حجرتك قليلًا.

ولما غادر الصبي، أومأت إلى زوجها برأسها تحثه في طلب القرض.

تنحنح (أكرم) ثم قال: ماذا تشرب؟ أمازلت تحب عصير المانجو؟ سأطلب من الخادمة أن تعد لك واحدًا.

-لا داعي، لن أمكث كثيرًا.

-وكيف حال عملك وشركتك؟

قال (إياد):أخي، سوف أستقر في مرسى مطروح ولن أعود إلى القاهرة.

-تترك شركتك التي بدأتها منذ عامين بعد أن بدأت تحقق النجاح.

-لقد تحدثت مع أستاذة (جيهان)، سيتم افتتاح فرع آخر للشركة هناك وسأشرف عليه، لم أعد راغبًا في البقاء بالقاهرة.

نقر (أكرم) بأصابعه على مكتبه في توتر ثم قال: الحق أنني أريد التحدث معك في أمرًا هام، مع الأسف أنا أمر بأزمة مالية في غاية الصعوبة وبأمس الحاجة إلى قرض، لقد حاولت الحصول عليه من البنك، وطلبت من بعض أصدقائي ولكنني لم

أوفق، لذا.. سأطلب منك أنت لأنك أخي.. أحتاج إلى 5 ملايين لدفع التعويضات والضرائب والديون.

***

يملك الإنسان جوانب من الخير والشر في شخصيته وتلك هي طبيعة البشر عمومًا، والجانب الذي يغذيه المرء ينمو ويتضخم وينتشر حتى يسيطر على القلب ومن بعده الجوارح، كان (إياد) طيبًا ومستقيمًا في حياته وفي جل أموره وكان رفيقًا رحيمًا بالغير ولا يحتفظ بالضغائن في قلبه كثيرًا، ولتلك المزايا في شخصه أمتلك في قلب والده مكانة كبيرة فحظى بحب والده،على الجهة الأخرى كان (أكرم) طموحًا وعمليًا وقاسيًا في بعض المواقف، لم يكن وحشًا كاسرًا بل كان شخصًا تتماشى طبيعته مع عصره الصعب وحياة رجال الأعمال الخالية من العاطفة، ولذا فقد حصل على ثقة والده وإعجابه، أما علاقة الأخوين ببعضهما فقد كانت لا تخلو من المحبة الأخوية ولكنها كذلك لم تخلو من التنافس والغيرة من جانب (أكرم) بالذات وقد كانت غلطة والدهم أنه شجع روح التنافس تلك بينهما ظنًا منه أنها في مصلحة العمل والشركة وأنها الطريقة الأصوب في صقل شخصيتهما، فتحولت الغيرة إلى شيءٍ من الحقد من جانب (أكرم).

***

لم يرد (إياد)، صمت لثوان بعد أن سمع من أخيه طلب القرض خاصة وأن هذا المبلغ يعني تصفية الشركة وبيع أسهمه بالكامل، ثم قال: سأسأل (جنى) ثم أمنحك ردي خلال أيام.

ابتسم (أكرم) ساخرًا وقال: تنتظر إذن زوجتك، ألست رجلًا؟

-أنا رجل ولهذا سآخذ رأي شريكة حياتي وأم ولدي لا إذنها، والتي تؤثر قراراتي على حياتها كما تؤثر علي.

وألقى نظرة جانبية على (فيروز) ثم قال: على الأقل أنا لا أطيعها في كل صغيرة وكبيرة.

أحتقن وجه (أكرم) وقد فهم تلميح أخيه وأراد أن يهينه فلم يجد سوى وضع (جنى) الاجتماعي فقال:

-أخرجها من هذا الموضوع، نحن إخوة، أما تلك الفتاة التي تزوجتها رغم رفض الجميع، تلك اللقيطة لن تسمح لك بفعل أي خير اتجاه أسرتك.

أحمر وجه (إياد)، كان يغضب بشدة عندما يتحدث أحد عن زوجته ويعايرها بما لا ذنب لها فيه فقال وقد بدأ يشعر بالألم في صدره: لا تتحدث عنها بهذا الشكل، لا تلومها على ما ليس ذنبها، إنها زوجة رائعة وأنا أحبها من كل قلبي ووالدي ظلمها حينما حكم عليها دون حتى أن يراها، وقد ظل عندي أمل انه سيتقبلها يومًا ما، وكنت أتوقع أن تساندني في هذا وهو ما لم يحدث.

-والآن جاءتك فرصة للإنتقام، أليس كذلك؟

-إنتقام؟ لا.. أنا لا أفكر أو أشعر بالطريقة التي تظنها، وأجل طالما تريد سماع ردي الآن فالإجابة هي لا.. لن أمنحك القرض، والآن أنا مضطر للمغادرة ف...

ثم توقف عن الحديث وقد شحب وجهه وبدأ يتصبب عرقًا، مد يده المرتجفة لإخراج زجاجة تحمل أقراص دواء القلب ولكنها أنزلقت من يده وتدحرجت حتى قدمي (فيروز) التي نهضت وأمسكت الدواء وتوجهت نحو (إياد) لأعطائه أياه ثم توقفت فجأة.

مد (إياد) يده نحوها ولكنها وضعت زجاجة الدواء خلف ظهرها بحركة تلقائية يائسة، وهي تقول: لن أمنحك الدواء قبل أن أسمع موافقتك على القرض، نحن على وشك الإفلاس، شركة والدك ستضيع، لا.. لا تحاول، فقط إذا قبلت بمنحنا القرض سأعطيك الدواء.

قال (أكرم):(فيروز)، ماذا تفعلين؟

-أنتظر أنت يا عزيزي، لن نتشرد في الشارع وأصير زوجة سجين.

أسرع (عزمي) يغادر الشرفة عائدًا إلى المكتب وكان يتابع ما يدور منذ البداية متظاهرًا بالتدخين وهو ما كان ليتجاهل الموقف دون أن يراقبه كالصقر لشعوره برغبة شديدة في انقاذ وضعه المالي بأي ثمن وبأي وسيلة.

سقط (إياد) على ركبتيه، فغمغمت (فيروز): فقط.. فقط أقبل، أرجوك.

ولكنه بدلًا من أن يجيبها سقط أرضًا وقد بدا كأنه يصارع الموت، أنتفض (أكرم) وصاح بها: ناوليني الدواء.

وتناول منها الزجاجة وغمغم: ولكن، كم قرصًا يتعاطى في حالته تلك.

قال (عزمي) فجأة: لقد توقف عن التنفس.

وانحنى بجوار (إياد) ومد كف يده نحو منخريه، ثم كرر ببرود: لقد توقف عن التنفس.

انحنى (أكرم) على أخيه المسجي يهزه في قلق قائلًا: (إياد)..(إياد)..أفق.

ثم أسرع إلى الهاتف الموضوع على المكتب هاتفًا: سأتصل بالإسعاف.

وضغط أزرار الهاتف، وعلى الفور جذب منه (عزمي) سماعة الهاتف وقال: لننتظر قليلًا.

-ن.. ننتظر حتى يموت.

رد (عزمي): أجل، وماذا في ذلك؟ إنه مريض بقلبه وعلى لائحة إنتظار متبرع وسيموت على أية حال.

-هل جننت؟

وحاول جذب السماعة، فقال (عزمي): هل تريد القرض؟ أم أنقاذ أخيك؟ ماذا عن ابنك؟ هل تقبل بتدمير حياته قبل أن تبدأ؟ هل سيصبح ابن رجلٍ سجين، ماذا تفعل زوجتك وولدك وقتها؟ هل تظن أنه سيمنحك أمواله؟

أمتقع وجه (أكرم)، وقالت (فيروز) وقد استجمعت قواها بسرعة كعادتها:أوضح خطتك يا (عزمي)؟

وضع (عزمي) سماعة الهاتف في موضعها، وقال: هل تذكر الأوراق التي وقعها أخوك منذ شهرين مع المحامي بعد وفاة والدك، من ضمنها كانت ورقة فيها سطر فارغ وضعت فيه قرار بيع لأسهمه كاملة لك، أنا وضعتها ولم ينتبه لها وسط الأوراق ووقعها بحسن نية، بالطبع فإن تلك الورقة لا قيمة لها على الإطلاق إن ظل حيًا.. ولكن بوفاته فمن ينكر أنه باع نصيبه لأخيه.

اتسعت عينا (أكرم) وظل يرمق أخيه المسجي على أرض المكتب بصمت، مضت دقيقة ثم ناوله (عزمي) سماعة الهاتف وقال باسمًا:الآن، أتصل بالأسعاف، أنقذ أخيك.

لم يعلق (أكرم) ولم يتناول السماعة، وظل صامتًا متجمدًا في موضعه فنظر (عزمي) إلى (فيروز) وتوجهت (فيروز) نحو زوجها الواقف وراء المكتب فوضعت يدها على كتفه وقالت: (أكرم)، أنا أحبك كثيرًا وأنت تعرف هذا، ولا أتمنى أن أضعك في موقفًا كهذا، ولكن يا حبيبي إما أسرتك أو أخيك، فلا خيار آخر.

ومالت على أذنه وهمست: لقد قضي الأمر على أي حال.

ونظرت نحو (عزمي) بنظرة ذات معنى، فقال: أعذرني يا صديقي على قسوتي معك منذ قليل ولكن وضع الشركة حرج للغاية، وحياتنا على المحك، إن كان لديك حلًا آخر فلتقله الآن فليس الوقت في صالحنا.

أزدرد (أكرم) لعابه ثم قال: موافق.

ابتسمت (فيروز) بظفر وقبلت زوجها على جبينه.

وقام (أكرم) بالاتصال بالإسعاف، ثم لما أنهى المكالمة غمغم: سيصلون بعد قليل.

قبلته زوجته من جديد، ثم حانت منها التفاتة إلى حديقة القصر من الشرفة فأنتفض جسدها وصاحت وقد اتسعت عيناها: (أكرم)، البستاني يصورنا بهاتفه.

التفت الجميع إلى حيث وقف البستاني رافعًا هاتفه، باب الشرفة الزجاجي مفتوح على مصراعيه وكل ما دار في المكتب تم تصويره بالصوت والصورة، فلما أدرك البستاني أنهم شاهدوه ولى الأدبار.

صاح (عزمي) في جنون وهو يندفع مغادرًا المكتب: ذلك ال.. فلنسرع خلفه قبل أن يزج بنا في السجن.

***

في مستقبل غير بعيد ولكنه غير قريب كذلك للأسف أتحدت الدول العربية في إتحاد يماثل الإتحاد الأوروبي مع توحيد اللغة الرسمية وتوحيد العملة.

في بداية الأمر كانت هناك العديد من التحديات وكاد هذا الإتحاد ينتهي عدة مرات حتى نجح أخيرًا وبدأ الأستقرار والإنتعاش الأقتصادي يظهر نوعًا ما، مازال هناك الكثير أمام هذا الإتحاد حتى يصبح أفضل وتقوى شوكته.

ولدت (جنى) قبل الإتحاد بعدة أعوام في شهر يناير ثم ألقيت أمام باب إحدى دور الأيتام في القاهرة.

بحثت الشرطة مطولًا عن أطفال مفقودين تم الإبلاغ عنهم، وفي النهاية أدرك الجميع أنها طفلة تم التخلي عنها وأنها غالبًا نتاج علاقة غير شرعية، ومن هنا بدأت الحياة تعاملها بقسوة، نشأت في الدار وسط معاملة صارمة ونظرات شك حيث يتوقع منها الجميع أن تنحرف أخلاقيًا في المستقبل كما فعلت والدتها حتمًا، كانت جميلة ولكن هذا الجمال لم يساعدها كثيرًا بل كان أقرب إلى نقمة عليهاالآن هذا زاد من شكوك المحيطين بها.

وقد شبت في تلك الدار وكانت لصاحبة الدار عقل راجح وقد أدركت أن الدين هو أفضل وأهم وسيلة لتنشئة إنسان صالح وعليه فقد شبت (جنى) وقد ترعرت داخلها نزعة للتدين والتقوى فارتدت برغبتها الحجاب في سن المراهقة وواظبت على الصلوات وتفوقت في دراستها وتخرجت من كلية الأداب وعملت في أحد المجلات الثقافية، ومع هذا لم يرغب أحد في الزواج منها، كانت تتوقع هذا على أية حال، أن تعامل كمنبوذة لأنه لا أحد سيرغب في الزواج من فتاة مجهولة النسب، في كل مرة تتطلع إليها نظرات الشباب والرجال في إعجاب ثم يعرفون الحقيقة فيهربون، بعضهم كان وغدًا وظن أن كونها لقيطة يعني أن الفساد يجري في دمائها ثم لا يجد أملًا منها في هذا الاتجاه يبدأ في البحث عن سواها، وكانت هذه حياتها حينما التقت ب (إياد).

جاء إلى المجلة بسبب مقال عن استيراد شركة أسرته لنوع من المخصبات الزراعية المشكوك في صحتها.

توقع الجميع أن يبدأ في الشجار أو التهديد ولكنه كان مهذبًا جدًا وأعتذر بتهذيب وأوضح لرئيس المجلة أنه حقق بنفسه في هذا الأمر بعد قراءة المقالة وتأكد من صحتها وطلب من والده إلغاء الصفقة وقد تم هذا.

مالت أحدى زميلات (جنى) على أذنيها وهمست:إنه مختلف تمامًا عن أخيه.

تساءلت (جنى) في حيرة: هل جاء أخيه هنا من قبل؟

ردت: جاء بالأمس وكنتِ أنتِ في الخارج تستكملين تحقيقك، كان مخيفًا وراح يهدد ويتوعد ويتهم المجلة بأنها متفقة مع منافسيهم على تشويه صورة شركته.

ثم اختلست النظر إلى (إياد) وقالت: أنه غير مرتبط، وهو وسيم.

قالت (جنى) بلا مبالاة: همم.

هنا قال الرئيس: أنسة (جنى)، لديك عملٌا جديد، أذهبي اليوم بعد العصر لعمل لقاء صحفي مع صاحب شركة نعمان عن إلغاء الصفقة طبعًا وبدائلها، علينا أن نصلح المعلومات التي نشرناها..(وعاد يتطلع إلى إياد) إنها فتاة ممتازة في عملها.

استدار (إياد) نحوها وبدت في عينيه نظرة الأعجاب المعتادة ولكن مع فارق بسيط وهام جدًا، لا نظرة شهوة مقترنة بالإعجاب، بمعنى أنه لم يعجب بوجهها الجميل ولا جسدها الرشيق بل أعجب بثيابها الفضفاضة المحترمة وهي النظرة التي طالما تمنتها، وحينما خفق قلبها وقلبه أدركا أن تلك هي الشرارة الأولى للحب.

***

الآن ينهش القلق قلب (جنى)، فقدت الاتصال بزوجها منذ حدثته بالأمس ولم يكن ليتأخر دون أن يبلغها خاصة وهي على وشك الوضع وقد أنتفخ بطنها أمامها، مرت عليها جارتها (أم يحي) لتطمئن عليها وهي تحمل ابنها (يحي) ذو العامين ثم غادرت، وتلك الجارة كانت طيبة القلب تعامل (جنى) بمشاعر أخوة صادقة نبعت من إحساسها بأنها أخت صغيرة لها إذ كانت ابنة وحيدة بلا أخوة وفقدت والديها في سن صغيرة ولهذا كانت تشعر دومًا بأن (جنى) التي مرت بظروفٍ مشابهة لظروفها بشكلٍ ما أقرب إلى أخت.

بعد صلاة العصر، توجهت (جنى) إلى فناء المنزل حيث قامت بري الريحان والنعناع الذي قام (إياد) بزراعته، قام بزراعة شجرة البرتقال كذلك، كان يحب الزراعة وكذلك هي وكانت تلك واحدة من الهوايات المشتركة العديدة بينهما.

كانت تعيش مع زوجها في مرسى مطروح في منطقة سكنية مخصصة للطبقة المتوسطة كما قيل لهما على بعد 10 دقائق من أحد شواطيء البحر المتوسط، وكانت قديمًا منطقة مختلفة ثم تم تطويرها وبناء تلك المنازل الصغيرة المساحة و كانت كل المنازل على نفس الشاكلة وبذات النمط، مكونة من طابق واحد محاط بفناء صغير مغلق بسور و باب خارجي الكتروني يعمل بكلمة سر وبصمة الأصبع السبابة، أما المنزل من الداخل فمساحته 75 متر مكون من غرفتين ومطبخ وحمام وصالة، وتعاون كليهما على تحويل الفناء الصغير من مجرد مساحة من الملاط إلى مجلس مريح فوضعا فيه تخت عربي للجلوس وقاما بزراعة أصائص الريحان والنعناع والكاموميل وبكل فخر قام (إياد) بزراعة شجرة برتقال صغيرة، وبرغم أن المنزل أصغر بمراحل من قصر (نعمان) لكنها كانت تعيش فيه مع زوجها في غاية السعادة، وقد أعدا حجرة الصغير فقاما بدهان الحوائط معًا بلون سماوي جميل وكان (إياد) بارعًا في الرسم فرسم أمواج بحر وأصداف ونجوم وأسماك على الحوائط ورسم الكواكب والنجوم على سقف الحجرة وأبتاع كل مستلزمات حجرة ابنهما، وبرغم أن والده طرده من الشركة وهدده بحرمانه من الميراث فإن (إياد) لم ييأس ووجد من يقبل شراكته وأسس شركة (ورد الجوري) واستطاع حتى اللحظة إطعام زوجته التي تركت العمل وشراء كل ما يحتاجه الطفل وكان دائمًا يقول لزوجته التي تشعر بالذنب: يومًا ما سوف يسامحني والدي ويتقبلنا ويتقبل حفيده فلا تقلقي.

كانت (جنى) تدرك أن زوجها أطيب مما ينبغي، وقد علمتها الحياة القاسية التي عاشتها أن البشر ليسوا بهذا التسامح وتلك الطيبة، كانت واثقة من أن صفقة المخصبات الزراعية تمت بعلم تام من والده وأخوه وأنه هو من لم يعلم وأنه مخدوع فيهما تمامًا ولكنها لم تتكلم إحترامًا لمشاعره.. يكفيها أنه زوج رائع وأب رائع ورجلًا مستقيم وشريف.

أرتفع صوت جرس الباب فنهضت (جنى) وبطنها منتفخة وجرت ساقها بصعوبة نحو الفناء وتطلعت إلى الشاشة فوجدت عامل توصيل، فتحت الباب واستلمت الصندوق ووقعت بالاستلام، وقام العامل في شهامة بحمل الصندوق ووضعه في الفناء كما طلبت منه ثم غادر، فجلست على أريكة في الفناء تحت ظل شجرة

البرتقال التي زرعها (إياد) وفتحت الصندوق، به الثوب الذي اشتراه لها وبعض الثياب والأحذية للصغير القادم كبيرة الحجم لتكفيه حتى يبلغ عامه الأول.

دمعت عيناها وانقبض قلبها في قلق، هل هي تبالغ في القلق أم أن مكروهًا قد أصاب زوجها؟

في المساء دق جرس الباب من جديد، نهضت وتطلعت نحو الشاشة، هذه المرة ثمة جندي من قسم الشرطة..فتحت الباب وقد شحب وجهها وزاغت عينيها، هتفت وهي تهز رأسها نفيًا: كلا.

بدت الحيرة على وجه الجندي وقال:عفوًا.

ردت: كلا، (إياد) بخير، إنه بخير.. لقد وعدني بالعودة اليوم ثم أن لديه عمل كذلك.

قال الضابط في أسف: سيدتي، هل أنت السيدة (جنى أحمد محمد محمود)؟ زوجك السيد (إياد نعمان) قد توفي بأزمة قلبية، وصل تقرير الوفاة من المستشفى بالقاهرة.

مادت بها الأرض ثم فقدت الوعي بكل بساطة.

***

بعد أن فقدت الوعي دخلت المستشفى وكانت حالتها حرجة، إنهيار وبكاء وبعض قطرات الدم بدأت تسيل منها بالاضافة إلى أرتفاع ضغط الدم، ولدت الطفل يومها وكان سليمًا لحسن الحظ، وتم أحتجازها في المستشفى ليومين.

تكالبت عليها المحن، تسلم (أكرم) جثة اخيه ودفنه في مدافن الأسرة بالقاهرة دون أن تتمكن من حضور جنازة زوجها، فقدت الزوج وشريك الحياة وتيتم رضيعها ثم أكتشفت أن زوجها تنازل عن كل أسهمه لشقيقه، وقد أيقنت أن هذا مستحيل الحدوث، ما كان (إياد) ليفعل شيئًا غير منطقي فيتنازل عن شركته التي كافح ليل نهار في العامين المنصرمين لبنائها، وما كان ليتركها وابنها بلا مال، بدأت تشك في أن زوجها ربما قُتل من أجل هذا التنازل، ولكن كيف؟ وهل يعقل؟

أخبرت المحقق بشكوكها ولكنه بدا ضجرًا للغاية وغير مقتنع وأخبرها: ألم يكن زوجك يعاني من مشاكل في القلب؟

ردت في يأس:أجل، ولكن حالته كانت مستقرة وكان ينتظم في تناول الدواء.

قامت بالاستعانة بمحامي لتطعن على ورقة التنازل المزعومة ولكن الطب الشرعي أثبت أن التوقيع يخص (إياد) وليس مزورًا.

قالت لها (أم يحي) وهي تناولها كوبًا من الشاي وتجلس بجوارها: أنهم معدومي الضمير، كيف قبل هذا الرجل على نفسه وعلى ابنه سرقة أموال أخيه، عليك أن تعتني بِابنك وأن تلقي بكل شيء وراء ظهرك.

ما أسهل الكلام وتقديم النصائح، هي لا تعلم كيف ستستمر في الحياة بدون (إياد) وكيف ترعى ابنها وهي لا تملك وظيفة ولا مال، وهكذا تنازلت عن كبريائها قليلًا وتناولت حاسوبها وأجرت أتصالًا ب (أكرم)، لعل قلبه يرق لابن أخيه.

ولكن ظهر على الشاشة زوجته (فيروز) بجمالها الطاغي وعيونها الخبيثة وكانت ترتدي ثوبًا أسود أنيق فقالت بتعاطف مصطنع: (جنى)، البقاء لله.. فليمنحك الله الصبر، كان الفقيد طيب القلب.

-أين (أكرم)؟

-إنه جالس مع شريكته الجديدة بخصوص العمل، أرجو أن تعذرينا ولكن لدينا شركة ندير ها كما تعلمين بعد أن أتمننا المرحوم عليها.

قالت (جنى) بلهجة مريرة: تقصدين الشركة التي سرقتموها، أي نوع من البشر أنتم؟

- تؤ.. تؤ.. سأعذرك لأنني أقدر ظروفك ولكن نحن أسرته ياعزيزتي، هل ظننت أنه قد يترك شركته لك؟

-سآتي اليوم فأنا أرغب في الحديث مع (أكرم).

- للأسف فإن (أكرم) لا يرغب في رؤيتك وقالآنك جلبت الشؤم على أخيه، ولا يريد رؤية ابنك كذلك وقالآنه ليس لك ولا لأبنك شيئًا من الميراث.

وأغلقت زر المكالمة وكان آخر ما رأته هي دموع (جنى) التي تسيل من عيونها الحمراء المنتفخة ثم نهضت واستدارت نحو زوجها (أكرم) الذي دلف إلى المكتب للتو وتطلع نحوها متسائلًا، فقالت: كانت هذه زوجة أخيك، لا تقلق لقد أغلقت كل طرق التمسح بنا في وجهها.

هتف (أكرم): ولكنني أريد رعاية ابنها ولو من بعيد.

ردت (فيروز): يا عزيزي ستجعلها تطمع فينا، هل نسيت أنها اتهمتك بأنك قتلت زوجها؟ وهي لا تصدق موضوع التنازل، هل تريدها أن تتواصل معنا وتبدأ في البحث حول ما حصل ؟ لا نريد أي صلة بها منذ اليوم.

لم يعلق (أكرم)، فتحسست (فيروز) وجنته في رفق ثم قالت: ليكن، أمنحها مبلغًا من المال وأنتهي من هذا الأمر إلى الأبد.

أما (جنى) فبعد أن أرضعت الصغير احتضنته في رفق ووضعته في سريره، وقالت وهي تتطلع اليه: لقد أسميتك (إياد) على اسم والدك، أدعو الله أن تكون مثله في كل شيء، أنت الآن أهم شخصٍ في حياتي، سأظل معك حتى تكبر وتصير أفضل رجلٍ في العالم.

في المساء سمعت جرس الباب ونهضت إلى الباب الخارجي فوجدت في الشاشة (أكرم).

شعرت بغضبٍ عارم ولكنها تماسكت، وفتحت الباب وتطلعت إليه، نظرة عينيه المذنبة تخبرها بكل شيء، ربما قتل أخوه، وحتمًا زور التنازل بشكلٍ ما، قلبها الآن مستيقن من ذلك ولكنها لا تملك دليلًا ماديًا يمكنها من محاسبته.

قال: هلا سمحتِ لي بالدخول؟

ردت ببرود: كلا، لا يمكنني إدخال رجلٍ إلى بيتي في هذه الساعة المتأخرة من الليل.

تطلع اليها باستنكار، ثم مط شفتيه وقال: ليكن، تفضلي.

مد يده بظرف منتفخ فقالت (جنى): ماهذا؟

رد: هذا مال، حوالي 20 ألف جنيه من أجل الصغير.

-إما حق ابني في الميراث أو لا.

رد ساخرًا: إما أن تقبلي تفضُلي عليكِ، أو تتسولين.

هتفت محتدة: لا أريد شيئًا من أموالكم القذرة، ماذا تظن؟ أنني سأقبل أموالكم العفنة ومن قاتل زوجي.

صرخ في عصبية: كفي عن ترديد الهراء، أنتِ تنشرين شائعات لا دليل عليها ولولا أنني أحترم ذكرى أخي لقاضيتك بتهمة التشهير، على كلٍ أنتِ حرة في رفض أو قبول المساعدة ولكن لا تتوقعي أن لك أو لابنك أي حق في أموال أسرتنا، فلتجوعي وتتسولي إذًا.

وبرغم أنها كانت قد أجرت الاتصال به آملة في أن يلين قلبه لابن أخيه، لكنها الآن شعرت بالتقزز منه وبالضيق والغضب من نفسهالآنها فكرت في التواصل معه، فقالت: أنت سرقت أموالي وأموال ابني.. والآن تحاول أن ترضيني بهذا المال.

-هذا ما عندي.

ردت وقد أحتقن وجهها غضبًا:أذهب من هنا بأموالك.. لا أريد منكم شيئًا، وسأقتص منك ومن كل من شارك معك يوم القيامة، هل تظن أنك تستطيع إخفاء جريمتك وقتها كما تفعل الآن؟

وأغلقت الباب أمام وجهه الغاضب، فهتف: لقد حاولت مساعدتك ولكن أنت من رفض.

واستدار مغادرًا، كم كان يتمنى أن تقبل، كان هذا سيريحه قليلًا ويسكت ضميره الذي يزعجه في الآونة الأخيرة.

***

الفصل الثاني

(ميلاد جديد)

مر 17 عامًا

في البداية كانت (جنى) في حالة من إنعدام الوزن والذهول على أنها سرعان ما أستعادت قوتها فراسلت المجلة التي تعمل بها لعلها تجد لديهم وظيفة من جديد وقد أجابها المدير الذي علم بظروفها أن بوسعها العمل ككاتبة مؤقتة في حالة غياب الكاتبة الرئيسية لكتابة مقالات ثقافية فقالت لنفسها: هذا دخلاً غير ثابت ولا يُعتمد عليه.

وبحثت عن عمل حتى وجدت عملاً في مكتبة وكانت في شارع رئيسي في وسط المدينة بالمحافظة وصاحبها رجلًا عجوز مسالم رحب بها..لم يكن مطلوباً منها سوى بيع الكتب الألكترونية فقط وهي مهمة سهلة وقد أصبحت منتشرة في هذا الزمن ولكنها بالنسبة لرجلًا كبيرًا في السن مهمة معقدة..المرتب ليس كبيرًا ولكنه يضمن لها ألا تموت جوعاً مع ابنها أو تتسول من الجيران ثم إن ساعات العمل جيدة وبوسعها إصطحاب طفلها معها فقبلت راضية.

شغلت وقتها ما بين العمل في المكتبة والعمل على مقالة من وقتٍ لأخر وتربية ابنها الذي أصبح محورحياتها وجل أسرتها كما أصبحت هي كل حياته وأسرته.

كان أهم شيء تحرص عليه هو ألا تحرم ابنها من أحتياجاته الضرورية ولهذا بذلت جهدها في العمل والبيت معًا.

نشأ أبنها الذي أسمته (إياد) نشأة صالحة وكان قد ورث من والده شعره الأسود وعيونه الداكنة فيما عدا هذا فقد كانت له ملامحه المستقلة وقد ضايق هذا والدته في البداية إذ كانت تتمنى من كل قلبها أن يشبه والده كثيرًا فتتذكره كلما تطلعت اليه ثم ندمت على تفكيرها هذا فمن حق كل أنسان ان يكون متميزاً عن غيره حتى وإن كان من لحمه ودمه.

كبر (إياد) وأنهى دراسته الثانوية وكان قد شب فتى شديد الذكاء والوسامة..مهذباً أحسنت والدته تربيته حنوناً بطبعه الذي ورثه كما ورث الكثير من أخلاق والده وطبائعه..منذ صغره وهو يشفق على والدته التي تعمل وتكدح من أجله لهذا أعتاد

في كل صيف وبعد أنتهاء الدراسة أن يذهب إلى السوق مع رفيق صباه وابن جيرانه (يحي)..فيأخذان من محال الملابس بعض البضائع ويتوجهان إلى الشواطيء حيث المصطفين فيعرضان ما معهما..وكان هذا يمنحهما مصدر دخلاً لابأس به حتى وإن كان مؤقتاً في شهور الصيف وكان هذا يشعر (إياد) بالفخر وكان قد أعتاد على شراء شيئً تحبه والدته يوميًا فكان مع إنتهاء اليوم يمرعلى منطقة وسط المدينة ومعه (يحي) فيشتري الكعك أو البسكويت أو الفاكهة وذات مرة اشترى حجابًا أنيقاً لوالدته أسعدها كثيرًا.

وكان (يحي) يقول: ما كنت لأفعل مثلك...أعني ليس يوميًا..عليك أن تدخر المال فكلية الطب التي ستدرس بها العام القادم مكلفة وصعبة.

رد (إياد): لا بأس..انا أدخر الكثير بالفعل ومنذ سنوات.

يعودان إلى المنزل مساءً فيمران على المقهى في أول الشارع حيث يجلس والد (يحي) الذي قد ينادي ولده أحيانًا ليخبره بشيءً ما ثم يكملان طريقهما حتى باب المنزل فيودعان بعضهما ويتوجه (إياد) إلى باب المنزل فيضع بصمة يده على الشاشة ثم يُدخل كلمة السر فيفتح الباب ويدلف إلى الفناء الجميل الذي حولته والدته إلى حديقة صغيرة زرعت فيها الريحان والورد البلدي والياسمين والفل والنعناع وزهور الكاموميل أضافة إلى شجرة البرتقال التي تعتز بها كثيرًا...مزيج روائح رائع...هتفت والدته: عدت يا عزيزي...هل نتناول العشاء؟

-أجل فأنا جائع.

ويدخل إلى حجرته فيغير ثيابه ويرتدي منامة بسيطة ورخيصة ولكنها نظيفة للغاية...مازال سقف الحجرة مزين

بالكواكب والنجوم التي رسمها والده الراحل وإن حال لون الحجرة.

تضع الأم العشاء على المائدة...لقد كبر أبنها وصار شابًا..تنهدت وهي تتذكر طفولته ولعبها معه حتى تتقطع أنفاسها والرياضة الصباحية التي كانا يمارسانها كل يوم صباحًا على الشاطيء بينما هو يضحك في حماس وطفولة.

مال فقبل رأسها ثم جلس على المائدة الصغيرة في الفناء وقال: أحضرت بعض الكعك بالشيكولانة أمي.

ردت وهي تتناول الخبز:سلمت يا بني..فلنأكله مع الشاي بعد العشاء.

وتأملته لثوانً...هذا الولد هو كل حياتها ببساطة.

قال باسمًا: أمي...تناولي العشاء.

غمغمت: أجل..متى تتخرج وتصبح طبيبًا وتتزوج وأرى أحفادي.

هتف ضاحكاً: مازال الوقت مبكراً جدًا على هذا.

بعد انتهاء العشاء نهض وغسل الصحون ببساطة بينما أعدت والدته الشاي ووضعت قطعتي كعك في الأطباق وأشعلت الحاسوب ووجهت الشاشة الصغيرة نحو سور المنزل وهتف (إياد) من المطبخ: لاتضخمي حجم الشاشة من أجل عينيك.

تجسدت الشاشة على السور وبدأت والدته تتابع فيلماً في شغف وجاء أبنها فجلس على الأريكة المعتادة تحت شجرة البرتقال فتناول كوب الشاي بالنعناع وراحا يتحدثان حول عمله اليوم والكلية وهما يتناولان الشاي والكعك وقالت والدته: لقد كنت أدخر خلال السنوات الماضية المال من أجل مستقبلك..أعرف ان المبلغ بسيط ولكنه سيغطي نفقات الكلية لعام...أليس كذلك؟

رد باسمًا: لاتقلقي بشأن الكلية فانا أعمل في الصيف دائمًا...ثم ألا تعلمين كم أن أبنك ذكي وعبقري..سأنجح بتفوق وأحصل على منحة سنوية ولن أحتاج إلى المال.

ضربته على رأسه برفق وقالت: وماذا عن مصاريفك الشخصية وماذا عن ملابسك؟..عليك شراء ملابس جديدة.

وعادت تتابع الفيلم فنظر (إياد) نحو الشاشة في حيرة ثم قال: ماذا أصاب هذا الشخص؟..لماذا يعامل زوجته بقسوة؟

ردت باسمة: القصة عن رواية عالمية هي (مرتفعات ويذرنج)..أنه ينتقم لنفسه من تلك الأسرة.

-ولكن الفتاة لم تخطيء بحقه.

-ولكنها وسيلته للأنتقام وهي تنتمي لتلك الأسرة.

تابع الفيلم وبعد أنتهائه قال: لم يعجبني البطل...أنه حقود.

تطلعت نحوه بأهتمام ثم قالت: لقد أصبح مهووساً بالآنتقام حتى سيطر عليه...في النهاية خسر حبيبته وحب زوجته وابنه.

رد (إياد) في ملل:ومات وحيداً دون أن يدرك من معه في المنزل أنه قد مات حتى.

نهضت والدته ونهض معها وقالت: أروي النبات قبل أن تنام من فضلك.

-حاضر.

هكذا كانت تمر حياتهم...كانت عائلة صغيرة جدًا ولكنها مليئة بمشاعر الحب العميقة...كانت (جنى) أمًا حنونة وعطوفة للغاية وكأنها تحاول تعويض ما أفتقدته في طفولتها القاسية وكان (إياد) أبناً بارً صالحاً ويحب والدته كثيرًا وأعتادت والدته أن تكلمه عن والده طوال الوقت مما جعله يبدو وكأنه يعيش معهم..رغم ذلك كان (إياد) يحسد زملائه على وجود أبائهم في حياتهم ويتمنى أن يحظى بشعور البنوة اتجاه أب فمهما حاولت الأم فالأب مهم في حياة الأبناء خاصة البنين..أنهى عدة صفحات من كتاب ألكتروني يقرأه ثم نهض وأغلق شاشة الحاسوب وأحضر الماء وروى الزرع بحرص فلما أنتهى دلف إلى المنزل وتطلع إلى الساعة التي أشارات إلى الحادية عشر مساءً فتحمم ثم أستلقى على فراشه ونام.

كانت حياتهم روتينية ولكن الروتينية تكون لبعض الناس مصدر للسعادة والراحة وقد كانت كذلك لتلك الأسرة الصغيرة.

***

في الصباح الباكر أستيقظ بنشاط..الساعة مازالت السادسة ولكن موسم الصيف على وشك الآنتهاء تقريبًا وموعد الدراسة قد أقترب وعليه النهوض لتناول الأفطار والذهاب إلى عمله مع (يحي)..عليهم البدء في البيع باكراً.

نهض فغسل وجهه ومشط شعره وغسل أسنانه ثم أعد الحليب وقام بتسخين فطائر الجبن التي أعدتها والدته فتناول البعض ثم غطى بقية افطار والدته بحرص فهي ستنهض بعد ساعة ونصف وأرتدى ثيابه وغادر إلى الفناء..حينما فوجيء بجرس الباب...بدا متحيراً فمن سيأتي لزيارتهم في هذا الوقت المبكر..تطلع نحو الشاشة

فوجد أمرأة عجوز ذات ملامح غربية تقف على الباب..ضغط زر الأتصال وقال متسائلًا: من؟

ردت المرأة بلغة عربية ممتازة: هل تعيش السيدة (جنى أحمد محمد) هنا؟

-أجل..ولكنها نائمة.

وفتح الباب وتطلع إلى ملابس المرأة الآنيقة التي توحي بالثراء الفاحش ونظر إلى رجلين ضخام الجثة يبدوان كحارسين فقالت المرأة: هل يمكنني أن أنتظرها..أحتاج إلى الحديث معها في أمر هام للغاية.

-ولكن من أنتِ؟

-أنا قريبتها من بعيد...أنت (إياد) أبنها...اليس كذلك؟

-أجل.

-ماشاء الله..ماشاء الله...لقد كبرت سريعًا.

-سيدتي..هل أنتِ من أقرباء أبي؟ لأن والدتي ليس لها أقرباء.

-كلا...أنا قريبتها هي..قرابة من بعيد..هل ستسمح لي بالدخول؟

غادر (يحي) منزله في هذا الوقت وتطلع إلى (إياد) وضيفته متسائلًا فأشار اليه (إياد) كي يأتي ثم قال وهو يقف على جانب الباب: تفضلي يا سيدتي.

دلفت المرأة إلى الفناء بعد أن أشارت إلى الرجلين بالتوقف وجلست على الأريكة تتأمل الفناء بينما توجه (إياد) لأيقاظ والدته.

ظل (يحي) واقفاً يتأمل المرأة في فضول وحيرة فقالت باسمة: أنت (يحي) ابن جيرانهم الوحيد والصديق المقرب من (إياد).

غمغم مرتبكًا: أجل.

عاد (إياد) وقال: ستأتي ماما حالاً...ماذا تشربين سيدتي؟

-لا شكرًا...لاتتعب نفسك..يمكنك الذهاب إلى عملك في الشاطيء إذا شئت ريثما نتحدث أنا ووالدتك.

ولكنه أشار إلى (يحي) وقال: كلا...لن اذهب اليوم إلى العمل.

ابتسمت المرأة في تفهم وقالت: بالطبع.

غمغم (يحي) وهو يغادر: حسنًا سوف أسبقك أنا.

عادت المرأة تقول:علمت أنك ستدخل كلية الطب هذا العام..في أي مجالاً ستتخصص ؟

قال في حيرة:أتمنى أن أتخصص في جراحة المخ والأعصاب.

قالت باسمة: أصعب كلية وأصعب دراسة وأصعب تخصص..أنا سعيدة بمقابلتك..لقد أحسنت والدتك تربيتك فأنت لا تخشى التحدي.

كان يرغب في سؤالها من أين جاءت بكل تلك المعلومات ولكنه شعر بالحرج قليلًا وجاءت والدته وتطلعت في حيرة نحو المرأة.

نهضت المرأة وقالت وقد أطلت من عينيها نظرة شوق وحب تحاول كبحها دون جدوى: (جنى)..مرحبًا يا عزيزتي.

ردت (جنى): من أنتِ؟

ردت المرأة: أسمي (بيرين)..أنا...ولكن هل يمكننا ان نتحدث على إنفراد؟..الموضوع حساس.

قالت (جنى) بلهجة آمرة: إياد...أذهب إلى عملك أبني...لاتقلق فسأجلس وأتحدث أنا مع ضيفتنا...هيا.

غمغم: أجل...أتصلي بي إن أحتجت إلى شيء.

وغادر المنزل وبينما يتوجه نحو الشاطيء وجد تلك السيارة الفاخرة واقفة..تلك المرأة العجوز ثرية حقًا..هل لوالدته أقارب أثرياء إلى هذا الحد...ولكن والدته

أخبرته أنها يتيمة تربت في دار رعاية...هل سيتضح ان لها عمة أو خالة ثرية وتريد أن تعوضها مثلاً.

ظل شارداً ولم يبع الكثير من الثياب فقال صديقه:لا بأس..سأمنحك بعض الربح من عندي.

ولكن (إياد) نهض وقال: لن أستطيع العمل اليوم..سأعود إلى المنزل.

رد (يحي): ولكنك لن تجد أحدًا فوالدتك الآن ذهبت إلى المكتبة حتمًا..الساعة العاشرة.

ولكنه نهض وقال: لابأس..سألحق بها هناك.

وتوجه إلى المنزل وهو يتساءل إن كانت والدته مازلت موجودة أم غادرت إلى العمل..فتح الباب بالبصمة وكلمة السر كالعادة ففوجيء بأن والدته مازلت جالسة في المنزل على الأريكة شاردة وهناك أثار دموع على وجنتها وبجوارها مازالت تلك المرأة وأمامهما صحفة عليها فنجانين للقهوة وبعض الكعك الذي أبتاعه هو بالأمس والمرأة تتحدث في توسل: سأسافر اليوم وقد لا أعود قبل عدة أعوام.

هتفت والدته في عصبية فاجأته: سافري إذًا.

ثم تنبهت إلى قدومه فهتفت فيه: لماذا عدت؟

أجفل من ردة فعلها الغاضبة ولكنها نهضت وقالت: لقد تأخرت على العمل..لهذا غادري من فضلك فأنا ارغب بالذهاب إلى عملي.

قالت المرأة: يحق لك أن تغضبي بل وتكرهينني..ولكنك لا تعلمين شيئًا عن ظروفي..لاتعلمين كيف كنت أشعر خلال تلك الأعوام..كنت أشتاق اليك في كل لحظة..في كل ثانية.

ولكن (جنى) قالت: البقاء لله في وفاة أبنك..ولكنني لا أستطيع مساعدتك للأسف.

نهضت المرأة وقال (إياد) في حيرة: ماذا يحدث؟

ردت المرأة: أنا جدتك..والدتها...سأظل دومًا قريبة منكما..لن أيأس حتى أنال مغفرتك يا ابنتي.

استدارت المرأة مغادرة في صمت وتوجه (إياد) نحو والدته فأحتضنها وقال: لاتبكي يا أمي.

ربتت على رأسه ومسحت دموعها وقالت: هيا يا بني أذهب إلى عملك وأنا سأذهب إلى عملي كذلك..لاتقلق علي أبداً فأمك قوية.

هتف مصراً: سأوصلك.

وغادر معها وجلست المرأة في السيارة الآنيقة تراقبهم ثم تمتمت: لن أيأس.

***

لم يرى (إياد) جدته ثانية ولكنها ظلت ترسل لوالدته بالرسائل وتحاول محادثتها عبر مكالمات الآنترنت..في البداية كانت (جنى) تأبى الرد على رسائلها..وكانت تقول: تذكرتني فقط بعد أن توفي زوجها وابنها..فقط لأنها صارت وحيدة..ماذا عني؟..ظللت حياتي كلها وحيدة بعد أن تخلت عني.

ثم لان قلبها بسرعة وتغلبت طبيعتها الطيبة فقبلت أن تحادث والدتها بفتور وبرود ثم بشغف..وهذا شجع (بيرين) على أن تأتي بعد أعوم إلى مصر في زيارة أخرى..وقتها وصل (إياد) إلى عامه العشرين وأزداد طولاً ووسامة وأصبح في السنة الثالثة في الكلية وقد تأقلم مع الدراسة شديدة الصعوبة ونجح وتفوق والفضل لمذاكرته حتى يقترب الفجر وتوشك عينيه على الأغلاق من تلقاء نفسها..فكان ومع أنتهاء اليوم الدرسي يحمل حقيبة ظهره وبها الحاسوب والكتب الألكترونية ويتوجه نحو القطار المعلق الجديد الذي تم تصنيعه منذ عامين فقط ليركبه عائداً إلى منزله وقد حل المساء وازداد الجو برودة فيرفع رقبة البول أوفر ويضم السترة عليه ويجلس مرهقاً حتى يصل إلى محطة (المساكن الجديدة) فيهبط ويسير في الشوارع حتى يقترب من المنطقة السكنية التي يعيش فيها..صوت أمواج البحر الذي أعتاد عليها ومع هذا لا يمل منها...الرياح الباردة تضرب وجهه فتنعشه...لقد دخل إلى المنطقة...يمر على المقهى فيحيه بعض من يعرفونه ويرد التحية بيده...يمرعلى

مطعم الشطائر فيحيه العمال في حماس..ينتقل إلى الشارع الذي يقع فيه منزله ويدلف إلى المنزل بينما صوت الثرثرة يصل إلى أذنيه..ها هي ذي والدته جالسة تحت شجرة البرتقال وقد وضعت على قدمها الغطاء وجلست بجوارها (أم يحي) يقزقزان اللب ويتحدثان في حماس وهتفت أمه لترد على سلامه وقالت: الطعام في المطبخ..وقد غسلت لك كل ثيابك وقمت بكيها.

وهتفت به جارته محييه: كيف حالك يا بني؟ لم نرك منذ وقت طويل كان الله في عونك.

رد باسمًا: كيف حالك يا خالة (أم يحي)؟.. مشغول بالدراسة..لم أرى (يحي) منذ عدة أيام...أبلغيه سلامي وأعتذاري..سأتصل به في نهاية الأسبوع حتمًا.

يدلف إلى المطبخ فيأكل طعامه في نهم ثم إلى الحمام فيغسل فمه ويديه ووجهه ثم إلى غرفته فيصلي العشاء ثم يستلقي كي يريح ظهره قليلًا فقط كي يغط في النوم دون أن يشعر.

بعد ساعة تدخل والدته إلى حجرته فتقوم بتغطيته مشفقة ثم تقبل رأسه بحنان وتخلع حذائه وتدلف إلى حجرتها لتنام بدورها.

يستيقظ للوضوء والذهاب إلى المسجد لصلاة الفجر وهو لايرى أمامه من التعب تقريبًا ثم يعود فيلقي بنفسه على السرير ويكمل نومه مستمتعاً بفكرة أن الدراسة غدًا ستبدأ في العاشرة صباحًا لا السابعة.

يستيقظ في الثامنة والنصف فيجد والدته قد أعدت الأفطار..يقبل رأسها في أمتنان حقيقي ويتناول الطعام سريعًا ثم يهرع إلى محطة القطار المعلق وهكذا.

المهم جاءت جدته للزيارة وقد أحضرت معها الكثير من الهدايا والثياب الغالية وكانت ترغب في شراء سيارة لحفيدها ولكن (جنى) أعترضت..لابأس في أن تبر والدتها ولكنها لن تقبل أمرًا كهذا.

قبلت (بيرين) المبيت لديهم لليلة ثم ستعود إلى القاهرة حيث تستمتع بزيارة الأماكن الأثرية وتعود إلى أوروبا.

اليوم أجازة من الكلية فأستيقظ (إياد) متاخراً قليلًا ونهض متثاءباً في تكاسل فتوجه إلى الحمام ثم إلى الفناء حيث جلست والدته وجدته يتناولا الأفطار..غمغم وهو يجلس: صباح الخير.

كانت جدته تقول: ولدت من أم روسية وأب مصري وكنت أشبه أمي في الشكل تمامًا..كما ترين..في مراهقتي توفي والدي وعادت والدتي إلى روسيا وتزوجت هناك وتركتني في مصر مع عمي..ولكنه كان رجلًا قاسياً ويطالبني بالمال ولهذا غادرته ومكثت في الغردقة حيث عملت لفترة بالسياحة..وتعرفت على شاب مصري وأحببته..تزوجت بورقة ووعدني بالزواج الشرعي ثم تراجع ولهذا أضطررت إلى ألقاء طفلتي أمام باب الملجأ.

وتطلعت إلى ابنتها متوسلة المغفرة ولم يبد على (جنى) أنها تحمل نحو أمها أي لوم أو غضب.

عادت تقول:لقد مات والدك بتليف الكبد منذ أعوام كما عرفت..المهم..عملت في أماكن متفرقة..ثم ألتقيت برجلًا ثري..ملياردير..رجل أعمال فنلندي من أصول تركية وأكبر مني ب 30 عامًا..عرض علي الزواج وقبلت وعشت معه لسنوات في قصره بفنلندا وأخر بالنرويج ولم أجرؤ على أخباره عن طفلتي وظللت أتحين الفرصة ثم رزقت بطفل منه..أبني (يوسف)..انه يشبه (إياد) إلى حد ما بالمناسبة..وهكذا مرت السنوات وتوفي زوجي ثم توفي ابني في حادث سيارة منذ أعوام..عندها قررت أنني أجلت الأمر كثيرًا.

ثم نهضت (بيرين) فجأة وقالت باسمة: سأغادر الآن فالسيارة تنتظرني..ولكنني سأعود بعد أسبوع.

صمتت (جنى) وسمحت لها بالآنسحاب ولم تحاول الأصرار على أبقائها قليلًا.

حي (إياد) جدته مودعاً ثم فتح أحدى كتبه الدراسية الألكترونية وراح يستذكر ويقلب الصفحات بلمس الشاشة فقالت له والدته: إنهض وأترك المذاكرة وأذهب للخروج والترويح عن نفسك مع (يحي).

هتف باسمًا: ماذا؟..ألن تفعلي مثل بقية الأمهات وتطلبين مني أن أستذكر أكثر.

ولكنها ردت باسمة: أنت تستذكر بما فيه الكفاية حتى أن عقلك يوشك على الآنفجار..هيا أخرج وروح عن نفسك وأنسى الأستذكار اليوم..هذا أمر من أمك ياولد.

قال باسمًا:أجل سيدتي.

***

مع اقتراب موعد الأمتحانات ونهاية الشتاء ومع نسمات الربيع الساحرة بدأ ضغط الدراسة يزداد ولكن مواظبة (إياد)

على الأستذكار منذ بداية العام جعله أقل قلقاً من زملائه وفي هذا اليوم أثناء تجوالهم مع أستاذهم البارع في المستشفى على المرضى قال الأستاذ: منذ اليوم وحتى العشرة أيام القادمة ستكون الجولة في قسم المخ والأعصاب وهو الأصعب ولهذا تعمدت أن أجعله في النهاية..مازال أمامكم عامًا أخر حتى تقرروا تخصصكم فلا تفزعوا من الآن.

تنبه (إياد) وبذل جهده في التركيز وهما يمران على المرضى والأستاذ يقف ليوجه لهم الأسئلة حتى وصلا إلى مريض في الخمسينات يعاني من أورام سرطانية في المخ ويبدو أن العلاج أصبح بلا جدوى..وكان يعالج في القاهرة ثم جاء إلى مرسى مطروح لسبباً ما وقد دخل إلى قسم الأورام بالمشفى هنا مؤقتاً..أمسك الأستاذ باللوحة الألكترونية وقرأ آخر مستجدات الحالة ثم قال باسمًا: أرى تحسنًا كبيرًا اليوم.

غمغم الرجل: الحمد لله.

قال الأستاذ: (إياد)..مالعلاج الذي توصي به في هذه الحالة؟

أجاب (إياد) على السؤال ببراعة وتطلع المريض نحوه في فضول ثم غادر الطلبة لأستكمال جولتهم..ومع الساعة الرابعة عصراً توجه الطلبة إلى مطعم المستشفى وكانوا جائعين فتناولوا الوجبات المخصصة للطلبة مجانًا وجاءت ممرضة تبحث

عن (إياد) وقالت: المريض في الحجرة 5 في قسم أورام المخ يريد أن يراك بشكلٍ ضروري.

غمغم (إياد) في حيرة: يريد أن يراني أنا؟..هل أنتِ متأكدة؟

ردت في ملل: أجل..لقد سألني عنك وعن أسمك بالكامل ولما أجبته قالآنه يعرفك وطلب مني هذه الخدمة.

نهض (إياد) وهو يشعر بالحيرة وتوجه نحو حجرة المريض الذي كان راقداً على سريره شاحبًا وضعيفاً فلما رأه قال:

أعتذر إن كنت أعطلك عن عملك..أنت (إياد إياد النعمان)..والدك توفى منذ حوالي 20 عامًا..أليس كذلك؟

-هل تعرف والدي رحمه الله؟

تحامل الرجل على نفسه ونهض فأعانه (إياد) وقال بلهجة ضعيفة: من الضروري أن أتي لزيارتك أنت ووالدتك..أنها مازلت حية..أليس كذلك؟..أطال الله عمرها...فقط أخبرني بالعنوان..سأمرعلى الفندق الذي أقيم فيه أولًا ثم سأتي اليكما مساءً..

قاطعه (إياد):من أنت؟

-ستعرفان كل شيء عندما أتي الليلة..سأمر عليكما في الثامنة مساءً.

-.....

***

-ولكن..من هو؟

تساءلت (جنى) وهي تعد عشاءً فاخراً..فإن لم يكن الموعد مناسب للغداء فلا بد من تناول العشاء إذًا وإكرام الضيف.

أجابها (إياد): لا أعلم..يبدو أن لدينا العديد من الأقارب لا نعلم عنهم شيءً.

بدا الضيق على وجه (جنى) وتمتمت بصوت غير مسموع.

سمعا جرس الباب فتوجه (إياد) وفتح الباب ورحب بالضيف المريض وظهرت (جنى) وهي تنظر نحو الضيف بفضول

فقال: السلام عليكم...أعتذر يا (أم إياد)..أنت غالباً لا تعرفينني..أنا رأيتك مرة واحدة من قبل فقط..أنا (صابر) كنت أعمل بستاني في قصر عائلة (نعمان).

وقف ينتظر ومضت ثوان ثم أشار اليه (إياد) أن يدخل وأجلسه على مقعد في الصالة.

تأملته (جنى) بحذر..كان يرتدي ثيابًا غالية الثمن وأنيقة..لايبدو أنه بستاني مع تلك الثياب..ثم قررت أن تقول شيئًا ما بدلًا من هذا الصمت المحرج فقالت:علمت أنك مريض..شفاك الله وعافاك.

قال في حرج: آمين.

تنحنح (إياد) ثم غمغم: ستتناول معنا العشاء أولًا ثم نتحدث.

رد (صابر): ليس هذا وقته..أنا سأموت..ولا أريد أن ألقى الله بذنباً عظيم.

ردت (جنى) و (إياد) معًا: أطال الله عمرك.

رد (صابر):بأختصار يا سيدتي..لقد كنت موجوداً ليلة وفاة زوجك..(إياد) بك..وقد سجلت ماحدث بالصوت والصورة.

هتف (إياد): مالذي تتحدث عنه؟

أتسعت عينا (جنى) قليلًا بنظرة تحذير للرجل ثم قالت: (إياد)..أعد لنا القهوة.

رد (إياد) معترضاً: لن أتحرك...أريد أن أعرف عما يتحدث.

-إياد!

-أمي..لن أتحرك.

قال (صابر): من حقه أن يعرف.

وأخرج من حقيبته الصغيرة شيئًا بحجم عقلة الأصبع وقال: أنها ذاكرة ألكترونية حديثة..تلك التي توضع في كاميرات الهواتف الحديثة..تحمل بداخلها تسجيل في غاية الخطورة..تسجيل صورته بنفسي منذ عشرون عامًا..وحصلت مقابله على مليون جنيه..وأضطررت إلى الهرب خارج مصر بل خارج الأتحاد العربي كله فقد كان هذ شرطهم..لقد صنعت نسخة من التسجيل وأبقيتها معي.

وناول الذاكرة الألكترونية ل (جنى) فتناولتها بصمت.

عاد (صابر) يقول:حينما مرضت ولم يعد العلاج يجدي..حينما أدركت أنني سأموت قريبًا جدًا قررت أن أعود لأدفن هنا..قررت أن أطلب منكما العفو قبل أن ألقى الله تعإلى...فقط لا تسألاني عن شيء..أنا متعب وسأعود إلى الفندق لأستريح.

ونهض فنهضا معه وقال: الذاكرة لكما..أفعلا ما شئتما..طالبوا بحقكما في الميراث..أو أذهبوا إلى الشرطة..هذا أختياركما..والآن علي العودة.

جلست (جنى) صامتة وكذلك ابنها وكلاهما يفكران ثم قالت (جنى): ماذا نفعل؟

رد (إياد): أولًا علينا الأطلاع على هذا التسجيل ثم نقرر.

وتناول الذاكرة ووضعها في مكانها في الحاسوب ثم قام بتشغيل الفيديو وراح يتابعه مع والدته.

***

أنطلق ذلك الرجل الضخم الجثة الشرس الملامح عبر أروقة الطابق العشرين من شركة (أبناء الدمرداش) للأستثمار وهتف في السكرتيرة الجالسة: (عزمي) بك متواجد بالداخل؟

قالت وهي تنهض: أجل.

دلف إلى مكتب (عزمي) الذي تطلع نحوه بأستنكار ولكنه هتف: سيدي..الرجل الذي أمرتنا بتتبعه منذ عاد إلى مصر.

هتف (عزمي): هل حاول التواصل مع (جنى) أو ولدها؟

-أجل ياسيدي..منذ قليل أخبرنا زميلنا أنه تحدث مع أبنها في المشفى وذهب إلى منزلهما منذ خمس دقائق.

قال (عزمي):خذ ثلاثة من رجالك وتخلص منه في الفندق وتخلص كذلك منها ومن ابنها ومن أي شخصاً تشكون أن لديه فكرة عما يحدث...فتش حجرته وفتش منزلهما جيدًا..هناك أحتمال كبير أن ذلك الحقير قد صنع نسخة من التسجيل..والآن قرر ضميره أن يستيقظ أخيرًا بعد أن شارف على الموت.

أومأ الرجل برأسه وتوجه نحو الباب لكن (عزمي) أستطرد: أياك ان تترك خلفك دليل أو أن تورطني مع الشرطة...هل تفهم؟ لاأريد ان تلتقط الكاميرا ملامحكم ولا أن تترك وراءك حتى شعرة فيها الحمض النووي الأميني الخاص بكم.

-مفهوم يا بك...بل وسنحرق المكان بعد أن ننتهي يا سيدي.

بعد أن غادر أتصل (عزمي) عبر حاسوبه ب (أكرم) وظهر الأخير فقال: كيف حالك يا (عزمي) هل هناك مشكلة في مشروع..

ولكن (عزمي) قاطعه في عصبية: (صابر) قام بزيارة أرملة أخيك منذ قليل..هل رأيت الآن أنني كنت محقًا في مراقبته بعد عودته.

مضت فترة صمت ثم هتف (أكرم):ذلك الجشع الحقير..ألم يحصل على المال الذي طلبه؟..هل تظن أنه..أنه..يحتفظ بنسخة من هذا التسجيل؟

قال (عزمي): لن أخاطر..سواء لديه نسخة أو لا..لقد أرسلت رجالي للقضاء عليه.

غمغم (أكرم): أجل...أفعل هذا.

-ربما نضطر إلى سفك الدماء...دماء أخرى.

-.....

-إذا تركناهما أحياء فقد يبلغون عنا ويعاد فتح التحقيقات من جديد.

-يمكنني أن أحاول عرض المال عليها أو نصيب في الشركة او أي شيء.

-أنت تعلم أنها لن تقبل فلماذا تخدع نفسك؟

-حسنًا...ولكن أعرض عليها أولًا أقتراحاتي.

-ليكن...أراك اليوم على العشاء.

-بالطبع.

***

حينما أنتهى التسجيل جلس (إياد) ووالدته صامتين ثم أنفجرت هي في البكاء..ربت (إياد) على رأسها برفق..لم ينكر أن الحزن يمزق قلبه الآن..رغم انه لم يعرف والده أو يلقاه وجهاً لوجه.

أحمر أنفها وعيناها وتهانفت باكية...ثم بعد ربع ساعة أو أكثر بعض الشيء هدأت (جنى) قليلًا وتماسكت ثم غمغمت وهي تمسح دموعها بظهر كفها: ذلك الحقير..طاوعته نفسه قتل أخيه...سنقوم بالأبلاغ عنهم جميعًا.

ونهض (إياد) وقال: لايمكننا إبلاغ الشرطة فقط..سأحجز تذكرة قطار إلى القاهرة وأتوجه إلى النائب العام غدًا صباحًا.

هتفت الأم: سأذهب معك..لا تناقشني..لن أدعك تذهب وحدك.

هز رأسه وقال وهو يضغط أزرار الحاسوب: أجل..(وحجز التذكرتين عبر الحاسوب)..سنذهب معًا..غدًا بعد صلاة الفجر..القطار سينطلق في السادسة صباحًا.

ثم تطلع إلى والدته وقال: لما لم تخبريني من قبل يا أمي عن قتل أبي؟..عن عمي؟..عن شركة أبي التي أسسها وقام عمي بسرقتها.

ردت بحزم: لأنني لم أرغب بأن تقضي عمرك باحثاً عن الآنتقام أو الحقيقة..كل ما أردته أن تحيا حياة طبيعية مثل أقرانك وأن تتخرج وتعمل وتقابل فتاة تحبها وتتزوجها وتكون سعيداً معها وتكون أسرتك..ذلك هو كل ما أتمناه لك.

نهض وقال: كان من حقي معرفة الحقيقة.

ردت بحنان: ليس إن كانت تلك الحقيقة ستدمر حياتك.

غمغم:على كل حال لقد حان وقت أن يدفع المجرمون ثمن أفعالهم..سأذهب لأنام..تصبحين على خير.

-تصبح على خير.

ولكنه ظل يتقلب في فراشه وقد أستغرق في أفكار مؤلمة..له ميراث وشركة..كان ليغدو الآن ثرياً مستريحاً..صحيح أنه سعيد مع والدته ولكنه عانى من الفقر والحاجة لسنوات طويلة..لايذكر كم من مرة أعجبته ثياب أنيقة ووقف عاجزاً أمام ثمنها..كم من مرة عانى تحت لفحات الشمس محأولًا بيع الثياب وآملاً في تحقيق ربح كافي يخوله شراء شيءً ما تمناه...ماذا عن شعوره الدائم بالقلق من نقص الأموال..خوفه من عدم قدرته على دفع مصاريف دراسته..أمه التي أنحنى ظهرها وحفر القلق والحاجة على وجهها خطوطه المؤلمة..أخيرًا غرق في النوم وقد شعر بالراحة من فكرة أنتقامه من مغتصبي أمواله وحقوقه وقتلة أبيه بالغد.

قبل الفجر بساعة أستيقظ (إياد) على صوت تحطم بوابة المنزل..نهض مذعوراً ثم تمالك نفسه وتوجه نحو الخارج ليرى ما يحدث..كان الأمر سريعًا في الواقع..ثلاث رجال ملثمين دلفوا إلى فناء المنزل وكانت والدته لسوء الحظ جالسة في الفناء تصلي قيام الليل كديدنها حيث هواء الربيع المنعش.

تلقت ثلاث طلقات صامتة في رأسها..ليتهاوى جسدها وتغرق دمائها سجادة الصلاة.

صرخ (إياد) في جنون من هول الموقف: أمييييييييي.

أنحنى على جسدها في تلك اللحظة فأصابت الطلقة رأسه من الخلف ليتهاوى بجانبها وسمع صوت (أبو يحي) يصرخ

مغادرًا منزله المقابل لمنزلهم:من أنتم؟

آخر ما رأته عيناه هو عيني والدته تتطلع نحوه بنظرة فارغة من الحياة.

ثم أظلم كل شيء.

***

أنه مستلقي على الماء....غريب هذا..كيف يستلقي على الماء هكذا ولايغرق أو يغوص...الماء عذب بارد والهدوء يحيط به..ثم ظهر ضوء الشمس القوي فأغلق عيونه مضطراً ثم فتحهم ببطْ شديد...عجباً..هل يتطلع من داخل الماء الآن..الصورة أمامه غير واضحة إلى حد ما..ثمة وجه ينحني عليه ويقول شيئًا ما..أعاد أغلاق عينيه ثم فتحهما..لقد أختفى ضوء الشمس وبوسعه أن يسترخي على الماء من جديد...ولكن مهلًا والدته مصابة..كيف نسي هذا..عليه أن يستدعي الأسعاف..عليه الخروج من الماء فورًا..فتح عينيه من جديد ولكنها لم تطاوعه..هل أصيبت عضلة العين؟...حاول جاهداً حتى فتح عينيه.

هذه المرة الصورة أكثر وضوحاً..ثمة شابة حسناء ترتدي ثياب الممرضات تتطلع اليه وتقول: حمداً لله على سلامتك..لقد أفقت أخيرًا.

حاول أن يتكلم ولكن ثمة خرطوم يدخل من فمه..ثمة خراطيم متصلة بجسده..وكلاً منها ينقل اليه المحاليل..وداخل أنفه وقالت الممرضة وهي تربت على كتفه:
أهدأ..أنت في المستشفى وسيحضر الطبيب فورًا لرؤيتك وفحصك.

حاول أن يحرك جسده ولكنه وجد صعوبة بالغة في هذا وكأن جسده يزن أطناناً.

ظل صامتًا حتى دخل الطبيب ومعه ممرض وقال: أفقت يا بني..حمدً لله على سلامتك.

راح يتطلع إلى الشاشات المختلفة وتفحص نبضه ثم سلط الضوء على عينيه

وغمغم: ممتاز..أنت بخير حاليًا وحالتك مستقرة.

وأشار إلى الممرضة فبدأت تخلع الخرطوم من فمه بهدوء وحذر شديد..شعر بوخزً خفيف ثم تحرر فمه أخيرًا..الآن يستطيع الكلام ولكن الطبيب اشار اليه وقال:
لاتحاول ان تتكلم الآن..أمنح حنجرتك ورئتيك بعض الراحة.

كان يريد ان يسأل عن والدته..وبدا ان الطبيب قد فهم من نظرته فقال: السيدة سوف تأتي لزيارتك قريبًا..سنتصل بها ونخبرها أنك بخير.

شعر (إياد) بالسعادة...لقد كان يرتعب حقًا من فكرة أن والدته قد توفت.

عاد الطبيب يقول:حاليًا يتم تغذيتك بالمحاليل ولكن لاتقلق سنبدأ في إطعامك بالتدريج..كذلك ستحتاج إلى العلاج الفيزيائي لفترة ولكنك ستعود افضل من الأول.

تطلع اليه (إياد) متسائلًا عما يتحدث بالضبط..منذ متى وهو راقد في الفراش حتى يتم تغذيته بالمحاليل ويحتاج إلى العلاج الفيزيائي كذلك..فتح فمه وحاول الكلام ولكن صوته مبحوح بشدة كما أنه شعر بالألم فصمت.

بعد عدة ساعات دخلت الممرضة ومعها الممرض وأفرغت محقناً في أحدى الخراطيم وقالت: سيد (إياد) ستأتي قريبتك

غدًا لرؤيتك..فلا تقلق وحاول أن تستريح.

في اليوم التالي حاول تحريك جسده فلم يستطع وحاول الكلام فخرج صوته مبحوح من جديد ولكن الألم كان أقل فتنهد

وظل صامتًا ثم فتح الباب فتطلع بلهفة نحو باب الحجرة فدلفت جدته..ليست والدته.

بدت عليه خيبة الأمل وبذل جهداً ليتكلم فقال بصوت مبحوح ضعيف:أمي؟

جذبت مقعداً بجوار سريره وجلست عليه وقالت: رؤيتك بخير هي أجمل ما رأيت منذ فترة.

وتنهدت وهو يتطلع اليها فقالت: (إياد) والدتك قد توفيت يا بني.

كانت تلك الكلمات كالطعنة الموجهه إلى القلب والروح..طعنة ليس لها كيان مادي..ولكن الطعنات المعنوية قاتلة..مؤلمة أضعاف أضعاف المادية..وهذه الطعنة بالذات نافذة مميتة..رغم يقينه أن والدته قد فارقت الحياة يومها..ظل يتشبث بأمل واهن أو هو وهم بأنها ربما ظلت حية بمعجزة ما..ربما تمكن جيرانهم من أنقاذها..ولهذا أحتبست الكلمات في حلقه وخنقته العبرات.. هل تلك المياه التي تغرق وجنتيه الآن هي دموعه..ليته يستطيع الكلام فيصرخ..ليته يستطيع الحركة فينهض..فقط راح صدره يعلو ويهبط بسرعة والدموع تغرق وجهه مع صوت تنفسه المتهدج.

تطلعت الممرضة إلى شاشة رسم القلب بقلق ثم توجهت نحو الأدوية المتراصة فاختارت حقنة وفتحتها وأفرغتها في أحدى الخراطيم وقالت مفسرة: مهديء.

ونهضت جدته وقد بدت ملامحها اكثر تماسكاً وقالت: سأشرح لك كل شيء حينما تهدأ قليلًا.

وأشارت إلى الممرضة بطريقة آمرة فغادرت معها وتركوه في الحجرة.

لقد ماتت والدته ولكنه مازال حياً..كيف يمكنه أن يظل حياً..المفترض أن يموت هو أيضًالآنه لايستطيع العيش بدون والدته ببساطة...كيف مازال يتنفس ولم يتوقف قلبه كي يلحق بها..مازل يفكر بينما جسدها الطاهر تحت التراب تلتهمه الديدان..كيف تمكن من هذا؟..أجل..لقد توفيت وأغرقت دمائها العطرة سجادة الصلاة والفناء..ماتت وهو مستلقً بجوارها يتطلع إلى عيونها التي فرغت من الحياة..لم يستطع أنقاذها برغم أنه طبيب..لم يستطع حمايتها رغم انه ابنها...ليتهم قتلوه هو أيضًا ولكنه ظل حياً كي يتمنى الموت.

بعد دقائق شعر بتأثير المهديء وغاب عن الوعي..حينما أفاق كان الطبيب يفحصه ثم قال: ممتاز.

جاء الممرض وقال: بعد أذنك سأبدأ في تنشيط عضلاتك وسأحتاج إلى عونك قليلًا.

بدأت الممرضة تفصل جميع الخراطيم بحذر ثم أومأت برأسها للممرض وغادرت.

أمسك الممرض بذراعه اليمنى وقام يتحريكها بهدوء وهو يقول: لاتقلق..لقد كنا نحرك عضلاتك في الفترة السابقة بانتظام لذا سوف تتمكن سريعًا من استعادة عافيتك.

أدرك (إياد) بحكم دراسته أنه كان في غيبوبة..ولكن لكم من الوقت..3 أو ربما 4 أشهر.

طلب منه الممرض حين أنتهى أن يحاول تحريك أصابعه فبذل مجهوداً حتى تمكن أخيرًا من تحريكها..ثم طلب منه تحريك الأطراف بالكامل وفي النهاية حركها حركة

بسيطة جدًا فقال الممرض: أحسنت...بإذن الله غدًا نستكمل العلاج..السيدة سوف تأتي لزيارتك غدًا.

في اليوم التالي جاءت جدته وجلست وأستطاع (إياد) بمساعدة الممرض أن يعتدل في جلسته قليلًا على السرير وتمتم بصوت مبحوح: شكرًا...جدتي..كم لبثت في تلك الغيبوبة.

ردت بلهجة مترفقة: عامًا وثلاثة أشهر ويومين.

عامًا كامل ضاع من عمره وهو مستلق على سرير في مشفى خاص لايعي ما يدور حوله.

-أخبريني ماحصل من وقتها يا جدتي.

-أبنتي توفيت ليلتها ودفنتها في مقبرة خاصة أشتريتها في مرسى مطروح..أنت أصبت برصاصة في مؤخرة رأسك ودخلت المستشفى في حالة خطرة.

دلفت الممرضة إلى الحجرة حاملة صحفة عليها طبق به حساء وكوب عصير وقالت باسمة: سنبدأ بطعامًا بسيط وسائل حتى تنشط عضلات الجهاز الهضمي..هل تسمح لي بأن أعينك على تناول الطعام؟

قالت جدته: أنا سأفعل هذا.

وضعت الممرضة الصحفة وأنصرفت وأستطردت جدته وهي تجلس على طرف السرير وتطعمه بصبر: ثم جرت محاولة لقتلك في المستشفى..

قاطعها (إياد): إنه عمي..أعلم أن عمي وشريكه قد قتلوا والدتي...تمامًا كما قتلوا أبي وأستولوا على شركته.

وقالت جدته: هذا صحيح..لقد بحثت مطولًا حتى فهمت هذا.

وتطلعت إلى سقف الحجرة ثم سالت منها دمعة وغمغمت: برغم نفوذي وصلاتي وأموالي لم أستطع أنقاذ أبنتي من الموت..ولكنني تمكنت من إنقاذ حفيدي..بعد أن وصلني خبر مقتل أبنتي ودخولك الي المستشفى في حالة حرجة من رجالي

طبعًا..أعطيت الأوامر للجميع بالبحث في الأمر..ثمة شخص يدعى..أه..يدعى (صابر) سأل عنك في المستشفى التي تتدرب فيها..هذا الشخص وجدوه مشنوقاً في غرفته بالفندق..والشرطة قررت أنه أنتحار..تحريت عنه وعرفت أنه كان يعمل بستانياً منذ زمن في فيلا عائلة والدك بالقاهرة.

قال (إياد): سأخبرك التفاصيل.

وقص عليها ما حدث وما أخبرهما به (صابر) والذاكرة الألكترونية وما تحتويها.

قالت: ولكن الدليل قد أختفى طبعًا بعد أن ُسرق حاسوبك وحاسوب والدتك.

قال وهو يحاول الأعتدال: لا أظن أنهم وجدوا الوقت.

نهضت وأعانته على الجلوس ثم قالت: لماذا تقول هذا؟

رد: جارنا (أبو يحي)..أنا أتذكر الآن..لقد رأهم.

بدا الأرتباك على وجه جدته مما جعل قلبه ينقبض ومد يده ليضعها على كتف جدته..كانت قبضته مازالت ضعيفة..وقال: أخبريني كل شيء..لن أنتظر لدقيقة أخرى..كل شيء.

ربتت على كفه ثم قالت: فقط حتى تتحسن...

قاطعها: أخبريني الآن..وألا سأغادر حالاً وأبحث عن الأجابات بنفسي.

بدا عليها التردد للحظة ثم قالت: ليكن.

وأزاحت يده برفق ثم قالت: أبو يحي وزوجته قتلا.

كان (إياد) يعتبر (أبو يحي) وزوجته بمثابة أب ثاني وأم ثانية...كتم دموعه بصعوبة..لن يبكي ثانية فالبكاء

للضعفاء..راح صدره يعلو ويهبط في أنفعال ثم قال بصوت مرتجف: و (يحي)؟

ردت: كان محظوظالآنه كان يبيت عند خاله في تلك الليلة.

محظوظ ..لقد أعتبرته محظوظاً لكونه مازال حياً..لقد فقد والديه وأسرته بدون ذنب..فأين حظه هذا.

عادت تقول وقد بدت شراسة غريبة في عينيها الزرقاء الباردة: لقد حاولوا قتلك مرتين في المستشفى وفشلوا.

قال بمرارة: ليتهم نجحوا.

تجاهلت الرد وإن بدا انه أغضبها..لأنها امرأة قوية لاتحب الضعفاء واليائسين والمستسلمين لآلامهم وعادت تقول:أدركت أنهم لن يتوقفوا عن المحاولة..والشرطة لن تحرسك للأبد خاصة وأنه كان قد مضى شهر وأنت في غيبوبة..كان أمامي خياران..الأول أن أقبض عليهم بنفسي وأقتلهم..والثاني هو أن أترك قرار مصيرهم في يدك ويتم إعلان وفاتك وندفن جثة شبيهة بك ونخفيك ريثما تستعيد وعيك وتقرر ما تريد فعله بنفسك..بالطبع لم أخبر الشرطة لأنني لا أملك أي دليل.

قال باسمًا في حزن: وأنتِ أخترتي الخيار الثاني.

مدت يدها إلى حقيبتها وأخرجت هوية الكترونية تحمل صورة تشبهه بشكلٍ كبير وناولتها أياه وأعانته على الأمساك بها ثم قالت: (إياد إياد أدهم نعمان) توفي رسميًا..أنت الآن شخصاً جديد بوجه جديد.

تحسس وجهه وشعره بحركة غريزية..كان شعره شبه حليق فقالت: قمنا كذلك بعملية تجميل لتغيير ملامحك إلى ملامح خالك رحمه الله.

هتف: ماذا؟

ثم قال بغضب: كيف تفعلين هذا بي..ومن دون موافقتي..ومن...

قاطعته بصرامة: أنها عملية قابلة للعكس..يمكنك أن تعود إلى ملامحك القديمة في أي وقتٍ تشاء..ولكن حتى نتمكن من تخليصك منهم وجعلهم يرخون دفاعاتهم كان لابد من وفاتك رسميًا.

مضت ثوان من الصمت ثم تأمل الهوية وقال: يوسف سليمان أوغلو.

قالت: أبني وهو أكبر منك بعامين فقط..فقد أنجبته بعد سنوات من اليأس..ووفاته غير معروفة في الأتحاد العربي كله طبعًا..لقد توفي في حادث في النرويج وبعدها كما أخبرتك قررت العودة إلى مصر بحثاً عن أبنتي.

ثم نهضت ومالت عليه وقالت بصرامة: والآن..ما الذي ستفعله؟..هل سننتقم منهم؟هل نقتلهم؟

قال بهدوء:أنا لن أقتل أحدًا فلست بقاتل.

تطلعت اليه مستنكرة للحظة..وكأنما بهتت لعدم رغبته في الآنتقام من قتلة والديه وجيرانه ثم قالت: هذا شأنك..على كلاً بوسعك أن تدير معي شركاتي في فنلندا والنرويج فليس لي وريث سواك الآن...ولكنني لن أترك ثأر أبنتي.

ولكنه ابتسم أبتسامة باردة وقال: أنا لم أقل أنني لن أنتقم منهم وأجعلهم يدفعون الثمن ألف مرة على جرائمهم.

تطلعت جدته اليه..النظرة الوديعة العطوفة في عينيه قد أختفت وحلت محلها نظرة ألم قاسية غاضبة.

أستطرد:سيقتلون أنفسهم بأنفسهم...أو سيعدمون أو يتعفنون في السجن..تلك هي الخيارات الثلاثة التي ستمنح لهم

عندما أشرع في أنتقامي.

قالت جدته باسمة:أجل..أنا أحب هذا النوع من اللعب والتخطيط و سأعينك بالأموال والرجال.

قال في قسوة: سيدفعون ثمن دماء أبي وأمي وجيراني ومافعلوه بي..سيدفعون لي أموالي التي أكلوها بالباطل،سيدفعون ثمن كل دقيقة عانت فيها والدتي رحمها الله من الحاجة والفاقه والوحدة والحزن..سيكون الآنتقام من جنس العمل..سأجعلهم يخسرون كل شيء..أحبائهم وأموالهم وأعمارهم...ذلك عدل..أليس كذلك.

ردت باسمة وقد تألقت عينيها: هو كذلك.

الفصل الثالث

(الآنطباع الأول)

بعد مرور عامين وعدة أشهر

في السنوات الأخيرة تم تجديد وتوسيع مطار القاهرة ليتهيء لأستقبال المزيد من الطائرات الخاصة فبعد تنفيذ قرار الأتحاد سعى العديد من أثرياء العالم للأستثمار فيه وكانت مصر من الدول التي يأتي اليها هؤلاء.

وفي هذا اليوم الحار من صيف يوليو تطلعت أنظار الموظفين والعاملين في مطار القاهرة الدولي إلى الطائرة الخاصة التي تشي بالثراء الفاحش فهي أحدث تصميم لهذا العصر وكبيرة الحجم ومتسعة..ثمنها يصل إلى عشرات الملايين..هبطت في المكان المخصص لها وراحوا يتحدثون معًا بصوتٍ هامس وهم يختلسون النظرات إلى امرأة تبدو في السبعينات شديدة الآناقة شقراء جميلة وتبدو بصحة ممتازة وقد وقفت في أنتظار خروج من بالطائرة...يقف بجوارها رجل قمحي البشرة تبدوا عليه الرزانة والهدوء يرتدي نظارة طبية أنيقة.

فتح باب الطائرة وخرج منها رجلان مفتولي العضلات يبدوان كحارسان أو مساعدان شخصيان ثم تحركوا في أحترام على الجانبين ليظهر شاب وسيم أنيق ذو جسم رياضي هبط متوجهاً نحو المرأة التي أقتربت منه ووضعت كفيها على وجنتيه وقالت: مرحبًا بعودتك يا (يوسف).

رد باسمًا: أشتقت اليك أمي.

غادرا المطار بعد إنهاء الأجراءات وعلى الفور تحرك نحوهم عشرات من الصحفيين ليلقوا عليهم بالأسئلة ويلتقطوا لهم عشرات الصور وقال أحدى الصحفيين: سيد (يوسف) ما انطباعك عن الأتحاد العربي؟

رد باسمًا: أنا فخور للغاية بهذا الأتحاد الرائع.

بدأ الصحفيين يغمرونه بالأسئلة:

-هل زرت العديد من دول الأتحاد؟

- زرت لبنان ودبي والرياض والمغرب والآن سأستقر في مصر.

-هل تشعر بأنك تنتمي إلى العالم العربي؟

-بشكلٍ كبير وقد حصلت على الجنسية بالفعل..فوالدي رحمه الله كان تركي ووالدتي نصف مصرية.

-هل تنوي الأستثمار في مصر؟

-هذا هو الهدف.

-هل ستقوم بالسياحة في مصر؟

-غدًا ساتوجه إلى الغردقة الساحرة وبعدها سأرى ماذا سأفعل.

هم الصحفيين بتوجيه مزيداً من الأسئلة ولكن محاميه الخاص والذي كان بجوار جدته في أستقباله قال: هذا يكفي يا شباب .

وتوجه (يوسف) مع جدته إلى السيارة الفخمة وأنطلقوا.

داخل السيارة التي تعمل بالطاقة الشمسية أسترخى (يوسف) وتطلعت اليه جدته باسمة..لشد ما تغير..ليس فقط بسبب عملية التجميل ولكن التجارب المريرة التي مر بها قد جعلته أكثر حكمة ودهاء وقسوة..تطلع من النافذة الداكنة نحو ناطحات السحاب وغمغم: أريد الذهاب إلى مطروح...سنعود سريعًا.

ردت: كما تريد..ثم نعود إلى القصر فقد أعددنا تقريرًا مفصلاً عن كل فرد منهم وكذلك الخطط.

رد في امتنان: شكرًا يا جدتي.

طقطقت بفمها منذرة فغمغم: يا أمي.

وصلت السيارة إلى مرسى مطروح خلال ساعات..وتوجه السائق إلى المقابر وهناك ترجل (يوسف) وتوجه نحو قبر والدته..أراد أن يتحدث معها ولكنه لم يجد شيئًا يقوله ثم أنه يعلم أنها لن تجيبه..فظل صامتًا يحدق في القبر ويتخيل جسد والدته المتحلل..زاده هذا غضباً وأشتعلت الرغبة في الآنتقام بداخله أكثر وأكثر...أطلق زفرة حاول بها التخفيف من وطء ما يشعر به في قلبه.

توجه نحو قبر قريب كتب عليه أسمه..لقد مات رسميًا ووضع له قبر بداخله جثمان شخصاً مجهول ..ظلت جدته ماكثة أمام قبر والدته.

شعورٌ غريبٌ حقًا أن تنظر إلى قبر عليه أسمك وأنت مازلت حياً..ولكن السؤال..هل حقًا مازال حياً..لما يشعر إذًا أنه مات وأنتهى..لقد دفن(إياد) الوديع العطوف في مكانًا ما من قلبه..وأختفى تقريبًا من وعيه..حاليًا هناك (يوسف)..القاسي الذي لايرحم ولا يلين..قضى العامين الماضيين في الخارج،درس كل ما يتعلق بإدارة الشركات،واللعب بقذارة وتحطيم وتفكيك الكيانات والمؤسسات الأقتصادية وقد علمه رجل أعمال بالأتفاق مع جدته..كان رجل متقاعد مسن شديد القسوة وصديق لجدته..وقد طلب حضوره بين يديه في أول يوم وصل فيه إلى قصر جدته بالنرويج.

مازال يذكر أول ماقاله هذا الرجل بعد أن تفحصه بنظره..قال له: عليك أن تقيم كل شخص تقابله من منطلق واحد..هل سيوصلك لتحقيق هدفك أم لا..أنسى أدميتك ومشاعرك فهي بلا جدوى..فقط ضع عينك على هدفك وأسعى لتحقيقه مهما كلف الأمر...لاتكره شخصاً ولا تحبه كذلك..مشاعرك لاقيمة لها..فقط القيمة الوحيدة هي في أمكانية تحقيق هدفك.

توجه بعد ذلك إلى منزله القديم..كان الشارع هادئاً وترجل (يوسف) من السيارة وطلب من جدته أن تنتظر وتوجه نحو بيته..راحت عيون رواد المقهى تختلس اليه نظرات الفضول والتساؤل..لم يتعرفه أحد..شعر بخليط من الراحة والحزن لذلك..لم يتعرفوه رغم أنه عاش سنوات عمره الماضية بينهم...حينما أقترب من بيته وجد الباب محطماً..تمت مواربته بشكلٍ ما..وقد احترق أكثر من نصف البيت..كل المزروعات في الفناء قد أحترقت وحتى شجرة البرتقال.

أقترب من بقايا الشجرة ووقف صامتًا...ثم مد يده يتحسسها بحنين وكأنه يودع صديقاً غالياً إلى الأبد..عليه أن يحفر هذا المشهد في عقله..شجرة البرتقال التي أعتادت (جنى) أن تفتخر بها وبإن والده من قام بزراعتها..تلك الشجرة التي لاذنب لها لم تسلم من الأذى.

في كل مرة يقرر فيها التراجع فقط فليتذكر تلك الشجرة وبيته المحترق ودماء والدته ومقتل أبيه..وكيف خسر والدته ومستقبله وملامحه وهويته.

جاءه الصوت: من أنت؟

تطلع نحو (يحي) الذي يقف على مقربة ويتطلع اليه في حيرة..ترى هل يتعرف عليه؟

خفق قلبه..يود لو يحتضن صديق طفولته ويخبره من هو..يود لو أن بوسعه مواساته والبوح له بما يعتملُ في قلبه من المشاعر المتضاربة والأفكار السوداء.

رد محأولًا تغيير صوته:كنت أفكر في شراء البيت.

تطلع اليه (يحي) مطولًا وبدا كأنما سيتعرفه ثم قال: فهمت.

ثم استدار ليغادر..هكذا ببساطة فهتف (يوسف): هل أنت جاري إذًا؟

رد: كلا في الواقع..لقد كنت أعيش في المنزل المواجه في السابق ولكنني أنتقلت منذ سنوات..أنا فقط أتي إلى هنا من وقتٍ لأخر كي أطمئن على منزلي القديم.

غمغم (يوسف): مصادفة سعيدة...أنا (يوسف سليمان).

غمغم (يحي) وهو يغادر بلا مبالاة: تشرفنا.

عاد (يوسف) إلى السيارة صامتًا وإن شعر بغصة شديدة..كان يتمنى حقًا أن يتعرف عليه (يحي) ولكن مع الأسف لم يحدث هذا.

***

جدته (بيرين) قضت سنوات طويلة في إدارة ثروتها وشركاتها مع زوجها وولدها..لهذا أحتكت بالعديد من أصناف البشر..خبرت خبايا النفس لأشخاص ماديين

في كل أفكارهم..تدرك أن حياتهم وجل تفكيرهم هو أنه لايوجد شيء بدون مقابل..ولا يجب أن يخطو الآنسان خطوة واحدة دون أن يتحقق من ورائها ربح مادي.

أخبرت (يوسف) بذلك ولهذا أبتاعت قصراً مهولاً يزيغ الأبصار ويسيل له لعاب أي طامع.

وصلا إلى القصر الفاخر بعد صلاة المغرب..يقع في أرقى أحياء القاهرة..وكان محاطاً بسور مرتفع من القضبان الحديدية الآنيقة والتي يبرز منها نوع من الزهور الوردية اللون ذات الرائحة العطرة...وفوق السور أجهزة أنذار وعدة كاميرات والبوابة الحديدية يقف عليها حارسان..أما حديقة القصر فهي شاسعة وخضراء ومشرقة وجميلة..وهناك حمام سباحة ضخم أمامه تراصت عدة مقاعد للأسترخاء..وهناك ممرات حجرية أنيقة تتيح للمرء التحرك في كل مكان دون أن يضطر إلى أن يطأ الحديقة فيؤذي النباتات والزهور...هناك صخرة تنساب من فوقها المياه لتصب في بركة صغيرة تسبح بها بعض الأسماك الملونة.

أما داخل القصر فكل شيء فاخر..الثريات التي تزين الأسقف وتضيء القصر..السجاد الفاخر السميك..الأثاث المستورد.

في الطابق الأرضي هناك حجرة واسعة لتناول الطعام وبها طاولة خشبية فاخرة تراصت حولها المقاعد الوثيرة..متصلة بالمطبخ..وهناك صالة مخصصة للراحة والتسامر..وهناك حجرة للضيوف..وحمام..وهناك حجرة مكتب مخصصة كذلك للأجتماعات..أما الطابق العلوي فهو يحوي غرف النوم ومكتبة ضخمة وكل غرفة نوم متصل بها حمام خاص بها واسع وأرضيته من السيراميك الذكي الباهظ الذي تتغير حرارته درجة أو درجتين للتبريد أو التدفأة.

لم يشعر (يوسف) بالراحة فقد كان يعيش مع والدته طوال حياته في تواضع وكان سعيداً ببيته الصغير..وحينما دلفا إلى القصر وراح الخدم الذين أرتدوا ثوباً موحداً ينقلون الحاجيات ويقفون في أدب..تأمل (يوسف) الصالة الفاخرة وقال:

سأعتاد على حياتي الجديدة..هل أخبارنا تملأ الصحف ونشرات الأخبار؟

-بالتأكيد..فلنأكل أولًا..سيصل أستاذ (كامل) المحامي بعد ساعة.

في المساء توجه مع جدته إلى المكتب الفخم وقال حينما دلفا: أضاءة.

فأضيئت الحجرة ببصمة صوته وجلس مع جدته وجلس المحامي (كامل) وهو الرجل الذي كان مع جدته في المطار لأستقباله وتكونت شاشة مجسمة على الحائط.

جاءت خادمة وقدمت فناجين القهوة ثم غادرت.

سأل (يوسف): أستاذ (كامل)..عرفت أن لديك ثأر قديم.

رد المحامي باسمًا أبتسامة خفيفة: (عزمي الدمرداش)..دمر شركة والدي وأفلسه..مات والدي بجلطة بعدها بأسبوع فقط وكنت وقتها في عمر الثالثة عشر.

ثم نهض المحامي وأشعل جهاز العرض..وبدأت تظهر على الشاشة صورة ل (عزمي الدمرداش).

تأمل (يوسف) وجه (عزمي)..على قدر من الوسامة وقد بدأ الصلع يغزو مقدمة رأسه..له عينان خضراوين قاسيتين وأنف مستقيم.

وبدأ المحامي يشرح: فلنبدأ بعائلة (عزمي الدمرداش)..هذا هو عزمي الدمرداش..العمر 59 عامًا..لقبه وحش البورصة...بدأ بشركة صغيرة لتصنيع الأطعمة المجمدة ثم بعد أستيلاء عمك على شركة والدك رحمه الله أستطاع تسديد بعض ديونه وكون شركة للأستثمار في البورصة وحاليًا أصبح لديه شركة استثمارات كبرى..يلقب بوحش البورصة لأنه رجل رأسمالي شديد القسوة وهناك عدد من الشركات التي أفلست بسببه وقد أستولى عليها وسرح أغلب عمالها وفككها وباعها..تحاول الشرطة منذ سنوات العثور على دليل ضده في تلاعبه بالبورصة دون جدوى..أكثر ما يهتم به هو الربح وهو جشع ونهم إلى المال ولايشبع أبداً..والديه توفيا منذ زمن وليس له أخوة..متزوج من أبنة رجل سياسة بارز ونائب في البرلمان حاليًا وقد دام زواجه 26 عامًا ولديه أبن وابنة.

وأنتقل المحامي للصور التالية وأكمل: الأبن تافه قليلًا..أنه نسخة مصغرة من أبوه..قاسي ومتعجرف ويدير مع أبوه الشركة وله العديد من العلاقات النسائية..عمره 25 عامًا حاليًا ويدعى (عادل)..أما الأبنة فهي فتاة مدللة تقضي وقتها ما بين النادي

والكلية وصالونات التجميل..عمرها 19 عأمًا وتدعى (أسيل)..وهي لاتتدخل في أعمال الشركة.

قالت جدته: ما رأيك؟

هز رأسه وقال: سوف نرى.

ورشف ما تبقى من القهوة في فنجانه ثم قال في لهجة ساخرة قاسية: والآن..عائلة عمي العزيز.

ظهرت صورة (أكرم نعمان)..أزداد بدانة ووخط الشيب شعره وقال المحامي: عمره حاليًا 65 عأمًا..يرأس أدارة شركة (النعمان وأبنائه)..إنها شركة للأستيراد والتصدير...

قاطعه (يوسف): مهلًا..ماذا عن شركة (ورد الجوري)..ماذا عن شركة أبي؟

رد المحامي بلهجته الرصينة: لهذا قصة سأقولها حالاً..فقط صبراً جميلًا.

وأكمل: لديه 4 أبناء..ثلاثة من زوجته الأريبة (فيروز)..عمرها الآن 57 عأمًا...أنها..

ولكن (يوسف) قاطعه ثانية هاتفًا: مهلًا..ثلاثة؟..هل تقول أن (أكرم) تزوج غيرها وأنجب منها؟..حسبته يحبها كثيرًا.

ردت جدته بأبتسامة غامضة:أنه يهيم بها حبًا.

قال (يوسف) في أستغراب: أكمل.

هز المحامي رأسه ثم قال: لديه ثلاث أبناء من زوجته (فيروز)
وهما...الأكبر(فاروق)..عمره 35 عأمًا..أعزب..صارم..شديد الأستقامة على عكس والده في الواقع وهو من يحمل أعباء شركة أخته ويديرها..ولم نجد

حتى الآن أي مخالفة قانونية أو غلطة أرتكبها (كانت صورته توضح شعره المموج الأسود وعيونه السوداء وملامحه

الصارمة قليلًا ووجهه المستدير،بدا قريب الشبه من الممثل الغربي مارك رفالو).

قال (يوسف): أعزب حتى الآن؟...اليس له علاقات أو قصة حب قديمة؟

-لم نكتشف شيئًا من هذا القبيل..الأبن الثاني هو (فارس)..العمر 24 عأمًا...يعمل في شركة والده وُخلقه ليس سيئاً وهو الأبن المفضل ل (فيروز) ولكنه صديق مقرب ل (عادل عزمي الدمرداش) وهذا الأخير هو من يجره للمشاكل دومًا.

غمغم (يوسف) في سخرية: الطيور على أشكالها تقع.

وتأمل صورته..كان أقرب في الملامح لوالدته...عيون زرقاء وشعر بني وبشرة بيضاء مشربة بالحمرة.

عاد المحامي يقول:ولكنه تغير كثيرًا في أخر 6 أشهر ولم يعد يقضي الكثير من الوقت مع (عادل) وبدأ ينتظم في العمل..وأخيرًا..أصغر أبنائه من (فيروز)..انه ولد مراهق في عمر ال16 عأمًا أسمه (فادي)...وهو كأي مراهق ثري..يذهب إلى النادي ويلعب الكرة ويخرج مع رفاقه ويسافر للتنزه..ولكنه مهذب ويعشق الألعاب الألكترونية..مستواه الدراسي جيد.

تأمل (يوسف) صورته..فتى له عيون عسلية وشعر بني ووسيم..وشارب خفيف جدًا بدأ في الظهور.

قال (يوسف):فارق العمر بين الأبناء غريب قليلًا...35 و 24 و 16....(فاروق) و(فارس) و (فادي)..والآن..سمو الأميرة...الكنز ومفتاح الخطة..ماذا عن أبنة عمي؟

هنا قالت جدته: تعلم أن عمك بعد أن أستولى على أسهم والدك في شركة (ورد الجوري) باع معظمها ل(جيهان نصر الدين) شريكة والدك وظل محتفظاً ب20% من الأسهم..فالشركة كانت وقتها صاعدة.

-أعلم ذلك.

-بعد أعوام أصبحت شركة (ورد الجوري) رائدة في مجالها..شعبيتها عالية وأسهمها في أرتفاع..خمن ماذا حدث؟

هز (يوسف) قدمه قليلًا في نفاذ صبر وقال: لا أعرف...

ثم مط شفتيه وفكر لثوان قبل أن تتسع عيناه ويقول: مهلًا..هل أبنة عمي هي أبنة (جيهان نصر الدين)..هل تزوج عمي منها؟

أشارت (بيرين) بالسبابتين وهتفت: أحسنت..أجل..تزوج عمك منها بتشجيع من (عزمي) وصدق أو لاتصدق من (فيروز) وكانت تظن أنه أنفصل عن زوجته (فيروز) وهو ما كان قد وقع فعلًا في الظاهر..(جيهان نصر الدين) كانت وقتها مريضة سرطان وأوصت بثروتها كلها للجمعيات الخيرية ولكنها شفيت واستطاع (أكرم) إقناعها بألغاء وصيتها وقد كان..لم يتوقع أحد كما يبدوا أنها ستنجب ولكنها أنجبت طفلة من (أكرم) ثم وقع بينهما شجار كبير..فقد أكتشفت أن زوجها قد عاد لزوجته الأولى (فيروز) وكان يخدعها سنوات الزواج وكانت تنوي رفع قضية طلاق..ولكنها ماتت في حادث سيارة فجأة.

بدا الآنفعال على وجه (يوسف) وقال: وأستولى على أموالها وعاد لزوجته كأن شيئًا لم يكن.

ردت جدته: أخطأت في نقطتين..أولهم أن زوجته (فيروز) على الأرجح هي من خطط لكل هذا..طلاقهما كان صورياً كي

يتمكن من نسج شباكه حول الفتاة لا أكثر..لست أدري كيف تحملت زواجه من أخرى..ولكنها مؤكد ليست أمرأة

عادية..أي أنه لم ينفصل عنها من الأصل كي يعود اليها.

قال (يوسف): وثاني نقطة؟

رد المحامي: قبل وفاة زوجته الثانية عادت لتغيير الوصية فكتبت كل ثروتها الطائلة لأبنتها فقط..بعد أن كانت قد خصصت له نصف الثروة.

ضحك (يوسف) وقال: ممتاز...لا أظن أنه سيقتل أبنته كي يرثها..إذًا فثروة عائلة (نعمان) حاليًا هي..

أكملت جدته:80 % من أسهم شركة (ورد الجوري) العالمية ملك لأبنة عمك فقط..أخوها (فاروق) يدير لها كل شيء فهي لا تحب إدارة الأعمال.

قال (يوسف): حمقاء.

ثم توجه ببصره إلى الشاشة فبدأ المحامي يستكمل عرض الصور.

***

لسبباً ما لم يتوقع (يوسف) أن تكون أبنة عمه بهذا المظهر.. كانت تعقص شعرها في صورة ضفيرة وشعرها داكن مموج وناعم وثمة خصلات ثائرة..بشرتها فاتحة شاحبة قليلًا ولها عينان عسليتان فيهما نظرة بريئة ساذجة وحولهما بعض الهالات مما يوحي بالأرهاق أو التوتر النفسي..لها غمازتان إذا تبتسم...وجسدها نحيل ووجهها مستدير..ملامحها تشي بالطيبة الشديدة.

قال المحامي: (جوري)..ستتم 20 عامًا خلال شهرين..ليس لها أصدقاء ألا قلة..بأستثناء زوجة أبيها (فيروز) فإن علاقتها بأسرتها عامة جيدة..لها بعض الآنشطة الخيرية وتدرس في كلية الهندسة الزراعية فهوايتها الأهم هي زراعة النباتات والزهور المختلفة..وهي مهووسة قليلًا بالزهور النادرة..هناك محاولة من والديها لجعلها تَقبَل الِخطبة من (عادل عزمي) ويبدو أنها غير مقتنعة ولا أظن أن لديها فكرة عن أخلاقه الحقيقية..طبعًا الفتاة فاحشة الثراء ومطمع لمن هو مثله.

تساءل (يوسف): هل قبلت؟

ردت جدته: غدًا في الغردقة سيتقدم لخطبتها رسميًا..أن العائلتين ذاهبتان للمصيف.

عاد (يوسف) يقول: هل تحبه؟

ردت جدته: حسب مصادرنا لا..بل هي مترددة في قبول الخطبة اصلاً..أخوها الكبير معارض كذلك للخطبة.

مضت دقيقة من الصمت..أنتهى التقرير والعرض وحان وقت تنفيذ الخطة.

قال (يوسف) وهو يشير بأصبعه: أولًا: (عزمي الدمرداش) سيفقد شركته وثروته كلها المقدرة بمليار جنيه..سيموت كمداً على أمواله التي يعشقها عشقاً..هذا هو أنتقامي منه..ثانيًا عمي (أكرم النعمان) سيفقد شركة أبناء النعمان التي

يحبها وسأستعيد منه شركتي (ورد الجوري)..ثالثاً وأخيرًا..العثور على الذاكرة الألكترونية وتسليمها للشرطة.

تساءلت جدته: ما يدريك أن (عزمي) مازال محتفظاً بها..أليس من المنطقي أن يتخلص منها؟

رد المحامي هذه المرة: أظن أن (يوسف) بك محق في تلك النقطة..إن طبيعة (عزمي) الثعبانية ستدفعه للأحتفاظ بهذا الدليل لأستخدامه يومًا ما عند الضرورة.

نهض (يوسف) وقال: غدًا سنتوجه إلى الغردقة..يجب أن أحصل على رضا (جوري) إن كنت أرغب في أستعادة شركتي.

أنتهى الأجتماع وغادر المحامي بينما أنسحب (يوسف) و (بيرين) لنيل قسطاً من الراحة كلاً في حجرته.

***

اليوم التالي كان الطقس حاراً حقًا..في الشوارع ربما..أما داخل فيلا (عزمي الدمرداش) فقد أدى مكيف الهواء المركزي دوره على أكمل وجه فخفض درجات الحرارة وجعل الأجواء منعشة ولطيفة..وفي مكتبه راحت عيون (عزمي الدمرداش) تتنقل في تركيز شديد بين 10 شاشات مختلفة متجسدة على الحائط وكلاً منها يعرض صور أسهم وأنشطة البورصة المختلفة عدا واحدة تعرض صورة مساعده الذي وقف منتبهاً يستمع إلى تعليماته وأوامره..تمتم (عزمي) لنفسه بكلمات غير مفهومة وأقتحم المكان فجأة أمرأة في الخمسينات يبدو على وجهها الغضب وقالت في غيظ: ألم تجهز بعد..هل نسيت أن علينا المغادرة إلى الغردقة بعد نصف ساعة؟

أشار بكفه لها كي تخفض صوتها وقال: مهلًا ياعزيزتي فلدي عملاً هام.

صرخت في غضب: فليذهب عملك إلى الجحيم..ابنك سيتقدم للفتاة اليوم أو غداً وتلك الأجازة التي نقضيها معًا منذ سنوات..حاول التظاهر بالأهتمام بشيءً أخر غير الأموال.

هتف في ظفر: ممتاز.

تطلعت اليه زوجته في حيرة ثم فطنت إلى أن هتافه بسبب نشاط البورصة وأنه لم يسمع كلمة مما قالت على الأرجح فأحتقن وجهها غضباً وتجاهلها هو وهتف موجهاً حديثه إلى مساعده في الشاشة الأخيرة: لقد هبطت الأسهم إلى المستوى المطلوب..لقد أفلست شركتهم..قم فورًا بعرض صفقة للشراء وبعد أرتفاع الأسهم خلال يومين سنكسب الملايين.

ثم أغلق الشاشات بصوته وتطلع نحو زوجته قائلًا: سأجهز حالاً يا عزيزتي.

أطلقت صرخة غضب وغادرت وصفقت الباب ورائها بعنف..وبعد لحظات غادر(عزمي) المكتب وقابل أبنه وهو واقفاً يتحدث في مرح مع (فارس أكرم نعمان).

فقال باسمًا: كيف حالك يا (فارس)؟

-الحمد لله..بخير يا عمو.

-عادل..أريدك ثوانً.

تبعه أبنه حتى نهاية الصالة فقال في جدية: أياك ان تفسد الأمور اليوم..حاول أن تظل مستقيمًا حتى تتم الخطبة..مفهوم.

رد (عادل) باسمًا في سخرية:سأحاول..ولكنها فتاة غريبة الأطوار ومملة.

ضحك (عزمي) في مرح ولكز ولده في كتفه وقال: بعد الزواج يمكنك ان تفعل ما يحلو لك دون علمها..المهم أن تقوم بواجبك وتضم ثروتها الضخمة إلى ثروة عائلتك وتنجب منها وريثاً.

ثم توجه مع ولده و (فارس) إلى الحديقة ومنها إلى السيارات وركب (عادل) مع (فارس) بينما ركب (عزمي) مع زوجته وابنته وقالت زوجته في قلق: هل سيكون هذان الأثنين بخير؟

رد زوجها: لاتقلقي...دعي الشباب يمرحون.

لم يكن (عزمي) يلقي بالاً لسلوك أبنائه..كان يرى أن القوة كل القوة تكمن في المال فقط..فكان جل وقته يقضيه في

سعيه الحثيث لجمع المال..لم يكن يومًا رجلًا ذا خلق أو دين ولهذا لم يرى أن أبنه ينقصه الكثير.

أنطلقت السيارة وتساءل (عزمي): أخبرني (أكرم) أن (جوري) ستلحق بهما بسيارتها الجديدة مع أخوها الصغير (فادي)

ردت ابنته وهي تعبث بهاتفها: هذا صحيح.

***

تأمل (يوسف) سقف حجرته بصمت..يعاني من الأرق منذ الحادث..ربما بسبب الطلقة التي أصابت مؤخرة رأسه..ربما كان السبب نفسياً..المهم هو أنه يعاني من الأرق كثيرًا ولم يعد يهنأ بنومٍ مريح..تناول بعض أقراص الدواء في يده وغادر إلى الأسفل حيث المطبخ..لقد نسي أن يطلب من أحد الخدم وضع الماء في حجرته..فتح الثلاجة الفاخرة وتناول زجاجة الماء فابتلع الأقراص وتناول الماء بصمت..أغلق الثلاجة وهم بالمغادرة ولكنه توقف إذ وجد جدته تقف عند باب المطبخ فغمغمت: الأرق؟

-أجل.

-ألا يساعدك الدواء؟

-إلى حد ما.

تأملته بصمت ثم قالت: هل فكرت كيف سننفذ بداية الخطة غدًا..لقد رفضت جميع أقتراحاتنا أنا و (كامل) المحامي..كما تعلم..أخبرتني جاسوستنا في قصرهم أن الفتاة لن تكون مع أسرتها في السيارة.

-وجدت حلاً..لايمكنني الحصول على هاتفها ألا في حالتين..أن تكون متوترة..أو نسرقه.

-وأيهما ستكون حالتها غدًا؟

-متوترة.

ثم صعد لحجرته.

***

كان (فادي) يلعب في جهازاً صغير للألعاب وقد تجسدت أمامه شاشة اللعب بينما جلست (جورية) على مقعد القيادة صامتة تقود بتركيز في الطريق إلى الغردقة..لقد سبقتها سيارة والدها مع زوجته والسائق..أما هي فبعد أن كانت تنوي الركوب معهم تسلل (فادي) إلى حجرتها بالأمس وتوسل اليها أن تسمح له بقيادة سيارتها..كان يعلم أنها طيبة القلب ولن ترفض خاصة ووالده لن يسمح له أبداً بالقيادة..ومازال أمامه عامان حتى يستخرج الرخصة..وافقت بعد ألحاحه وها هي الآن تقود على الطريق الصحراوي.

وقال (فادي) وعيونه لا تفارق الشاشة: متى سنصل..أرغب في القيادة قليلًا.

قالت (جورية) وهي تميل عليه: ماذا تلعب؟

رد باسمًا: لعبة الفارس الأخير..أنها أحدث لعبة..وقصتها جميلة..هل تريدين التجربة؟

-مهلًا..أمنحني خمس دقائق حتى نغادر نقطة التفتيش القادمة ثم نتبادل الأدوار.

وقفت عند نقطة التفتيش وناولت أوراقها للضابط..بجوار سيارتها وقفت سيارة فارهة يقودها سائق متوسط العمر يتحدث مع أحدى الضباط..أما في المقعد الخلفي فقد جلست أمرأة مسنة شقراء وبجوارها شاب وسيم يرتدي نظارة شمس داكنة وبدلة أنيقة فاخرة وقد أسترخى في مقعده..ألقت عليهم (جوري) نظرة سريعة ثم تناولت الأوراق من الضابط وأنطلقت بالسيارة..وبعد أن صار الطريق آمناً وهاديء توقفت وسمحت لأخوها الصغير بالقيادة..وقالت محذرة:

ربع ساعة فقط.

-أجعليها نصف ساعة.

-ثلث ساعة.

-ليكن.

وراح يزيد من سرعة السيارة وهو يقود وقد أتسعت عيناه قليلًا من فرط الحماس..مازال مراهقاً مليء بالشباب والحيوية والرعونة كذلك..طقطقت (جوري) بلسانها محذرة كي يبطيء قليلًا ولكنه قال: انظري كيف سأستدير من هذا الطريق.

راقبت الطريق في قلق وتنبهت على السيارة الفارهة تتبعهم من الخلف.

حدث الأمر سريعًا..هناك كلب ضخم أو لعله ذئب كان يعبر الطريق وقد حاول (فادي) أن يتفاداه فضغط المكابح بغتة بقوة..توقفت السيارة محدثة صريراً وأندفعت (جوري) إلى الأمام ومن حسن الحظ أنها تضع حزام الأمان..وبالطبع فالتوقف المفاجيء للسيارة جاء متأخراً فأصطدمت به السيارة الفارهة من الخلف.

أتسعت عينا (فادي) في خوف..وتطلع إلى شقيقته التي نزعت حزام الأمان وقالت وهي تغادر السيارة: أبقى مكانك.

غادر من السيارة الفارهة السائق وقد بدا غاضبًا فأسرعت تقول في تهذيب: أنا أسفة حقًا..سأدفع ثمن التصليحات كاملة.

هتف السائق في غلظة: هل أنتِ مجنونة؟..كيف تتوقفين فجأة بهذا الشكل..بل وقد تجاوزتِ حدود السرعة.

أجفلت من شراسته المباغتة وغمغمت معتذرة من جديد..ما يهمها الآن أن تنهي الأمر بشكل ودي..لوعرف والدها أنها تركت (فادي) يقود..لو قبضت الشرطة عليه بتهمة القيادة بدون رخصة فسيتأذى كثيرًا.

عاد السائق يصيح: سأتصل بالشرطة..أمثالك ممن يستهترون بأرواح الناس يجب أن يتم أيقافهم عند حدهم.

قالت: لاداعي لذلك..سأدفع تكاليف التصليح و..والتعويض إن رغبت..ثم هل تظن أنه كان علينا أن ندهس هذا الحيوان المسكين..هذا الكلب.

رد السائق بوقاحة: أي كلب؟..هل توجد كلاب على طرق السفر؟

استدارت تشير إلى حيث كان الكلب يجلس في الطريق فلم تجد أي مخلوق..غمغمت مرتبكة: كان هناك كلب.

وغادر (فادي) السيارة ووقف بجوارها وكأنه يدافع عنها ضد مهاجم وقال بحدة: لاترفع صوتك على أختي.

تساءل السائق :هل يمتلك هذا الشاب (وأومأ برأسه أتجاه فادي) رخصة قيادة؟

كان السائق له شارب ضخم وملامح غاضبة تشي بضيق الصدر وغلظة الطباع وأدركت (جوري) أنه لايريد التفاهم بل الشجار وربما الأتصال بالشرطة.

هنا غادر ذلك الشاب القابع بالسيارة الفارهة والذي لم يكن سوى (يوسف)..خلع نظارة الشمس الداكنة وقال بهدوء: يكفي يا عم (حسني).

أبتلعت (جوري) ريقها وقالت بصوتٍ مرتجف: سأدفع ثمن التصليحات.

أجاب بأبتسامة متفهمة: لا داعي..لدي تأمين على السيارة ضد الحوادث..وماحصل كان حادث..رحلة موفقة.

غمغمت معتذرة من جديد وقد أحمر وجهها في حرج فقال بلطف: لا داعي للأعتذر..سمعتك تقولين أنك رأيت كلب ولذا أضطررت للتوقف.

قال السائق مرغمًا نفسه على الأحترام: أي كلب؟..أنا لم أرى شيء.

رد (يوسف) أمرًا: غالباً قد غادر هاربًا..هيا لنتحرك.

ثم أومأ برأسه في أحترام ل (جوري) وعاد إلى السيارة ثم أنطلقت السيارة.

هتف (فادي): يالها من سيارة فخمة..هل رأيتِ أرقام لوحة سيارته؟..أنها..

قاطعته (جوري): هيا بنا حتى لانتأخر..لن تقود ثانية.

-ولكن..

-ربما في مرة أخرى.

فابتسم راضياً وانطلق معها.

في السيارة الفارهة قال (يوسف) باسمًا: كان أداءك جيدًا يا عم (حسني)..بلغ تحياتي لولدك وكلبه أيضًا..وأمنح الكلب مكافأة من أطعمته المفضلة.

***

"لما تأخرتِ كل هذا؟"

صاحت (فيروز) في وجه (جوري) وبتنمر وغضب كعادتها..مازالت جميلة للغاية برغم سنها ومازالت تحتفظ بقوامها وقد تأبطت ذراع زوجها في دلال وتحركت معه إلى داخل الفندق يتبعها ابنها و (جوري) ومعهم عمال الفندق يحملون الأمتعة..وحدقت (جوري) في الحديقة لثوان وقد أسترعى أنتباهها تلك الزهرة النادرة المزروعة في الحديقة..وكانت العام الماضي في الفندق ولم تكن تلك الزهرة موجودة ثم أكملت سيرها.

بعد العصر بساعة هبطت عائلة (أكرم) وعائلة (عزمي) إلى قاعة الطعام الفاخرة لتناول الغداء وأحتضنت (فيروز) زوجة عزمي وقبلتها في نفاق...وراح (عزمي) يثرثر مع (أكرم) ثم تساءل: ولكن أين (فاروق)؟

ردت (فيروز): مشغول في الشركة..ولكن سيلحق بنا غدًا.

وجلسوا يتناولون طعام الغداء.

عاد (عزمي) يقول: سمعت أن هناك ملياردير من أصول عربية قد أشترى هذا الفندق منذ أشهر..اتساءل إن كان يرغب في الأستثمار في البورصة.

رمته زوجته بنظرة ضيق..ليس هذا وقت الحديث عن العمل والأستثمار.

***

أسترخى (يوسف) في الجناح على مقعد وثير وراح يتطلع إلى الشاشة أمامه بينما يسمع مايدور..لقد قام عمال الفندق

بالمهمة التي كلفهم أياها ووضعوا جهاز تنصت في المائدة وكاميرا متناهية الصغر في الحائط المواجه لتسجيل ما يدور بالصوت والصورة.

غادرت جدته الحمام وهي تجفف شعرها بالمنشفة وسألت: ماذا يحصل؟

مط شفتيه وقال: لاشيء مهم..يتحدثون عن الأعمال وعن مشاكل أبنائهم.

ثم أعتدل وقال: لقد وصلت الفتاة التي تعمل معنا.

في تلك اللحظة وصلت لمائدتهم النادلة وبدأت تحمل الأواني الفارغة..كانت فتاة جميلة أوروبية الملامح وقد أرتدت زي العمل وكان ضيقاً ورمقها كلاً من (عزمي) و (عادل) بنظرة جانبية سريعة..مالت لتحمل الطبق الفارغ أمام (عادل)..كانت قريبة منه جدًا وأستطاع أن يشم رائحة عطرها الجذاب ويرى النظرة الجانبية السريعة التي رمقته بها في أعجاب ثم استدارت منصرفة.

قالت زوجة (عزمي): ابني (عادل) يعتبركم عائلته الثانية حقًا وكان لديه طلب هام يريد عرضه..ولكن سننتظر (فاروق) غدًا..أليس كذلك يا (عادل)؟..(عادل)؟

غمغم (عادل) في شرود: ماذا؟..أه أجل...بالطبع.

رمقته أمه بنظرة محرجة ثم ابتسمت وعادت تتحدث عن موضة اللون الأحمر في الثياب.

في حجرته تأمل (يوسف) (جوري)..تأكل في بطء وبكميات قليلة وتحدق في طبقها وتتحدث قليلًا وقد أحمرت أذنها في خجل.

قال بلهجة هادئة: هيا تناولي العصير.

جلست جدته على حافة السرير وقالت في خبث: ألست قاسياً على الفتاة؟..هل كان من الضروري دس هذا الدواء في العصير لها؟

-لن تموت.

قالها بلامبالاة ليست من طباعه ولم تكن يومًا من طبيعته ثم نهض وقال: لقد حان وقت اللقاء.

قالت جدته:الآن؟

رد: لقد قررت العائلتين الذهاب إلى الشاطيء..ولكن (جوري) أعلنت أنها ستبقى في الغرفة لتستريح قليلًا ثم تلحق بهم بعد ساعة.

ثم مط شفتيه وقال: المشكلة في هذا اللزج (عادل) لقد أصر على البقاء بدوره كي لا تكون وحيدة..لاتبدو لي سعيدة ببقاءه.

تركت جدته المجلة التي كانت تطالعها وقالت في أهتمام: ولكن كيف تنوي أن تقابلها في وجوده؟

-ومن قالآنه سيبقى من أجلها كما يدعي؟

-ألم تقل أنه قال ذلك؟

رد باسمًا: أنها ستذهب إلى حديقة الفندق..عندما قلتم لي أنها مهووسة بالزهور النادرة أمرت بزراعة زهرة الكامبيون

النادرة جدًا..ولاشك أنها ستجن حتى تذهب إلى الحديقة وتتفحصها..أما هو فهو يحاول التواصل مع فتاتك.

ثم استدار مغادرًا ولكنه وقف عند الباب وبدا أنه يفكر قليلًا ثم قال: الواقع أن بقاء (عادل) فرصة لا بأس بها..لم أتوقع أن يكون عديم الصبر إلى هذه الدرجة.

***

قال (عادل) باسمًا: هل تحبين أن أصحبك إلى غرفتك يا (جوري)؟

ردت وهي تهز رأسها:لا داعي..سأذهب إلى الغرفة بنفسي...لاتتعب نفسك.

ولكنه رد في اصرار: لابأس..ليس الأمر متعباً على الأطلاق.

ولمح بطرف عينيه النادلة تمر وتطلعت اليه بأبتسامة جانبية ذات معنى ثم دلفت إلى منطقة الحمامات فعاد يقول بسرعة: هيا بنا.

غمغمت: سأذهب إلى الحديقة قليلًا..أرغب في الجلوس فيها قليلًا..لوحدي.

قال في أستعجال: خذي وقتك..سأصعد إلى حجرتي لأستريح قليلًا.

وما أن غادرت حتى أسرع خلف النادلة وبعد أن غادر المشهد توجه (يوسف) إلى الحديقة متتبعاً (جورية)..كان يفكر كيف يمكنه التعرف عليها دون أن يثير حفيظتها أو شكها

فوصل إلى أن الحل هو الزهرة النادرة..إنه المالك الجديد للفندق وسيتظاهر أنه بدوره يتفحص الزهرة ويطمئن على نموها في بيئة مغايرة لبيئتها.

كانت الحديقة هادئة وخالية وقد وقفت (جورية) تتأمل الزهرة في أفتتان وتقول لنفسها: لقد أضافوا لها صفات وراثية جديدة حتى تتمكن من النمو والبقاء هنا.

تطلع (يوسف) نحوها وقد أدرك أنها المرة الأولى التي يراها مباشرة دون صور ولا كاميرات..أنها أقصر قامة منه بشكل ملحوظ..ونحيلة..وكان وجهها الآن يحمل أشراقة وكأنها تشعر بسعادة غامرة لدرجة أضاءت ملامحها ثم بدأ مفعول الدواء..وضعت يدها على معدتها شاعرة بألم مباغت فتوجه (يوسف) نحوها في ثقة..أقترب منها ثم قال: مرحبًا.

استدارت نحوه وبدت شاحبة بشكل غريب ثم فجأة ودون سابق أنذار تقيأت على ثيابه.

بوغت فتراجع وتمتمت هي: أسفة..أنا..أه.

لم يتوقع أن تتقيء عليه..هذا يسهل مهمته أكثر..أسرع يقول: سأصحبك إلى المشفى.

غمغمت معترضة: لا داعي...فقط سأتصل بأسرتي.

رد وهو يعينها على الوقوف: إذًا إلى طبيب الفندق.. هيا.

تأوهت من جديد وهي تتساءل هل أصبح الفندق يوظف الأطباء.

بالفعل كان هناك حجرة أقرب إلى العيادة في ممر جانبي من بهو الفندق ونهض الطبيب ومعه ممرضة أرقدتها على السرير كي يتفحصها الطبيب.

تراجع (يوسف) إلى باب الحجرة وعبث في حقيبتها التي أخذها من ذراعها منذ قليل..هاهو هاتفها..سيقوم بزراعة حشرة (أي برنامج تجسس يتيح له تحويل هاتفها

إلى جهاز تنصت)..سيسمع كل ما يدور بينها وبين أي شخص طالما ظل الهاتف معها.

أنتهى في دقيقة فأعاد الهاتف إلى حقيبتها وأغلقها ثم أخرج هاتفه فأجرى أتصالاً وقال: بعد ربع ساعة سنكون أمام حجرتها.

وعاد يدلف إلى الغرفة وقال الطبيب: أظنها تناولت شيئًا فاسداً..حقنتها بمسكن..تحتاج فقط إلى الراحة قليلًا وستكون بخير.

أستلقت (جورية) شاحبة الوجه والدموع في عيونها تئن بصوتٍ مكتوم وبعد خمس دقائق أسترخت أخيرًا فقال الطبيب: يمكنك أن تستريحي هنا أو في غرفتك..أنصحك بالنوم لساعة أو ساعتين وستكونين بخير.

غمغمت (جورية) في ضعف: سأستريح في غرفتي.

وتطلعت بحرج إلى أثار القيء على بذلة (يوسف)..لقد تعرفته طبعًا..لم تصدق أنها سببت كل هذا الأذى في يومًا واحد لشخص لاتعرفه.

قال بتهذيب: هل أخوك الذي كان يقود السيارة في الجوار؟

ردت:لا..أنا أسفة حقًا..أتلفت ثيابك..وأشكرك جزيل الشكر أيضًا.

-لاداعي..قمت بالواجب..حمداً لله على سلامتك.

نهضت مرتبكة وقد تورد وجهها خجلاً فقال (يوسف) على الفور وبلهجة ملأُها التصميم: سوف أوصلك إلى غرفتك..لن أقبل الأعتراض..سأوصلك وأغادر فورًا.

شعرت (جورية) بالتوتر ولكنها تذكرت أن (عادل) في حجرته في نفس الطابق فقالت لنفسها: لن أكون وحيدة مع هذا الشاب الغريب وإن كانت تثق به أكثر مما تثق ب(عادل)..وشعرت بالندم لأنها لم تذهب مع أسرتها إلى الشاطيء.

وافقت..ركبا المصعد إلى الطابق الرابع ثم غادرا وتوجهت (جورية) إلى حجرتها فقال (يوسف): أعتني بنفسك.

وعاد يقف أمام المصعد..أخرجت البطاقة الألكترونية ووضعتها أمام الشاشة الصغيرة بجوار الباب ولكن الباب لم يفتح وأعطت الشاشة ضوءً أحمر كناية عن رفض البطاقة.

شعرت (جورية) بالحيرة..تطلعت إلى رقم الغرفة..أنها غرفتها ولكن ثمة شيءً ما خطأ..الباب لايستجيب...أعادت المحاولة مرتين دون جدوى.

كان (يوسف) واقفاً عند المصعد يتلكأ وهو يتساءل لما تأخرت النادلة في الظهور فتوجه نحوها وقال في حيرة:

لما لم تدخلي حجرتك؟

ردت في حيرة: الباب لا يستجيب.

قال (يوسف) متصنعاً السخط: هكذا تدار الأمور هنا..أغيب عن الأدارة فيتحول فندقي إلى مبنى فوضوي.

بوغتت (جوري) بإن هذا الشاب هو المالك الجديد للفندق وقبل أن تفتح فمها لتقول شيئًا فوجئت بفتاة شقراء تندفع ركضاً في ردهة الطابق وهي تضحك في دلال ومرح يتبعها (عادل) وهو لايرتدي غير سرواله وفانلة داخلية ويقول في توتر: فلنعد إلى الغرفة يا مجنونة..ماذا لو رآنا أحد.

ثم تجمد في مكانه وأتسعت عيناه بعد أن رأى (جوري) خطيبته المستقبلية تقف أمامه مشاهدة لهذا الموقف.

أما (جوري) فقد خفق قلبها بشدة وأحتقن وجهها في حرج وخجل وغضب..مدت يديها تكتم الصرخة التي كادت تخرج من فمها..أما النادلة فقد تطلعت نحوها في وقاحة وقالت: تلك هي البلهاء التي سُتخطب اليها.

هتف (عادل): أصمتي.

والتفت نحو (جوري) قائلًا:(جورية)..إهدئي وأسمعيني.

ولكن النادلة جذبته من ذراعه وقالت في دلال: دعك منها.

وغمزت بعينها قائلة:ألا تريد أن نكمل ما بدأناه.

تراجعت (جورية) بظهرها نحو الردهة تحاول الوصول إلى سلم الخروج من الطابق فقال (عادل) وهو يتوجه نحوها مسرعاً: أنتظري.

ولكنها أسرعت تركض وهي تقول: أغرب عن وجهي.

أسرع الخطى حتى أمسكها من ذراعها وقال: قلت لك مهلًا.

ولكنها جذبت ذراعها من يده وقالت: لا بأس..لايوجد بيننا شيئًا حتى تهتم..أنا فقط متضايقة لأنني أعرف حقيقتك ومع ذلك خضعت لضغوط الجميع وخضعت لأمل أن تتغير.

هتف مصراً:أسمعيني..هي التي ألقت بنفسها وحاولت إغرائي..أنا لم فعل شيئًا.

ردت في أنفعال: لقد أنتهى كل شيء..لاأريد أن أراك بعد اليوم.

قال ساخرًا: عفوًا..ماذا قلتِ؟..هل قلتي لقد أنتهى كل شيء؟..أنتِ من تنهين الأمر؟..بل أنا من ينهي الأمر..وأنا أقول أنك ستنسين ما رأيتي..لقد كانت نزوة لا أكثر..وغدًا ستصبحين خطيبتي وأعدك بأنني سأتغير للأفضل.

ردت في أصرار وقد تجمدت الدموع في عينيها:أنسى حلم اِلخطبة هذالآنه لن يحدث أبداً.

أمسك ذراعها بخشونة بغتة وقال:إذا أخبرتي أحد بما رأيتي فسوف..

قاطعه صوتاً صارم: أترك يدها فورًا.

استدارت (جوري) في لهفة نحو (يوسف) الذي وقف بجوارهما الآن وتطلع (عادل) ساخرًا نحوه..كان (عادل) قوي الجسم مفتول العضلات وأكبر حجماً من(يوسف)..وكان يمارس الرياضة ليس حفاظاً على صحته أو رغبة في حياة صحية فقط..بل كان الدافع الأكبر هو التحرش بالناس وضرب من لايروق له في مشاجرات صبيانية تتماشى مع عقله غير الناضج وفساد أخلاقه.

وقال (يوسف) متحدثاً عبر هاتفه ودون أن يبعد عينيه عن (عادل):

-أرسل اثنين من رجال الأمن فورًا وعامل صيانة..وتلك النادلة مفصولة من العمل.

وتطلع إلى النادلة التي مطت شفتيها ثم دلفت إلى المصعد ببرود متناهي وغادرت.

قال (عادل): من أنت حتى تتحدث عن خطيبتي أصلاً؟ بل حتى تتدخل بيننا.

كان رد (يوسف):هذا أخر أنذار لك..أترك يدها.

هتف (عادل): وألا ماذا؟

توجه (يوسف) نحوه فاستدار (عادل) في شراسة وهتفت (جوري) متوسلة: (عادل) ..دعه..أنا لن أحكي لأحد.

أخر ماتتمناه الآن أن تسبب مزيداً من المشاكل لهذا الشاب..ستموت من الخجل حقًا.

ولكن (عادل) هجم على (يوسف) وكان الأخير في العامين السابقين لا يمرح..لقد أنهى علاجه وسافر لعدة دول ودرس بعض اللغات وكما أسلفنا درس إدارة الشركات على يد ذلك المسن صديق جدته والذي أصر أنه يجب على (يوسف) أن يتدرب على أستخدام الأسلحة وبعض فنون الدفاع عن النفس فأجاد التايكوندو.

لهذا تفادى هجوم (عادل) ببساطة ووجه له ضربة أطاحته أرضًا وأخرى أفقدته الوعي..كان مشهده عجيباً وهو يرتدي ثيابه الداخلية فقط وملقى في الردهة.

وقال (يوسف): هل هو خطيبك حقًا يا انسة؟

لم ترد فقط سالت دمعة من عينها في صمت وأحتقن وجهها في حرج شديد فعاد يقول: إذا لم يكن كذلك فأسمحي لي بتقديم شكوى إلى الشرطة.

غمغمت: لاداعي.. انه ليس خطيبي ولن يكون..ولكنه صديق للعائلة منذ زمن.

ثم تطلعت نحوه في أمتنان عميق وقالت: أشكرك كثيرًا يا سيدي.

رد باسمًا: أسمي (يوسف).

تمتمت:أشكرك يا سيد (يوسف).

لم تمنحه أسمها إذًا..لقد كانت خطته أن يتعرف عليها وأن تمنحه أسمها وتتحدث معه ولكن أمله قد خاب..إنها ممتنة له فقط..لابأس..لن يتعجل فهو لايرغب في أثارة حفيظتها.

توقف المصعد في الطابق وغادر منه ثلاث رجال..جاء رجلي الأمن وتأملا المشهد بصمت فقال (يوسف) أمرًا:

أحملا هذا الحيوان إلى حجرته..وأنت..هناك مشكلة في باب حجرة الآنسة..رقم الغرفة 403..أصلحه فورًا.

توجه عامل الصيانة إلى باب الحجرة وبدأ عمله ونفذ رجلي الأمن ما أمروا به.

بعد دقيقتان قال العامل: لقد أصلحت الباب يا سيدي.

رد (يوسف): من الآن فصاعداً سأشرف على كل شيء في هذا الفندق.

قالت (جوري):أنت المدير هنا؟

شعر (يوسف) بالآنتصار..ممتاز..لقد سألته عن شيء يتعلق به..أي أنها بدأت تشعر بشيء من الأهتمام نحوه...رد ببساطة: أنا صاحب الفندق في الواقع.

-تشرفت بمعرفتك.

قال باسمًا: أرجو أن تستريحي كما قال الطبيب..بعد أذنك.

دلفت إلى حجرتها وأغلقتها وتوجه (يوسف) إلى المصعد وقال للعامل:عملاً جيد.

فعلى كل حال كان هو من خرب باب حجرتها منذ البداية...ولم ينسى وهو يغادر إلى الطابق الأرضي أن يوميء نحو النادلة في أمتنان..لا يصدق أن تلك المسرحية قد كللت بكل هذا النجاح وأن الحظ كان حليفه اليوم.

***

الفصل الرابع

(قلبها)

أعلنت (جورية) رفضها للِخطبة ولما ألح عليها الجميع لذكر أسباب تغييرها لرأيها فجأة بعد أن كانت قد لانت وقبلت بالِخطبة قصت بشكلٍ سطحي يخلو من التفاصيل الدقيقة ما رأته وماحصل معها.

أثار قرارها حفيظة (عزمي) وغضبه العارم كذلك..فقد شعر بالحسرة لضياع تلك الثروة من بين يده بسبب حماقة أبنه

وقال (عزمي) في غيظ موجهاً حديثه إلى أبنه: أحمق وغبي..لقد أضعت كل شيء.

هتف (عادل): تلك النادلة هي التي أغوتني..ثم أن (جوري) تكذب وتبالغ في وصفها لما حدث كي تتملص من الخطبة.

صاح (عزمي): أخرس..لقد أضعت على نفسك ثروة لاتقدر..وسوف يصل (فاروق) ولاشك أنه سيسعد كثيرًا الآن فهو لايطيقني وكان معترضاً على الخطبة منذ البداية.

وقالت زوجته:هذا كل ما يغضبك..الثروة..لا أصدق أن هذا الولد يفعل تلك الأشياء المقرفة..ألم تفكر ياولد ماذا قد يحصل إذا أنتقل لك مرُضاً ما من تلك النادلة القذرة؟

نفخ (عادل) في غيظ ثم قال: كل هذا لايهمني..أستطيع أن أجد فتاة أغنى منها..بل أستطيع أن أجعلها تغير رأيها.

أطلق (عزمي) ضحكة مقتضبة ساخرة ثم تطلع إلى أبنته التي أسترخت على المقعد وراحت تطلي أظافرها في تركيز بطلاء أظافر يتغير لونه بضغطة منها وقال: وأنتِ يا حلوتي..هل حاولت التحدث معها؟

ردت بلا مبالاة: لم تهتم ورفضت تغيير رأيها..أنها ليست صديقتي المقربة على أي حال.

عاد (عزمي) يقول في غيظ: كم مرة طلبت منك مصادقتها من أجل المصلحة.

ردت أبنته معترضة: ولكنها فتاة مملة.

نفخ (عزمي) في غيظ ثم تطلع إلى أبنه وقال: ولكن من هذا الشاب الذي تشاجر معك؟

***

من العادات الجديدة والجيدة التي أكتسبها (يوسف) في سفره هو التريض..هكذا في الصباح الباكر أرتدى ثيابه الرياضية

ووضع الهاتف في جيبه ووضع السماعة في أذنه وبدأ يتحرك..هناك منطقة واسعة مخصصة للتريض وقد زرعت الأشجار على جانبيها..قام بتشغيل البرنامج..الآن سيتمكن من التنصت و سماع كل ما يدور..فقط يتمنى أن تكون (جوري) من طراز الفتيات اللائي لايفارقن هاتفهن.

لم يسمع شيئًا..ولم يدري أنه قبل نصف ساعة أنتهت (فيروز) من الشكوى ومحاولة أقناع (جوري) بالعدول عن قرار رفض الخطبة ولكن الفتاة نهضت إلى حجرتها ورفضت تغيير رأيها..فنهضت (فيروز) إلى الحمام في غيظ وقالت لزوجها (أكرم): فتاة عنيدة ومزعجة.

رد (فاروق) الذي وصل منذ ساعة: لا أفهم كيف تلومينها وقد فعلت الصواب.

ردت والدته: أنت معارض لهذا الزواج منذ البداية برغم أن الفتى مناسب من الناحية العمرية والأجتماعية لها.

قال (أكرم) وهو يطالع التلفاز:أنا لن اضغط عليها..إن كان هذا قرارها النهائي فلا بأس.

وقال (فاروق):هذا الزاني الحثالة غير مناسب للزواج من صرصور.

ردت (فيروز) في غيظ وهي تغادر الحمام بعد أن غسلت وجهها: (عادل) يقول أنها تبالغ وأن النادلة كانت تتظاهر بتنظيف الحجرة وحاولت أغوائه.

نهض (فاروق) وقال في صرامة: أنه كاذب وأختي صادقة.

ثم توجه نحو حجرة شقيقته وطرق برفق فأذنت له بالدخول فدلف وتطلع اليها وهي واقفة في الشرفة تتأمل حديقة الفندق وقال: هل أنتِ بخير؟

توقف (يوسف) عن العدو..لقد بدأ يسمع أول محادثة تحصل في وجود الهاتف..ثم عاد يركض ولكن بشكلٍ أبطأ..يستمع إلى صوتها الهاديء وهي تجيب أخيها الأكبر:

-أنا بخير..ف(عادل) لايهمني بشيء.

-كنت أتحدث عن المغص..أنا أعرف أنك لاتبالين بهذا الشيء.

قالت بأمتنان وهي تبتسم:الحمد لله ..أنا بخير.

رد:ممتاز..من الآن فصاعداً سأصحبك في الغردقة حتى لايحاول هذا الشيء الأقتراب منك.

وتطلع إلى الكدمة الزرقاء الخفيفة حول معصم يدها والتي سببها (عادل) وقال: أقسم لو أنني كنت متواجدًا وقتها لقتلته.

ردت بحزم: لاتقل هذا..أنه لايستحق أن تضيع عمرك في السجن..ثم أن السيد صاحب الفندق قد أدبه حقًا.

-هذا صحيح..علي أن أشكره شخصياً..والآن..هيا..سنتناول الأفطار في مطعم الفندق ثم نتوجه جميعًا إلى الشاطيء.

ابتسمت سعيدة..وقال (فاروق): سأتحدث مع (فارس) بضع كلمات.

وتركها وعاد إلى البهو..هكذا لن يتمكن (يوسف) من سماع ما يدور..فقام بتشغيل التسجيل..هذا يتيح لهاتفه تسجيل جميع المحادثات التي تدور في وجود هاتف (جوري)..سيجلس مسترخياً في المساء لسماع المحادثات كلها على الأغلب.

وكان (فارس) والجميع يقفون منتظرين فقال (فاروق) بصرامة: (فارس)..أستمع لما سأقول جيدًا.

غمغم (فارس) في ملل:أخي..أرجوك لاداعي للمواعظ..لن أحاول التدخل في موضوع (جوري) و (عادل) فلا تقلق.

رد (فاروق): ليس هذا ما سأخبرك به..ما سأقوله هو أن تنسى صداقتك مع (عادل) تمامًا.

هتف (فارس) محتجاً: ماذا؟..نحن أصدقاء منذ سنوات..ثم أنا لا أفهم سر كراهيتك لتلك العائلة وكأنهم أستولوا على أموالك أو قتلوا أقاربك.

سرت رعشة خفيفة في شفتي (أكرم) بينما رد (فاروق): هل مازلت تصر على علاقتك بصديق السوء هذا..حتى بعد ما فعله بأختك.

رد (فارس) مرتبكًا: حسنًا..سأخفف علاقتي به.

وقالت (فيروز): دع أخوك (فارس) وشأنه.

سرعان ما أنضمت إلى أسرتها وتوجهوا جميعًا إلى المطعم..وكان (عزمي) وأسرته ملتفون حول أحدى الموائد فلوح

(عزمي) إلى الأسرة..تهللت أسارير (فيروز) وتوجهت نحوهم بجوارها (أكرم) فقال (عزمي) وهو ينهض: دعونا نتناول الأفطار معًا..نحن أسرة واحدة ولاينبغي أن نتفرق بسبب تصرفات أبني الحمقاء.

جذب (فاروق) شقيقته برفق إلى طاولة صغيرة في ركن بعيد نسبياً دون كلمة وجلسا اليها متجاهلاً نظرات والديه..بعد لحظة تردد هتف (فادي): سأتناول الأفطار معهما.

وأنضم اليهما بدوره.

***

مسترخياً في حوض الأستحمام الآنيق، تأمل (يوسف) السقف غارقًا في أفكاره..بالنسبة للأنتقام من (عزمي) و(أكرم)

فالأمر سهل حتى يكاد يكون لعب أطفال..كانت المشكلة التي تؤرقه كيف يسترد شركة أبيه (ورد الجوري)..الشركة التي بناها من الصفر كما يقولون وأجتهد أقصى الجهد كي تقوم لها قائمة على مدار عامين كي يتمكن من النهوض ورعاية أسرته بعد أن طرده والده وكي يترك لزوجته وولده شيئً يحميهم من غدر الزمان وتقلبات الدهر فإذا به ُيترك للموت من أجل الأستيلاء على حلم عمره وشركته ويُحرم أبنه وأرملته من ميراثهما الشرعي فيها ويصارعان الفقر والعوز.

لاسبيل للحصول على تلك الشركة إلا عن طريق (جوري) التي تمتلكها تقريبًا..وهنا يبرز التساؤل..كيف؟..هل سيتزوجها حتى يتمكن من العمل في الشركة وأستعادتها..يمكنه أن يعرض عليها الشراكة ولكن المحامي أخبره أن (فاروق) لن يقبل أبداً..لقد حاول غيره من قبل دون جدوى..ليس بحاجة لشريك والشركة ناجحة وصاعدة وسمعتها طيبة.

لايوجد غلطة قانونية واحدة أو مخالفة تم أرتكابها..بأختصار لايوجد ثغرة واحدة ولا طريق للحصول على تلك الشركة ألا بأن تمنحه (جوري) توكيل عام أو تتنازل بشكلٍ ما له أو تبيعه الشركة...هذه هي البدائل التي غرق في التفكير فيها مهموماً.

غادر الحمام وجلس في الشرفة الواسعة على المائدة الصغيرة التي تجلس اليها جدته فحياها بهزة رأس..كانت ترشف من فنجان القهوة وقد وضع على المائدة طبق تراصت فيه بعض أنواع البسكويت بشكلٍ أنيق.

قالت (بيرين): لقد غادروا منذ ثوان إلى الشاطيء.

أومأ برأسه وتناول بسكويتة وراح يلوكها ببطء.

قالت: دعنا نلحق بهم..نجلس بعيدًا ونلاحظ.

رد وهو ينظر اليها: إلى هذه الدرجة تعجبك تلك اللعبة؟

لم تستطع قمع أبتسامة صغيرة قاسية وهي تجيبه: بالطبع..تعجبني كثيرًا..وأستمتع بها حقًا..لم أشعر بمثل تلك الإثارة والمتعة منذ سنوات.

ووضعت الفنجان وأكملت وقد بدا الحماس في عيونها: كان قتلهم بشكلٍ فج ومباشر أمرًا مملاً وغير مرضٍ..أحمدُ الله أنني صبرت وأنتظرتك حتى أفقت من غيبوبتك وشاركتك الخطة..هكذا يجب أن يتحقق الآنتقام.

رد بفتور:لا أحاول الآنتقام بالضبط..أحاول تحقيق العدالة وأسترداد حقوقي ومحاكمة قتلة والداي.

ثم نهض وقال: فلنلحق بهم إذًا.

وكان الشاطيء الخاص القريب من الفندق نظيف ومتسع وقد أزدحم بالمصطفين الهاربين من حرارة الصيف اللافحة.

وجلست أسرة (أكرم النعمان) تحت المظلة الضخمة الملونة بالقرب من البحر حتى أن أمواجه كانت تصل إلى أقدامهم فتبللها..أما (فيروز) فقد أرتدت بنطالاً أبيض اللون قصير بعض الشيء وأرتدت فوقه بلوزة خفيفة وقبعة ونظارة داكنة وأسترخت على الكرسي الخشبي الطويل وهي تبتسم بينما (أكرم) يهمس في أذنها بشيءً ما..وكان يرتدي شورت السباحة كأبنائه ووقف (فاروق) مع شقيقيه يلعبان كرة الطائرة ومعهما شاب ما من رواد الشاطيء أنضم اليهم..أما (جوري) فقد أنتحت جانباً هادئاً فجلست على كرسي الشاطيء وراحت تتأمل أمواج البحر بصمت بينما يتناثر شعرها بفعل الهواء.

على مسافة غير قريبة جلست (بيرين) تراقب أفراد الأسرة ووضع (يوسف) سماعة الهاتف في أذنيه أستعداداً للتنصت

قالت جدته: إن (فاروق) يلعب دور الأب في تلك الأسرة كما يبدو.

-والأخ الأكبر والحامي..لقد أختار عمي أن يقتصر دوره على جلب المال والآنفاق فقط كما يبدو.

لم يكن يدري أنه قد جانبه الصواب..كان (أكرم) شديد الآنشغال في عمله وتطوير شركته (أبناء النعمان)..كان يحب شركته كثيرًا ويفتخر بها..ورثها من والده الذي ورثها بدوره من والده..فهي فرد من العائلة، بل هي عماد المنزل وقد أعتاد أن يعمل فيها منذ مراهقته..من أجل أنقاذها من الديون ترك أخاه للموت..وعليه فقد كان يقضي في العمل حوالي العشر ساعات ويعود منهكاً لايملك السعة النفسية ولا المقدرة على لعب دور الأب المتفاني وكان يعوض صغاره بأغداق المال عليهم..هكذا وجد (فاروق) نفسه مضطر لأن يلعب دور الأب وقد أسعد هذا قلب (أكرم) لأنه يزيح عن كاهله بعض المسئولية فمنح أبنه البكرالسلطة ولم يكن بحاجة لذلك..ففارق السن وحده يكفي..فكان هو من يتابع أشقائه في المدرسة ويتابع سلوكهم وأصدقائهم ويأمرهم ويسمح لهم بما ينفعهم وينهاهم عما يضرهم..وقد بدأ يلعب هذا الدور في عمر العشرين

مع (فارس) أولًا ثم مع بقية أخوته..وكان برغم طبيعته الجادة الصارمة يملك قلباً رحيماً وعقلاً متفهماً

فكان قلبه يحمل الجدية والحزم من دون قسوة..ولعل سبب طباعه أنه أختلط في طفولته بجده الصارم وعمه الطيب وتربى على يد مربيته ومربية أخوته (ملك) بينما أنشغلت والدته في الترفيه عن نفسها وفي النوادي والجمعيات فكان تأثيرها عليه شبه معدوم.

***

ألقى (يوسف) نظراته أتجاه (جوري)..كانت ترتدي فستاناً أبيض مزين بورود حمراء كبيرة طبعت على قماشه..شعر بإن هذا الفستان يناسبها هي بالذات..كانت تتمتم وتهمس لنفسها بشيء ما..أشعل (يوسف) البرنامج وبدأ يتنصت عليها..كان يظن أنها تتمتم بأغنية ما لذا أرتفع حاجباه في دهشة حينما وصله صوتها عبر سماعات الأذن..كانت تستغفر.

تأملته جدته في فضول، رفع بصره نحو جدته بنظرة فيها شيء من السخرية والسخط ثم عاد ينظر نحوها مستغرباً..لم يخطر في باله أن (جوري) لديها نزعة إلى التدين..أنها تستغفر وهي تتأمل الأمواج ولون المياه ..لم يجل بخاطره أنها تحمل هذا الطبع الذي كان يميز والدته رحمها الله..فكانت والدته عندما تجلس على الشاطيء في مرسى مطروح تبدأ في التسبيح والأستغفار.

مد يده وأغلق البرنامج..سألته جدته: ماذا؟

هز كتفيه وقال: لاشيء هام..اليوم مساءً سنغادر.

-بهذه السرعة

-سيلحقون بنا بل وسيطاردوننا لكسب ودنا..كلما كان هذا أسرع كان أفضل.

وفي المساء وبعد عودة الأسرة من جولة مرحة في المدينة توجهت (جوري) إلى مكتب الأستقبال للفندق في تردد نحو

الموظف الجالس فقالت: مرحبًا..أريد الأستعلام عن مكان مكتب السيد صاحب الفندق.

تساءل الموظف: تقصدين السيد (يوسف أوغلو)؟

لم تكن تعرف الأسم الأخير ولكنها تعرف أسمه الشخصي فقالت: أظن أنه هو..السيد يوسف.

رد الموظف: (يوسف) بك قد غادر اليوم إلى القاهرة.

شعرت بشيء من الأحباط والضيق لم تدري سببه.

واستدارت متوجهة إلى الحديقة وراحت تتأمل الزهرة النادرة الكامبيون وتساءلت لماذا هي متضايقة أصلاً؟

قالت لنفسها: لأنني أردت أن أشكره لا أكثر.

ثم عادت تتطلع إلى الزهرة وقالت: ربما علي أن أتواصل معه كي أستأذنه في الحصول على بعض النبات النادر وزراعته عندي في حديقتي.

توجهت من جديد إلى الأستقبال وقالت: أرجو المعذرة ولكن أحتاج إلى التحدث مع السيد (يوسف) فهل لديك رقم شبكته لأتصل به.

رد الموظف معتذراً:لا أستطيع منحك الرقم يا أنستي..أعذريني.

غمغمت: ولا العنوان في القاهرة؟

رد: أسف.

ثم قال فجأة وقد لانت لهجته: هل أنت نزيلة الحجرة رقم 403؟

-أجل.

-لقد ترك لك (يوسف) بك هدية.

وأنحنى يحضرها ثم وضع أمامها صندوق زجاجي به تربة نمت فيها زهرتي كامبيون.

لم تصدق (جوري) ما تراه ولولا الحرج لقفزت وصفقت بيديها في سعادة..ولكن كيف عرف؟

عاد الموظف يقول: ترك لك رسالة..تفضلي.

ومنحها مظروفاً مغلقاً..فحملت ثروتها الثمينة ووضعت المظروف في حقيبتها وأسرعت نحو المصعد إلى حجرتها..فقابلها (فاروق) عند حجرتها..وكانت الأسرة قد أستأجرت ثلاث غرف في الطابق فكان يهم بدخول غرفته التي يمكث فيها مع شقيقيه فلما رأها تطلع اليها متسائلًا فقالت: موظف الأستقبال أخبرني أن صاحب الفندق ترك لي هذه الزهور كهدية..أردت أن أشكره وأن أستأذنه في الحصول على بذور زهرة الكامبيون..إنها زهرة نادرة...ولكنه منحني أياها دون سؤال.

حاولت أخفاء أرتباكها قدر المستطاع وقال (فاروق): هكذا؟..دون سبب.

-لقد قابلني في الحديقة كما حكيت لك.

-أظن أن أخباره كانت في كل مكان منذ يومين.

قالت في حيرة: حقًا؟..هل هو شخصاً مهم؟

رد وهو يتوجه إلى حجرته: إنه مستثمر مهم..عاش في الخارج ولكنه من أصول عربية مصرية تركية على ما أعتقد وجاء إلى مصر مؤخراً...تصبحين على خير إذًا.

-تصبح على خير.

ودلفت إلى حجرتها وكان أول ما فعلته هو أن وضعت الصندوق بحذر وحنان في الشرفة ثم أخرجت المظروف وفتحته..

وتأملت الخط الآنيق وقرأت الرسالة "أنستي..أسعدتني معرفتك وأتمنى منك قبول تلك الزهرة النادرة التي أوقن أنك أحببتها ورغبت في زراعتها في حديقتك..وضعتها في صندوق حيوي للحفاظ عليها ريثما تقومين بزراعتها..تقبلي خالص أحترامي."

ظلت صامتة ساكنة وقرأت الرسالة مرة ثانية.

وفي السيارة الفاخرة المتوجهة إلى القاهرة والتي جلس فيها (يوسف) وبجواره جدته.

أنهى (يوسف) الأتصال مع موظف الأستقبال ثم قالت جدته: إذًا فقد سألت عنك كما توقعت..لما لم نبقى يومًا آخر حتى يتسنى لها لقاءك من جديد؟

رد وهو يتطلع إلى الطريق: كلا..عليها أن تبحث عني..الآن حان وقت (عزمي الدمرداش).

قالت جدته: هل ستبدأ الأستثمار؟

قال بأبتسامة قاسية: بل هو من سيأتي الي باحثاً عن مستثمر وسيتحجج بسوء الفهم الذي وقع بيني وبين أبنه..جشعه سيورده التهلكة.

- مرحبًا به في قلب المصيدة.

أطلق (يوسف) ضحكة خفيفة وقد راق له تعبير جدته.

***

برغم أرتفاع درجة الحرارة في هذا اليوم ألا أن السيراميك الحراري المبطن لأرضية القصر وأعمدته قد خفض درجة الحرارة بشكل كبير مما جعل الأجواء مريحة داخل القصر حتى أن (يوسف) لم يكن في حاجة لتشغيل مكيف الهواء المركزي ورشف من قدح الشاي بالنعناع في صمت وبطء وهو شارد يفكر بعمق.

عادت جدته إلى الداخل بعد أن كانت تسبح في حمام السباحة وبدا له من الغريب لأمرأة مسنة أن تسبح في هذا العمر..على أية حال لم يكن بقربها سوى خادمتين وأبتعد الحرس عن المكان حتى أنتهت..صعدت إلى حجرتها لتستحم وتغير ثيابها وتنهد (يوسف)...حقًا شتان بين الأم وأبنتها...أمه الرائعة الحنونة الخجولة المتدينة..وتلك المرأة الجريئة القاسية.

أتاه أتصال فرد عليه ثم قال لمحدثته: أبلغه أنه سيسعدني ويشرفني أستقباله بعد ساعة.

وأنهى الأتصال وهبطت جدته وأمرت الخادمة باعداد المزيد من الشاي وأحضار البسكويت ثم جلست وقالت: إذًا؟

رد: سيأتي (عزمي) بك شخصياً بعد ساعة..مساعده أتصل بالمحامي وأعرب عن رغبة سيده في زيارتي والأعتذار عن

سلوك ابنه السيء معي والتعرف الي.

قالت جدته: ممتاز.

مضت دقيقة صمت وجاءت الخادمة بالشاي والبسكويت فعادت جدته تقول:كان بوسعي تأجير قاتل محترف للتخلص منهم..ولكن هذا ليس مسلياً أبداً..خطتك أكثر تسلية بكثير وكأننا في قصة درامية..أم تظن أن قتلهم كان أسهل؟

قال (يوسف) بقسوة باردة:لا..كما أخبرتك..عليهم أن يعانوا هما الأثنان مثلما عانيت وعان ضحاياهم..بعدها سيختارون الموت أو التعفن في السجن بجرائمهم التي قاموا بها فعلًا...هكذا تكون العدالة.

ردت جدته بجدية: أنا أثق بك وبخطتك.

وضع (يوسف) قدح الشاي الفارغ جانباً ثم قال: إن تحطيم (عزمي) سيكمن في طريقتين..الأولى فقدانه لثروته التي جمعها بكل الطرق القذرة..الثانية هو أحضار الذاكرة الألكترونية من حصنه الذي يفتخر به في الشركة الأهم الآن في أستثمارات البورصة في الأتحاد.

قالت جدته في حذر: إن ما تحويه تلك الذاكرة كفيلة بإعدام عمك وزوجته وشريكه بلا رحمة..ولا يوجد قاضي في مصر أو في الأتحاد بأكمله قد يمنحهم أي تخفيف للحكم.

رد (يوسف) في تحدي: وماذا في ذلك؟

عادت جدته تقول: تغيرت كثيرًا...للأفضل من رأيي.

وبعد مرور الساعة وصل (عزمي) إلى القصر..ودلفت سيارته الفارهة من بوابة القصر الحديدية إلى الممر الآنيق في الحديقة وتطلع (يوسف) من وراء أحدى نوافذ الطابق الأرضي نحوه وقال: لم يطق صبراً..هذا جشع يفوق المعقول..أظنه قد يبيع ابنائه من أجل المال.

ردت جدته: ليس إلى هذا الحد.

ولكنه قال متحدياً: سوف ترين.

هبط (عزمي) من السيارة بعد أن فتحها له أحدى الخدم ومن بعده ظهر أبنه وقد بدا مغتاظاً بشدة وقال (عزمي) بصرامة لأبنه: ستنفذ كل ما قلته لك وألا سأعاقبك بشكلٍ ما كنت لتتخيله في أحلامك.

قالت أحدى الخادمات في أحترام وهي تقودهم إلى الصالة الفارهة: تفضلوا يا سادة.

كان القصر شديد البذخ يوحي كل ركن فيه بالثراء الفاحش حتى بالنسبة لرجل أعمال بارز وثري مثل (عزمي) الذي راح يحسب مقدار المكاسب التي سيحققها إن تمكن من أقناع (يوسف) بالعمل معه في شركة البورصة وهو يتأمل كل ركن في القصر ويحسب تكلفته.

جاء (يوسف) ومعه جدته فنهض (عزمي) ولكز أبنه في خشونة كي ينهض بدوره وقال باسمًا: اعتذر بشدة على تطفلي يا سيدي..لكنني ما أن علمت بواقعة الشجار بينك وبين هذا الولد قليل التربية حتى أصررت على القدوم مع أبني لكي يعتذر لك شخصياً.

قال (يوسف): تشرفت بلقاءك..أن ماحدث بيني وبين ولدك كان سوء تفاهم وأنا لست غاضبًا ولا متضايقًا على الأطلاق

وما كان هناك داعي لأعتذاره.

هتف (عزمي): أنا مصر..هيا يا ولد.

غمغم (عادل) في ضيق: أسف.

كتم (يوسف) ضحكته بصعوبة وهو يتأمل ملامح (عادل) الحانقة وقال: أسمح لي أن أقدم لك والدتي السيدة (بيرين).

قبل (عزمي) يدها في رشاقة وجلس الجميع وقال (عزمي): لقد علمت بأخبارك من الأعلام..عن كونك لم تعش في مصر ولا الأتحاد من قبل وفكرت بأنك حتمًا ستحتاج إلى صديق..لهذا أريدك ان تعتبرني وأسرتي أصدقاءك وأقرباءك.

قالت جدته: نشكرك كثيرًا يا سيدي على مشاعرك الجميلة.

وقال (يوسف): ماذا تشربان؟ هل لي ان أقترح عليكما مشروباً جديداً ومنعشاً..أنه غير شعبي لديكم..أنه الجنزبيل البارد.

قال (عزمي): فلنجربه إذًا.

أشار (يوسف) للخادمة فأنصرفت لأعداد المشروب ثم عاد يقول: علمت أنك رجل أعمال يا سيد (عزمي)..الحق أنني كنت قد قررت الأستقرار هنا لفترة طويلة وكذلك أحب كثيرًا فكرة الأستثمار في العديد من المجالات..أريد أن أفيد الناس وأن أضاعف ثروتي..أخبرني المحامي أنك مشهوراً جدًا في البورصة.

بدا الأهتمام على وجه (عزمي) وقال بلهفة: هذا صحيح..واختيارك للبورصة قرارٌ ممتاز..إن لدي شركة خاصة بي أمارس فيها العديد من الآنشطة ولكنها في الأساس مخصصة للأستثمار في البورصة..ولكن ما هو المبلغ الذي تفكر في أستخدامه حتى أستطيع أن أفيدك.

جاءت الخادمة بكوبي الجنزبيل وكوب ماء فوضعتهم على المائدة الصغيرة الآنيقة وأنصرفت وأشار اليهما (يوسف) ليتناولا المشروب ثم قال وهو يتطلع إلى جدته: ما المبلغ الذي أخبرتك به أمس يا أمي..أه..هل 10 مليار مبلغ مناسب كبداية؟

غص (عزمي) بالمشروب وراح يسعل بينما ابنه يخبط على ظهره برفق وقال (يوسف): (عزمي) بك..هل أنت بخير؟

شرب (عزمي) نصف كوب الماء ثم سعل قليلًا وشهق ثم هدأ وتنحنح وقال: أجل..أحم..هذا مبلغًا جيد.

بدا وكأنه وحش جائع عثر على فريسة ولولا التحضر لسال لعابه وهو يتمتم بلسانه بالمبلغ بصوتٍ هامس.

قال (يوسف) باسمًا: ممتاز..سأقوم بأستشارة المحامي وسأكون على أتصال معك لنكتب العقد..هذا المبلغ ثروتنا كلها تقريبًا.

قال (عزمي): أن عيد ميلاد ابنتي (أسيل) الأسبوع القادم..يوم الخميس وسيسعدني أن تحضر أنت و(بيرين) هانم..وتتعرف على زوجتي وأبنتي..وحماي كذلك..إنه عضو في البرلمان.

قالت جدته باسمة: ممتاز..سيسعدني التعرف على أسرتك الكريمة.

تحدثا قليلًا في السياسة ثم أستأذن (عزمي) في الآنصراف مع أبنه وهتفت جدته بعد أنصرافهما: لقد أرغم ابنه على الأعتذار.

قال (يوسف) باسمًا: وعيد ميلاد أبنته بعد خمسة أشهر في الواقع..أنه يرغب في أن أراها.

أرتفع حاجبا جدته وغمغت: هذا الرجل.

رد: قتل أبي بدماً بارد مع عمي ثم قتل أمي وقتلني وجيراني ودمر مئات الشركات وشرد عمالها..ومازال يبحث عن المزيد.

***

وفي السيارة هتف (عادل) في حنق: أبي..لقد أرغمتني على الأعتذار لهذا الوغد..بينما هي غلطته..لقد تدخل بيني وبين خطيبتي وضربني كذلك.

هتف والده: بل من كانت خطيبتك..بسبب حماقتك خسرنا الكثير من الأموال والمزايا التي كنا سنتمتع بها..والآن أنا أحاول تعويض أسرتنا عن حماقتك بعد أن خسرنا (جوري).

رد (عادل) وقد أحتقن وجهه: نحن لم نخسرها..أنا لا أخسر أبداً..سأعيدها ثانية وسترى.

قال والده في غيظ: كف عن الحلم..في الأساس لم تكن موافقة عليك وقد خضعت لضغط والدها و(فيروز) هانم..والآن بعد غباءك وحماقتك لن تعود اليك مهما حاولت.

ثم أسترخى في مقعده وقال: هذا الفتى فاحش الثراء كما تقول التحريات..لقد تحدث عن مبلغ 10 مليار ببساطة وكأنه عشرة جنيهات.

وتنهد ثم قال :الآن دور أختك يأتي.

قال (عادل) في حيرة: أختي؟ وما شأنها؟ أنها لاتعرف شيئًا عن إدارة الشركات.

رد (عزمي): أن تكون زوجة لثرياً شاب ووسيم مثله..هذا هو دورها.

ولمعت عيناه في جشع.

***

بعد يومين عادت أسرة (أكرم نعمان) من المصيف مساءً ودلفت السيارتان من بوابة قصر (النعمان) وهبط من السيارة الأولى (أكرم) و(فيروز) وقد تأبطت ذراعه وتبعهم (فادي) وهو يمسك هاتفه ويقرأ عليه شيئًا ما بأهتمام.

وهبط من السيارة الثانية (فاروق) الذي تطلع إلى ساعته وقال:سأذهب إلى المكتب لمراجعة مشروع غرب الأسكندرية.

وقالت (جوري):وصلتني رسالة من (أسيل)..عيد ميلاد؟ ولكن عيد ميلادها بعد أشهر..هذا غريب.

وحملت زهرتها وغمغمت: سأغير ثيابي أولًا ثم أقوم بزراعة زهرتي.

تباطأ (فارس) حتى دلف الجميع إلى القصر فناول حقيبته للخادم الواقف ثم قال: سأبقى في الحديقة قليلًا.

وتطلع حوله بعد قليل في حذر ثم توجه نحو غرفة صغيرة، وكانت تلك الغرفة هي مخزن صغير في طرف الحديقة وتطلع إلى باب المخزن فوجده مفتوحاً فدلف وأغلقه ورائه بالمفتاح ثم تطلع نحو الفتاة الواقفة في المخزن..كانت فتاة مليحة لها شعر أسود عقصته ضفيرة وعينان سوداوان شديدتا الأتساع وساحرة.

فقال: لقد عدت.

ردت في لهفة وهي تتوجه نحوه: أشتقت اليك..هل رآك أحد وأنت قادم إلى هنا؟

رد باسمًا: كلا.

ثم وضع يديه حول خصرها ورفع ذقنها قليلًا وقال: أوحشتني يا (جميلة).

قالت بدلال: حقًا؟..ولكنك لم ترسل لي ولم تتصل منذ الأمس..هل شغلتك السائحات الأجنبيات على الشاطيء؟

ضحك في مرح وقال: أتغارين؟

-بالطبع.

-ولكن لامكان في قلبي لغيرك..ألم تدركي هذا بعد..

وتحسس شعرها مكملاً: يا زوجتي العزيزة.

***

بعد ساعة هبطت أسرة (أكرم) لتناول العشاء وعادت (جوري) من الحديقة متسخة اليدين فغسلت يدها وهمت بالجلوس إلى الطاولة فقالت (فيروز) لائمة: وجهك متسخ..هناك أثار طين في أنفك..أنهضي وأغسلي وجهك.

ولكن (فاروق) قال بلهجة مهذبة: نظفيه بمنديل يا (جوري)..لا داعي للنهوض.

كانت (فيروز) متنمرة بطبيعتها وشخصية شديدة العناد تحصل دومًا على ما تريد ولاتمقت في الدنيا أكثر من أن يتم تحدي أوامرها فكانت تلح وتصر حتى يتم تنفيذها وكان الجميع يعلم بهذا ويخضع لها درأً للمشاكل ألا (فاروق)..طالما لم يقتنع فقد كان يرفض تنفيذ أوامرها ويخالف رغباتها وكان يفعل هذا بتهذيب وذكاء فلا يعبر إلى العقوق ولا يظل مستسلماً مطيعاً.

ومع شعورها بالغضب من كلام ولدها قررت أن تنفث عن غضبها فقالت (فيروز) وهي تجلس: أين حساء الزبادي الذي أمرت باعداده..أين (جميلة)؟

ردت أحدى الخدم:لا أدري أين ذهبت (جميلة)..ربما..

هتفت (فيروز) في غضب في وجه خادمة مسنة قليلًا: أين أبنتك الحمقاء يا (ملك)؟

ردت الخادمة في أرتباك: سأبحث عنها حالاً.

ولكن (جميلة) ظهرت فجأة مسرعة وهي تحمل أناء الحساء وغمغت: أسفة على التأخير..كنت أدرس ونسيت نفسي.

ردت (فيروز) مستنكرة: نحن في الصيف..أي دراسة هذه...ثم ألم تتركي الدراسة بسبب المصاريف؟

ردت (ملك): الآنسة (جوري) طيبة القلب منحتها أموال الجامعة يا هانم.

ردت (فيروز) ساخرة: أه..أجل..طيبة قلبها بلا حدود حقًا.

ثم تطلعت حولها وعادت تقول: ولكن..أين (فارس)؟

جاء (فارس) من الخارج وقال: معذرة..كنت أتمشى في الحديقة.

نظرت اليه (جوري) في دهشة فهي لم تلمحه ثم قالت لنفسها: لقد كنت منهمكة في زراعة الكامبيون..لعلِ لم ألحظه.

بدأت الأسرة تأكل وقال (أكرم) وهو يرشف العصير: يقول (عزمي) أن عيد ميلاد أبنته الخميس القادم..يبدو أنه سيدعو ضيفاً مهماً.

ردت (فيروز): أخبرتني زوجته..إنه ملياردير شاب..هذا الفتى الذي تملأ أخباره كل الصحف والقنوات..لن تصدقوا..أنه الذي أشترى الفندق الذي كنا نمكث فيه.

قال (فاروق): حقًا..كنت أرغب في أن أراه وأشكره بنفسي على موقفه مع (جوري)..لا أصدق أن (عزمي) قد هرع للتعرف اليه بتلك السرعة ومحاولة أستغلاله.

عاد (أكرم) يقول: (فاروق) عليك أن تأتي معنا عيد الميلاد هذه المرة.

رد (فاروق): لا..لالالا..أنا أكره هذا الرجل وعائلته ولا أحب تلك المناسبات العجيبة أيضًا.

رد (أكرم) في صرامة آمرة: هذه المرة فقط..يجب أن تقابل هذا الفتى ..إنه يسعى للأستثمار على نطاقاً واسع وهو لايعرف الكثير من الأشخاص في الأتحاد..أعتبر الحفلة عشاء عمل..نفذ ما أقوله لك ولو لمرة.

-لست بحاجة لمستثمر..أعفني هذه المرة يا أبي.

-ألم تقل أنك تريد أن تشكره.

-في فرصة أخرى.

هنا قال (أكرم): هذا أمر..أستعد للقدوم معنا إلى الحفلة..فهمت.

-ليكن.

قال (فادي): (جوري)..لما وجهك أحمر اللون هكذا؟

لأن وجه (جوري) قد تضرج بحمرة قانية منذ بدأت أسرتها تتحدث عن (يوسف) وراح قلبها يخفق بمعدل أسرع من الطبيعي وهي تسترجع كل ما حدث معها ومعه.

أرتبكت خاصة عندما تطلع اليها الجميع وغمغمت: لاشيء..أنا بخير.

قالت (فيروز): يبدو أن (عزمي) يرغب في تزويجه لأبنته.

تناولت (جوري) كوب الماء فجرعت منه ثم نظرت إلى الطعام وقد فقدت شهيتها.

قالت (فيروز) في وقاحة وهي تنظر نحو (جوري) شزراً: ألم يكن هو من منحك تلك الزهور؟..هذا يعني أنه أنتبه لوجودك ومع هذا..ألم يكن باستطاعتك أستمالته..أنه عريس ممتاز أيتها الحمقاء.

رد (فاروق) محذراً: أمي.

أعتادت (فيروز) منذ زمن أن تمازح وتداعب (جوري) بمزحات ثقيلة قاسية ساخرة وأن تنتقدها على الدوام وقد أتلف هذا في نفس (جوري) شيئًا لايمكن إصلاحه بسهولة ذلك هو ثقتها بنفسها.

وقد كانت (فيروز) تتمادى في بعض الأحيان لأن زوجها كان يلتزم الصمت أو يكتفي بنظرة لوم أو كلمة عتاب بسيطة فهي الملكة المتربعة على عرش قلبه..بالطبع كان يحب ابنته ولكنه لم يرغب في إغضاب محبوبته المفتون بها وهكذا

أصبح هذا دور (فاروق) فكان يضع لها حداً فتصمت.

بعد أنتهاء العشاء أعلن (أكرم) أنه سينام وصعد مع زوجته إلى حجرتهما وجلس (فادي) على حاسوبه يتحدث مع أصدقائه بينما طلب (فاروق) فنجان قهوة في المكتب وجلس فيه يستكمل عمله بأهتمام فُطرق الباب برفق ثم دلف أخوه (فارس) وغمغم: (فاروق)..هل يمكنني التحدث معك قليلًا؟

-أجلس..ماذا هناك؟

بصفة عامة كان (فاروق) أخاً طيبًا برغم صرامته وكان أقرب إلى أخوته من أبيه.

-كنت أفكر..أنني إذا رغبت مثلاً..في الزواج ولكن من فتاة ليست غنية..هل يمكنك أقناع والداي بهذا..أعني مثلاً.

تفرس (فاروق) في وجه أخيه..حينما بدأ (فارس) يتغير منذ أشهر للأفضل وبدأ يعمل بجدية أكبر وأصبح يقلل من سهره في الخارج أدرك (فاروق) أن الأمر يتعلق بفتاة ما أحبها اخوه وغيرته..ولا شك أنه حب عميق وصادق وألا ما نجح في تغييره.

قال (فاروق) باسمًا:أجل..إن كانت فتاة صالحة..ولكنني لن أفعل هذا ما لم تثبت لي أنك قادراً على تحمل مسئولية الزواج.

أتسعت أبتسامة (فارس) وقال: أجل بالطبع..أخي..هل تظن أن ماما قد تقبل وقتها؟

رد (فاروق): لن تقبل أبداً..ولكنني سأدعمك وقتها بكل ما أوتيت من قوة...من هي إذًا؟

هتف (فارس): لا أحد..أنا لم أتعرف على أحد بعد..أنا فقط أتخيل..لاتنظر الي هكذا..أقسم..

بلهجة قاطعة أوقفه (فاروق) عن إستكمال جملته قائلًا: وفر أيمانك المغلظة ولاتقسم كذباً..عندما ترغب في أخباري فأنا موجود.

-...و..ولكن..أجل..تصبح على خير.

-تصبح على خير.

وبعد أن أنهى مراجعة التقارير نهض وهو يفرك عينيه المرهقتين وغادر المكتب صاعداً إلى حجرته ولم ينسى أن يمر على حجرة (فادي) فطرق الباب ثم فتحه وأطل برأسه ليجد أخيه جالساً على سريره ومازال على الحاسوب..تطلع (فادي) نحوه فقال (فاروق): أغلق الحاسوب وأخلد إلى النوم..هيا.

أومأ (فادي) برأسه مطيعاً وإن بدا عليه الضيق..فهذه أجازته من الدراسة ويريد أن يستمتع بها..سرعان ما تبخر شعوره بالضيق عندما ربت (فاروق) على كتفه في رفق وقال: تصبح على خير.

كانت ملامح (فاروق) طيبة حينما تلين وتختفي تلك الصرامة والجدية الدائمة.

***

الفصل الخامس

(الحفلة)

كانت (فيروز) من الطراز الذي ُيطلق عليه المتسلق أو العلقة..تحاول الترقي في السلم الأجتماعي بأي وسيلة ولهذا تزوجت من (أكرم) في المقام الأول كي تصير غنية،ولأنها تفتقر إلى الكثير من حسن الُخلق والقيم فقد نسيت أسرتها وأقاربها وسعت للأندماج مع طبقتها الجديدة وتقليد أبناء تلك الطبقة أحيانًا تقليداً أعمى بلا تمييز..ولهذا قررت أن عليها ان تُحضر مربية أسيوية لرعاية طفلها الذي أنجبته وقتها (فاروق)..فكل من حولها من النسوة يفعلن ذلك..لم يرق هذا وقتها ل (نعمان) بك ورفض الفكرة معلناً أنه لن يسمح لأجنبية من ثقافة ودين مختلف أن تربي حفيده، وبرغم ثرائه فقد كان رجلًا عصامياً عاش مكافحاً وبنى ثروته من الصفر ولم يكن يخفي لحظة أنه من أصول فقيرة..بل كان يفتخر بهذا ولم يستسغ فكرة المربية ولكنه أمام شكوى زوجة أبنه من أنها تشقى كثيرًا من تربية الصغير أحضر من أحدى قرى الريف (ملك)..وكانت لديه أرض في تلك القرية فكان يذهب من وقت لأخر إلى هناك وخطرت له الفكرة فعاد بشابة مطلقة بلا أولاد من أسرة فقيرة فقر مدقع في العشرين من عمرها.

تحججت (فيروز) بمختلف الحجج الواهية ولكن (نعمان) كان ذكياً أجاد أختيار الفتاة بشكلٍ لايمنح زوجة ابنه فرصة للأعتراض..الفتاة متعلمة وإن لم تستكمل تعليمها وهي ربة بيت ممتازة وذات خلق ودين وتمجد عادات وتقاليد المجتمع فأسقط في يد (فيروز) وأستسلمت..هكذا نشأ (فاروق) على يد جده والمربية (ملك) وعمه (إياد) الذي كان على قيد الحياة وقتها وحتى بلغ (فاروق) عمر العشر سنوات.

وكان من سوء حظ (فارس) أنه ولد بعد وفاة جده و عمه ورحيل (ملك) لفترة إذ كانت قد تزوجت من جديد وعادت إلى القرية..وهكذا تولت والدته (فيروز) مع مربيات أخريات أجنبيات تربيته..ونتيجة لهذا كان فتى على شيء من الحمق والخرق ومدلل ومستهتر قليلًا..ولولا (فاروق) وصرامته معه ومتابعته لأنحرف منذ زمن.

من حسن الحظ أن (ملك) عادت للعمل منذ سنوات بعد وفاة زوجها وقد قبلت (فيروز) عودتهالآنها كانت ممتازة في طهيها وكان طعامها يثير أعجاب (فيروز) كثيرًا، وقبلت

بأن تعمل لديها أيضًا (جميلة) ابنة (ملك) والتي كونت صداقة مع (جوري) لم ترضى عنها (فيروز) كثيرًالآنها أستنكرت أن تصير (جوري) صديقة لابنة الخادمة.

***

أما (يوسف) فقد بدأ شيءً من الأحباط الممتزج بالأعجاب يتسلل اليه..كانت (جوري) كما تشكك تترك هاتفها في حجرتها أغلب الوقت..ليست من الطراز الذي يصحب هاتفه أينما ذهب ويحدق في شاشته بالساعات ويدردش هنا وهناك..والمشكلة الجديدة التي ظهرت للتو أن أخبره المحامي أن والدها (أكرم) قد باع أسهمه لهالآنه سيستخدم المال في صفقة ضخمة جدًا..أي أنها الآن مالكة الشركة بالكلية..وكان يأمل في أن يتسلل عن طريق (أكرم) بشكلٍ ما.

ولكنها في الليلة التي عادت فيها الأسرة وضع السماعات في أذنه وجلس يقرأ كتابًا لتزجية الوقت ريثما يقع حدث ما في حجرة (جوري)..ودلفت (جوري) إلى حجرتها وأستلقت على سريرها أخيرًا وكان الهاتف على الطاولة الصغيرة بجوار سريرها سمعت طرقات على الباب وسرعان ما دلفت (جميلة) وعلى شفتيها أبتسامة واسعة فاعتدلت (جوري) وقالت: كم تمنيت إن أستطعت اصطحابك معنا.

ردت (جميلة) مقلدة أسلوب (فيروز): تصطحبين ابنة خادمتنا؟..ماذا سيقول الناس؟

أنفجرت كلتاهما في الضحك.

وضع (يوسف) الكتاب جانباً وأعتدل في تركيز ليسمع ما يدور من مناقشات بين الفتاتين..لشد ما أنحدر في أخلاقياته بعد

ما حدث معه..ما كان في السابق ليتخيل نفسه يفعل ما نهى عنه الدين..يتجسس على الناس ويهتك سترهم بهدف تحقيق عدالته كما يقول.

أسرعت (جميلة) تجلس على حافة السرير في لهفة..كانت كلتاهما صديقتان إلى حد كبير دون أن يظهرا تلك الصداقة بشكل واضح حتى لا يغضبا (أكرم) و (فيروز)...وكانت (جميلة) تحتفظ بعلاقتها مع (فارس) سرًا لا يعلمه أحد حتى صديقتها التي راحت تقص عليها ماحدث في الغردقة.

وقالت (جميلة) في غضب: إن (عادل) بك هذا غير مهذب ولم يتربى..لهذا كنت أقول..أه..كان يقول (فاروق) بك لأخوك السيد (فارس) أن لا يصادقه.

غمغمت (جوري): انا لم أرتح له أبداً وقد أنتهى الأمر على أي حال.

عادت (جميلة) تقول باسمة: وهذا السيد الوسيم..(يوسف)..لما لم تأخذي رقم هاتفه..ولكن لايهم..يمكنك أن تلتقي به ثانية في عيد الميلاد..بالمناسبة عليكِ أن ترتدي ثيابًا جميلة وتبدين جميلة وأنيقة حتى تجذبي أنتباهه

قالت (جوري) في أستنكار غير مقنع: ولما أفعل هذا؟ كنت أصلاً أفكر في عدم الذهاب إلى تلك الحفلة.

هتفت (جميلة): بل عليك أن تذهبي يا (جورية)..أنه مهتم بك كما هو واضح وألا لماذا يرسل لك تلك الزهرة الكامبوشة أو..

قاطعتها (جورية): الكامبيون.

غمغمت (جميلة): أجل..أنتِ قلتي إنها زهرة نادرة..لماذا يرسلها لك كهدية؟

ردت (جورية) في أرتباك: لقد لاحظ حتمًا أهتمامي بها وتحديقي فيها في حديقة الفندق.

هتفت (جميلة) ساخرة: حقًا؟..إن كان هذا هو السبب فلن يمتلك هذا الرجل حديقة في المستقبل..إذا كان يمنح نزلائه من الزهور التي يحدقون فيها.

تمتمت (جورية): هل تظنين هذا حقًا؟

أومأت (جميلة) برأسها وقالت: أجل..عليك الذهاب إلى الحفلة والتحدث معه كذلك..وضعي خجلك جانباً وألا فستحصل عليه تلك اللئيمة (أسيل)..إن كان معجباً بك فسيخبرك وإن كنا مخطئين فقد حسمتي أمرك.

ثم نهضت وقالت باسمة: سأغادر إلى المطبخ فعلي غسل الصحون مع والدتي.

وغادرت ولكنها ما إن سارت في الممر حتى فتح (فارس) باب حجرته وجذبها وأغلق الباب وهمست به: ماذا تفعل..إن رأنا أحد فسأنتهي.

قال وهو يتحسس خصلات شعرها: لن يرانا أحد...ومشكلتنا ستنتهي قريبًا..لقد ألمحت ل (فاروق) بموضوعنا.

شهقت في رعب ولكنه هتف مسرعاً: لاتخافي...قريبًا أتزوجك رسميًا.

***

ظل (يوسف) صامتًا لثوان ثم مد يده بهدوء فخلع السماعات من أذنه ووضع هاتفه جانباً..ظل صامتًا ساكناً في مكانه يفكر بعمق وقد صدمه قليلًا ما سمعه للتو ثم نهض حاملاً هاتفه وتوجه إلى حجرة جدته وطرق الباب برفق حتى أذنت له بالدخول فدلف إلى الحجرة..لم تكن قد نامت بعد فنظرت نحوه متساءلة.

أشعل المسجل لتسمع المناقشة التي دارت للتو بين (جوري) و(جميلة) ثم قال: الأمر بدأ يأخذ منحى جديد غير مقصود.

-ماذا تقصد؟

-أظن أنها بدأت تعجب بي كرجل..لم يكن هذا مقصدي..أردت أن تنبهر بأخلاقي وشهامتي فتقبل شراكتي معها في الشركة..هكذا أتمكن من أسترداد (ورد الجوري).

-يمكنها أن تنبهر بك وتعجب بك في نفس الوقت.

-ماذا؟

تأملته جدته بصبر ثم قالت: أعجابها بك كرجل سيدفعها إلى قبول الشراكة معك..تعلم أنها ترفض نهائياً هي و (فاروق) أي شراكة بأي شكل..أخبرتك كم عدد المستثمرين الذين حاولوا من قبل معهما..بل لقد أبلغنا المحامي اليوم صباحًا بأنها الآن صارت تملك 100% من أسهم الشركة..ومع قوانين الأستثمار الجديدة في البلد لايمكن لأحد أن ينزع منها سهماً.

وصمتت قليلًا ثم قالت: أخبرني يا (يوسف)..هل لديك خبرة مع النساء؟..هل أحببت من قبل؟

رد بصراحة: لا..بل لم أتحدث حتى مع أي زميلة من قبل.

أرتفع حاجباها في أندهاش..تدرك أن للمجتمعات الشرقية عاداتها فقد تربت فيها لفترة ولكن بقائها في الغرب لسنوت طويلة قد غير فيها الكثير وأصبحت تتوقع أن أي شاب حتمًا يمتلك صديقة أو مر بعدة تجارب للحب..ولكنه الآن يعترف لها أنه لم يَخبَر النساء ولم يشعر بالحب أتجاه فتاة من قبل.

قالت محذرة: أياك ان تقع في حب تلك الفتاة...نحن لسنا في فيلم هابط هنا..هل تفهم.

رد بثقة: لن أفعل فلا تقلقي.

***

مساء يوم الخميس:

حرص (عزمي) على أبهار ضيوفه بشكلٍ بالغ هذه المرة، فتم تزيين القصر والحديقة بشكلٍ كامل وأحضر فريقاً من خدم الفنادق أضافة إلى خدمه..ووضع الأضاءة المبهرة في كل مكان و(البوفيه) المفتوح ممتليء بما لذ وطاب من أشهى المأكولات والأطعمة أضافة إلى بار يقدم العصائر والخمور..وكانت في الحديقة فرقة تعزف موسيقى رقيقة حالمة..و فتيات رقيقات يرقصن الباليه من وقتٍ لأخر..أما (أسيل) فقد أرتدت فستان سهرة رمادي ضيق ليبرز رشاقتها..مفتوح من الظهر والصدر قليلًا بينما وضعت مساحيق التجميل بشكلٍ أحترافي زادها جمالًا.

وصلت سيارة (يوسف) الفارهة وهبط منها السائق مسرعاً ليفتح الباب ل(يوسف) وجدته التي أرتدت طقماً من الألماس وصبغت شعرها فأختفت بعض الخصل الشائبة التي كانت قابعة وسط شعرها وتوجه (عزمي) لأستقبالهم إلى داخل القصر بحفاوة وقال وهو يقدم أبنته:أبنتي (أسيل)..أتمت عامها العشرين..هذا السيد (يوسف) ووالدته السيدة (بيرين) هانم.

قالت (أسيل) باسمة: تشرفت بحضوركما.

وناولت يدها إلى (يوسف) ليقبلها ولكنه وضع في كف يدها علبة صغيرة وقال : كل عام وأنتِ بخير.

بدا عليها الضيق وهي تفتح العلبة مغمغة: شكرًا.

ثم بدت منبهرة من القلادة التي تنتهي بزهرة من الألماس داخل العلبة ونسيت سلوكه السابق في ثانية.

راح (عادل) يرمقه شزراً فتجاهله تمامًا ووقف يتحدث مع (عزمي) وبعض رجال الأعمال بينما جلست جدته مع زوجة (عزمي) وبعض النسوة يتحدثن.

وصلت عائلة (أكرم نعمان) بعد نصف ساعة أخيرًا..كان (أكرم) متأنقاً وزوجته (فيروز) بدت رائعة الجمال وقد صبغت شعرها باللون الكستنائي ووضعت أحمر شفاه صارخ..كان معهم (فارس) الذي أسرع نحو (عادل) و(أسيل) ليصافحهما بحرارة ومرح..ثم ظهر (فاروق) وقد بدا أنه يعاني حقًا من وجوده في هذا المكان الآن..ثم ظهرت (جورية)..كان القلق والتوتر من لقاء (يوسف) اليوم قد أصابها بالأرق مما جعل الهالات تحت عينيها تظهر من جديد..وكانت لا تحب مساحيق التجميل لذا اكتفت ببعض الكحل وأحمر شفاه بلون وردي رقيق..وقد أرتدت فستاناً أبيض بأكمام به زهور ورديه كبيرة وأحاط خصرها النحيل حزام أبيض عريض وتركت شعرها المموج يهبط على ظهرها بينما جمعت خصلة من كل جانب على شكل ضفيرة أنسدلت على ظهرها..كانت الوحيدة تقريبًا في الحفلة بدون مساحيق وقد جعلها هذا في حد ذاته مميزة وبارزة.

بشكلٍ عام فإن أغلب الحضور بدا كأنهم يستعرضون ثرائهم وجمالهم وثيابهم وكأنهم في منافسة رجالاً ونساءً وكانت (جوري) خارج تلك المنافسة ليس لأنها أقل منهم ولكن لكونها بسيطة وبريئة لاتبالي بكل هذا..ويمكن القول أن (فاروق) كذلك كان مثل أخته وقد أكتفى بأرتداء ثياب عادية وصفف شعره ولكنه ترك ذقنه شبه النابتة وكان يسير مقطب بعض الشيء عاقداً يديه خلف ظهره بمشية شبه عسكرية تعكس طبيعته المنظمة الصارمة.

وتطلع (عزمي) نحو العائلة ثم قال: أه..(يوسف) بك..

-نادني (يوسف) فقط.

-(يوسف) ياعزيزي..أسمح لي بأن أقدم لك صديقي السيد (أكرم نعمان)..أنه صاحب شركة (النعمان وابنائه) للأستيراد والتصدير وأبنته هي المالكة الرئيسية لشركة (ورد الجوري).

قال (يوسف) في حيرة مصطنعة : شركة (ورد الجوري)..أليست هي من ضمن أهم 20 شركة في الأتحاد كله؟ في مجال التجميل أظن.

رد (عزمي): بلى..مرحبًا (أكرم)..دعونا نتعرف..هذا الضيف المهم هو السيد (يوسف أوغلوا).

تطلع (يوسف) إلى (أكرم) وبذل مجهوداً كبيرًا حتى لاتتغير ملامحه الودودة وهو يصافح (أكرم) ويتأمل ملامحه التي تشبه ملامح أخوه المغدور إلى حد كبير لولا النظرة القاسية في عينيه وملامحه الصلبة ووسامته الأقل.

عاد (عزمي) يقول بحماس: هذه هي مدام (فيروز)..وهذا أحم..(فاروق) الأبن الأكبر والمسئول عن إدارة شركة (جوري) بالكامل..وأين (فارس) و(فادي)؟

ردت (فيروز) ضاحكة: (فارس) مع أبنك..أما (فادي) فلديه تدريب في النادي اليوم.

عاد (عزمي) يقول وهو يشير إلى (جوري) التي جاءت خلف أخوها الكبير: وبالطبع هذه الجميلة (جورية)..لقد ألتقيت بها من قبل في الغردقة.

رد (يوسف) باسمًا في مودة:هذا صحيح.

قال (فاروق): أسمح لي بأن أشكرك من صميم قلبي..لقد أخبرتني شقيقتي بمروءتك عندما كانت مريضة.

كان وجه (جوري) قد أصطبغ بحمرة خجل داكنة وأحمرت أذنها كذلك وقد أطرقت في حياء وتوجهت (فيروز) مع (جوري) إلى (أسيل)..وتبعتها الفتاة بأحباط.

بعد نصف ساعة قامت (أسيل) لأطفاء الشموع وغناء أغاني عيد الميلاد مع المدعوين..وكان قالب الكعك مكون من خمس أدوار وفاخر..وتوجه المدعوون إلى البوفيه وجلس (يوسف) مع جدته و (عزمي) وزوجته و(أكرم) و (فيروز) و(فاروق)

و (جوري) على أحدى الموائد وقالت (أسيل) في رقة: (يوسف) بك..ما هو رأيك في بلدنا وفي الأتحاد؟

رد باسمًا وهو يتناول طعامه في رقي:أنطباعي عنها ممتاز حتى الآن...شعوب الأتحاد طيبو القلب غزيرو العواطف بشكلٍ مختلف عن شعوب أوروبا.

قالت (أسيل): ألا ترى معي أن تلك في الواقع نقطة ضعف تجعلنا متأخرين.

مط (يوسف) شفتيه وقال: ربما عندما يتعلق الأمر بالأعمال..ولكن تلك المشاعر الدافقة نقطة قوة في مواضع أخرى.

تدخل (عزمي) قائلًا: بمناسبة الأعمال..يمكنني تقديمك للعديد من رجال الأعمال الناجحين والمحترمين مثلي تمامًا.

هنا لم يتمالك (فاروق) نفسه فتمتم في سخرية: مثلك؟

سمعه كل الجلوس على المائدة وتطلع اليه والديه بأستنكار ونظر اليه (عزمي) بغضب بينما تظاهر (يوسف) بأنه لم يسمع ما قيل وقال: عفوًا؟

رد (فاروق): كنت أقول أنك ستجد بعض رجال الأعمال مثل السيد (عزمي) تمامًا.

جاء نادل معه صفحة عليها كوؤس بها نبيذ أحمر فأشار اليه (فاروق) في صرامة ألا يضع شيئًا أمامه وكذلك فعلت (جوري) بينما قال (يوسف): ُأفضل بعض العصير.

قال (عزمي):أنت أيضًا لا تشرب الكحوليات يا سيد (يوسف)..كنت أحسب حياتك في أوروبا ستجعلك مختلفاً عن شعوبنا.

-كيف هذا يا سيدي؟

-نحن الآن في مناسبة سعيدة والناس في المناسبات يشربون ويمرحون إن هي إلا ساعة أو ساعتين.

قالت (جورية) بغتة بصوتٍ متردد: ولكن..الخمور محرمة.

استدارت العيون نحوها مما زاد أحمرار وجهها ولكنها كررت في إصرار: لايمكن للأنسان أن ينسلخ من دينه لساعة أو ساعتين أو وقتما يحلو له.

رد (أكرم): من يدري لمن سيغفر الله في الأخرة.

تمتم البعض موافقين فتطلع (فاروق) إلى أخته بنظرة : لاتحاولي مع هؤلاء.

ثم نظر نحو مائدة (فارس) في صرامة ليتأكد من أن أخوه لا يشرب من النبيذ ثم عاد يتناول طعامه.

تأمل (يوسف) (جوري) بنظرة سريعة..الآن تأكد..لدى تلك الفتاة نزعة للتدين..كانت والدته متدينة وكانت ثيابها دومًا واسعة فضفاضة وغطاء رأسها كبير الحجم وطويل وقد أعتاد وقتها بأن يحكم على الناس من مظهرهم الخارجي من حيث الدين والأخلاق..كان هذا الحكم غير عادل ومتحيز وهو قد أدرك هذا الآن خاصة في سفره.

وعزفت موسيقى بطيئة بعد ذلك تصلح للرقص ونهض (عزمي) مع (أكرم) لمحادثة رجال الأعمال والضيوف وقالت (أسيل): هلا رقصت معي يا (يوسف)؟

نهض قائلًا بتهذيب: سيسعدني هذا.

أختلست (جوري) نظرة سريعة نحوهما ثم عادت تنظر أمامها صامتة وقالت (فيروز): والدكم قد أنشغل بالعمل..سأنهض وأرقص مع ابني (فارس) إذًا.

ونهضت بدورها وبقيت (جوري) مع أخوها الكبير الذي قال:هذا الفتى جيد.

ثم نهض قائلًا: سأذهب إلى الحمام وسأعود سريعًا.

جلست (جوري) صامتة بينما الشباب والبنات والرجال والنساء يرقصون وسمعت بغتة صوتاً لزجاً يقول: هلا رقصتي معي تلك الرقصة؟

كان هذا (عادل)..الوغد مازالت لديه الوقاحة كي يحدثها عن الرقص.

ردت ببرود دون أن تنظر نحوه: أغرب عن وجهي.

قال في أصرار: لن أدعك حتى تسامحينني..تعلمين أنني أحبك يا (جوري).

ردت وقد بدأت تغضب حقًا: أنا لاأحبك ولن أحبك أبداً.

ولكنه جلس على المائدة بجوارها وقال: لن أتركك..أعرف أنك ستسامحينني ونعود كما كنا.

ردت في أنفعال:لم يكن هناك شيئًا بيننا لنعود اليه..والآن أنهض قبل أن يأتي (فاروق) ويؤدبك.

رد وهو يمد يده محاولًا أمساك كفها:لست بحاجة لمن يؤدبني وأنا لا أخاف من أخوك.

نهضت فنهض بدوره ووقف أمامها بجسده الذي يشبه الغوريلا وهنا قامت نادلة كانت تحمل صفحة عليها أكواب الشاي الساخن بالأصطدام بظهره ليغرق السائل الساخن ظهره.

أما النادلة فكانت فتاة في الثلاثينات من عمرها ترتدي حجابًا ولها بشرة خمرية وعيون سوداء وملامح مريحة وقد جاءت اليوم إلى القصر من ضمن نادلات الفندق للقيام بالخدمة في الحفلة وحينما أصطدمت ب (عادل) وُسكب ما كانت تحمله على ظهره استدار نحوها في شراسة وصرخ: أيتها الحمقاء الغبية.

كان صوته مرتفعاً وجذب الآنتباه خاصة حينما صفع النادلة ثم دفعها بيده فأسقطها وهي تشهق في ذعر.

تطلعت اليه (جوري) مذعورة وراحت تنقل بصرها بينه وبين النادلة وقد تسارعت ضربات قلبها وبدت كأنها على وشك النشيج والبكاء وتوقفت الموسيقى وتوقف الرقص وتطلع الجميع تقريبًا نحو ما يحصل وقبل أن يفتح (عادل) فمه من جديد فوجيء بلكمة موجهة إلى وجهه..كلا لم يكن هذا (يوسف) بل كان (فاروق) الذي عاد من الحمام ووجده يقف أمام أخته فتوجه نحوه ينوي تأديبه حينما أصطدمت به النادلة وحدث كل هذا..وقد رأى (فاروق) بعينه أن النادلة تعمدت فعل هذا ويبدوا أنها تنبهت إلى كون (عادل) يتحرش بالفتاة فتصرفت تلقائياً.

تلقى (عادل) اللكمة وبرغم أنه أقوى جسدياً من (فاروق) ألا أن الأخير كان على أستعداد أن يحطم قبضته في وجه هذا الوغد..ولكن الوغد لم ينطق وظل صامتًا خوفاً من ردة فعل أبيه.

أسرع (أكرم) و(عزمي) لأيقاف المشاجرة والفضيحة وأشارت زوجة (عزمي) إلى الفرقة كي تعاود عزف الموسيقى

وقالت باسمة: لابأس..لابأس..موقفٌ عابر.

نهض (عادل) وعيونه تقطران سماً وهو يتطلع إلى (فاروق) الغاضب.

وقال (عزمي) محدثاً النادلة: أنتِ أيتها الغبية..كيف يقوم (نجيب) بك بالسماح لك بالعمل..أعتبري نفسك

مفصولة وسأكلم البك بنفسي..أخرجي من القصر هيا.

لم تنطق النادلة بكلمة بل حاولت النهوض وهي تترنح..كانت قريبة جدًا من (فاروق) فمد يده يعينها على النهوض..وكانت دموعها تسيل في صمت.

ثم استدارت فجأة وقالت ل (عزمي) في تحدي: هلا أعطيتني أجر الليلة؟

تطلع اليها (عزمي) في ذهول ثم قال: أخرجي من هنا..لا أجر لك..وأحمدي ربك انني لن أرفع عليك قضية تعويض فقد أحرقتي ظهر أبني.

وقالت زوجة (عزمي): سأتصل بالطبيب ليفحصه..هيا يا سادة عودوا إلى الحفلة فمازال الوقت مبكراً.

الغريب أن الجميع عادوا إلى الرقص والمرح والحديث وكأن شيئًا لم يحدث..ولكن (يوسف) أستأذن مرافقته وعاد إلى الطاولة حيث جلست (جوري) مع أخوها الكبير وقد أنضم اليهما (فارس) وراح يحدث أخيه ويهدئه.

قال (فاروق) فجأة محدثاً شقيقته التي شحب وجهها: سأبحث عن تلك النادلة وأوظفها منذ الغد لدينا.

ابتسمت (جوري) في شحوب ولم تعلق.

قال (يوسف): هذا ال(عادل) ليس على مايرام.

مضت ثوان من الصمت بينما الموسيقى تعزف والناس ترقص وتمرح

وجدت (جوري) الفرصة متاحة أخيرًا للتحدث معه فأستجمعت شجاعتها وغمغمت: شكرًا.

كان صوتها مبحوحاً مرتجفاً بسبب الخجل فتطلع اليها (يوسف) في حيرة لأنه لم يسمعها فعلًا فتنحنحت وقالت: أردت أن أشكرك على هديتك.

رد وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة: أه...لقد كنت أخشى أنها لن تعجبك وإن كان أهتمامك بها في الغردقة قد أشعرني أنك تحبين النباتات وتفقهين أنواعها.

قالت باسمة:أنا أحب النباتات كثيرًا..أنا أدرس الهندسة الزراعية وسأتخصص في هندسة الحدائق.

كان (فاروق) قد هدأ وبدأ يتابع محادثتهما في صمت بينما أنهمك (فارس) في الكتابة على حاسوبه الصغير في حجم كف اليد.

قال (يوسف):لم أكن مخطئاً تمامًا حينما حسبتك معجبة حقًا بالكامبيون.

غمغمت في حرج:أنا أسفة حقًاالآنني تقيأت عليك وقتها.

ولم تتمالك نفسها من الأبتسام حينما تذكرت وقال (يوسف) وهو يضحك: لقد أعتذرت عن هذا الموقف كثيرًا وأنت حقًا لست بحاجة لأي أعتذار.

وأردف قبل أن ترد:أتوقع الآن أنك ستعملين على أكثار تلك الزهرة.

ردت:أجل.

ثم تخلصت من خجلها بعض الشيء وقالت باسمة: في شركتنا نفتخر بأننا نستخدم النباتات والأعشاب الطبيعية في منتجاتنا..نقوم بزراعتها بأنفسنا في حديقة ضخمة تابعة للشركة.

كان (يوسف) يعلم أن تلك في الأصل كانت فكرة والده فقال: فكرة رائعة..ولكن من صاحب الفكرة..فكرة الشركة والحديقة؟

ردت: والدي ووالدتي رحمها الله.

لم يعلق وظل صامتًا تبدو ملامحه ساكنة لاتعكس ما يشعر به داخل قلبه.

جاءت (أسيل) في تلك اللحظة بعد أن أنهت الرقصة تركض نحو المائدة وقالت في شيء من الغيرة:عما تتحدثان؟

رد (يوسف) دون أن ينظر نحوها: عن الزهور النادرة.

صفقت (أسيل) بيدها وجلست قائلة: رائع..انا أحب الزهور..هل رأيت حديقتنا؟

رد (يوسف): القيت نظرة..أنها حديقة جميلة.

قالت (أسيل) بعد أن شربت من كأس الماء الموضوع أمامها: ماذا عن الزهور النادرة؟..أراهن انها جميلة جدًا؟

رد (يوسف): في الواقع أغلبها ذات جمالًا عادي..ما يجعلها نادرة هو أنها قليلة العدد بشكلٍ كبير..هناك زهور جميلة للغاية وموجودة في كل مكان.

كتم (فاروق) أبتسامته وفهمت (أسيل) ما يرمي اليه بشكلٍ ما فقالت بجفاء: ما فائدة الزهرة العادية..أن لم تكن الزهرة رائعة الجمال فلا جدوى منها.

لم تكن (جوري) تفهم ما يقولانه وظنت بحسن نيتها أنهما يتحدثان حقًا عن الزهور فقالت: بعض الأزهار النادرة جميلة حقًا يا (أسيل).

وأردف (يوسف):الواقع أن ندرة تلك الأزهار يمنحها جاذبية وجمالًا خاصاً لا يتعرفه ألا من يُقدر الأزهار حقًا.

قال (فاروق) باسمًا:كلامٌ صحيح.

نهضت (أسيل) وقالت: ساذهب لأستكمل الرقص..أظن أنك لن تشاركني يا (يوسف) بك؟

رد الأخير:مع الأسف..أرغب في الجلوس والتحدث عن الأزهار النادرة.

شمخت بأنفها وتوجهت بعيدًا عنهم.

بدا الأهتمام أخيرًا على وجه (فاروق) وقال ل (يوسف): سمعت أنك من أصول عربية.

تحدث (يوسف) مع (فاروق) قليلًا وقد أسعده أن يترك لدى هذا الأخير أنطباع جيد.

وقال (فاروق): أسعدتني معرفتك حقًا..ولكن علينا المغادرة الآن وأتمنى أن أراك ثانية.

قال (يوسف) باسمًا: أجل..لقد أكتشفت والفضل لذلك يرجع إلى (عزمي) بك أنني أسكن قريبًا منكم وسيسعدني أن أدعوكم للغداء عندي الأسبوع القادم أو في أي يوم آخر مناسب لكم..أرغب كذلك في العمل مع شركتكم فسمعتها تسبقها على حسب علمي وأن يديرها رجلًا محترم مثلك أمرًا يدعو للطمئنينة والثقة.

ولكن (فاروق) رد ليحسم الأمر:في هذا أعتذر كثيرًا..ولكننا لانتخذ شركاء ولا نقيم صفقات مع مستثمرين..منتجاتنا محلية نحصل عليها من حديقتنا وما نحتاج لأستيراده نتعامل وقتها مع شركة والدي للأستيراد والتصدير.

ثم مد يده يصافحه بقوة وأشار إلى أخوه الذي توجه ليدعو والديه للمغادرة.

وقال (يوسف) ل(جوري): أسعدتني فرصة لقاءك من جديد.

أحمر وجهها خجلاً وخفق قلبها وهي تغمغم: شكرًا.

شعرت بعدها بالغيظ..أي رداً هذا..كان يجب أن تقول "وأنا أيضًا" او مثلاً "فرصة سعيدة"ولكن بدا أن هذا الرد لم يضايق (يوسف) أو يحرجه..غادرت عائلة (أكرم نعمان) وركبوا سيارتهم وجلس (يوسف) مع جدته ربع ساعة أخرى ثم قرر الآنصراف.

***

أثناء العودة إلى المنزل شرد ذهن (جورية) وهي تتطلع على الطريق من نافذة السيارة بينما جلس (فارس) يشاهد مسلسلاً على تلفاز السيارة وراح (أكرم) يتحدث مع (فاروق) قائلًا: تضرب (عادل) من أجل نادلة لاتعرفها..هل جننت؟

رد (فاروق) في غضب: كان كذلك يضايق (جورية)..لقد لمحته وكنت أنوي الفتك به.

ردت (فيروز): أنه يحاول مصالحتها لاأكثر.

هم (فاروق) بردً غاضب ثم تغيرت ملامحه فجأة وقال للسائق: أوقف السيارة.

تطلع اليه الجميع بحيرة ثم نظروا إلى الخارج..إلى النادلة التي تمشي الهويني على الطريق ومازالت تبكي بصمت وهتف (أكرم) بلهجة أمرة: دعك منها.

ولكن (فاروق) بدا عليه التردد ثم حسم أمره وغادر السيارة وقال: يا أستاذة؟

لم ترد وأن بدا عليها الضيق..لاشك انها تحسبه يعاكسها او يتحرش بها في هذا الوقت وهذا الطريق ولكنه عاد يقول: أنتِ تلك النادلة من الحفلة...أنه أنا.

استدارت اليه في خوف ثم تعرفته فغمغمت: ماذا تريد؟

وألقت نظرة حذرة على السيارة فوجدت أفراد الأسرة جالسة فقال: إذا سمحتي يمكننا أن نوصلك في طريقنا إلى منزلك.

-شكرًا..سأذهب إلى محطة الحافلات..لقد أقتربت منها.

-لاتوجد محطة حافلات في المنطقة..أقرب واحدة على بعد نصف ساعة..على الأقل دعينا نوصلك إلى هناك.

-لاداعي..سأسير اليها.

-في هذه الساعة وهذا الطريق؟ أركبي من فضلك فالسيارة واسعة.

خرجت (جوري) وقالت باسمة: تفضلي من هنا.

دلفت النادلة إلى السيارة في تردد فقالت (فيروز) مستنكرة: ماهذا؟

رد (فاروق) بحسم:سنوصلها إلى محطة الحافلات.

رد (أكرم): أبني..لايوجد مكان.

رد (فاروق) في ضيق وتهذيب: هناك مكان لها..ستجلس بجوار (جوري).

عاد السائق يقود السيارة وبعد فترة صمت قالت (جوري) في رفق باسمة: أي شهادة تحملين؟

ردت النادلة:أنا خريجة كلية حاسب ألي وكنت افكر دومًا بالعمل في الشركات وقد كنت بالفعل أعمل في واحدة..ولكنها أفلست وتركت العمل.

قالت (جورية): وهكذا عملتي في الفندق؟

ردت وهي تومىء برأسها: أنا لا أحب العمل هناك على أي حال..مواعيد العمل صعبة وأنا لدي طفلة صغيرة عمرها 6 سنوات.

ثم أخرجت من حقيبتها صورة مجسمة لطفلة وأرتها أياها فقالت (جوري) باسمة:طفلة جميلة..ماشاء الله..بارك الله لك فيها.

غمغمت النادلة: شكرًا لك.

وبدا أنها ترغب في قول شيئًا ما ولكنها صمتت.. بعد دقائق وصلت السيارة إلى محطة الحافلات وقالت (جوري):تعالي غدًا إلى شركة (ورد الجوري)..أنها في المهندسين في شارع (...)...سيمنحك أخي وظيفة.

تهللت أسارير النادلة وهتفت في لهفة: حقًا؟

تدخلت (فيروز) فقالت مستنكرة وهي تنظر إلى ثيابها المتواضعة: ليس لدينا مكان شاغر.

رد (فاروق): لدينا في شركة (جورية)..عم (أسماعيل) صارحني برغبته في التقاعد منذ فترة.

غمغت النادلة: شكرًا لكم..أنا أسمي (نبيلة) بالمناسبة ومعي كل أوراقي وملفي الأمني وكل شيء.

رد (فاروق): سوف نرى.

غادرت السيارة وعلى وجهها ملامح الأمتنان ثم جلست على مقعد المحطة صامتة حيث جلس بعض الأشخاص كذلك وأنطلقت السيارة.

وداخل السيارة هتفت (فيروز): ستمنحها مكان عم (أسماعيل)..أنت تكره أن يكون سكرتيرك أنثى..فما الذي تغير؟

رد (فاروق): سأخبرك يا أمي..ما تغير أن تلك الفتاة تعرضت للرفت بسببي..فلولا أنني ضربت ذلك الوغد لما غضب (عزمي) إلى هذه الدرجة وشكاها لمدير الفندق وطردها..هذه نقطة..الثانية هي أنني رأيت وأنا قادم من الحمام ماحصل..الفتاة كانت تنظر اليه وهو يضايق (جورية) ويبدو أنها حاولت التدخل لمساعدتهالآنها كانت تقف مترددة تتطلع اليه ثم توجهت نحوه في حذر ولولا أنه نهض فجاة لما أنسكب عليه الشاي.

هتفت (جوري) و(فارس) و(أكرم) معًا: حقًا؟!!

رد: أجل..وثالثاً وأخيرًا..ربما حان الوقت كي أتغير وأن أجرب أن تكون سكرتيرتي أنثى..خاصة أنها عملت في شركة من قبل..ثم إنها أن كانت غير كفء فسأنقلها فورًا فالعمل لايوجد فيه مجالاً للعواطف..سأضعها شهراً تحت الأختبار.

حاولت (فيروز) البحث عن شيئًا ما فقالت: أنا غير موافقة..ستسبب المشاكل مع عائلة (عزمي) وقد تجرح

مشاعره وهو صديق العائلة منذ زمن.

رد (فاروق) في غيظ: أنا لا أعتبره صديقي ولا تهمني مشاعره.

***

جلست (نبيلة) في محطة الحافلات صامتة لعدة دقائق ثم ظهرت سيارة فارهة وقفت أمام المحطة وفتح بابها بصمت فنهضت ودلفت إلى السيارة وأغلق الباب ثم تحركت السيارة مبتعدة بزجاجها الداكن وداخل السيارة تساءل (يوسف): إذًا.

ردت باسمة: لقد حصلت على وظيفة السكرتيرة الخاصة ب (فاروق) بك.

قالت جدته: كيف توقعت هذا؟

رد (يوسف) في بساطة: لقد علمت من مصادرنا أن السكرتير الشخصي ل (فاروق) يرغب في التقاعد فالراجل في أواخر الستينات وقد تعب ومساعده الشاب قد حصل على وظيفة أفضل وبضعف المرتب في ليبيا..إذًا الوظيفة شاغرة..بقي فقط أن يقبل (فاروق) والأمر سهل إذا شعر بالذنب أتجاه (نبيلة) أو بالأمتنان..لهذا طلبت منها أن تعد نفسها في الحفلة

وتتحين فرصة محاولة (عادل) مضايقة (جوري)..هكذا سيشعر بالأمتنان.

قاطعته جدته: وكيف عرفت أن (عادل) سيتصرف هكذا مع (جوري)؟

رد (يوسف) باسمًا: لأن (عادل) ضبع..وككل الضباع جبان ولكنه وغد وأنتهازي..دعك من أنه شديد الغرور وغير ناضج ومدلل..لن يترك (جوري) تفلت بسهولة لا عن حب ولكن لأنه لايحتمل فكرة أنها تركته أو لا تهتم به وهو من أعتاد الأهتمام من البنات دومًا من أجل ثروته أو مكانته.

ثم تطلع إلى (نبيلة) وقال: عملاٌ ممتاز..وكان الحظ حليفنا كذلك..فلم أتخيل أن يعود (فاروق) ليشاهد ما فعلتي..توقعت أن تخبره أخته عنك.

غمغمت جدته: أو لعله القدر لا الحظ.

قالت (نبيلة): والآن علي إثبات تفوقي في العمل.

رد (يوسف): وهو أمرًا سهل نظراً لخبرتك وبراعتك السابقة.

-وجمع المعلومات من الداخل وأسرار الصفقات حتى يتم ضربهم في الوقت المناسب وتدمير الشركة وأفلاسها.

هتف (يوسف) في صرامة: كلا.

تطلعت كلتاهما اليه فقال: لن أدمر شركة والدي..وظيفتك الآن أولًا أن تنقلي الي تفاصيل الصفقة التي تتم الآن بين (ورد الجوري) وبين (النعمان وأبنائه)...سوف أوجه ل (أكرم) ضربة قاسية.

ثم تطلع إلى (نبيلة) وقال: تصرفي كأي موظفة عادية..إن لديهم حضانة خاصة لأبناء العاملين دون سن التاسعة..

أصطحبي أبنتك اليها..لايجب أن يشك أحد بك لحظة.

-مفهوم.

***

وفي قصر (عزمي) قال متحدثاً مع زوجته: ماذا قال الطبيب؟

كان الوقت بعد منتصف الليل وقد أنتهت الحفلة وقالت زوجته: قالآن الأمر بسيط للغاية..بل أن الشاي لم يصل إلى الجلد بسبب الثياب ولكن أبنك اصر على أنه متعب ويرغب في دواء مسكن.

تنهد (عزمي) وقال: لقد بُليتُ بهذا الولد..مشاكل لاتنتهي مع كل من نحتاجهم..وأنتِ يا (أسيل)..ماذا فعلتي مع (يوسف)؟

ردت باسمة في سخرية: ليس مهتماً.

-ماذا تعنين؟ كيف لا يهتم بشابة رائعة الجمال وثرية مثلك.

-إنه لا يحب الزهور الجميلة ويفضل الزهور العادية لأنها نادرة..أو شيئًا ما.

-ماذا تعنين؟

-أعني أنه غير مهتم بي على الأطلاق..لقد حاولت على كل حال ولكنه أحمق ولا يستحق واحدة مثلي فلينعم مع العادية.

-أي عادية؟

تطلعت (اسيل) إلى والدها وقالت: (جوري).

***

في صباح الجمعة أصطحبت (جوري) هاتفها معها فقد كانت تتابع بعض المواضيع والأبحاث والدراسات عن نوع جديد من الزيوت مفيد للشعر وكان الهدف من دراستها تلك المنتج الجديد الذي ستطرحه شركة (ورد الجوري) قريبًا.

كان الجميع ملتفون حول المائدة وقال (أكرم): أخبرني (عزمي) أن الأستثمار مع ذلك الشاب فرصة ذهبية حقًا..قالآنه خلال يومين سوف يوقع معه عقد أستثمار بمبلغ 10 مليار.

صفرت (فيروز) بفمها وقالت وعيناها تلمعان: واو...لاعجب أنه كان يستميت كي يقدم له أبنته وكي ينال موافقته على الأستثمار.

ثم تركت الشوكة من يدها وقالت: عزيزي..ألا يمكننا نحن أيضًا أن نستثمر معه..ما رأيك يا (فارس)؟

رد (فارس):لقد عرض بالأمس على (فاروق)..

قاطعه (فاروق): وقد رفضت.

هتفت (فيروز) مستاءة: ولماذا؟

غمغمت (جوري): إن اضطررنا يومًا إلى أحتياج مستثمر أو شريك فهو شخصاً مناسب.

وقال (فاروق): ولكننا غير مضطرين حاليًا.

قالت (فيروز) بلهفة: ولكنك صاحبة الشركة يا (جوري).

ردت (جوري): ولكنني أتفق مع أخي..لا أحب الشراكة ولا المستثمرين..الشركة ناجحة ومميزة بمنتجاتها وليست بحاجة لأحد.

نفخت (فيروز) في غضب وقال (فاروق): (جوري)..أتركي الهاتف وتناولي الأفطار يا حبيبتي.

وفي قصر جدته خلع (يوسف) السماعات عن أذنه وقال: ليكن..سأجعلك تضطر إلى أدخالي في الشركة يا (فاروق).

***

الفصل السادس

(اللقاء الثاني)

أستيقظ (فاروق) في السادسة صباحًا كعادته في الأستيقاظ المبكر..فرش أسنانه وأستحم وهبط إلى الطابق الأرضي..كانت الخادمة (ملك) تستيقظ باكراً خصيصاً من أجله وكلما أمرها ألا تفعل تتجاهل كلامه..تعد له أفطاراً بسيطًا وترفض السماح له بتناول فنجان قهوة مؤكدة أنها خطرة على صحته في الصباح ثم تتمنى له يومًا مباركاً..يصل (فاروق) إلى الشركة في السابعة والنصف فيتوجه إلى المصعد الخاص به ويصعد إلى الطابق العشرين حيث مكتبه..يلقي التحية على (أسماعيل) السكرتير والمساعد الأول ثم يتوجه إلى مكتبه ليبدأ عمله.

هذه المرة كانت (نبيلة) تجلس على مكتبها المجاور قليلًا لمكتب (أسماعيل) فقال (فاروق): إذًا قد تسلمتي العمل.

ردت باسمة: أجل يا سيدي.

قال (فاروق): (أسماعيل)..هذه الموظفة تحت الأختبار لمدة شهر..أريد رأيك الأمين في عملهالآنها ستتسلم العمل مكانك بعد تقاعدك.

ودلف إلى مكتبه لينهمك في العمل.

قال (أسماعيل): أسمعيني جيدًا..البك يصل إلى الشركة في السابعة والنصف صباحًا..يجب أن تكون التقارير الخاصة بالمشروعات التي يتابعها لديه..ترسليها إلى حاسوبه مباشرة..في التاسعة يشرب قدحاً من القهوة تحرصين على طلبها من مقصف الشركة..هم يعلمون نوعية القهوة المفضل لديه..المكالمات نوعين..مكالمات هامة تتعلق بالعملاء المهمين وستظهر بياناتهم أمامك على شاشة الأتصال وهؤلاء توصلينهم بالبك في الحال وكذلك شقيقته الآنسة (جوري) توصليها في الحال..هناك مكالمات العملاء الأخرين أو بقية أفراد الأسرة أو مديري الأدارات وهؤلاء لايستقبل البك أتصالهم ألا من الساعة العاشرة وحتى الثانية عشر فيما عدا هذا فهو مشغول فتتلقي منهم رسالة بما يودون مناقشته معه..إنه يغادر مكتبه إما للأجتماع أو للصلاة ويتناول غدائه في الساعة الثانية والنصف ظهرًا بالضبط فعليك قبلها بثلث ساعة أن

تسأليه إن كانت لديه رغبة في وجبة معينة..حولنا العديد من المطاعم والمهم أن تنتقي طعامًا صحياً..قوائم الطعام والمطاعم ببياناتها لديك على الحاسوب فلا تقلقي.

رفعت (نبيلة) يدها وغمغمت: لدي طفلة..هل يمكنني الأستئذان والذهاب لأحضارها من المدرسة الصيفية؟

تنهد (أسماعيل) ثم قال: لهذا البك لا يعين مساعدات..أسمعي..لدينا في الطابق الأول مركز لأبناء العاملات به معلمات ومشرفات محترمات ويقدمون فيه وجبات للأطفال وهو يقبل الأطفال الرضع وحتى سن 8 سنوات ومجاني..يمكنك إحضار أبنتك اليه لأن مواعيد العمل كسكرتيرة شخصية حتى السادسة مساءً...سأسمح لك بالآنصراف لنصف ساعة..متى ترغبين في هذا؟

غمغت: مهلًا..ساعات العمل من السابعة والنصف حتى السادسة.

رد: هذا عادة..أحيانًا يسمح لنا بالمغادرة في الرابعة..لماذا تحصلين على ضعف المرتب العادي في رأيك..عامة لدينا ساعة استراحة..نصف ساعة تبدأ من الساعة الواحدة ونصف ساعة أخرى في الرابعة.

جلست على مكتبها وبدأت العمل في همة ونشاط وتركيز..حفظت ما قاله لها الرجل وفي التاسعة كان فنجان القهوة أمام (فاروق) الذي لم يرفع عيونه عن شاشة الحاسوب وهو يتمتم لنفسه ببعض الكلام عن البيانات..ولعله لم ينتبه من قدم القهوة اليه في الأساس.. أصبحت الساعة الواحدة فغادر المكتب معلناً انه ذاهب للمصنع وسيعود خلال ساعة.

بمجرد رحيله قال (أسماعيل) وهو يغادر: لن أتأخر..سأذهب إلى المقصف لتناول شيء وسأعود.

وجدت (نبيلة) نفسها تقبع على مقعدها في الحجرة لوحدها..كانت حوائط الحجرة مطلية بلون أبيض يتخلله خط من اللون الأزرق..والحجرة مزينة بنباتات الزينة في أركانها..والأرضية من الرخام الأبيض وقد تم تغطية جزء منها بسجادة متوسطة الحجم وفاخرة..أما مكتبها فقد كان مطابقاً لمكتب (أسماعيل) في الشكل ونوع الخشب والتصميم..وعلى مكتبها الحاسوب المحمول وهاتفين..إحدهما داخلي مباشر مع

(فاروق)..والأخر للمكالمات الخاصة بموظفي الشركة والمكالمات الخارجية..له شاشة تظهر الرقم وأسم المتصل..وبجوار كل مكتبة سلة مهملات صغيرة..وأمامها مباشرة باب مكتب (فاروق) وهو أكثر أتساعاً وله نفس لون الطلاء ونفس لون الأرضية ومزود بأرائك وثيرة وطاولة صغيرة وعدة مقاعد وواجهة من الزجاج..ولدى (فاروق) جهاز تحكم يتيح له أسدال غطاء على الزجاج فيختفي ما يدور في مكتبه عن أعين مساعديه.

تأملت (نبيلة) باب مكتب (فاروق)..أنها لوحدها في الحجرة وهي فرصة ذهبية كي تتسلل إلى مكتبه وتعثر على تفاصيل الصفقة بين شركة (ورد الجوري) وشركة (النعمان وأبنائه)..ولكن الحجرة مزودة بكاميرا وحتمًا ستلتقطها ولن يكون لها اليوم عذر تبرر به دخول المكتب في غياب الجميع..فلتصبر يومًا أو حتى عشرة.

كانت (نبيلة) فتاة من أسرة متوسطة..عاشت مع والديها وشقيقها التوأم وشقيقها الصغير وتخرجت من كلية علوم الحاسوب..بعد تخرجها لم تعثر على عمل الا في فندق كموظفة استقبال وحينما بلغت الثالثة والعشرين تزوجت زميلها في العمل وأنجبت منه طفلتها وأستقرت حياتها..كانت سعيدة وهانئة.وكان زوجها طيب القلب حلو المعشر فأحبته حقًا.. ثم منذ عامين وفي أول أيام عيد الفطر..كانت تبيت مع ابنتها عند والديها وقد ذهب أخوها التوأم الذي أمتلك سيارة مستعملة أخيرًا لأحضار زوجها بدلًا من معاناته في المواصلات العامة..ثم وصلها خبر وفاة كليهما في حادث على الطريق.

أنهار والدها..فقد كان أخوها التوأم هو دعامة الأسرة الثانية وقرة عين والديه..ثم أصيب بأزمة قلبية وتوفي على أثرها..تم القبض على سائق سيارة أجرة أعترف بأنه من تسبب في الحادث..حكم عليه بالسجن لعشر سنوات إلا أن بعض الشهود كانوا مصرين على أن من تسبب في الحادث سيارة فارهة وليست سيارة أجرة..وأنتهى الأمر..صارت أرملة كسيرة الفؤاد وابنتها يتيمة وكذلك زوجة أخيها وطفليه..وليس لزوجها ألا معاش بسيط فأضطرت للنزول إلى العمل كي تنفق على أبنتها وعلى نفسها في فندق راق يشتهر بطعامه الشهي الذي يقدمه طاه محترف شهير،ثم وقعت المصادفة.

كانت قد حفظت كل شيء عن قاتل زوجها وأخيها..أسمه..عنوانه وأسرته..في هذا اليوم بينما تعمل نادلة في مطعم الفندق فوجئت بزوجة القاتل وأبنائه يتناولون الطعام..كانت معلوماتها أن السائق مجرد سائق سيارة أجرة فقير لذا من الصعب نوعًا أن يأتي أفراد أسرته لتناول الطعام في مطعم فندق خمس نجوم تكلف فيه الوجبة الواحدة مرتب شهر كامل كما أن ملابسهم كانت تدل على الثراء وراحت تراقبهم فوجدت أن سلوكهم وأسلوب الحديث فيما بينهم يدل على وضعهم الأجتماعي المتدني..فقر مع جهل وأنعدام ثقافة فهل أصبحوا أثرياء فجأة؟..هل ورثوا ثروة ما؟..ثم تذكرت قول الشهود.

وبدأ الشك القديم يتملك قلبها من جديد إذ كانت تستغرب لماذا قام هذا السائق بتسليم نفسه والأعتراف وهو يعلم أنه سيحصل على حكم مشدد لأن الحادث غلطته بالكامل..وهكذا ذهبت إلى الشهود وهما رجل صاحب بقالة صغيرة تقع في نفس الشارع الذي وقع فيه الحادث ومساعد له وتناقشت معهم مطولًا..أخبروها بمواصفات السائق كما لمحوها وقتها..شاب يقود سيارة حمراء اللون (بي إم دبليو) وبعد تلك المناقشة أزدادت حيرتها وغضبها..من حطم حياتها وحياة أسرتها قد أفلت من العقوبة كما يبدو..وأعترف هذا الأحمق بأرتكابه للحادث حتى يحصل على المال لأسرته..أتصلت بالمحامية التي وكلتها للقضية والتقت بها وسألتها عن الرجل مرتكب الحادث..أتضح أنه ليس سائق أجرة،بل هي وظيفة يعمل بها مساءً كي تساعده في الحصول على بعض المال الأضافي الذي يتيح له الآنفاق على أسرته،أما وظيفته الأصلية فهي رجل أمن في شركة (عزمي الدمرداش)..أيضًا لم يتواجد على جسم السيارة مايدل على أنها كانت في حادث اللهم إلا ضربة بسيطة لاتشكل دليلاً كافياً..بحثت على الآنترنت عن (عزمي) فوجدت عدة صور له مع أسرته..من ضمن تلك الصور..صورة ذلك الشاب (عادل)..ابنه كما ذُكر في المقالة..وكان في الصورة يتكأ على مقدمة سيارته الحمراء (بي إم دبليو)..مقالة قديمة طبعًاالآنه من المؤكد أن تلك السيارة قد أختفت الآن.

أمضت أيأمًا لاتنام تقريبًا وتكتفي بالبكاء بحرقة..ظنت أن المجرم قد نال جزاءه..بل حاولت أقناع نفسها بأنها

مخطئة..خيالها قد جمح وتتوهم أعداء خياليين..ولكنها تتذكر أقوال الشهود..تتذكر أسرة السائق التي دفعت مبلغًا باهظاً وراح بعضهم يلتقط عشرات الصور ويحادثون أصدقائهم على الهواتف فقط كي يسألهم المتحدث أين هم الآن فيجيبونه كمحدثي النعم الذين يميلون إلى أستعراض أوضاعهم الجديدة أمام الأخرين.

تتذكر أن السائق أعترف بنفسه وكأنه يسعى لأنهاء التحقيقات..تتذكر أن هناك كاميرا تابعة لأحد المحال في أول الشارع لكن المحققين وجدوها لاتعمل وكأن هناك من خربها عمداً..هذا فعل لايقدم عليه رجل أمن..الحقير الأحمق وأسرته..

تركوه في السجن من أجل المال.

***

قال (كامل) المحامي وهو يتأمل وجهها الباهت وعيونها المنتفخة قليلًا: لنقل أنني أعمل مع أشخاص يجمعون أشخاص يشاركونهم الهدف.

تطلعت اليه (نبيلة)..لم تكن تعرفه لذا كانت مترددة في قبول دعوته ولكنه أخبرها بأنه سيقدم لها المساعدة للأنتقام من قاتل زوجها وأخيها لذا تبعته إلى ذلك المطعم المزدحم وجلست معه على طاولة..حاول أن يطلب لها طعامًا ولكنها رفضت فطلب لها كوب شاي.

حملقت فيه بثبات وبرود وقالت: كيف عرفت عني؟

-نحن نراقب عائلة (عزمي الدمرداش) بحذر..وقد أخبرني الرجالآنهم لمحوكِ مرتين أو ثلاثة تحومين حول شركتهم.

وشبك يديه أسفل ذقنه وأكمل:ماذا؟.هل كنتِ تنوين قتلهم مثلاً؟..تعلمين أن هذا كفيل بأعدامك وجعل طفلتك يتيمة الأبوين..هذا على فرض أنك ستتمكنين من مساسهم وهم حول حراسهم الشخصيين.

ألتمعت عيناها بدموع الغضب والأحباط وصمتت فقال بلهجة مترفقة: أنضمي الينا وسننتقم منهم.

قالت بصوتٍ مبحوح: كيف هذا؟..لايوجد دليلاً اليوم بعد أن أعترف هذا السائق وأختفت السيارة.

رد (كامل): لقد أختفت حتى أوراق السيارة من السجلات..إن (عزمي الدمرداش) يحمي ولده بكل قوة.

صمتت وراحت تحملق في بلاط أرضية المطعم وصدرها يعلو ويهبط في أنفعال مكتوم.

قال (كامل):هناك تعديل في القانون يتيح لك أن تطالبي بفتح التحقيق من جديد حتى وإن كان الحكم نهائياً..ولكن المشكلة أنه قد يتم عرقلة طلبك هذا بسبب (عزمي)..نحن نسعى للتخلص منه..وقتها سيصبح ابنه مجرد نكرة..لاشيء..و..

قاطعته:أنا معكم.

ورشفت من كوب الشاي ثم أكملت: أريد تدمير تلك العائلة كما دمرت عائلتي..أريد الآنتقام من (عادل) ومن والده الذي أخفى جريمة أبنه في قتل أثنين أبرياء وتسبب في مقتل والدي وحول ثلاث أطفال إلى أيتام وأمرأتان إلى أرملتان.

ثم تطلعت اليه وقالت: والآن..ما المطلوب مني؟

رد باسمًا: أنا لم أخبرك بعد عن الشخص الذي أعانهم على أخفاء أوراق السيارة بالكامل..أسمه (أكرم نعمان)..

قاطعته ثانية: لا أهتم..فقط أخبرني بالمطلوب.

-حسنًا..ستقدمين طلب عمل في فندق (..)..إن (عزمي الدمرداش) يطلب منهم دومًا عمال في أي أحتفال يقوم به..أنت لديك خبرة في العمل وسيقبلون توظيفك غالباً..إذا رفضوا فسأتصرف.

-هل سأستقيل من عملي الحالي؟

-أجل..تلك هي الخطوة الأولى..بعد شهراً من الآن سيصل (يوسف) بك ويتواصل معك.

-ولكن..هل سيقيم هذا الوغد حفلة قريبًا؟

-نحن متأكدون من ذلك..سيفعل كي يتعرف على البك..سيخبرك (يوسف) بالدور المطلوب منك.

-ولكن..هذا عمل يوم واحد..هل سأسرق وثيقة ما او...

-بل الهدف هو أن تعملي في شركة لاعلاقة لها ب (عزمي الدمرداش)..قريبًا ستعرفين التفاصيل.

-ليكن.

***

أنتهت (جوري) من فحص الزهور ثم وضعت عليها ناقوس زجاجي كتب عليه (نطاق مغذي حيوي) ثم نهضت راضية فقالت (جميلة) وهي تسير نحوها: (فيروز) هانم طلبت مني أبلاغك أن تستعدي لدعوة (يوسف) بك.

غمغمت (جوري) مرتبكة: هل..هل أتصل بوالدي وأكد الدعوة؟

-يبدو ذلك..لا أدري..ستذهبين إلى دعوة الغداء في بيته..أليس كذلك؟

ردت (جوري): أجل..لقد دعانا جميعًا..و(فيروز) هانم متحمسة لرؤية قصرهم وهي تثرثر عن هذا منذ يومين.

وكانت (جوري) قد خصصت موضعاً في الحديقة للزهرتين واسع وأحاطته بأحجار صغيرة على سبيل السور ثم وضعت فوق المكان الناقوس فالزهرة لها ظروف بيئية معينة كي تزدهر.

دلفا إلى القصر وتوجهت (جميلة) إلى المطبخ بينما هتف (فادي) منادياً اخته فتوجهت نحوه باسمة وكان جالساً في الصالة الثانية وأمامه شاشة مجسدة عليها لعبة وهتف متحمساً:تعالي ألعبي معي قليلًا.

جلست بجواره فناولها مكعب مثل الذي في يده وقال: أنها اللعبة الجديدة..أشعر بالممل الشديد فاللعب بدونك غير ممتع.

لعبت معه لنصف ساعة ثم قالت باسمة: حسنًا..لقد هزمتك..هل نلعب مرة أخرى؟

-بالتأكيد وهذه المرة سأهزمك.

-نسيت أن أسألك..أليس تخرجك من تدريب الكاراتيه يوم الأحد القادم؟

-أنت الوحيدة التي تذكرتي..أجل..ستحضرين مع ماما ..أليس كذلك؟..بابا و(فاروق) سيكونان مشغولان في العمل..وكذلك

(فارس).

-بالطبع سأتي..هل تظن أنني أفوت حدث كهذا..وسأخرج معك فيما بعد لنحتفل نحن الأثنين فقط ونتناول الأيس كريم الذيذ.

-ممتاز..أنا من سيدعوك...فسأكون قد تسلمت مصروفي الشهري.

دلفت (فيروز) وتطلعت اليهم ثم قالت وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها: هل أخبرتك (جميلة) بما طلبته منها.

ردت (جوري): أجل.

-إذهبي لشراء ثوباً جديد وأنيق وكفي عن شراء الفساتين..غيري تصاميم ثيابك لو سمحت..وأذهبي إلى صالون التجميل قبلها بيوم.

-لما سأفعل كل هذا؟

-لاتناقشيني..فقط نفذي الأمر ولو لمرة.

قالت جملتها الأخيرة في سخط وكأن (جوري) تخالفها وهو ما لا يحدث..فالفتاة تطيعها معظم الوقت درءاً للمشاكل.

-متى تلك الدعوة؟

-أتصل (يوسف) بك بوالدك ودعانا يوم الخميس القادم..أستعدي إذًا.

-أجل

***

دلف (يوسف) إلى المكتب وألقى التحية على (كامل) المحامي وجلس..جاءت جدته وجلست بدورها وأحضرت أحدى الخادمات أقداح القهوة وغادرت.

قال المحامي: أستلمت (نبيلة) العمل وخلال يومين ستقوم بأول مهمة لها..والآن تقريري عن شركة (عزمي الدمرداش)

فهي مكونة من 21 طابق..وكما تعلم يا بك فأن الطابق العشرين هو مكتب السيد (عزمي) وسكرتيرته وبعض الموظفين الكبار فقط..المصاعد الخاصة بالشركة تصل حتى الطابق العشرين فقط..أما الطابق الواحد وعشرين فلا يوجد به نافذة واحدة ولا حتى أبواب ولا سلم..الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذ الطابق والمغادرة منه فقط مصعداً خاص.

أعتدل (يوسف) في مجلسه وبدا عليه المزيد من الأهتمام وقال: أكمل من فضلك.

عاد المحامي يقول:هذا المصعد في الجانب الشرقي من الشركة وعليه حارسان وكاميرات مراقبة تغطي جميع الزوايا..ولكن تلك ليست المشكلة..المصعد نفسه مبرمج بشكلٍ خاص كي يصعد فقط للطابق الواحد والعشرين وينتظر فقط لمدة 10 دقائق ثم يهبط وبعدها لن يصعد ثانية قبل 6 ساعات..وأيضًا هو لايعمل ألا ببصمة الصوت واليد المخصصة ل(عزمي الدمرداش)..أضافة إلى كاميرا مراقبة داخل المصعد..ورقم سري يتغير كل شهر.

ابتسم (يوسف) وقال بثقة: وبعد؟

-وإذا تمكنت أخيرًا من الصعود..فالطابق ليس به سوى خزانة والخزانة مكونة من غرفة مصفحة بها جهاز كمبيوتر عليه كل أسرار الشركة وصفقاتها وخلافه وله كذلك كلمة سر..أما خزانة (عزمي) فهي باب أخر داخل الخزانة الرئيسية.

هتف (يوسف): أجل..بالتأكيد..وبداخلها حتمًا الذاكرة الألكترونية.

عاد المحامي يقول: الباب مصفح ولايمكن إختراقه ولا حتى بالقنابل طبعًا..وهو يفتح بكلمة سر لايعرفها أحد سوى (عزمي) شخصياً حتى زوجته وأبنائه لايعرفون

الكلمة..ثم لابد من وضع إبهامك لفحص البصمة وأخذ عينة من الدم لتحليل الفصيلة والتأكد من أنك (عزمي) وكذلك فحص لبصمة العين..وهناك أمر هام للغاية..وقد أكتشفته بصعوبة بالغة وبعد أن سافرت إلى اليابان حيث شركة هيوري التي صممت برنامج الحماية..إذا أدخلت كلمة السر خطأ فلا توجد

محاولات أخرى..ستحترق الخزانة بما فيها ومن يقف عند الباب.

قال (يوسف): ممتاز..أحسنت عملك.

رد المحامي وهو ينهض:فقط..دعني أراه في السجن...سأنتظرك في السيارة.

هتفت جدته: ماهذا؟..الأمر يبدو صعباً للغاية..بل هو مستحيل.

رد (يوسف) في ثقة:على الأطلاق..المشكلة الوحيدة هي معرفة كلمة السر..والآن علي أن أستعد للذهاب إلى (عزمي) بك..سيسر قلبك يا (كامل) قريبًا فلا تقلق.

- شكرًا لك.

***

أخيرًا دلف (يوسف) إلى شركة (عزمي الدمرداش) بجواره المحامي بينما وقف (عزمي) لأستقباله وبجواره محاميه الخاص بدوره..صافح (عزمي) (يوسف) بحماس وقال: شرفتني زيارتك.

كان كلاهما يرتديا بدل باهظة الثمن رفيعة المستوى وقد حرص (يوسف) على أن تكون كل ثيابه باهظة وأنيقة وعالمية وكان يدرك أن (عزمي) قد لاحظه من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه في ثوان.

أشار اليه (عزمي) كي يسير إلى حيث المصاعد وأشار (يوسف) إلى المصعد الشرقي وقال: حسبت أن هذا هو المصعد..أعني أنه في مكان خاص وكأنه مخصص لك ولكبار الزوار.

رد (عزمي):أه..كلا..أنه مصعد مخصص لخزانة الشركة.

-فهمت.

جلس الأربعة في مكتب (عزمي) الوثير الواسع وتأمل (يوسف) مشهد نهر النيل من النافذة الزجاجية العريضة وقال:

هذا البلد جميل حقًا..الواقع انني أفكر جدياً في الأستقرار هنا إلى الأبد.

رد (عزمي): هذا خبر جميل للغاية..أتمنى أنا أيضًا أن تفعل..سيسعدني أن تكون صديقاً وشريك عمل لي.

-وأنا كذلك.

أخرج (كامل) العقود ووضعها على الطاولة..تناولها (عزمي) بلهفة وراحت عيناه تقرأن التفاصيل والشروط وعلى شفتيه إبتسامة ثم سرعان ما تجمدت تلك الأبتسامة وأختفت وبدا الأحباط المجسد على ملامحه وهو يقول:هل..هل ستستثمر مليار جنيه يا (يوسف) بك؟

بالطبع كان المبلغ كبيرًا ومذهلاً لأي شخص حتى ل(عزمي) نفسه ولكن طبيعته الشرهة للمال راحت تمنيه بأنه سيتملك

كما سمع من (يوسف) قبلاً عشر مليار ولهذا شعر بكل هذا الأحباط وقال (يوسف) وقد أدرك أنه نجح في التأثير عليه وعلى شفتيه أبتسامة خفيفة باردة: أجل..ونادني (يوسف) فقط.

-أعني..لقد قلت من قبل أنك ستستثمر عشرة مليار جنيه..ههه..لقد..كانت لدي مشروعات كبيرة..

قاطعه (يوسف) وهو يضع ساقاً على ساق:الحقيقة أنني لا أستطيع المغامرة بنصف ثروتي دفعة واحدة..ربما في المرة القادمة.

-ليكن..بالطبع.

وبوجهٍ كالح عاد يقرأ العقود بصمت ثم قال: بند العقوبات..أنه قاسٍ جدًا..إذا فشل الأستثمار..إذا لم أستطع أعطائك الأرباح وأعادة المبلغ اليك خلال شهرين فعلي دفع عشرة ملايين جنيه غرامة.

-حسبتك قلت أنك ناجح في عملك..وقد أخبرني محاميك أنك قادر على إعادة المال والأرباح خلال شهرين.

-ليكن.

وقام بتوقيع العقد.

***

رغم أرتفاع درجة الحرارة في هذا اليوم الثلاثاء كان العاملون في شركة (ورد الجوري) لايشعرون بذلك حيث تعمل أجهزة تكييف الهواء المركزية على خفض الحرارة..وفي الساعة الواحدة أعلن (فاروق) أنه سيغادر وقال لمساعديه: لن أتأخر.

نهضت (نبيلة) مسرعة وحيت (أسماعيل) وغمغمت: سأذهب لأصطحاب ابنتي..أعدك أنني سأحضرها إلى مركز رعاية أطفال العاملين منذ الغد.

ثم أنصرفت..أثناء ركوبها إلى المصعد أرسلت عبر هاتفها رسالة ل (يوسف) ثم قضبت وهي تقرأ رده وغمغمت: لم علي أن أستغل أبنتي؟

وأسرعت الخطى نحو مرآب الشركة..تطلعت في حذر إلى كاميرتا المراقبة..كانت تدرك ماذا تفعل ومشت بسرعة في أتجاهات لاتلتقطها الكاميرا فيها سوى من زاوية صعبة ووقفت خلف سيارة تتطلع إلى (فاروق) وهو يركب سيارته بينما يدور السائق حول السيارة ليركب في مقعد القيادة وقال (فاروق): توجه بنا إلى المشروع..من الأفضل أن ترتفع إلى الطريق الدائري فالطريق الأخر مزدحم.

رد السائق: أجل سيدي.

وتراجع بالسيارة للخلف استعدادً للمغادرة حينما اصطدم بشيءً ما فأوقف السيارة بسرعة.

وهتف (فاروق): ماذا حصل؟

رد السائق: أظنني صدمت فتاة ما.

هبط (فاروق) مع السائق ثم أتسعت عيناه وهو ينظر إلى (نبيلة) الراقدة على الأرض تتأوه.

بدا القلق على ملامح (فاروق) وهو يسأل (نبيلة): هل أنتِ بخير؟..هل أنقلك إلى المشفى؟

غمغمت: أنا بخير..لقد سقط وألتوى كاحلي قليلًا.

بدا نفاذ الصبر على (فاروق) وهو يقول للسائق: أتصل بالأمن وأجعلهم يحضرون طبيبًا لفحصها وخذها إلى غرفة الأستراحة.

ولكن (نبيلة) تحاملت على نفسها لتنهض وتأوهت في ألمٍ واضح فقال (فاروق): رجاءً..أبقي مكانك.

غمغمت:علي الذهاب وأحضار أبنتي من المدرسة الصيفية..لقد تأخرت بالفعل ولا أريد أن أتركها لوحدها.

هتف (فاروق):هذا صحيح..نسيت سؤالك عما تفعلينه هنا..هل أذن لك (اسماعيل)؟

ردت: أجل..لنصف ساعة فقط.

عاد يقول: هل تستطيعين الوقوف؟

ردت: في الواقع كلا.

-هل يمكنك الأتصال بأقاربك أو زوجك لأحضار الطفلة؟

-والدتي مريضة وأخي صغير وزوجي مات منذ سنوات.

وحدق فيها (فاروق)..لم يتصور أنها ارملة..لسبباً ما ظنها متزوجة او مطلقة.

قال في ضيق: ليس لديك أقارب ولاتستطيعين الذهاب وأحضارها...من رأيي أتصلي بالمدرسة وبعد أن يعطيك الطبيب دواء ما أستقلي سيارة أجرة وأذهبي لأحضارها.

تمتمت وهي تعاود محاولة النهوض:المدرسة صارمة..لن ينتظرونني..بل أظنها الآن تجلس في الشارع في أنتظاري.

تطلع (فاروق) نحوها لحظة ثم تنهد في أستسلام وغمغم: أين مدرستها؟سأطلب من السائق الذهاب وأحضارها.

ردت: أنها في شارع ال(...) أنها مدرسة الأشبال الصيفية للتنمية وأنشطة الطفل.

كان العنوان في الواقع في طريقه وجاءت أثنتين من الأمن النسائي فعاوناها على النهوض ووقف السائق ينتظر التعليمات فقال (فاروق) للسائق:سنذهب إلى مدرسة أولًا ثم إلى المصنع ثم ستعيد الطفلة إلى هنا وتأتي بعد ذلك

لتقلني.

غمغمت (نبيلة): سيدي..شكرًا لك حقًا...أه..سأتصل بالمدرسة لأخبرهم بقدومك.

لم يجبها وكان يبدو متضايقًا في الواقع وعلى وشك رفتها..صعد إلى السيارة وتوجه السائق حيث العنوان الذي أخبره به..مضت فترة صمت ثم قال (فاروق) بغتة: حينما نعود سأفصلها من العمل.

تطلع السائق اليه عبر المرآة ولم يعلق فعاد يقول: هل رأيت في حياتك مدير شركة يعطل عمله كي يحضر أبنة أحدى العاملات؟ طبعًا لا..تلك الغبية عطلتني عن عملي وكادت ُتقتل تحت عجل السيارة وتجلب لي المصائب والآن تحولت أنا إلى مربية لأبنتها.

وزفر في ضيق وهتف فجأة: أقسم بالله لولا أنني أشفقت على الطفلة من أن تظل في الشارع وتتعرض للأخطار لأمرت الأمن بطرد أمها خارج الشركة فورًا..هل هي وظيفتي أن أحضر لها ابنتها من المدرسة؟

كان (فاروق) يشعر بأنه أهين نوعًا ما على الرغم من أنه في نفس الوقت لم يكن يمانع كثيرًا من أحضار الطفلة..شعور غريب هذا.

عاد يقول للسائق: هل توافقني؟

رد السائق بتلقائية: أجل يا سيدي.

توقفت السيارة أمام المدرسة وهبط السائق ودلف من البوابة بينما تطلع (فاروق) إلى ساعته في ضيق ثم فتح الحاسوب وراح يقرأ بعض التقارير..بعد قليل عاد السائق وقال: معذرة يا سيدي..لكن المشرفة ترفض تسليم الفتاة الي وتقول أنها ستسلمها إلى (فاروق) بك شخصياً بعد أن تطلِع على هويتك.

أطلق (فاروق) زمجرة غيظ ثم غادر السيارة وهو يتمتم بشيئًا ما غاضب ودلف إلى المدرسة وعبر المساحة الواسعة التي يوجد بها ملعبين وتوجه إلى حجرة كتب عليها "الأستقبال".

دلف فوجد سيدة صارمة شمطاء يبدو عليها الملل والضيق والرغبة في المغادرة جالسة على مكتبها رفعت عيونها نحوه وقالت: أنت السيد (فاروق أكرم)..أريد الهوية من فضلك.

أخرج من جيبه الهوية وتطلعت اليها السيدة بأهتمام ثم نهضت وقالت: الفتاة في مبنى الهوايات..في الغرفة الثانية..رجاءً أسرع فأنا أريد أغلاق المدرسة والمغادرة.

قال بغضب جعل الموظفة تجفل: أنتم حريصون حقًا على مصلحة الأطفال..لابد من الأطلاع على هويتي طبعًا ولكن لابأس لديكم في القاء طفلة في الشارع لأن والدتها تأخرت.

وقبل أن تفتح المرأة فمه كي ترد غادر مسرعاً إلى حيث أخبرته ودلف إلى الحجرة الثانية وكان بها ألواح رسم متناثرة وعليها رسوم تشي بموهبة مبكرة وقد جلست تلك الطفلة في منتصف الحجرة متربعة ترسم في لوحة أمامها على الأرض فلما دلف رفعت عيونها نحوه.

فقال محاولًا أن يخفي غضبه وضيقه فهي لا ذنب لها: مرحبًا..أنا زميل والدتك وقد جئت لأخذك اليها.

ردت وقد توقفت عن الرسم:لا ينبغي لي أن أتحدث مع غرباء.

-انا لست غريباً..قلت لك أنني زميل والدتك..لقد سمحت لي المشرفة.

-لست من العصابات التي تخطف الأطفال؟

-كلا.

-ما اسمك؟

زفر (فاروق) في ضيق وقال بنفاذ صبر: (فاروق).

وهنا ابتسمت الطفلة وقالت بمرح:عمو (فاروق)...أسمي (نور)..هيا بنا.

ومدت يدها له مصافحة ثم أمسكت بيده وقالت محذرة: لاتترك يدي لأنني طفلة وقد أتيه منك.

وجد (فاروق) نفسه يبتسم برغمه وغادرا إلى حيث بوابة المدرسة حيث وقفت المشرفة نافذة الصبر وقالت: من فضلك يا سيدي..لاتتأخر في المرة القادمة وألا أخرجت الفتاة إلى خارج المدرسة.

هتف:أنا لست مسئولاً عن الطفلة..قولي هذا الكلام لوالدتها.

وغادر إلى السيارة وقالت الطفلة (نور):أريد أن أخبرك بسر في أذنك.

تنهد في صبر ثم ركع قليلًا فمالت على أذنه وهمست: لاتحزن من كلام السيدة غضبانة..أنها دائمًا غضبانة لهذا نسميها

بهذا الأسم.

ابتسم قليلًا ثم أشار اليها كي تدخل إلى السيارة ولكنها وقفت مترددة ثم قالت: أين ماما؟

رد :أنها في العمل..سأوصلك اليها.

دلفت إلى السيارة وجلس (فاروق) بجوارها ثم أنطلقت السيارة وقال (فاروق): عد بنا إلى الشركة.

أرتفع صوت رنين هاتف الطفلة بأغنية أطفال مرحة وقالت الطفلة: ماما.

ثم أنصتت إلى والدتها وهي تقول:أجل..أجل..حاضر..سأسمع كلام عمو ولن أغضبه..حاضر.

وأنهت المكالمة ثم قالت برصانة مضحكة: ماما تقول لك شكرًا جزيلاً.

لم يعلق (فاروق) وعاد يقرأ بعض التقارير وهو يتطلع إلى الساعة في ضيق..لقد تعطل وهو يكره هذا..يحب الدقة في عمله ويحب روتين عمله..واليوم قد أختل ذلك الروتين.

قالت الطفلة فجأة: توقف يا عمو من فضلك قليلًا.

تبًا..يتمنى ألا تخبره برغبتها في الذهاب إلى الحمام.

وقال (فاروق): لماذا؟

-أنها مفاجاة.

-لاوقت للمفاجآت.

-أنها هدية.

-لاوقت للهدايا.

بدأت الدموع تتجمع في عيون (نور).. في النهاية أنها طفلة ومن الواضح أنها حساسة أكثر مما يجب

أشار (فاروق) إلى السائق كي يتوقف فتوقف..ثم أنتفض عندما غادرت الطفلة السيارة وهتف: مالذي..

قاطعته: أنتظرني..أنها مفاجأة.

وأسرعت تركض على رصيف الشارع فأسرع (فاروق) مغادرًا كي يلحق بها فإذا بها تتوقف عند محل لبيع العصائر لمحته بلا شك منذ قليل عبر النافذة.

وقف يراقبها في حيرة وهي تتحدث مع البائع ثم تتناول منه كوبين من البلاستيك مغلفين فتوجه نحوها..استدارت اليه وناولته الكوبين وتناولت من البائع أثنين أخرين، فتطلع إلى الأكواب فقالت:هذا عصير بطيخ..أنه مفيد في الصيف..لي ولك ولعمو السائق ولماما.

بلا كلمة مد (فاروق) يده إلى جيبه ولكنها قالت: إنه على حسابي.

وقال البائع باسمًا: لابأس يا بك..الأستاذة الصغيرة تبتاع مني العصير دومًا بصحبة والدتها.

وقالت (نور): ماما تدفع لعمو المال كل شهر.

-.....

وصلوا إلى الشركة وهبط (فاروق) ومعه الطفلة وسأل عن والدتها فقال رجل الأمن: أنها بخير..وقد عادت إلى مكتبها يا(فاروق) بك.

رد: ممتاز.

بالطبع فإن (أسماعيل) قد غادر إلى المقصف وظل مكتب (فاروق) بلا حراسة ولا مراقبة وهو ما كانت تسعى اليه (نبيلة)..فدلفت إلى مكتبه بعد أن غادر (أسماعيل) بحجة أنها ستضع التقارير على مكتبه ولأن المكتب بلا كاميرا فلا خطر داخله وفتحت حاسوبه الشخصي وقامت بالحصول على كلمة السر بحكم براعتها في علوم الحاسوب وأطلعت على بعض الملفات وحفظتها..ثم نهضت مسرعة وعادت إلى مكتبها.

أرسلت الرسالة إلى (يوسف) "شركة (النعمان) ستستورد زبدة الشيا من أجل شركة (ورد الجوري)..سيتم الأستيراد من دولة مالي..الحمولة ستصل على السفينة رقم (..)..رقم المستودع (..)..ستصل الشحنة يوم(..) في ميناء (..)"

وصعد (فاروق) إلى مكتبه مع الطفلة فلما دلف إلى الطابق أسرعت الطفلة نحو والدتها هاتفة وهي تقفز إلى حضنها: ماما.

قبلتها والدتها في حنان غامر ثم طلبت منها أن تبقى هادئة ودلفت إلى مكتب (فاروق) الذي أشار اليها كي تفعل هذا وأغلق المكتب ثم استدار نحوها وقال بصرامة: كان يومي سخيفاً ومعطلاً ومتوترًا بسببك.

هتفت: أنا حقًا اسفة يا سيدي..أسفة جدًا.

أشار اليها بيده كي تصمت ثم قال:سأكون صريحاً معك وواضحاً..أنا أرغب بشدة في رفتك..ولكن رحمة بأبنتك التي لاذنب لها حقًا سأمنحك فرصة أخيرة..غلطة أخرى وسأطردك خارج الشركة..مفهوم؟

تمتمت: أجل.

-عودي إلى عملك.

استدارت صامتة وانصرفت...الحقيقة أنها لاتبالي فقد قامت بأهم مهمة موكلة اليها.

***

في المساء راحت (جوري) تتصفح أخبار (يوسف) على حاسوبها وراحت تتطلع إلى صوره المتعددة أمامها ثم أنتقت صورة منهم يبتسم فيها وراحت تتأملها في حيرة..خفق قلبها من جديد..هل هو حب أم اعجاب؟أم أنبهار؟..ربمالآنه تصرف معها بنبل في عدة مواقف..ماتعلمه أنها ليست على مايرام..كيف نجح هذا الشاب في أقتحام أسوار قلبها الفولاذية المغلقة بأحكام.

ولماذا كانت تغلق أبوب قلبها..كان ذلك بسبب أفتقادها إلى الثقة في النفس وحساسيتها وشعورها بأن من سيتقرب اليها سيفعل ذلك طمعًا في ثروتها وأموالها.

أغلقت الحاسوب وتوجهت إلى الشرفة فتطلعت إلى زهرتي الكامبيون ثم تنهدت وعادت إلى الداخل..عبثاً حاولت النوم دون جدوى..راحت تتقلب على الفراش..عليها أن تتماسك قليلًا..عليها أن تكبح هذا الشعور بالشوق الشديد لرؤية (يوسف)..وأن تفيق من نشوتها التي تغمرها الآن..ماذا إن لم يكن يحبها وأنما يتصرف معها كأخت او صديقة..سيتحطم

وقتها قلبها..قلبها الذي ظل مغلقاً لفترة طويلة..دون حب ولا أعجاب برغم محاولات العديد من الزملاء في الجامعة

أو محاولات (عادل)..لم تستطع الآنجذاب أو الأهتمام بشاب من قبل..وكانت مشاعرها دومًا تقف عند حدود الأخوة أو الزمالة لا أكثر..لم يخفق قلبها من قبل لأحد ولكنه الآن يخفق ويهتم ويختلج ويشتاق.

بدا لها يوم الخميس بعيدًا جدًا..هل ستنتظر كل هذا الوقت دون أن تراه أو تتحدث معه حتى إن كان الحديث مجرد كلمة أو كلمتين..أه يا قلبي..أهدأ قليلًا.

مضى الأسبوع بطيئاً مملاً للغاية بالنسبة ل (جوري) حتى حان يوم الخميس فأستيقظت باكراً للغاية وتطلعت إلى وجهها في المرآة باهتمام..لاهالات سوداء اليوم واضحة فقد حرصت على النوم وأراحة عينها في الأيام الماضية..شعرها على ما يرام..ووجهها مشرق..منذ متى تهتم بمظهرها؟..منذ أن أصبحت تهتم ب(يوسف) ورأيه فيها كأنثى ورغبتها في أن يراها فتاة جميلة.

أخذت حمامًا ومشطت شعرها باهتمام وهبطت لتناول الفطور مع أسرتها وكان (فاروق) قد غادر مبكراً كالعادة وكان (أكرم) يقول لأبنه (فارس) كالعادة: لما لاتتعلم من أخوك الأستيقاظ مبكراً والذهاب إلى الشركة؟

فيتثاءب (فارس) ويقول:التاسعة صباحًا ليست وقتٍ متأخراً..إن (فاروق) مجنون بالعمل.

وتقول(فيروز) كعادتها في الدفاع عن أبنها المفضل:أتركه يفعل ما يريحه.

ثم تطلعت إلى (جوري) وقالت في خبث: عجباً..تبدين اليوم مشرقة وسعيدة.

لم يكن لدى (جوري) البال الرائق أو المزاج للشجار أو الرد فأكتفت بأبتسامة غامضة وجلست لتناول الأفطار.

خرجت إلى الحديقة لتلقي نظرة على الأزهار ثم عادت إلى حجرتها لترتدي ثيابها..وكانت قد أبتاعت ثوباً باللون الجملي وله أطراف بنية وأرتدت الحذاء وقلادة رقيقة بها آية الكرسي..تطلعت إلى الساعة ففي الرابعة عصراً يعود (فاروق) ليأخذ حمامًا ويرتدي ثيابه وكذلك أبوه فسيذهب الجميع عدا (فارس).

أتجه الجميع إلى السيارة ودلفوا اليها..أن سكنه قريب في الواقع لذا لن يستغرق الموضوع سوى عدة دقائق وقالت (فيروز): كيف يبدو قصرهم يا ترى؟..(حسناء) هانم قالت أنها رأته من الخارج أثناء تريضها..ولكنني أشعر أنها تبالغ في وصفه.

بينما تصرخ (جورية) في داخلها: أسرع أيها السائق.

وصلوا أمام بوابة قصر (أوغلوا) وفتحت البوابة وشهقت (فيروز) في أنبهار وهي تتطلع إلى الفخامة الرهيبة التي يتمتع بها القصر..هبطوا من السيارة وكان (يوسف) وجدته يقفان أمام باب القصر لأستقبالهم في حفاوة.

تضرج وجه (جورية) بحمرة الخجل وأطرقت في حياء وهي ترنو إلى (يوسف).

وصافحتها جدته وقبلتها ثم دعتهم إلى داخل القصر..راح (فادي) يتطلع إلى كل ما حوله مع والدته بينما لم تهتم (جوري) كثيرًا سوى بالنظر إلى الأرض.

جلسوا في الصالة الكبيرة وجاءت الخادمة تجر أمامها مائدة عليها أصناف العصير والمشروبات الساخنة..راحت (فيروز) تثرثر عن أحدث صيحات الموضة في المجوهرات مع جدته..القى عليها (يوسف) نظرة جانبية سريعة..لاتهتم سوى بتوافه الأمور وأغلاها ثمناً..بينما شرع (أكرم) و(فاروق) في الحديث مع (يوسف) عن العمل..راح (فادي) يتابع

مايقولون بملل بينما عادت (جوري) تشعر أنها وحيدة والأهم بعيدة عن (يوسف) كثيرًا على الرغم من أن المسافة

بينهم عملياً متر.

ظلت تحدق إلى الأرض بصمت وشرود..عليها أن تعمل بنصيحة (جميلة) وتفكر في موضوع ما للنقاش..يجب أن تحاول التحدث معه وسماع صوته ولكن عن أي موضوع تتحدث..أنها لا..تدري...ربما إن...

هنا لكزتها زوجة أبيها فأنتفضت ووجدت الجميع يتطلع اليها وكأنهم ينتظرون شيئًا ما..شعرت بالحيرة فقال (فادي) باسمًا: هل كنتِ شاردة؟

تنحنح أخوه (فاروق) في صرامة فسكت وقال (يوسف): كنا نريد معرفة رأيك في مسألة الأعمال الخيرية والمجتمعية التي لاتمنحنا الحكومة عليها تخفيضاً في الضرائب.

مضت فترة صمت..أحمر وجهها بشكلٍ ملحوظ وشعرت بالأرتباك ثم تذكرت أن عليها أن تنطِق بشيءً ما فقالت (جوري) بصوتٍ مرتجف قليلًا: تلك الأعمال تضاعف دخلنا في الواقع.

أطلقت (فيروز) ضحكة ساخرة قصيرة وقالت: على الرغم من أنها في الواقع المالكة الفعلية للشركة ولكنها لاتعرف شيئًا عن أدارة الأعمال أو الشركات.

صمتت (جوري) ولم تعلق فقال (أكرم): يا بنتي نحن لا نتحدث عن الأعمال التي تجعل الحكومة تخفض ضرائبنا...الا ترى معي أنها سياسة ممتازة يا (يوسف) بك؟

رد (يوسف) باسمًا:بالتأكيد..أنها تشجع رجال الأعمال وأصحاب الممتلكات على القيام بمشاريع تفيد الفقراء والمجتمع وفي المقابل تنخفض ضرائبهم بشكلٍ كبير.

قال (فاروق): أضافة إلى دفع الزكاة السنوية بالطبع.

قال (يوسف): بالطبع.

ثم تطلع إلى (جوري) وقال: ألن تكملي شرح وجهة نظرك؟

رفعت عيونها اليه وغمغمت: ماذا؟

وهتفت (فيروز): أي وجهة نظر؟..لقد أخبرتك أنها لاتعرف عن أدارة الأعمال مع الأسف.

رد (يوسف) ببرود:أظن أن ردها لم يكن نابعاً من جهل بالأعمال على الأطلاق..إن منحتها فرصة للكلام فستشرح وجهة نظرها.

تطلعت اليه جدته محذرة وأحتقن وجه (فيروز) في غضب ومضت ثوان من الصمت ثم قالت (جوري):الأعمال الخيرية التي لا تشمل تخفيضاً في الضرائب تزيد من دخلنا كما قلت برغم ذلك..وهذا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: مانقص مال عبداً من صدقة.

ابتسم كلاً من (يوسف) و (فادي) وغمغم (فاروق): كلام صحيح.

ولكن (فيروز) قالت: كلام فارغ...أقصد كلامك.

أحتقن وجه (جوري) ولم ترد فقالت (فيروز): نحن ندفع الضرائب ونقوم بالأعمال الخيرية وندفع الزكاة...هل نحن مقصرون حتى ننفق أموالنا على المعدمين؟..بعقلية كهذه قد يفقد المرء ثروته..ولن يجد وقتها من ينفق عليه.

قالت (جوري): الصدقة ت..

قاطعتها (فيروز): انا أعلم ما هي الصدقة يا عزيزتي وأعلم أهميتها ولكننا نخرجها بالفعل.

صمتت (جوري) ولكن (يوسف) تطلع اليها مشجعاً..أومأ لها ايمائة خفيفة غير ملحوظة أن تكمل فعادت تقول: الصدقة لايكون لها مقابل سوى عند الله وألا لن تكون صدقة.

تطلعت اليها (فيروز) بنظرة ساخطة ولكنها أردفت في تحدي:وعليه فأن الأعمال مقابل خصم الضرائب لاتعتبر صدقة حقيقية والله أعلم.

كانت أول مرة تقريبًا ترد ل(فيروز) ضرباتها الخبيثة والفضل ل(يوسف)..ألتقت عيناها بعينيه فأطرقت في خجل.

وضع الطعام الشهي وكانت المائدة فاخرة وممتلئة بمختلف الأصناف وجلس الجميع يأكل وقالت جدته :كنا نود الأستفادة من خبرتكم في معرفة ناد ممتاز للأنضمام اليه..كنا أعضاء في نادي(..) في أوروبا ولكن ليست لدينا فكرة عن مصر.

قال (أكرم): أن نادي (..) نادً راقي ورائع ونحن أعضاء فيه منذ زمن وكذلك عائلة (عزمي الدمرداش) بالمناسبة..فيه كذلك أنشطة مختلفة..أليس كذلك يا (فادي)؟

وقال (فادي): لدي حفلة تخرج يوم الأحد القادم من تدريب الكاراتيه في النادي.

قال (يوسف) باسمًا: سأبدأ أجراءات الآنضمام غدًا..وسأحضر حتمًا حفل تخرجك.

ابتسمت (جوري) في سعادة ولكنها أسرعت تخفي إبتسامتها في فزع..ستراه ثانية يوم الأحد ومن وقتٍ لأخر في النادي..ولكن لايجب أن تبدي سعادتها بأمرًا كهذا أمام الجميع.

وبينما يشربون الشاي جلست (فيروز) مع جدته يلعبون الورق وقال (يوسف):في ذهني عدة مشاريع..المشروع الأول هو مصنع لأنتاج المواد الغذائية المختلفة..بجودة عالية وسعر مناسب وبالتعاون مع شركتكم...شركة (النعمان).

تساءل (فاروق): ولم لاتفتح فرعاً لشركاتك هنا؟..لم تترك أعمالك في أوروبا وتبدأ في الأتحاد من جديد.

كان (فاروق) شديد الحذر فيما يتعلق بالأعمال وشركاء العمل وقد بدا أبوه متضايقًالآن أبنه يضيع عليه فرصة ذهبية للأستثمار مع هذا الملياردير.

أرتبك (يوسف) قليلًا فهو لم يكن مستعداً لهذا التساءل البديهي وشعر بالغضب من نفسه..كيف لم ينتبه لتلك الثغرة في خطته.

أنقذته جدته من أرتباكه إذ قالت وهي تبتسم في لطف:أعمال زوجي رحمه الله كانت كازينوهات للقمار وفندقاً يا عزيزي.

فوجيء (يوسف) نفسه بتلك المعلومة ونظر (فاروق) اتجاه (بيرين) بنظرة حادة فقالت: إن ولدي كما ترى لديه ميل إلى التدين لهذا يريد ألغاء كل شيء والبدء بأعمال حلال هنا في مصر..لقد قام بتصفية أغلب الأعمال في الخارج وجاء بنا إلى هنا لبداية جديدة..أتمنى أن تساعدوه.

هتف (أكرم): بالطبع.

صمت (فاروق) وإن بد أنه يفكر في أمرًا ما وقال (أكرم):ماذا عن مشاريعك الأخرى؟

وهنا لم تتمالك (فيروز) نفسها فقالت في لهفة: سمعت أنك عرضت الشراكة أو الأستثمار على أبني (فاروق)؟

رد (فاروق): أنا رفضت العرض لأن سياستي هي عدم قبول مستثمرين أو شركاء.

قال (يوسف): ربما في المستقبل..والآن بالحديث عن المشروع الأول.

بدا الأهتمام على وجه (أكرم) وقال: ولكن شركة (النعمان) هي شركة أستيراد وتصدير.

رد (يوسف): وهي الشركة التي أرغب بأن تصدر منتجات مصنعي وتستورد لي الخامات الغير متاحة في الأتحاد.

التمعت عيون (أكرم) و(فيروز)..وعاد (يوسف) يقول وقد لاحظ لمعة الطمع في العيون: المشروع الثاني هو الأستثمار في البورصة وقد وقعت العقد مع (عزمي) بك.

تساءل (أكرم): وهل هناك مشروع ثالث؟

قال (يوسف) باسمًا:أنه مشروع شخصي في الواقع.

وأردفت جدته في أهتمام: أنه يفكر أخيرًا بعد ألحاح مني في الزواج والأستقرار.

ندت منهم همهمات متفهمة وقالت (فيروز): لدي عروسة مناسبة تمامًا لمركز ومكانة (يوسف) وغنية وجميلة..مارأيك يا (يوسف)؟

رد (يوسف) باسمًا: الحق أنني لن أتزوج ألا فتاة أحبها قبل كل شيء..حتى وإن كانت فقيرة أو من أسرة عادية.

وقالت جدته في لهفة مصطنعة: من هي تلك العروسة؟

ابتسمت (فيروز) وكانت (جوري) تجلس بجوارها فوضعت كتفها حول عنق الأخيرة وقالت وعلى شفتيها أبتسامة قاسية: أنها....

أحتقن وجه (جوري) بشدة وبدت دموع الخجل تغزو عيونها..مالذي تفعله زوجة أبيها بالضبط..هل جنت؟

أكملت (فيروز):...(أسيل) أبنة (عزمي).

ثم تطلعت إلى (جوري) وقالت بلهجة تشجيع زائف وهي تضربها على رأسها بمزاح مصطنع: أنها صديقتك يا (جوري)..حدثيهم عنها قليلًا.

أطل الضيق من ملامح (فاروق) بينما لم يبدو أن (فادي) فهم ما حصل بسبب صغر سنه وتطلع (أكرم) نحو زوجته في أستهجان صامت.

لقد ردت (فيروز) الضربة إلى (جوري)..إنها خبيثة وقادرة على ايذاء تلك الفتاة الرقيقة وقادرة على التملص من تهمة ايذائها..ذكره سلوكها بالأفعى.

بدت الشفة السفلية ل(جوري) ترجف..كان هذا قاسياً ومن الواضح أن (فيروز) شعرت بأعجاب (جوري) ب(يوسف)

وقررت السخرية وأهانة الفتاة بهذا الشكل الغريب الفظ.

هنا أطلق (يوسف) ضحكة مفاجئة..تطلع اليه الجميع وحتى (جوري) فقال: عفوًا..ولكن (أسيل)...رباه..كلا..تلك الفتاة أبعد ما يكون عن فتاة أحلامي.

قالت (فيروز) في سخط :كيف هذا؟ هل فتاة أحلامك فقيرة قبيحة؟ أم ماذا؟

رد باسمًا: المال والجمال..لاأحتاج إلى أي منهما..فأنا ثري ووسيم...فتاة أحلامي يا سيدتي هي زهرة نادرة وليست مجرد زهرة جميلة.

ابتسمت (جوري) أبتسامة خفيفة..وتعكر مزاج (فيروز) لنهاية الأمسية وحينما عادو إلى القصر فتح (فارس) باب

حجرته بحذر وتطلع يميناً ويساراً في الردهة ثم أشار إلى (جميلة) فغادرت حجرته مسرعة بينما صعدت (جوري) إلى

حجرتها لتغير ثيابها وسمعت صوت شجار (فاروق) مع (فيروز) فابتسمت.

غيرت ثيابها ثم فتحت الحاسوب وفتحت صورة (يوسف) وتطلعت اليها وأتسعت أبتسامتها ثم أغلقت الحاسوب وهبطت إلى الطابق السفلي وكان (فاروق) جالساً على أريكة في الصالة يتطلع إلى التلفاز في صمت وضيق أما (أكرم) فكان يهتف بزوجته:هل يجب ان تظهري ملامح زوجة الأب؟..ماهذا الذي فعلتيه وأياك ان تتظاهري بأنك لم تتعمدي ما قمتِ به..لقد أحرجتي البنت وأحرجتني وأحرجتي الجميع وحسبتك ستتحدثين عنها علناً بهذا الشكل الفج حقًا..من حسن الحظ أنك تحدثت عن (أسيل).

هتفت به (فيروز):لا تتحدث معي بتلك اللهجة.

قالت (جوري) وهي تهبط السلم: بابا...من فضلك كف عن الشجار فأنا لاغاضبة ولا حزينة.

ثم توجهت إلى المطبخ باسمة بحركات مرحة لتبحث عن عصير تشربه..أمام نظرات زوجة أبيها.

هتفت (فيروز) وهي تجلس على الأريكة: لم تصرخ بوجهي هكذا..سيرتفع ضغط دمي..هل تحاول قتلي يا (أكرم).

هم (أكرم) بقول شيئًا ما ثم توقف حينما أرتفع رنين هاتفه وتطلع إلى المتصل ثم قال :ماذا هناك؟..ألو..ماذا؟..همم..ما..

ماذا؟

أحمر وجهه وبدا عليه الغضب والتوتر المفاجيء ثم هتف: ماهذا الكلام الفارغ؟

أغلق (فاروق) التلفاز وتطلع إلى والده في حيرة..وغادرت (جوري) المطبخ وهي تحمل كوب العصير بدورها وقال (أكرم): أتصل بالمحامين فورًا..لا أصدق ما يحدث.

وأغلق الهاتف وتطلع بشحوب إلى الجميع وقال: هناك موظف من شركتي ذهب اليوم إلى النيابة وأعترف لهم أننا نستورد مواد منتهية الصلاحية.

قال (أكرم) و(جوري) معًا: ماذا؟

عاد (أكرم) يقول: أمرت النيابة بتفتيش الحاوية التي وصلت اليوم.ونقلوا المحتويات إلى المعامل.

***

رشف (يوسف) من قدح الشاي بالنعناع بأستمتاع وعلى شفتيه أبتسامة رضا..تأملته (بيرين) وقالت:وماذا بعد؟

رد وهو يغلق عينيه في أرهاق: سيجدون في أحدى الصناديق بضاعة صلاحيتها على وشك الآنتهاء.

قالت (بيرين): ولم لم تدس له بضاعة أنتهت صلاحيتها؟

فتح عينيه وعاد يرشف الشاي ثم قال مفسرًا: لأنه لن يذهب إلى السجن في تلك الحالة كما تحسبين..سيجد كبش فداء أو شخص يعترف بأنه تلاعب بالأوراق أو أي موظف مستعد للتضحية من أجل بعض المال..وليس هدفي هو أن يذهب إلى السجن بتلك التهمة السخيفة..ولكن..

وأعتدل وقد بدا على ملامحه الجذل: ستسوء سمعة شركته والأهم ستكون تلك ضربة لشركة (ورد الجوري) إذ سيتم

التشكيك في صلاحية منتجاتهم التي يفتخرون بها.

-هل تظن أن هذا قد يدفع (فاروق) إلى قبولك كمستثمر أو شريك عمل؟

-أتمنى ذلك..لأنني لن أتنازل عن شركتي..إذا ظل عنيداً فسأفعل أي شيء للحصول عليها حتى لو..

وسكت وقد وجم قليلًا فأكملت (بيرين) باسمة:حتى لو تزوجت (جوري)..ليس أقتراحاً سيئاً.

-جد...أمي.

-سيتيح لك هذا أن تستولي على الشركة وأن تعيش معهم في المنزل وتعرف كل أسرارهم ونقاط ضعفهم..كم بدوت رائعًا اليوم وأنت تدافع عنها.

-أفعل هذا كي أكسب مودتها وثقتها لا أكثر.

تأملته جدته بنظرة عابثة وقالت ساخرة: حقًا؟

قال وهو ينهض: قولي للجاسوسة التي تعمل في منزلهم أن تضع هاتف (جوري) بالقرب منها عندما تكون مع (فاروق) يتحدثان لوحدهما.

-سأفعل.

***

تطلعت تلك الخادمة البدينة قليلًا حولها ثم تسللت إلى حجرة (جوري) فأحضرت هاتفها الذي تضعه على المنضدة بجوار السرير..لم تكن لتلك الخادمة أسباب للأنتقام أو خلافه..هي تفعل هذا من أجل المال لا أكثر..توجهت نحو مكتب (فاروق)

..كانت الأسرة قد تناولت أفطارها للتو..وقد غادر (أكرم) و(فارس) إلى النيابة مع المحامين..ظل (فاروق) في مكتبه وذهبت اليه (جوري) منذ دقائق..يتحدثان عن الشركة والعمل بعد ماحصل مع بضاعة والدهما بالأمس.

طرقت الخادمة الباب ودلفت ومدت يدها بالهاتف إلى (جوري) وقالت: أحدهم يتصل بك يا أستاذة (جوري).

قال (فاروق): ليس الآن.

ولكن الخادمة وضعت الهاتف على المكتب وهرعت تغادر.

وفي قصر (أوغلوا) أعتدل (يوسف) في مقعده ووضع السماعات على أذنه.

قال (فاروق): حتى لو أتضح أن البضاعة أغلبها سليم كما يقال فإن إستخدامنا لها سيضعنا ويضع شركتنا في موضع شبهة.

-يمكننا القيام بمؤتمر صحفي نوضح فيه أن هذه اول مرة يحدث مثل ذلك الحادث مع شركة (النعمان)..

قاطعها (فاروق): لاتقلقي على أبي..سيكون بخير..عليه أن يبدأ التحقيق بنفسه عن كيفية حدوث ذلك.

وكان (فاروق) لايستبعد كثيرًا أن يكون والده متورط فيما حصل..كان يعلم ان والده ماكان ليستورد بضاعة تالفة..ولكن إن أوشكت على التلف فربما يفعلها..ليس والده شديد الأستقامة مثله وذلك بحكم الوسط الذي يعمل فيه والثغرات في القوانين والمغريات مع نقص الرقابة وضعف الضمير والرغبة في الربح الأكبر والأسرع..كل ذلك قد يجعل قدمه تزل ويحمله على أرتكاب بعض المخالفات.

قالت (جوري): علينا شراء زبدة الشيا لأكمال الآنتاج..فلنبحث عن بائع جيد..أو نشتري من السوق العالمية.

-حسنًا..كنت أنتظر موافقتك..سأفعل.

-أخي؟

-ماذا؟

-كنت أتساءل..لماذا رفضت عرض السيد (يوسف)..أعني هل تشك فيه أيضًا؟

عقد (يوسف) حاجبيه وأرتسم الفضول على ملامحه..عن أي شك تتحدث؟

تنهد (فاروق) وقال: هي أموالك وشركتك يا (جوري)..ولكنك تعلمين قلقي..انا لاأطيق (عزمي الدمرداش) وأساليبه الملتوية الحقيرة في العمل..وتعلمين جيدًا أنه كان يسعى منذ سنوات للحصول على شركتك بأي شكل أو حتى شراء بعض الأسهم فيها فهي من أهم الشركات في الأتحاد حاليًا..تعلمين منذ ست سنوات عندما كدت أقبل بمستثمر ثم أكتشفت بفضل الله تعإلى وحده أنه واجهة ل(عزمي) لاأكثر..من وقتها وقد أقسمت أنني لن أقبل شركاء أو مستثمرين.

غمغمت:هل تظن أن (يوسف) يعمل لديه؟

-كلا بالطبع..ولكنني لا أثق بأي شخص يعمل معه..هل تظنين أن رجل أعمال مثل (يوسف) لم يتحرى عن (عزمي) قبل أن يستثمر معه؟

-ربما لا يدري..لاتنسى أنه عاش في أوروبا حياته كلها.

-ومع ذلك..لن أثق بشخصٍ وضع يده في يد (عزمي الدمرداش)..إنه يبدو إنسانًا جيدًا وصالحًا كذلك، ولهذا لا مانع عندي أن أتخذه جارًا أو صديقًا، أما شريك عمل فلا وألف لا.

مطت (جوري) شفتيها مستسلمة وتناولت هاتفها تتفحصه ثم قالت في حيرة: لم يتصل أحد.

-تلك الخادمة الخرقاء.

نهضت (جوري) وقالت: سأذهب إلى الحديقة للعناية بالزهور.

ضرب (يوسف) جبهته بكف يده وزفر في غضب، إذًا فهذا هو سبب رفض (فاروق)..المشكلة أنه لايستطيع الآنسحاب الآن من الصفقة مع (عزمي)..تلك هي وسيلة الآنتقام منه..هم بنزع السماعات ولكنه توقف..يبدو أن (جوري) قد ذهبت إلى الحديقة وهاتفها معها..يستطيع سماع صوت يدها تقلب التربة وجاءه بعد قليل صوت تلك الفتاة (جميلة) تقول: ألن تخبريني بما حدث بالأمس؟

-لاشيء مهم..كان الطعام شهيًا وقد تحدثوا مطولًا حول العمل...

قاطعتها (جميلة): لقد سمعنا جميعًا شجار الأمس، ماذا فعلت (فيروز) هانم؟

قصت عليها (جوري) ما حدث باختصار فهتفت (جميلة): تلك الساحرة الشريرة.

-أخفضي صوتك.

-أنا سعيدة أن (يوسف) بك قد أحرجها.. ولكن.. هل قالآنه يُفضل الزهور النادرة وأن (أسيل) لم تعجبه، إنه يتحدث عنك يا حمقاء.

-لاتكوني سخيفة، لا أظن أنه كان يقصدني.

ولكن تلاعبت على شفتيها شبح ابتسامة فأشارت إليها (جميلة) وقالت: كاذبة.. من الواضح أنه معجب بك..عليكِ أن تمنحيه فرصة كي يتقرب إليك وإلا سيظن أنك غير مهتمة به وسيغير رأيه.

أعادت (جوري) وضع النطاق المغذي، ثم قالت: ولكن يا (جميلة)، ألاحظ في عينيه نظرة حزن دفينة.

-ماذا؟

وضحكت (جميلة) ضحكة خفيفة وقالت:نظرة حزينة؟ لعله تأخر في عد ملايينه، أن معه الكثير من الأموال فلماذا يكون حزينًا.

-وما علاقة المال بالحزن؟ لا يشتري المال كل شيء.

-هذاالآنك لم تحرمي المال يومًا.. صدقيني.. أنه يشتري كل شيء.

نهضت (جوري) فتبعتها صديقتها وقالت: أنني جادة.. أنه يمتلك تلك النظرة وكأنه مر بتجربة مريرة أو فقد شخصًا كان يحبه.

هزت (جميلة) كتفيها وقالت: ربما.

تجمد لثوان غير مصدق ثم مد (يوسف) يده فنزع السماعات في شيء من العصبية وألقاها على الأريكة وأغلق هاتفه.. كانت لهجتها وهي تتكلم عن نظرته الحزينة المزعومة تنطق بالعطف البالغ فانتابه الحنق بسبب ذلك..لقد عاد من الموت والغيبوبة كي ينتقم ويحقق العدالة الغائبة ولم يخطر في باله أن ابنة عدوه الساذجة ستتمكن من سبر أغوار قلبه بهذا الشكل الغريب.. كيف عرفت؟

***

الفصل السابع

(الزهرة النادرة)

على شفتي (كامل) المحامي أرتسمت ابتسامة متحفظة وهو يرمق (عزمي الدمرداش) في تساءل.

وكان (عزمي) قد أتصل به وطلب أن يقابله وأخبره أنه سيرسل اليه سيارة خاصة لتصحبه..وها هو الآن يجلس في ذلك المطعم الراقي الهاديء شبه الخالي من الزبائن لسبباً ما.

قال (عزمي الدمرداش): هذا مطعم أمتلكه..لمَ لانتناول الإفطار معًا؟ أعدك أنه سيعجبك للغاية.

قال (كامل): تناولت الإفطار بالفعل سريعًا في منزلي.. (عزمي) بك.. لمَ لا تخبرني بسبب تلك المقابلة؟

-على الأقل سأطلب لك العصير.

-ليكن.

رفع (عزمي) يده فهرع النادل نحوه، وقال (عزمي): كوبين من عصير المانجو الطازج.

ثم عاد يقول: أنا بحاجة إلى مساعدتك.

-مساعدتي أنا؟

والتمعت في عيني (كامل) نظرة خبيثة بعض الشيء.

قرر (عزمي) ألا يضيع المزيد من الوقت في مقدمات فقال وهو يشبك كفيه أمامه على الطاولة: الحقيقة أن لدي حلم لطالما كنت أسعى إلى تحقيقه.. أريد أن أبني مدينة كاملة.. شاملة.. مراكز تسوق، نوادي، مدارس، حدائق، مستشفيات.. باختصار مدينة شاملة متكاملة.. هذا مشروع استثماري عظيم كفيل بأن يضاعف ثروتي مرتين أو

ثلاثة، لكن المشكلة أنه مكلف..وحتى ثروتي كلها لا تكفي والمستثمرين معي إذا جمعت أموال أستثمارهم فلن تكفي أيضًا.

جاء النادل بالعصير ورصه على الطاولة بأناقة ثم أنصرف، أشار (عزمي) إلى (كامل) بأن يتفضل العصير فمد الأخير يده وتناول الكوب ورشف منه وكان شهيًا حلو المذاق ومنعش في هذا الصيف الحار.

وضع (كامل) الكوب ثم قال: ماذا عن قرض من البنك؟

-لا أحب القروض.. جربتها قديمًا وكاد مستقبلي ينتهي وقتها.

وتذكر مقتل (إياد) الأب في مكتب قصر النعمان فهز رأسه قليلًا كأنه ينفض الذكرى.

قال (كامل): يمكنك أن تتخذ شريكًا أو أثنين، ولكنني أظن أن محاميك قد أقترح عليك هذا فلمَ أنت بحاجة إلي.

ابتسم (عزمي) ابتسامة صفراء وقال: كانت تلك هي الخطة بالفعل..ولكنني بعدها التقيت ب (يوسف) بك وفي أول لقاء أخبرني أنه سيستثمر 10 مليار جنيه.. خمن كم تكلفة المشروع؟

ابتسم (كامل) ورشف العصير من جديد ببطء وبرود مستفز ثم قال:10 مليار جنيه.

-أجل، ولكن مع الأسف فإن (يوسف) بك غير رأيه.

كان جشع (عزمي) لايوصف بكلمة.. هناك الكثير من الوسائل كي يقوم بعمل مشروعه هذا ولكنه يفضل الحصول على المبلغ في يده كاملًا

قال (كامل): أن لن أخون موكلي.

هتف (عزمي): وأنا لا أريدك أن تخنه مطلقًا.. كل ما أطلبه منك هو إقناعه بأن يستثمر بمبلغ 10 مليار في المرة القادمة لا أكثر ولا أقل.. سيحصل على أرباحه كاملة كما سيحصل عليها الآن خلال شهرين ولن يتعرض للضرر وأنا سأبدأ مشروعي.

تنهد (كامل) ثم غمغم: سأفكر.

قال (عزمي):وستحصل أنت كذلك على مكافأة.

ابتسم (كامل) من جديد وقال: وما قيمة تلك المكافأة؟

-ماذا عن مليون جنيه؟

صفر (كامل) بفمه وقال: أصبح مليونيرًا بين ليلة وضحاها فقط إذا أقنعت (يوسف) بك.

-تصور.

-أريد نصف المبلغ مقدمًا والنصف الآخر بعد إمضاء العقد.

-إتفقنا.

ومد (عزمي) يده مصافحًا ل(كامل) الذي نهض وصافحه بدوره.

وقال (كامل): علي الذهاب إلى العمل الآن.

-ولكنك لم تكمل العصير.

-في المرة القادمة.

***

في وجوم راح (يوسف) يتابع على الشاشة المجسدة للتلفاز فيلم لأنور وجدي يلعب فيه دور كونت مونت كريستو ولكن النسخة العربية..(حسن الهلالي).. رمقته جدته بنظرة جانبية ثم قالت أخيرًا: ماذا بك؟

-لا شيء.

-هل هو الفيلم؟ وكأنك بطله..أنت كشخصية (إدموند دانتس) في رواية كونت مونت كريستو.

-ربما..على كل مظلوم أن ينتقم من الظلمة، أن يحقق العدالة.

-هل هو شيئٌ أخر سمعته من (جوري)؟

كان قد أخبرها بحوار (جوري) مع (فاروق) وأعطاها التسجيل كي تستمع للحوار ولكنه لم يخبرها بما قالته (جوري) عنه عندما كانت تحادث (جميلة).

" أنه يمتلك تلك النظرة وكأنه مر بتجربة مريرة أو فقد شخصاً كان يحبه."...هل حقًا أدركت مكنونات قلبه من نظرته..كم هذا غريب.. يتذكر والدته.. كانت تنظر إليه وتعقد ذراعيها وتخبره بأنه يبدو حزينًا أو غاضبًا..كانت تقول له

أنها تعرف كل شيء من النظر إلى عينيه..مهما حاول أخفاء مشاعره عن الجميع كان يعجز تمامًا عن ذلك أمام والدته.. والآن (جوري)..لعل نظرته أفلتت منه دون قصد.

أتاه اتصال من المحامي فتلقاه ولم يقل سوى كلمة: فهمت.

ثم أغلق الهاتف وقال لجدته باسمًا: وقوع (عزمي الدمرداش) في الفخ تم.

ضحكت جدته في استمتاع واضح وقالت: بهذه السرعة.. آه.. سيكون الأمر ممتعًا حال سقوطه من عل.

***

صاح (أكرم) في غضب: تبًا لهم..سوف أقاضي تلك الجرائد اللعينة.

توجهت (فيروز) إلى حجرة المكتب حيث يصيح زوجها وقالت: ماذا حدث؟

رد غاضبًا: العديد من الجرائد نشرت خبر التحفظ على البضاعة التابعة لشركتي وكتبو أنها منتهية الصلاحية.

-ولكن..ألم يتضح من تقرير المعمل أن البضاعة سليمة..هو صندوق واحد كانت محتوياته صلاحيتها على وشك الآنتهاء.

-لقد هبطت أسهم الشركة..وأخشى أن تتأثر كذلك شركة ابنتي..لقد كتبو كذلك في الأخبار أن هذه البضاعة كانت مستوردة لصالح شركة (ورد الجوري)..قال (فاروق) أنه سيقوم بعقد مؤتمر صحفي يوم الأثنين حتى لا يتفاقم الأمر.

ثم هتف بغتة في ضيق: وهذا الموظف الحقير مختفي..بعد أن أدلى بشهادته العجيبة أختفى وحتى الشرطة لم تعثر عليه.

جلست (فيروز) وقالت باسمة:عزيزي، ألم يعرب (يوسف) بك عن رغبته في العمل معك؟..لمَ لا تتحدث معه وتنهي هذا الأمر..عندها سنعوض أي خسارة مادية في وقتٍ قياسي.

هدأت حدة غضب (أكرم) وهو يرى تلك النظرة في عيني زوجته فقال:ما هي خطتك؟

-أتصل به وحاول أن تدفعه للحديث عن العمل.

-ثم..؟

أتسعت ابتسامتها وقالت: سأخبرك.

***

يوم الأحد أخيرًا والذي أنتظرته (جوري) في لهفة شديدة..لقد وعد (يوسف) أن يحضر حفلة (فادي) للتخرج من تدريب الكراتيه..ستشعر بالسعادة إذا رأته ولو لدقائق.

توجهت مع أخيها الأصغر إلى النادي وقد أرتدت فستاناً بني اللون مزخرف بالقليل من زهور صفراء ووردية مطبوعة بينما قررت (فيروز) عدم الذهاب لأنها لا ترغب في رؤية (يوسف) الوقح قليل التهذيب على حد قولها..بينما كان السبب في الواقع أنها ستذهب إلى المنتجع..فهناك عرض مخفض يقدمه المنتجع اليوم لأعضائه.

كانت (فيروز) أمًا محبة لأبنائها ولكنها تقدمت في العمر ولم يعد لديها صبر على التربية من جديد وأحيانًا كانت ترمق (فادي) باعتبار أنجابه جاء بالخطأ..في سن متأخر نوعًا حيث لم تعد تمتلك الطاقة وحيوية الشباب كي ترافقه هنا وهناك.

في النادي كانت أسرة (عزمي) متواجدة لسوء الحظ حول أحدى طاولات حديقة النادي فألقت عليهم التحية في فتور

وأستعجال وتوجهت مع أخوها إلى قاعة الحفلات المغلقة وكانت مكونة من مسرح صغير والعديد من المقاعد أمام المسرح وجلست وأخرجت حاسوبها وضغطت زر التسجيل..ستسجل الحفلة كاملة..أرتدى الأولاد ملابس الكاراتيه وبدأو يستعرضون حركاته المختلفة..وضعت (جوري) الحاسوب على المقعد المجاور وراحت تتطلع في لهفة حول أرجاء القاعة باحثة عن (يوسف)..ستشعر بالحزن حقًا إذا لم يحضر ولكنها

لم تراه..عادت تتطلع حولها من وقتٍ إلى آخر دون جدوى..حاولت وضع عينها نصب المسرح ولكن رغمًا عنها كانت تتلفت من وقت لآخر لعل عيناها تقر برؤية ذلك الذي يشغل عقلها وقلبها من وقتٍ لآخر.

أما (يوسف) فقد كان يقف في أحد أركان القاعة المظلمة يتأمل لهفتها وعلى شفتيه ابتسامة ظافرة سرعان ما تختفي لتحل محلها مشاعر شفقة فياضة، الآن تتنازع مشاعره في أعماقه بشكلٍ غريب..لم يتوقع أن تقع في حبه بتلك السرعة..والآن عندما يُتم خطته وينفذ العدالة ويحظى بأنتقامه سيُحطِم قلبها ببرود وستشقى هي بهذا الحب المحكوم عليه بالموت وهي فتاة رقيقة طيبة القلب و لابأس بها..ليست شريرة ولا خبيثة كوالدها وزوجته..إن لم تكن فكرة الآنتقام تسيطر عليه لربما أحبها حقًا..ولكن كي يحبها عليه أن يتخلى عن خططه كلها أو جزء منها وهو لن يحيد عن خطته أبداً..لايستطيع نسيان نظرة والدته الشاخصة الخالية من الحياة ودمائها التي أغرقت ساحة منزلهما الصغير الدافيء المحترق الآن..وماذا عن أبيه؟..وجيرانه الذين قُتلوا وهما يحاولان الذود عنه وعن والدته..وكل الأشخاص المعتمدين عليه المتلهفين مثله على الآنتقام وتحقيق العدالة.

حمل كوبين من الورق بهما شاي وتوجه نحوها فلما أقترب ابتسم وقال: أنسة (جوري)..أسعدني لقاءك من جديد.

أحمر وجهها خجلاً وتمتمت:أشكرك.

شعرت بعدها بالغيظ ثانية..في كل مرة يكون الرد أبله.

ناولها كوب الشاي فغمغمت في خجل: شكرًا.

من جديد..يالي من حمقاء...أليس في قاموسها سوى كلمة شكرًا وأشكرك.

عادت تحمل الحاسوب على قدميها كي تسمح له بالجلوس وعادت تتابع أخوها..قال المدرب بضع كلمات ثم أعطى الأحزمة للاعبين وشهادات التخرج وصفق الحضور في حماس وتوجه (فادي) نحوها وقد بدا متحمساً ورحب ب (يوسف) ثم هتف وهو يلوح بيده: عمو (عزمي).

وتطلعت (جوري) نحو (عزمي) الذي توجه نحوهم وقال: مبروك..لقد كنت رائعًا..أنني لفخور بك.

نهض (يوسف) وصافح (عزمي) الذي قال: (يوسف).. لم أرك معذرة.

قال (يوسف): لقد صرت عضواً في النادي..وسنلتقي حتمًا مرات عدة.

رد (عزمي): لما لاتنضمو الينا قليلًا؟

قال (فادي) معترضاً: لقد أتفقت مع (جوري) على الخروج بعد الحفلة والتنزه.

رد (عزمي): فقط قليلًا ثم تذهبون.

أحمر وجه (جوري) وهي تسير بجور أخوها في ضيق فقال (فادي) هامساً: إن ضايقك (عادل) فسأقتله.

ربتت على كتفه باسمة ولم ترد..وجلس الثلاثة إلى الطاولة التي تجلس عليها أسرة (عزمي) وتطلع (عادل) إلى (يوسف) شزراً فرماه الأخير بنظرة باردة ساخرة.

وقالت (أسيل): مرحبًا يا جماعة..هذه فرصة رائعة..ف(جوري) لا تأتي إلى النادي عادة...مبروك يا (فادي).

رد (فادي) باسمًا: شكرًا.

قال (عزمي):وأنت يا (يوسف) بك..هل أعجبك النادي؟

رد باسمًا: إنه ممتاز وراقٍ.

قالت (أسيل): هل رأيت الطيور في الجزء الغربي من الحديقة؟ انها ملونة وجميلة جدًا.

رد: أجل..رأيتها.

ضحكت وقالت: ولكن أظن أنك تفضل كذلك الطيور النادرة القبيحة.

قال باسمًا: هذا صحيح.

قالت زوجة (عزمي): تحب الأشياء النادرة؟

رد (يوسف): إن المخلوقات النادرة تملك سحراً لن تريه يا سيدتي في أي شيئًا آخر.

قالت (أسيل): أشعر بأن الأمر يتعلق بحب التملك لا أكثر..أنت تحب الأشياء النادرة لأنها نادرة وما أن تملكها حتى تملها وتبدأ في البحث عن الأشياء الجميلة التي يحبها كل البشر.

قال معترضاً: على الأطلاق..بل أنني أتمنى أن أرعى الأشياء النادرة مدى حياتي.

مطت (أسيل) شفتيها وقالت: إن كنت تفضل الأشياء القبيحة.

قال: سأعطيك مثالاً..هناك طيور نادرة تضع صغارها وتكون تلك الصغار قببيحة وعديمة الريش..تظل هادئة طوال الوقت وبعد أن تنمو قليلًا ويظهر له ريش داكن وبرغم أنها طيور لكنها لاتحاول الطيران خوفاً من أن يتم أصطيادها وأيذائها.

تطلعت اليه (جوري) ولم ترد.. لعله يتحدث عن طائراً حقًا..لقد أخبرتها (جميلة) حينما قصت عليها ماحصل في الحفلة أنه كان يتحدث عنها لا عن زهرة نادرة حقًا..فهل يقصد الآن التحدث عنها أم ماذا؟

عاد يتطلع إلى (أسيل) وقال:ولكن هذا الطائر بعد ذلك يرفرف بأجنحته و يستجمع شجاعته لأنه يرغب في الطيران..هنا..يفقد ريشه الداكن..يظهر بدلًا منه ريشاً ملون..أحمر وأزرق وبنفسجي..هنا يطير الطائر فتكون سرعته مرتفعة للغاية حتى أن من يتمكن من المحظوظين من رؤيته يظن أنه رأى قوس قزح الملون..كل المخلوقات النادرة تخفي جمالًا لا مثيل له..ولا يراه الا من يُقدر المخلوقات النادرة.

هتفت زوجة (عزمي): ياله من كلام رائع.

ابتسمت (أسيل) وغمغمت: ذلك المخلوق النادر محظوظاً بتقديرك له حقًا وإن كنت لا أصدق وجود هذا الطائر على أرض الواقع.

قال (فادي) الذي لم يفهم حرفاً وان أعجبته الحكاية: هل يمكننا الذهاب الآن؟

نهضت (جوري) وقالت: أستأذن في الذهاب..معذرة..فقد وعدت أخي.

نهض (يوسف) بدوره وقال باسمًا: وأنا وعدت (أكرم) بك.

بدت الحيرة على ملامح (جوري) وتساءل (فادي): وعدت أبي بماذا؟

أشار اليهما كي يسيرا بجواره وهز رأسه مودعاً (عزمي) وأسرته..كانت (جوري) تسير على الطرف الأيمن بينما (فادي) في المنتصف..وقال (يوسف): ألم يخبركما (أكرم) بك؟..لقد تحدثت معه بالأمس وأخبرته أنني أفكر جدياً في أفتتاح شركة للتصدير وأنوي تصدير بعض منتجات حديقة شركة (ورد الجوري) إلى بعض شركات التجميل في الخارج..لدى مصر أعشاب وزهور بسعر مناسب عن دول عدة في الشرق..كما أن مصر تمتلك زهرة (الياسمين المصري).

-جاسمين سامباك.

قالتها (جوري) قاصدة الأسم العلمي للزهرة فابتسم.

عاد يقول: لقد تحمس (أكرم) بك للفكرة وعرض علي..

ولكنها قاطعته بتهذيب: عفوًا..ولكن فائض الحديقة ليس ضخماً جدًا كما قد تظن.

-فلنتوسع إذًا..سأشتري منك كل الكمية الفائضة..عندما رأيت شغفك بالزهور أدركت أنك بدون تشك تنتجين أجودها وأفضلها في حديقة الشركة..لأن النجاح في أي شيء حتى الزراعة كما يحتاج الأجتهاد والتصميم..فهو يحتاج إلى الشغف والحب.

أحمر وجهها خجلاً من أطرائه وغمغمت:شكرًا..سأفكر.

-وقد قال والدك أنه موافق على أن تصحبيني اليوم في جولة في حديقة الشركة.

توقفت (جوري) عن السير وهتف (فادي): الحديقة في مدينة السادس من أكتوبر.

رد (يوسف) ببساطة: معي سيارتي.

قال (فادي) ولكن لنبتاع الأيس كريم أولًا..أنا من سيدعوكما.

ثم عاد يسير من جديد ولكن (جوري) ظلت واقفة متجمدة في موقعها غير مصدقة..هل والدها الآن يفرك كفيه في حماس وهو يخبر (فيروز) بأن الملياردير

الشاب سيذهب إلى محافظة أخرى مع أبنته..إن (فادي) سيصحبهما ولكنها شعرت بالخجل والضيق بعمق.

كانت الساعة الآن الرابعة وقال (يوسف) وهما يغادران النادي بدون السيارت: أين محل المثلجات؟

كان محل المثلجات الشهير قريبًا من النادي فدلف الثلاثة اليه وجلسوا على أحدى الموائد..وطلبوا الأيس كريم ووضعت أمامهم الكوؤس بعد قليل.

قالت (جوري): ولكنني رغم ذلك لم أقبل بعد.

رد (يوسف) باسمًا وبلهجة مرحة كي يخفف من توترها: أنصحك بالقبول وألا سأقوم بعمل مشروع مشابه وأحضر خبراء لعمل حديقة مشابهة..أنا لست خصماً سهلاً وسأكون منافساً مزعجاً.

ردت (جوري) بسرعة: وشركتنا ليست سهلة الهزيمة أو ضعيفة.

وبد أن تلميحه بأن الشركة قد تكون عرضة للخطر أو للتهديد أمر بثير أستيائها.

بعد نصف ساعة غادر الثلاثة إلى حيث وجدوا سيارة فاخرة حديثة من طراز نزل إلى الأسواق منذ شهر فقط ولم يصل منه إلى الأتحاد بعد..ومن السيارة ظهرت (بيرين) وقال (يوسف): نسيت أن أخبرك أن والدتي ستصحبنا في جولة الحديقة..في النهاية هي مديرة الشركات وصاحبة نصف الثروة.

هتف (فادي): هذا أحدث طراز من سيارات الفولفو..انها صديقة للبيئة كذلك.

كانت السيارة من الداخل فخمة للغاية ومقاعدها مريحة ووثيرة وعريضة وبها أريكتان متقابلتان فجلست (جوري) بجوار (بيرين) وفي مواجهة (فادي) و(يوسف) وهتف (فادي): لابد من أن أخبر جميع رفاقي بتلك الرحلة المذهلة...هل يمكنني ألتقاط صور؟

رد (يوسف): بالطبع.

شعرت (جوري) بالأحراج من (فادي) فقد كان يصدر الكثير من الضوضاء ويتكلم بصوتٍ مرتفع بحكم مرحلة المراهقة التي يمر بها طبعًا..ولأن (جوري) كانت رفيقة معه كثيرة التدليل له..ولو أن (فاروق) حاضرٌ الآن لشخط فيه أو أمره بصرامة أن يخفض صوته ويهدأ.

أنطلقت الرحلة إلى الحديقة.

***

الحق أن كلمة رائعة لاتوفِ تلك الحديقة حقها ولا قدرها..كانت شاسعة ومساحتها حوالي 60 فداناً..وكانت بديعة جميلة مصممة بتنسيق وعناية..بالنسبة حتى ل(بيرين) التي رأت أجمل الحدائق في أوروبا بدت جذابة وساحرة.

كانت هناك العديد من الأشجار الخلابة والشجيرات والأزهار..وكان تناسق الألوان الطبيعي بين الزهور المختلفة ما بين درجات الأبيض والوردي والأصفر والبنفسجي والأحمر يدفع المرء للتسبيح بعظمة خلق الله تعإلى ،اما الأزهار فمنها صغير الحجم والمتوسط والكبير..ومن له بتلات كبيرة وعريضة ومن له بتلات مدببة،هناك فراشات ملونة تتقافز بين الزهور والنحل يطن حول البتلات الملونة في مشهد بديع، أما مزيج روائح العطور المتداخلة الحالمة فلا تُصدق..حتى أوراق الشجر كانت لها روائح عطرة..أما (جوري) التي بدت وكأن الحياة قد دبت فيها دفعة واحدة فقد تملك المرح من خطواتها وبدت أقرب إلى فراشة تغدو وتسير في مملكتها الخاصة..هناك عمال هنا وهناك يرحبون بها وإن بدا عليهم بعض القلق من زيارتها المفاجئة وكأنها للتفتيش..هناك منطقة للصوبات كذلك...هناك ممرات من البلاط.

جلست (بيرين) على أحد المقاعد وقالت: عفوًا..ولكنني لا أستطيع السير لمسافات طويلة فلم أعد شابة.

كان (فادي) لايبالي بهذا وبدا عليه الملل وسار ببطء خلف أخته التي سارت بجوار (يوسف) وإن حافظت على مسافة متر وراحت تشرح في حماس عن كل نبتة وعشبة وزهرة.

قالت : هذه زهور الكاموميل..أنها تُستخدم في منتجات العناية بالبشرة وبعض أنواع الشامبو للبشرة الحساسة في الأساس..بالطبع إذا أضفنا اليها أعشاب.....

صرف (فادي) أهتمامه إلى حاسوبه الصغير وراح يتابع عليه شيئًا ما..لم يشعر (يوسف) بالملل..كان حماسها وشغفها العميق،أيضًا أرتعادة صوتها في مزيج من الخجل والحماس قد نقلا له عدوى الحماس وراح يتابع حديثها بأهتمام.

توقفت (جوري) عن السير ثم قالت: هل تسمعان؟

أصغا (يوسف) السمع ثم غمغم: صوت قطة.

تحركت (جوري) إلى ما بين بعض الأشجار فوجدت قطة مستلقية تتنفس بصعوبة..كانت القطة تلد وهناك هريرة صغيرة ميتة بجوارها قد ولدت وأخرى داخل كيسها..تأملتها (جوري) في ذعر فهي لاتدري ما تفعل ثم نهضت وهتفت: هل..هل نذهب بها إلى طبيب بيطري؟

رد (يوسف) الذي كانت لديه الخلفية الطبية بحكم أنه كان في الطب: لاداعي..فقط أحضري لي صندوق ومقص.

هتف (فادي): سأحضر ما طلبت من أحد العمال.

وهرع راكضاً لتنفيذ الأمر،أما (يوسف) فقد ركع بجوار القطة وتحسسها برفق..سرعان ما عاد (فادي) ومعه الأدوات فتناول (يوسف) المقص وبحذر شديد قام بقص الكيس حول القط الوليد..ثم قربه من الأم التي بدأت تلعقه ثم وضع الصندوق وقال باسمًا: هي ستضع طفلها في الصندوق وتتخذه منزلاً مؤقتاً لها.

قالت (جوري) لنفسها أن ثيابه الغالية ستتسخ وفكرت كم هو أنسان نبيل من يبذل هذا المجهود من أجل حيوان ضال لايعنيه في شيء.

نهضت (جوري) وعاد اللون إلى بشرتها التي أمتقعت وقالت باسمة: سأنبه العمالآن يتركوها ويضعوا لها الطعام من وقتٍ لأخر.

أنتهى هذا الموقف..كانت صدفة بالفعل ولكنها صبت في مصلحة (يوسف)..لأن (جوري) قالت وهم يستديرون للعودة إلى بوابة الحديقة: أظنني موافقة على التعاون معك في المستقبل بخصوص العمل.

بدا أن الشمس سوف تغرب بعد قليل فتوقفا عن السير وقال (يوسف) باسمًا: هل تسمحي لي بدعوتكما على الغداء..رغم تأخر الوقت.

وأنطلق الأربعة في السيارة إلى مطعم راق تناولوا فيه الغداء..أثناء تناول الطعام تلقت (جوري) أتصالاً من (جميلة) فنهضت مستأذنة وما أن وضعت السماعة حتى أتتها صرخة (جميلة) وقالت بأستمتاع:لقد سمعت حديث والدك مع (فيروز) هانم..هذه فرصتك كي تجعليه يحبك.

-أصمتي قليلًا...فأنا متضايقة..لاأصدق أن والدي قد قبل أن أذهب مع شخصاً غريب إلى محافظة أخرى؟..ولا أدري كيف ستكون ردة فعل أخي (فاروق) حينما يعرف.

-لاتكوني هكذا يا (جوري)..ألم يكن (فادي) بصحبتك..طالما تشعرين نحوه بالأعجاب فعليك إستغلال الفرصة.

-أنا لن أفعل هذا.

وأنهت المكالمة وعادت إلى مقعدها فقالت جدته بضع كلمات مرحبة بها.

هنا تلقى (فادي) مكالمة من زميل له في المدرسة فأستأذن ونهضت (بيرين) قائلة انها ستذهب إلى الحمام الآن بالذات.

مضت ثوان من الصمت المحرج بعد أن وجد (يوسف) و(جوري) نفسيهما متقابلين دون طرف ثالث.

ثم قالت (جوري):ما فعلته مع القطة..كان تصرفاً نبيلاً وأنسانياً.

-هذا ماكان ليفعله أي أنسان.

-لا أظن..بل أغلب الناس كانت لتتجاهل الأمر برمته..أصدقك القول..لم أتوقع ابداً أنك ستفعل ما فعلت..أنت دومًا تتكلم عن الأعمال..لم أتصور أنك..أه..أحم..أقل مادية.

وأحتقن وجهها في حرج وتساءلت لماذا قالت له هذا الكلام الصريح بغتة.

-هل تعلمين...منذ 3 سنوات لم أكن هكذا.

-هكذا؟

-أعني أنني وقتها كنت أكثر عطفاً وسذاجة من الآن.

-لماذا قلت عطفاً وسذاجة وكأن عطف الآنسان وطيبته تنبع من السذاجة؟

-أنها كذلك فعلًا.

-أنا لاأوافقك الرأي.

ثم تطلعت اليه وبدت قلقة قليلًا وفكر (يوسف) إن كانت قد رأت في عيونه النظرة التي تصفها بالحزن وفقدان الأحبة فقالت:أظن أن عطف الآنسان على غيره من البشر أو المخلوقات هي ما تجعله انسانًا في المقام الأول.

رد باسمًا: وأنا أوافقك الرأي..يبدو أنني لم أوضح كلامي..ما قصدته أنني كنت عاطفياً بشكلٍ كبير وقتها وكنت أحسب البشر جميعًا طيبين خيرين.

-ثم؟

مضت لحظة صمت ثم قال (يوسف) بغتة ليرد على تساؤلها: ثم تعرضت لتجربة أثبتت لي خطئي.

ردت في رقة أدهشته: فهمت..ولكن عليك أن تحاول نسيان التجربة وألا لن تتمكن من أستكمال حياتك بسعادة.

-ما علاقة السعادة؟

-إن ظل الآنسان يعيش تجربته المريرة ويعجز عن نسيانها فسيحل الحقد محل التسامح والغضب محل الرضا..سيعجز عن الشعور بالسعادة ثانية.

كانت تحاول ألا تضايقه أو تحزنه كما هو واضح لأنها تكلمت بحرص وقد أطلت من عينها نظرة حذرة،ثم إنها لم تكن فضولية كي تعرف ماهي التجربة،حقًا تلك الفتاة مميزة..زهرة نادرة.

قالت: عندما أنحنيت لأسعاف القطط كنت تبدو كطبيبًا بارع..هل درست الطب من قبل؟

تذكر فجأة حياته التي أنتهت..حلمه بالطب..بالزواج في منزل والدته الصغير حيث تتعاون مع زوجته في رعاية أطفاله ..ليلة الحادث فامتلأ بالغضب الشديد..وأن كان منذ ثوان قد شعر بالتردد في تنفيذ خططه فقد زال الآن هذا التردد تمامًا.

ثم أوصلها مع أخيها إلى القصر وحياها بأحترام وأنطلقت السيارة مبتعدة عن ناظريها.

***

قال (فاروق) في غضب:بابا..ألا تشعر حقًا ان ما فعلته خطأ على الأطلاق؟

رد (أكرم) وهو يجلس إلى مائدة العشاء:أي خطأ؟..معها (فادي) وكذلك الهانم الكبيرة والدته..ثم أن هذا هو الحل الآنسب كي يتزوج أختك.

رد (فاروق) مستنكرًا: يتزوج أختي؟..ماذا تقصد؟

ردت (فيروز) هذه المرة في ضيق: ألم تقل أنه بدا في حفلة (أسيل) معجباً بها؟ هل تظن أن أختك قد تقدم على خطوة واحدة تشجعه على أن يطلبها للزواج..ستظل صامتة يحمر وجهها حتى يغير رأيه ويصرف أنظاره عنها لفتاة أخرى.

أجاب (فاروق) في حدة: فيكون البديل أن نرسلها معه إلى محافظة اخرى بينما هو لا يقرب لها بأي صلة.

رد (أكرم): أنا والدها وقد سمحت لها لا أنت...ثم إن الأمر يتعلق بالعمل

-ومن قالآننا سنقبل عرضه؟

رد (أكرم): خيراً لك أن تقبل هذه المرة..ما حدث مع شركتي في صفقة زبدة الشيا قد أثر على شركتكم كذلك..الآن سيقالآن (ورد الجوري) تستخدم مواد منتهية الصلاحية

في منتجاتها..فماذا إذا أُعلن أن الملياردير والمستثمر الكبير (يوسف سليمان أوغلو) يعقد معكم صفقة ويثق بكم رغم ذلك.

-ولهذا أنا مستغرب..لما يصر على عمل صفقة معنا والدخول إلى شركة (ورد الجوري) بهذا الشكل؟

-لأنه معجب بأختك كما تظن والدتك.

وردت (فيروز): فقط فلنأمل أن يكون حقًا معجباً بها..فهو شاب وسيم وثري ولا أجد سبباً يدفعه للأعجاب بها.

وصلت (جوري) في تلك اللحظة ومعها أخوها الصغير وهبط (فارس) في تلك اللحظة من الطابق العلوي لتناول العشاء وقالت (فيروز): لما تأخرت في النوم هكذا..أجلس لتناول العشاء هيا.

وتطلعت إلى (جوري) و (فادي) وقال الأخير: لقد تناولنا الغداء منذ قليل..لقد دعانا أستاذ (يوسف).

تساءلت (فيروز) في فضول: هل قبلتِ عرض العمل الذي قدمه يا (جورية)؟

ردت (جوري) وهي تختلس النظر إلى (فاروق) في حذر: أجل..لقد قبلت العرض.

قال (فاروق):أنتظري حتى أتحرى عنه جيدًا أولًا..لاتستعجلي في الموافقة.

قال (فادي): لقد أخبرته بموافقتها بالفعل.

هتف (فاروق): دون أن تأخذي رأيي.

ردت (جوري) بلطف: رأيت أنها فرصة جيدة لتحسين مظهر الشركة بعد ما حصل في الصفقة..وأيضًا أنا أرى عرضه جيد وهو يبدو أنسان جيد.

ثم أستأذنت في الصعود إلى حجرتها لتغيير ثيابها والحصول على الراحة قليلًا فقد كان اليوم مُرهِقاً حقًا.

بعد أن غيرت ثيابها وغسلت وجهها وأستلقت على سريرها تفكر سمعت طرقات على الباب ودلفت (جميلة) مسرعة وعلى وجهها علامات الفضول والأستمتاع وجلست على حافة السرير وقالت بلهجة آمرة: أخبريني كل شيء.

أجابتها (جوري): فيما بعد..أنا متعبة حقًا؟

-رجاءً

تنهدت (جوري) ثم قصت عليها باسمة ما حصل ولما أنتهت شردت قليلًا فقالت (جميلة) ساخرة: وماذا عن نظرة الحزن العميقة في عينيه؟

ردت (جوري): مازالت هناك..في قلبه دفينة.

-يا الهي..ليس من جديد.

-أتعلمين؟...أنه أنسان رائع وعظيم..أنه أنبل وأشجع وأكثر شاب يعرف معنى الرجولة رأيته في حياتي.

ضحكت (جميلة) وقالت: أنت متيمة.

-من سويداء قلبي.

أرتفع حاجبا (جميلة) فقد توقعت أن تنكر صديقتها الخجول مشاعرها تلك ولكنها لم تفعل، بل وتصرح بها هكذا فحملقت فيها مشدوهة خاصة عندما تجمعت الدموع بغتة في عيني (جوري) ثم بدأت تنهمر ببطء.

غمغمت (جميلة): هل تبكين؟

وربتت على كتفها في عطف.

مسحت (جوري) دموعها بكف يدها وقالت محاولة الأبتسام: لا أدري ما سبب بكائي..أنا..أظن أنه معجب بي حقًا..إنه..أظنه معجبٌ بي..وأنا..أنا حقًا أحبه..أتمنى من كل قلبي أن أصير زوجته..أشاركه أحلامه وحياته..أحتمي فيه وبه..أبادله الحب..(جميلة)..لو أنك جربتِ الحب لفهمتي مقصدي وأدركتي مشاعري الآن.

شحب وجه (جميلة) وهي ترنو اليها ثم ابتسمت أبتسامة واسعة وقالت: لاأصدق أنني أسمع هذا الكلام منكِ..أتمنى لك التوفيق وأن يتقدم لخطبتك وتعيشان بسعادة.

وقبلتها على وجنتها سريعًا ثم نهضت ولكنها بدت قلقة وحينما غادرت الحجرة وهبطت إلى الطابق الأرضي كانت والدتها (ملك) قد أبدلت ثيابها وقالت لها: هيا يا (جميلة)..حان وقت العودة للمنزل.

أومأت (جميلة) برأسها في شرود وقالت تحدث نفسها وهي تبدل ثيابها في الحجرة الصغيرة في الحديقة: ماذا لو أنه لايحبها وهي تتوهم..ياربي..سيتحطم قلبها..وماذا إن كان يعلم بحبها ويتلاعب بها..أعني أنه ثري وعاش حياته في أوروبا..تبًا لذلك الوغد..إن أتضح أنه يتلاعب بها فأتمنى أن يقوم (فاروق) بضربه...ولكن..ياالهي..أنها تحبه حقًا..لم أرها في حياتي تهتم أو تنتبه لأي شاب.

وأطلقت زفرة حارة ثم غادرت الحجرة.

***

لن يفهم أي شخص كم عانت (بيرين) كل يوم من الشوق إلى أبنتها..لم يكن قرار التخلي عنها سهلاً ولكنها اضطرت إلى ذلك..والدتها كانت أمرأة جميلة جدًا وباردة جدًا..لطالما شعرت (بيرين) انها لاتبالي بها كثيرًا..والدها كان مصرياً ثرياً ولما توفي تعرفت والدتها على رجل روسي ورحلت معه وتركتها لعمها غير الرحيم.

تنهدت (بيرين)..قلبت فنجان القهوة الفارغ بين يديها ثم وضعته على الطاولة..بعد أن عثرت على ابنتها وضمتها أخيرًا إلى صدرها يأتي حفنة من الأوغاد كي ينتزعوها منها إلى الأبد ويلقوها في قبر مظلم.

الفارق هو أنها لم تعد أمرأة ضعيفة كالسابق، الآن تمتلك المال والقوة والصلات والخبرة..ألقت نظرة على (يوسف) الجالس على الأريكة موليها ظهره وقد وضع السماعات في أذنه يستمع إلى التسجيلات.

أوقف التسجيل واستدار اليها وقال: يبدو أن (فاروق) لن يقبل بسهولة.

-أنه عنيد..هل هذا كل شيء.

-مازال هناك المزيد..أنها (جميلة) دلفت إلى حجرتها ولاشك أنهما ستبدأن ثرثرة بنات...سأستمع اليها فيما بعد.

وألقى السماع والهاتف على الأريكة وعاد يقول: ولكنني حقًا لا أعرف كيف أستعيد شركتي.

-الخطة بسيطة..كخطتنا ضد (عزمي الدمرداش)..أكتب في العقد بند بعقوبة مالية ثم نحرق الحديقة..

قاطعها مذهولاً: ما..ماذا؟..نحرق الحديقة؟

ابتسمت أبتسامة عابثة وهي تجيب:مبالغة في القسوة..ليكن..سنسمم المحصول أو أي شيء..المهم أن الشركة لن تستطيع الأيفاء بالعقد وعندها نستولي عليها بالديون.

-ليست شركة صغيرة عاجزة عن الوفاء بالدين..هذا الحل غير ممكن مع شركة ك(ورد الجوري).

قالت (بيرين): يمكننا توريطها في فضيحة ما بحيث تنخفض أسهمها وتتعرض لعدة ضربات تدفعها لحافة الأفلاس.

أعتدل (يوسف) في مجلسه وبدا عليه النفور من الفكرة فقالت بسرعة: لن ندمر شركة والدك بالطبع..سأدعمك بعدها بثروتي كلها إن أحببت حتى تعيد للشركة مكانتها.

غرق (يوسف) في التفكير فقالت (بيرين) تستحثه على قبول فكرتها: سوف تعود الشركة سريعًا لتألقها..ولن نظلم أحد..يمكننا دفع التعويض الكافي ل (فاروق) على جهوده..ودفع ثمن نصف الأسهم ل(جوري) فوالدتها في الأصل تمتلك نصف الأسهم.

-سأفكر في الأقتراح.

***

كان اليوم صحواً مشرقاً والنسيم لطيف رغم أنه الصيف..بعد تناول أسرة (النعمان) للأفطار غادرت (جوري) إلى الحديقة لتعنى بأزهارها الثمينة..أما (فارس) فقد غادر إلى العمل وجلس (فادي) في الصالة الثانية يلعب بينما أنهمكت (فيروز) في التحدث

مع صديقة لها، وعلى غير العادة لم يذهب (فاروق) إلى العمل مبكراً بل مكث وأخبر والده برغبته في التحدث اليه في المكتب بعد تناول الأفطار وقال (أكرم): أليس لديك مؤتمر صحفي اليوم..هل الموضوع هام؟

-بالطبع.

-حسنًا..هيا إلى المكتب..أعدوا لنا القهوة.

قالها للخادمة الجاسوسة التي كانت تقف على مقربة فأومأت برأسها وأسرعت إلى المطبخ لأعداد القهوة.

وما إن دلفا كلاهما إلى المكتب حتى ظهرت تلك الخادمة الجاسوسة وتلفتت حولها بحذر فوجدت الجميع مشغول فصعدت إلى الطابق العلوي وفتحت باب حجرة (جوري) بحذر ثم دلفت وأخذت هاتف مخدومتها ودسته في جيبها وعادت مسرعة إلى المطبخ فصبت القهوة في فنجانين ووضعت كوب الماء بجوار الفنجانين على صحفة وطرقت باب المكتب ثم دلفت ووضعت القهوة على المكتب وبينما تغادر وضعت بحذر هاتف (جوري) على منضدة بجوار الباب عليها نبتة زينة وغادرت..ولم تنسى أن ترسل رسالة نصية لسيدتها الجديدة (بيرين).

على الفور هتفت (بيرين) منادية (يوسف) فعاد بعد أن كان ذاهباً للتريض وأسرع اليها فقالت: ضع السماعة..أنه أجتماع بين (فاروق) ووالده.

وضع (يوسف) السماعات على أذنه وقام بتشغيل برنامج التنصت..أتاه صوت (فاروق) المنفعل:

-حقًا يا أبي لا تشعر بالشك من سلوكه.

-ماذا تعني؟

-(يوسف) هذا..أشعر وكأنه يحوم حولنا متعمداً..حول شركة أختي وحول (عزمي)..لا أفهم ما يريد بالضبط.

أمتقع وجه (يوسف)..لم يضع في خطته أن (فاروق) بهذا الذكاء وأنه لايثق في أحد بسهولة.

أتاه صوت (أكرم): لأنه معجب بأختك..أنت أول من قال هذا لي بعد حفلة عيد ميلاد (أسيل).

رد (فاروق): وهذا ما كنت أظنه فعلًا..ولكن هل يمكنك أن تفسر لي لما لم يتقدم لطلبها للزواج إذًا.

-لاتنسى أنه عاش حياته في أوروبا.

هتف (فاروق): إنه من أصول عربية وهو يقول أنه مسلم..أنه يعرف عادات وتقاليد بلادنا وديننا..إما أنه معجب بأختي أو أن له هدف أخر...وأنا أرجح حاليًا أن له هدف أخر.

أرتفع رنين هاتف (جوري) في تلك اللحظة فأرتفع حاجبا (فاروق) وهو يتطلع في حيرة إلى حيث تم وضع هاتفها وقال:

مالذي أحضر هاتف (جوري) إلى هنا؟

أسرع (يوسف) ينزع السماعة وقال لجدته: قد يشكون في الهاتف..هل يمكنهم بفحصه العثور على البرنامج؟

ردت بثقة: لايمكن لخبير عادي أكتشاف شيء..لا تقلق..والآن فيما كانا يتناقشان؟

-إن (فاروق) يشك بي..أسمعي بنفسك.

أستمعت (بيرين) إلى التسجيل ثم قالت باسمة: هذا الأمر حله سهل..تزوجها.

تطلع اليها في أستنكار فقالت وهي مازالت محتفظة بأبتسامتها:أقصد..تقدم لخطبتها.

-كلا.

-ماالمشكلة؟

-لست حقيراً إلى هذه الدرجة..لن أشعر بالراحة وانا أمنح المجال لتلك الفتاة بأن تنزلق في مستنقع هذا الحب أكثر وأكثر.

-مستنقع؟..هل لديك حلاً أخر؟

-سأعثر على واحد.

-ولماذا تبالي بمشاعرها؟..اعني أنك ستنتزع منها الشركة وتلقي بوالدها وزوجة أبيها في السجن وتحطم عائلتها تقريبًا

..كيف ستفعل كل هذا ولكنك لاترغب في أن تتعلق بك تلك الفتاة وتحبك.

-سيكون الأمر أهون عندما تدرك دوافعي وأسبابي بينما هي لاتشعر نحوي سوى بمشاعر الأخوة..أما إن أحبتني بعمق فسيحطمها هذا..

ردت جدته مقاطعة اياه قبل أن يكمل:عزيزي أظن أن عليك أن تستمع إلى ما دار بينها وبين (جميلة) من حديث.

تطلع إلى جدته ثم قال: سأذهب إلى التريض..فقد تأخرت اليوم..سأستمع في الطريق.

وجذب هاتفه واضعاً أياه في جيبه والسماعات في أذنه وغادر القصر، فمشى قليلًا حتى وصل إلى منطقة التريض..بدأ ببعض التمارين على سبيل الأستعداد ثم بدأ يركض بسرعة متوسطة..قام بتشغيل التسجيل.

بدأت سرعته تتباطأ ثم توقف أخيرًا فلا جدوى من الركض الآن..جلس القرفصاء يلتقط أنفاسه..هل أحبته بهذا العمق بتلك السرعة..فقط لأنه..لأنه..ثم تذكر..لقد التقى بها في الكثير من المواقف وتصرف وكأنه فارس الأحلام في كل مرة..

عندما تركها تغادر بعد تلك الحادثة المتعمدة في الطريق إلى الغردقة..ثم عندما دس لها الدواء في العصير كي تتخلف عن أسرتها..ثم في حفل عيد ميلاد (أسيل) ودعوة الغداء وفي النادي والحديقة..من الغباء أن يظن أن كل هذا سيجعلها تكتفي بالأحترام والآنبهار..ليس لفتاة صغيرة السن عديمة الخبرة ولم تقع في الحب من قبل قط..هو مثلها كذلك لم يحب من قبل قط..ربما أعجب بزميلة له في الجامعة..أو عندما كان مراهقاً بفتاة ممن يرتادون شواطيء مرسى مطروح مع أسرهم في الصيف..ولكن كل هذ لم يتعدى الأعجاب.

عندما عاد شاحب الوجه إلى القصر ووجد جدته تجلس على ذات الأريكة كأنما تنتظر عودته لم يتكلم..بل صعد إلى حجرته وتحمم وبدل ثيابه ثم هبط إلى أسفل و جلس أمامها على المقعد الوثير صامتًا.

أبتدرته جدته فقالت:بالنسبة لأي رجل ذي ُخلق..عندما يدرك أن هناك فتاة ما تحبه..تحلم به..وتبني أحلامها وخطط حياتها الوهمية معه..حنينها اليه..أي انسان لديه ُخلق ولا يشعر نحو تلك الفتاة بالحب فسيصبح الأمر بالنسبة له عذاب مع شعور بالشفقة...فقط الذئاب أو الضباع من تتلذذ بمثل هذا الحب من طرف واحد.

هتف (يوسف): إذًا..أنتِ تفهمين مشاعري الآن.

-لا.

تطلع اليها في ضيق وتساءل إن كانت تسخر منه فقالت مفسرة:لا أفهم..لأنني واثقة من أنك معجب بها.

-من قال هذا؟

نظرت له لائمة فغمغم: ربما قليلًا..ولكن..

-رأيي أن هذا هو أسرع حل لتنفيذ مخططنا..فلتتقدم لخطبتها...بل تزوجها إن أستدعى الأمر.

-جدتي.

نهضت بغتة وصاحت غاضبة بشكلٍ فاجأه:هل تنوي التخلي عن الخطة؟..إن كنت ستفعل ذلك فأخبرني حتى أتصرف أنا..

إن كنت ستستمر حتى النهاية حتى ينال هؤلاء القتلة المجرمون عديمو الضمير والشرف جزاءهم فلا تدع أحد..أي شخص أو أي أحد أن يوقفك..حتى تلك الفتاة عاشقة الزهور.

صمت يحملق فيها وقد شعر بالتوتر من ثورتها المفاجئة..ولم تهدأ هي..بل عادت تصرخ من جديد: حتى وإن كنت معجباً بها..حتى وإن أحببتها..هل ستحبها أكثر مما أحببت والدتك؟

أنتفض في مكانه فقد كانت كلماتها كسهام باردة تخترق قلبه..تمتم مرتبكًا: لم ترفعين صو..

قاطعته صائحة من جديد:إذًا..لا أريد أن أرى منك ضعفاً..أو عاطفة..أو تردد..سيذهب هؤلاء الثلاثة إلى حبل المشنقة كما

خطتنا..بعد أن يفقدو أحبائهم وثرواتهم وكرامتهم كما خطتنا..ستنتقم لكل من ُظلِم ويعتمد عليك ويغامر بنفسه ويشترك

معك سواء كانت (نبيلة) أو (كامل) ولن تتردد بسبب فتاة او رجل أو أي شخص..لذا سأسألك مرة أخرى..هل تنوي التخلي عن الخطة؟..هل تحب تلك الفتاة أكثر مما تحب والدتك؟

كصفعات تهوي على وجنته كي يستفيق..لقد تخاذل لوهلة بسبب نشوة الشعور بحب تلك الفتاة له وأعجابه بها..لكنه الآن يفيق..أمسك رأسه وقد عاوده الشعور
بالصداع..منذ تلك الطلقة وهو يشعر بالصداع..منذ الحادث وهو يعاني من الأرق ولا ينام ألا بالأدوية..كيف نسي لوهلة ماحدث له ولكل من أحب..ستظل صورة والدته عالقة في ذهنه إلى الأبد..حاضرة في كوابيسه إلى الأبد.

أومأ برأسه وقال بلهجة قوية: أنا أسف..لن أتردد أو أتخلى عن الخطة أبداً.

هدأت جدته بغتة وقالت: ممتاز.

قال بلهجة حاسمة: سأذهب اليوم للتقدم لخطبتها.

نهضت جدته ومالت عليه فقبلته في جبينه بشكلٍ مفاجيء ثم قالت: سأذهب للسباحة قليلًا..كل هذا الآنفعال يشعرني بالحر.

***

أصر (فاروق) في المؤتمر الصحفي على عدم ذكر تعاونه مع (يوسف) في رسالة واضحة أنه يرفض الأمر..أنهالت عليه الأسئلة والأتهامات ولكنه أجاب ببراعة،ثم غادر عائداً إلى منزله..فأسترخى على المقعد الخلفي..اليوم هو مرهق لذا سيدع السائق يقود السيارة..خلع ربطة العنق لأنه شعر بها تخنقه..ثم قام بفتح هاتفه وكان قد أغلقه أثناء المؤتمر فوجد عدة مكالمات فائتة من والده..أتصل بوالده بمكالمة فيديو وظهر وجه والده وهو يقول: فتحت هاتفك أخيرًا..وكيف صار المؤتمر الصحفي؟

-بخير.

-أتصل (يوسف) بك..لقد طلب مقابلتي اليوم الساعة السابعة بخصوص أمر هام كما قال..أسرع بالعودة.

وكان (يوسف) قد أرسل إلى (جوري) على هاتفها رسالة وكان هذا بعد العصر وكانت مقتضبة "هل يمكنك مقابلتي بعد عشر دقائق في أخر الشارع..لن استغرق من وقتك سوى دقيقة".

وقد خفق قلبها بشدة وهي تقرأ الرسالة وراحت تفكر في ذعر وسعادة..هل سيتحدث معها بخصوص العمل..بخصوص المؤتمر الصحفي ولأن (فاروق) لن يتحدث فيه عنه..أم لعله سيعترف لها بمشاعره.

قال بعد عشر دقائق..عليها أن تسرع..تأملت ثياب البيت الصيفية التي ترتديها ثم ركضت إلى حجرتها فجذبت أول ثوب رأته وأرتدته مسرعة..لا وقت كي تمشط شعرها..ولكن لايمكنها مقابلته لوحدها..سيقتلها الحياء..أسرعت إلى المطبخ وكانت (جميلة) تغسل بعض ثمار الطماطم بالماء في حوض المطبخ وقد وضعتها في أناء فهتفت بها: (جميلة)..تعالي معي بسرعة.

مسحت (جميلة) يدها في منشفة وأغلقت الصنبور ثم تبعتها إلى الخارج وهمست (جوري) في أذنها:سنذهب إلى الخارج قليلًا..يريد السيد (يوسف) رؤيتي..قال لأمرً هام.

-هيا بنا إذًا.

تسارعت نبضات قلب (جوري) أكثر وهي تقترب من نهاية الشارع..هناك فكهاني يبيع فاكهة طازجة باهظة الثمن وعلى الناحية الثانية وقف (يوسف)..أبطأت (جميلة) حركتها ثم وقفت على مسافة نسبياً منهما..قالت (جوري): تلك صديقتي

وأبنة (ملك)..مربيتي ومدبرة المنزل..الآنسة (جميلة).

هز (يوسف) رأسه محيياً أياها..تلك هي (جميلة) إذًا.

ثم قال باسمًا: أعتذر لأنني أستدعيتك إلى هنا بهذا الشكل..أحتاج إلى التحدث معك في أمر هام للغاية ومستعجل.

تطلعت اليه متسائلة وقد أحمر وجهها خجلاً بعض الشيء.

قال بجدية: جوري..هل تتزوجينني؟

باغتها طلبه فأزداد أحمرار وجهها وبدا كأن الدماء ستنفجر منه..وخفق قلبها بشكل أفزعها أن يكون مسموعاً ولكن كل هذا لايضاهي غرابة رد فعلها..لقد ترقرقت دموع الخجل في عيونها..ومن حسن الحظ أنها لم تسقط.

أجفل (يوسف) ثم قال معتذراً: أنا أسف..لم أقصد مضايقتك مطلقًا.

غمغمت: كلا..لست..متضايقة.

وكان صوتها مرتجف فقال: إن قبلتي فسأتي اليوم لرؤية والدك.

ولكنها لم ترد وأطرقت برأسها صامتة وأدى أندفاع الأدرينالين بسبب الآنفعال إلى أرتجاف أطرافها.

تأملها وقد شعر في قلبه بالشفقة..ملامحها الخجولة الطيبة..ماذنبها في خطايا والدها.

قال ليحسم الأمر: هل أعتبر صمتك موافقة؟

ظلت صامتة وإن ظهر شبح أبتسامة على شفتيها..فقال: إذًا..إلى اللقاء الآن حتى نلتقي فيما بعد مساءً.

ما أن أنصرف حتى أسرعت (جميلة) اليها وهتفت:لقد سمعته..أنه يريد الزواج منك..ألف مبروك..حبيبتي..ألف مبروك.

أطلقت (جوري) ضحكة سعادة قصيرة ثم عادت إلى القصر وهي تبتسم وقد أشرق وجهها بينما تستمع صامتة إلى ثرثرة (جميلة) وتهنئتها المتتابعة.

***

الفصل الثامن

(الخِطبة)

في السابعة بالضبط كان (يوسف) يجلس في مكتب (أكرم) وقد أنضم اليهما (فاروق) و(فارس).

عندما أتصل به (يوسف) وأخبره أنه يرغب في لقائه وألمح له أن الموضوع شخصي وهام قالت (فيروز) بثقة: أخيرًا سيتقدم لأبنتك الحمقاء.

ولكن (أكرم) أخبرها أن الأمر غالباً يتعلق بالعمل وإن كان يدرك أن (فيروز) قلما تخطيء توقعاتها.

دلفت (جميلة) حاملة فناجين القهوة والماء فوضعتها على المكتب..لمح (يوسف) النظرة السريعة المتبادلة بين(جميلة) و(فارس)..فكر..هل يعقل أن هناك أمرًا ما يدور بين هذان الأثنان.

قال (يوسف): أنا أرغب بالزواج من أبنتك الآنسة (جوري) يا سيدي.

ألتمعت عينا (أكرم)..هذا أفضل خبر سمعه منذ فترة..سيطمئن على أبنته وتكون تحت يده ثروة طائلة أخرى.

فقال باسمًا: أنت شاب ممتاز من كل النواحي وأنا شخصياً لا مانع عندي و...

قاطعه (فاروق):هل تصلي بانتظام؟

هم (يوسف) بالرد في سخرية: هل يصلي والدك بأنتظام؟ وماذا عن (فارس)؟

ولكنه أوقف نفسه حتى لايفسد الأمر وقال بصدق: كُنت أصلي بأنتظام،بل وأصلي الصلوات في أوقاتها.

تساءل (فاروق): كُنت؟

تنهد (يوسف) ثم قال: تعرضت ل..حادث..ومن وقتها وأنا لم أعد أنتظم.

هتف (أكرم) ملوحاً بيده: لابأس..سيأتي اليوم الذي تعود فيه كاالسابق..بالنسبة لعرض الزواج ف أنا شخصياً موافق...

قاطعه (فاروق) في حزم: ولكن أمهلنا عدة أيام كي نفكر في الأمر.

بدا الضيق على (أكرم) بينما رد (يوسف) في بساطة: بالتأكيد..سأنتظر منكم الرد وسأتي في زيارة رسمية مع والدتي وقتها.

ثم نهض فقال (فارس): رجاءً أنتظر قليلًا حتى نتناول القهوة معًا على الأقل.

وأسرع (أكرم) يكمل:أجل.

تطلع اليه (فاروق) بنظرة ثاقبة وقال: ألن تحدثنا عن نفسك..هواياتك..لما ترغب في الزواج من أختي..أم أنك كنت تظن أننا سنقبل بشكلٍ مباشر وتغمرنا السعادة لأنك عرضت علينا الزواج من (جوري).

طقطق (أكرم) بفمه..كان (فاروق) عدوانياً وانتبه هو نفسه لذلك فتنحنح ثم قال بصدق: أعتذر..أنا متوتر بسبب العمل.

رد (يوسف) وهو يجلس من جديد: أتفهم الأمر..أتفهم كذلك أسباب قلقك..وربما غضبك مني..لأنني أعمل مع (عزمي الدمرداش)..أليس كذلك؟

-هو ذلك.

هتف (أكرم): (فاروق)..لاتنسى أنه صديق أسرتنا منذ سنوات.

ثم تطلع إلى (يوسف) باسمًا وقال: قد تكون وسائله في العمل ملتوية بعض الشيء ولكنه أنسانٌ جيد.

غمغم (فاروق): إنه أنسانٌ حقير.

رمقه (أكرم) بنظرة محرجة وقال (يوسف): فقط..أستثمار أخر ولن أعمل معه ثانية في المستقبل.

وأسرع (فارس) يغير الموضوع فراح يتحدث عن الأعمال وعن أوروبا وعن بعض الأمور العامة وبعد ساعة غادر (يوسف) ثم غادر الثلاثة المكتب.

أسرع (أكرم) إلى الصالة ليخبر زوجته وقال (فارس):يبدو لي عريساً ممتازاً.

رد (فاروق): وكيف تعرف هذا؟..نحن لانعرف عنه شيئًا سوى ما يقال في الصحافة..إنه شخص عاش حياته كلها في أوروبا..أقل ما يمكننا فعله هو التحري عنه قبل أعطاء الموافقة.

هتف (فارس): وكيف ستفعل هذا؟هل ستسافر إلى أوروبا؟أم نبحث على شبكة الآنترنت؟

رد (فاروق): النت مليء بالأكاذيب..سأطلب من السفارة تقريرًا عنه..غدًا أُقدم طلباً رسميًا.

ثم نهض مردفاً: سأصعد لأتكلم مع (جوري) قليلًا.

هتفت (فيروز): أبوك من سيتكلم معها.

رد باسمًا: بالطبع..أنا لن اتحدث معها حول موافقتها أو رفضها...بل هو موضوع أخر.

***

عندما عادت (جوري) إلى القصر صعدت إلى حجرتها وجلست على سريرها غير مصدقة..ثم توجهت نحو المرآة.

راحت تحرك يدها على وجهها وهي تتأمله..شعرت أنها جميلة وهو شعور نادراً ما كانت تشعر به بسبب زوجة أبيها التي حرصت على التركيز على عيوبها طوال الوقت..ابتسمت في سعادة حقيقية..مالت تتأمل نفسها من الجانب ثم قالت بسعادة حقيقية نابعة من أعماقها: شكرًا لك يا الله..لقد حققت لي أمنيتي.

لا تُصدِق أن الشخص الذي أحبته بادلها الشعور ويرغب في الزواج منها.

وجدت نفسها تبتسم في سعادة وهي تتذكر أول مرة ألتقت به ثم كل ماحصل بينهما من مواقف..ثم قطبت بغتة..ماذا لو فتر هذا الحب بعد الزواج كما يحدث في بعض الأحيان..بالنسبة لها تثق أنها ستظل محبة له للأبد ولن تُحب سواه أبداً ولكن ماذا عنه؟..ماذا لو سافر إلى أوروبا من جديد ووجد الفتيات الجميلات،ثم عادت تهز رأسها..لقد رفض (أسيل) بجمالها الخلاب..عليها أن تثق فيه..ثم تأملت نفسها في المرآة من جديد..لقد جُنت..أنها تفكر في سيناريوهات وأمور قد لاتقع..عليها أن تتفاءل..ستكون زوجة رائعة فهي تحبه..بل أن حبه يجري منها مجرى الدم.

ثم جاء (يوسف) ولم تجرؤ على مغادرة حجرتها حتى للترحيب به ولكنها غادرت إلى الشرفة فتأملت الزهرتان أسفل شرفتها..زهرتي (الكامبيون) هديته اليها..ثم وجدت (يوسف) يغادر فخفق قلبها..تمنت أن ينظر نحوها ولكنه لم يفعل..عادت محبطة إلى حجرتها فغيرت ثيابها ثم دلفت إلى الحمام لتغسل وجهها بالماء البارد وسمعت طرقات أخوها على الحجرة فتنهدت ثم هتفت: أدخل.

دلف (فاروق) إلى الحجرة وجلس على حافة السرير برغم وجود أريكة وثيرة وقال باسمًا:كيف حالك ؟

ردت:الحمد لله

-سمعت أنك غادرت اليوم القصر فجأة لعدة دقائق ؟

-تمشيت قليلًا مع (جميلة).

-أجل..لقد عرفت..أجلسي...أنتِ مازلتي تدرسين في الجامعة..أعني لقد تبقى لك عامين..أليس كذلك؟

-أستطيع أن أدرس في المنزل وأشاهد المحاضرات على الآنترنت.

-ولما تفعلين هذا؟

كانت على شفتيه أبتسامة خفيفة..لم يخبرها عن عرض (يوسف) ولم يفاتحها في شيء ومع ذلك أخبرته أن لديها حلاً لموضوع دراستها.

أحمر وجهها ولم ترد فقال: هل طلب رؤيتك..أعني (يوسف)؟

-أجل.

-سيصعد والدنا للحديث معك.

ثم نهض قائلًا: لدي عملاً مهم في الصباح الباكر..سأذهب إلى النوم الآن..تصبحين على خير يا (جوري).

-تصبح على خير أخي.

غادر حجرتها ومر بحجرة (فادي) فدلف اليها وتطلع إلى أخوه الصغير وهو يتفحص الجهاز الذي أشتراه والألعاب الجديدة وتأمل أخوه لثواني فاستدار اليه هاتفًا:أخي..هل تلعب معي؟...دعنا نجرب الجهاز ف (فارس) قال إنه منشغل.

غمغم (فاروق): لابأس.

وجلس بجواره متربعاً على الأرض وتناول ذراع التحكم ولعب معه دوراً ثم قال بغتة: (فادي)..هل تشعر بالضيق مني لأنني أقسو عليك أحيانًا؟

رد (فادي) في حيرة:أبداً..(ثم ابتسم مكملاً) إن كنت تشعر بالذنب يمكنك زيادة مصروفي.

عبث في خصلات شعر أخيه وقال: كف عن العبث يا ولد.

ضحك (فادي) فعاد أخوه الكبير يقول:أخبرني ما حدث بالتفصيل عندما ذهبت مع أختك و(يوسف) إلى الحديقة.

حكى (فادي) كل ماحصل وأسهب في وصف السيارة بأنفاس منبهرة وحكى عن القطة وأستمع اليه (فاروق) في أنتباه

ثم نهض معلناً: يكفي هذا..أنا مرهق وسأذهب لأنام.

-تصبح على خير.

غادر حجرة أخيه باسمًا ودلف إلى حجرته ففتح حاسوبه وأرسل طلباً إلى السفارة الفنلندية عن طريق الحاسوب ثم

أستلقى على سريره.

***

أما (يوسف) فقد عاد إلى القصر وأخبر جدته بأن الأمر تم.

كانت تجلس وأمامها قد وضع طعام العشاء على المائدة فأمرته بالجلوس فجلس وتناول القليل.

قالت وقد ضاقت عيناها الزرقاوين الباردتين:هناك شيء ما بين (فاروق) و (عزمي).

-ماذا تقصدين؟..إن (فاروق) مستقيم وشريف لهذا من الطبيعي أن يكره وجود (عزمي) حول أسرته.

-هذا ليس السبب فقط..ليس هذا أحتقاراً أو امتعاضاً..إن (فاروق) يكره (عزمي)..الكراهية شعور عميق ولايأتي هكذا ببساطة لأن الشخص ملتوي أو خبيث..سأطلب من (كامل) أن يتحرى الأمر.

-أخبريه أن يبحث عن الخدم القدامى في القصر..بعد موت والدي تم تغيير جميع الخدم في القصر عدا (ملك) التي غادرت للزواج ثم عادت..أجعلي (كامل) يسأل الخدم القدامى.

-سأفعل..تناول هذا الجبن..سيعجبك كثيرًا.

-أجل..شكرًا.

-برأيك مالذي يدور بين (فارس) و (جميلة)..أم لعلك تبالغ؟

ابتسم (يوسف) في أستمتاع وقال:ليست تلك نظرة عادية..أياً كان ما يدور بينهما فلن تقبل به (فيروز) هانم.

جلست جدته تحتسي القهوة بينما جلس هو في الحديقة على المقعد أمام حمام السباحة ووضع السماعات في أذنه.

أزاحت (بيرين) الستار عن أحدى النوافذ وراحت تحتسي القهوة وهي تراقب (يوسف)..يستمع للمقطع ثم يعيده من جديد ثم يستمع اليه مرة أخرى..تنهدت ثم أعادت الستار وعادت إلى الأريكة.

"-أتعلمين؟...أنه انسان رائع وعظيم..أنه أنبل وأشجع وأكثر شاب يعرف معنى الرجولة رأيته في حياتي.

ضحكت (جميلة) وقالت: أنت متيمة.

-من سويداء قلبي."

عاوده الشعور بالصداع..نهض (يوسف) وأغلق التسجيل ثم دلف إلى القصر فصعد إلى حجرته وتناول الدواء وحاول أن ينام...سؤال (فاروق) طرق عقله بغتة..أنه لم يعد يصلي تقريبًا..لم ينتبه إلى هذا فقط توقف عن الصلاة تقريبًا ولم يفكر في الأمر..يشعر أن شخصيته الجديدة بقسوة القلب وبرودة المشاعر لايمكنها الوقوف بين يدي الله والخشوع والصلاة.

***

في اليوم التالي ذهب (فاروق) للسفارة بعد أن أرسلت له رداً بأن بوسعه القدوم اليوم للأستماع اليه ولما أنتهى من عرض طلبه ذهب إلى الشركة وبعد مرور أسبوع كان اليوم الذي سيصل فيه التقرير إلى البريد الألكتروني.

قال (أسماعيل) متسائلًا: هل وصل تقرير السفارة بعد؟

ردت (نبيلة) وهي ترفع عينيها نحوه: ليس بعد..بمجرد أن يصل سأبلغك.

وما أن عاد الرجل إلى مكتبه حتى عادت (نبيلة) تنظر إلى الشاشة وتقرأ تقريرالسفارة بتمعن مع حذف كلمة (متوفي) ثم

أضافت بعض الأسطر الممتلئة بالمديح..كيف أن (يوسف) يشارك في أعمال الخير ومساندة المسلمين والمهاجرين والفقراء في فنلندا عمومًا ولما أنتهت قامت بتشغيل برنامج خاص يمحي أثر أختراقها لشفرة التقرير وأعادت تشفيره إذ كانت بارعة للغاية

في علوم الحاسوب..وأعادت إرساله إلى عنوان بريد (فاروق) الألكتروني ثم قالت: هناك رسالة وصلت إلى بريد البك.

ثم نهضت وطرقت باب المكتب وفتحته وقالت دون أن تدخل: وصلتك رسالة يا سيدي على البريد الألكتروني.

غمغم (فاروق) أن شكرًا وأغلقت هي الباب وجاءت طفلتها بخطوات رشيقة فتطلع (أسماعيل) نحوها وقالت (نبيلة) بصرامة: نبهتك ألا تصعدي إلى هنا أبداً.

هتفت الطفلة: ولكن يا ماما..لقد حان موعد أستراحة الغداء وأنتِ لم تأتي..فأحضرت لك من الكافيتريا شطيرة.

قالت باسمة: هناك أمرًا هام كنا ننتظره..عودي إلى المركز حتى أتي اليك بعد قليل.

-هل يمكنني أن أُسلم على عمو (فاروق)؟

تطلع (أسماعيل) نحوها فمالت (نبيلة) على أذن ابنتها وهمست: حبيبتي..إنه رئيس الشركة ولا يمكنك أن تناديه عمو أو تتحدثي معه..مفهوم.

غمغمت الطفلة معترضة: ولكنه صديقي.

-أنه ليس كذلك..أنه رجل طيب ساعدك مرة فقط...إذا ضايقتيه سيقوم برفت ماما.

غادر (فاروق) مكتبه في تلك اللحظة ثم تأمل الطفلة وقال باسمًا: أه..مرحبًا يا (نور)..كيف حالك؟

لم ترد الطفلة وتطلعت نحوه بحذر فأردف:هل نسيتني بتلك السرعة؟

غمغمت (نبيلة):ردي السلام على البك يا (نور).

قالت (نور) مستنكرة:ولكنكِ قلتِ أنني أذا ضايقته سيقوم برفتك.

ضحك (فاروق) برغمه وكان هذا قليلًا ما يحدث فتطلع اليه (أسماعيل) وأحمر وجه (نبيلة) وتشجعت (نور) فمدت يدها تصافحه ثم ناولته شيئًا ملفوف وقالت: لأنكم تأخرتم عن موعد الغداء أحضرت لك أيضًا شطيرة..وأنت يا عم (أسماعيل).

وناولت الأخير شطيرة فتناولها بلا رد وغمغمت (نبيلة): وكيف هو التقرير يا سيدي؟

-ممتاز..(نور)...أعتذر لأنني أخرت ماما عن النزول اليك في موعدها.

ردت الطفلة في شقاوة: أعتذارك مقبول.

-وأنتما أذهبا لتناول غدائكما هيا..أحسنتما العمل...خذا ساعة للراحة اليوم.

وربت على رأس الطفلة ثم دلف إلى مكتبه وغادرت (نبيلة) مع ابنتها إلى الطابق الثالث حيث الكافيتريا وجلست على مائدة مع ابنتها ثم أخرجت حاسوبها الشخصي وأتصلت ب (يوسف) وقالت: تم الأمر.

ثم أنهت الأتصال.

***

أنهى (يوسف) المكالمة مع (أكرم) ثم تطلع إلى جدته وقال:أتصلي بهم غدًا كي نتقدم بشكلٍ رسمي.

ضحكت جدته ضحكة ظافرة ثم قالت: أحسنت صنعاً ولكن هناك أمران يجب أن نتناقش فيهما قبل أستكمال الخطة.

وضع أبهامه أسفل ذقنه بالعرض والسبابة على وجنته وتطلع اليها متسائلًا فقالت: أولًا..هذا الزواج صوري وليس زواجاً حقيقياً ومع ذلك عليك أن تلعب دور الزوج المحب حتى تثق بك تمامًا ويمكنك عندها أن تحصل على توكيل عام وأن تعبث في مقدرات الشركة كما ترغب..ولكن لايجب أن يحصل حمل.

تخلى (يوسف) عن ملامحه الباردة وبدا عليه الآنفعال وغمغم: حمل؟

بدا وكأن الفكرة باغتته..وكأنه لم يكن قد خطر في باله أمرًا كهذا.

قال متسائلًا في قلق: وماذا أفعل؟

ردت جدته: قرص يمنع حدوث الحمل لمدة عام..إنها أحدث وسائل تنظيم الأسرة..سأتصرف وأحضر لك وأحدًا تدسه لها في عصير وينتهي الأمر.

قال (يوسف) في ضيق: ليس هذا ما قصدته..كنت أقصد هل علي أن..ألمسها؟

هتفت جدته مستنكرة: أليست زوجتك؟ أليس من المفترض أن تثق بك تمامًا وتسلمك ادارة الشركة؟..أنت مجبراً على لعب دور الزوج كاملًا.

بدا عليه الضيق فقالت جدته: الفتاة لابأس بها..ليست بهذا القبح أو النفور.

قال (يوسف): إنها رائعة الجمال.

عادت النظرة القاسية تطل من عيون جدته...تلك النظرة التي رأها عندما كان راقداً في المستشفى والتي أشعرته أن جدته أمرأة قاسية قليلًا وهي نفس النظرة التي رأها عندما تشاجرت معه منذ أسبوع.

قالت:أجابتك تلك تنقلنا إلى النقطة الثانية والأهم..أنت متأكد أنك لاتحب تلك الفتاة إلى الدرجة التي تعوق مخططك؟..لأنه في نهاية اللعبة سينتهي ما بينكما إلى الأبد.

قال (يوسف) وهو ينهض في صرامة:على الأطلاق..كما أنني لا أحبها بأي درجة..والآن أتصلي بهم.

***

بأبتسامة عريضة أستقبل (أكرم) و(فيروز) كلاً من (يوسف) و(بيرين)..أسرعت (ملك) تحمل علبة الشيكولاتة وباقة الزهور من يدي (يوسف) ووجهها يشع بالسعادة وكأن العروس هي أبنتها.

جلس الجميع في الصالة وتناولوا العصائر وتحدثت (بيرين) في لباقة وأخيرًا قالت: حان الآن وقت التحدث في التفاصيل.

تنبه لها الجميع وهي تشرح: بالطبع..كل ما تطلبه أبنتنا من شبكة أو مهر مجاب..بالنسبة للمنزل الذي سيعيشان فيه..

الحق أنني في البداية اردت أن يعيشا معي ولكنني غيرت رأيي..إذ من حق العروسين بيت مستقل..فقررت بناء قصر أخر لهما في نفس المنطقة هنا.

قالت (فيروز): قصر لهما؟

ولسان حالها قصر من أجل (جوري).

كانت ملامحها ونظرتها تفضح مشاعرها بوضوح وتطلع اليها (فاروق) بضيق.

عادت (بيرين) تقول:ولكن الأمر سيستغرق عدة أشهر..هل هناك مشكلة أن يمكثا معي في تلك الفترة؟

هز (أكرم) رأسه وقال باسمًا: لامشكلة.

ولكن (فاروق) قال: أو يمكنهما البقاء معنا هنا حتى ينتهي البناء.

قمعت (بيرين) أبتسامة ظافرة وتظاهرت بالتردد فهتف (فادي) بلهفة:أجل..فليبقيا معنا.

وكان (فادي) قد شعر بالحزن عندما علم بأن أخته القريبة منه ستتزوج وترحل قريبًا..وأدرك أنه سيسقط فريسة للشعور

بالوحدة من بعدها بلا شك.

قالت (فيروز): لا داعي..هل يُعقل أن يتركا (بيرين) هانم وحدها؟

ولكن (بيرين) قالت: لا بأس..على الأقل حتى تعتاد الفتاة حياة الزواج وسط أسرتها..سيساعدها هذا على التأقلم بسرعة وعلى الشعور بالألفة.

دلفت (جوري) أخيرًا إلى الصالة..كان وجهها مشرقاً وكأن شعور السعادة الذي يغمر قلبها قد أنعكس على ملامحها..أذناها محمرتان من الخجل..وكانت ترتدي ثوباً أبيض بسيط وجميل مزين بأزرار أنيقة رقيقة ذهبية اللون..وأما شعرها فلم يكن معقوصاً كالعادة،بل تركته ينساب بتموجه وزينت أذنيها بقرط صغير على شكل فراشة.

جلست بجوار (فادي) وأطرقت أرضًا، فتأملها (يوسف) باسمًا.

أطلقت (بيرين) بعض عبارات المديح والثناء على (جوري)..بدا أن الجلسة قد صارت بعد قليل أكثر حميمية وألفة وراح الجميع يتحدث بمرح وراح (فارس) يلقي النكات.

ولم يملك (يوسف) نفسه فعاد ينظر إلى وجه (جوري)..وكانت حرارة عاطفتها قد تغلبت على خجلها المعتاد وخوفها..فدفعت السعادة والحب بالدماء إلى وجنتها ومنحت

عيناها بريق أمل لاشك بحياة جديدة سعيدة كما تحلُم،بل طردت من قلبها الشك في نفسها وقدرتها وأكسبتها الثقة بالنفس التي أفتقدتها مطولًا..فلا شيء قد تقوله زوجة أبيها الآن قد يزعجها أو يهز تلك الثقة..ولهذا كانت تبادله النظرات ولكن بشكل مقتضب وسريع وتبتسم في سعادة وحياء.

و (بيرين) لاحظت تلك العاطفة المتبادلة بين الأثنين فقالت باسمة بلطف فجأة: سنقيم حفل الخطبة في باخرة على النيل..

نحن الآن في أواخر أغسطس والطقس مناسب..ما رأيكم؟

رد (أكرم): فلنفعل إذًا..فكرة ممتازة.

عادت (بيرين) تقول بخبث: بالنسبة لنا فليس لدينا للأسف أقرباء..ربما سندعو محامي الأسرة فقط..ماذا عنكم؟

وأجابها (أكرم): ولا نحن في الواقع..(فيروز) ليس لها إخوة وقد توفي والداها منذ زمن وأنا كذلك.

أرتفع حاجبا (بيرين) في دهشة مصطنعة وقالت:حقًا؟..نحن نتشابه في تلك النقطة إذًا.

ساد الصمت بشكلٍ غريب لثوان ثم قال (فاروق): كان لدي عم ولكنه توفي منذ زمن..رحمه الله.

أمتقع وجه (أكرم) بينما ظلت (فيروز) باردة بلا أي تغير في ملامحها.

قالت (بيرين): رحمه الله...مات في عمر مبكر كما يبدو.

بدا الضيق الشديد على ملامح (أكرم) وكأنه لايرغب في تذكر أخيه على الأطلاق..وخفق قلب (يوسف) ثم تملكه الغضب الشديد عندما قال (فاروق): كان مريضاً..رحمه الله..كان رجلًا طيب القلب حقًا.

وبدا أنه يستعيد ذكرى طيبة فتبسم مكملاً: كان يلعب معي كثيرًا في طفولتي..ويقص علي القصص قبل النوم..رحمه الله

تساءل (يوسف): ألم يتزوج؟

رد (فاروق): أجل..لقد تزوج..وكان لديه طفل ولكن زوجته حسب ما يقول أبي كانت أنسانة سيئة وتطمع في الميراث وأنعزلت بولدها ورفضت كل مساعدات أبي أومحاولاته لرؤية ابن أخيه..سامحها الله..لقد توفيت هي وابن عمي

كذلك في سطو مسلح لعصابة.

كان (يوسف) يغلي بداخله كبركان ثائر غاضب..بذل مجهوداً جباراً حتى يسيطر على نفسه ويقول في هدوء: هذا أمرًا مؤسف.

قالت (جوري): كنت أتمنى التعرف عليهما.

بدا (فاروق) متأثراً وقال: وأنا كذلك حقًا.

هنا فقد (يوسف) أعصابه فقال بهدوء فيه رنة غضب واضحة: ولما لم تفعل؟

تطلع اليه (فاروق) في حيرة فتمالك نفسه وعاد يقول: ولكن دعنا نتحدث عن الخطبة الآن.

كان تمالك (يوسف) لأعصابه سريعًا وناجحاً ألا مع (فيروز) التي أرتفع أحدى حاجبيها وهي ترمقه في شك وتتفرس في وجهه قبل أن تهز رأسها.

وقالت (بيرين): بمجرد حجز الباخرة سيتم تحديد الخطبة الرسمية.

ثم أخرجت هاتفها وقالت باسمة: أسمحوا لي..بعد إذنك يا (يوسف)..سأعرض عليكم صوره في مراحل حياته المختلفة.

نهضت (جوري) بحماس لتجلس بجوار (بيرين) وتصفحت معها الصور ثم بدأ الهاتف يتنقل بين أفراد الأسرة.

تساءل (يوسف) فيما تفكر جدته وهي تعرض صور ابنها المتوفي في مراحل عمره المختلفة وكأنه مازال حياً..هل كذبت الكذبة وصدقتها..هل تظن أن عملية تغيير ملامح تعيد أبنها إلى الحياة.

وجاءت (ملك) وأعلنت أن طعام الغداء جاهز فنهض الجميع وجلسوا حول المائدة.

أختلس (فارس) نظرة سريعة نحو (جميلة) وشاهده (يوسف) صدفة ولكنه حافظ على ملامحه ثابتة وكأنه لم يرى شيئًا

بعد تناول الغداء الشهي تم تقديم الشاي والقهوة والكعك وقطع الجاتوه..ثم غادر (يوسف) مع (بيرين) في السيارة وكان ساهماً طوال الطريق..لقد أجادت (بيرين) الضرب على الوتر الذي غير مشاعر (يوسف) بغتة وبعد أن كان منهمكاً في الأعجاب ب(جوري) وتأملها تحدثت جدته عن الأقارب وتدرج الحديث حتى وصل إلى سيرة والده المغدور.

ونجحت (بيرين) في تذكيره بدماء والديه وضياع مستقبله وخطته للأنتقام وتحقيق العدالة في اللحظة التي نسي فيها تمامًا الأمر.

وتم حجز باخرة فاخرة في النيل لحفل الخطبة في منتصف سبتمبر وكان هذا أقرب موعد متاح.

***

عاوده الصداع..أخبره الطبيب عدة مرات أن السبب نفسي لا عضوي..وحتى الأرق الذي يعانيه نفسي.

تناول قرصين من الدواء وعاد يستلقي على السرير محأولًا النوم..في أذنه يتردد صوت (جوري)..مراراً وتكراراً تعذبه

"-أتعلمين؟...أنه انسان رائع وعظيم..أنه أنبل وأشجع وأكثر شاب يعرف معنى الرجولة رأيته في حياتي.

ضحكت (جميلة) وقالت: أنت متيمة.

-من سويداء قلبي."

بينما أمام عينيه مشهد مصرع والدته..عيناها الطيبتان الرحيمتان قد خلت من الحياة..شاخصة تنظر اليه وكأنها تحمل همه من بعد رحيلها..أو تستنجد به ربما.

أطلق صرخة أودعها كل مشاعره وأنتفض ناهضاً..الغضب مع الأحباط..الكراهية مع الشفقة..كل تلك المشاعر تعتمل في نفسه الآن مرة واحدة.

سمع طرقات على باب الحجرة ودلفت جدته وقد بدت قلقة..غمغمت: سمعتك تصرخ.

كان يتنفس بثقل ويحدق أمامه غارقًا في أفكار مؤلمة ومحزنة كما يبدو.

عادت تقول:هل أنت بخير؟

أنفجر فجأة في الضحك دون سبب..تأملته جدته صامتة ومتفهمة ثم بدأت العبرات تحاول التسلل من عينيه على وجنته..

ربما سالت دمعة أو أثنتين ولكنه قمعها فورًا وظل يحملق أمامه صامتًا..ثم أنفجر ثانية في نوبة ضحك وقال وهو يمسح الدموع التي نتجت عن ضحكه الهستيري تلك المرة: لدى (فاروق) ذكريات مع أبي..بينما أنا..ابنه..ليس لدي أي ذكرى معه..أو حتى صورة واحدة لنا معًا..أظنك سعيدة وراضية الآن..أليس كذلك..لقد ذكرتني بما كدت أنساه.

ردت في برود:أجل..أياك أن تنسى أبداً.

ودون كلمة أخرى أغلقت جدته باب الغرفة مغادرة.

***

أطلقت (أسيل) ضحكة ساخرة وهي تسمع الخبر من والدها وقالت: ألم أقل لك يا أبي.

قال (عزمي) في غيظ: وهل هي بحاجة إلى تلك الثروة؟..لاأصدق أن تلك الفتاة الآنطوائية غريبة الأطوار قد أوقعت هذا الفتى في حبها.

ردت زوجته: وهل نحن بحاجة إلى الثروة..ألا تفكر في أي شيء سوى المال.

وهتف (عادل): سأحطم الحفلة على رأسهم..سوف...

قاطعه والده صارخاً:أخرس..أيها الغبي الأحمق..أضعتها من بين يدك والآن تحاول جعلنا نخسر كل شيء..(يوسف) بك وصديقي (أكرم)..بل وتمنح (فاروق) مبرر الآنهاء كل الشراكة بيننا وهو ما يتمناه منذ سنوات لولا والده.

غمغم (عادل): ولكن يا أبي...

قاطعه والده: قلت لك أخرس.

وتطلع إلى الدعوة التي تحمل أسمي (جوري) و(يوسف) على حفل الخطوبة بعد أسبوعين في حسرة..لقد خسر فرصتين ولكن لابأس فقد تبقت عدة ساعات على حصاد أستثمار أموال (يوسف) والتي أكتسب من ورائها ثروة صغيرة جديدة تُضاف إلى ثروته الطائلة.

ولهذا في المساء دلف إلى مكتبه وأغلق الباب وأنهمك في العمل لعدة ساعات دون أن يشعر بمرور الوقت.

وأطلق (عزمي) ضحكة ظافرة بينما زوجته تدلف إلى المكتب فزفرت في غيظ وتأملته وهو يحدق في الشاشات أمامه زائغ العينين ولعنت غبائها الذي جعلها تفتن به وتقبل الزواج منه..منذ تعرفته وهو يبالي بالأموال قبل أي شيءً أخر..

مهما كان ما لديه من مال كثير فهو لا يشبع أبداً..كانت تقول لنفسها أنه ثمة خلل ما في نفسيته حتمًا..لاتعرف الكثير عن ماضيه ولكن عشقه للمال ليس سوياً.

أدركت أنها إن ظلت واقفة إلى الأبد فلن ينتبه إلى وجودها فقالت: عزمي..عزمي.

استدار اليها وقال: عزيزتي دعينا نحتفل اليوم فلن تصدقي الأرباح الهائلة التي حققتها أموال (يوسف) بك..هذه الأرباح لم أحققها في حياتي من قبل قط.

هتفت: دع العمل..وهيا لتنام..ستشرق الشمس بعد ساعة.

-أجل..أجل..سأتي.

***

قبل وصول (عزمي الدمرداش) إلى القصر جلس (يوسف) يتناقش مع (كامل) المحامي وسأله: هل جهزت العقد الجديد بالشروط الجديدة؟

-أجل.

-وكم سيستغرق الأمر حتى نقضي على (عزمي الدمرداش)؟

-إذا صارت الأمور على مايرام وتوصلنا إلى الموظَفان الذان يتلقيا منه الرشاوى مقابل معلومات وأسرار البورصة فخلال 3 أو4 أشهر على الأكثر سينتهي هذا الرجل وثروته.

- وخلال تلك الفترة سأكون قد سيطرت على شركة (جوري) لمنعها من أنقاذ شركة (نعمان) التي ستخسرالمناقصة أياها طبعًا.

-لقد تم حسم موضوع المناقصة..سيخسرها وستكون ضربة قاصمة ل (أكرم نعمان) وشركته خاصة بعد مسألة البضاعة منتهية الصلاحية.

-لقد أقتربنا جدًا..لم يتبقى سوى الذاكرة التي تحمل دليل إدانتهم بالقتل.

ثم نهض ولكن المحامي قال:مهلًا هناك معلومات جديدة عرفناها عن (فاروق)..أنت طلبت مني التحري والبحث عن الخدم القدامى...ولكن أين (بيرين) هانم.

عاد (يوسف) يجلس وتساءل في حيرة: ماذا وجدت؟

ثم هتف منادياً أحدى الخادمات وأمرها باستدعاء جدته ولما قدمت ورحبت بالمحامي جلست تنتظر سماع ما سيقال.

رد المحامي:عرفنا المعلومات من خادم عجوز مسن كان يعمل لديهم سائق ثم بعد وفاة والدك رحمه الله دفع له (أكرم) مبلغ تعويض وأعطاه شهادة خبرة ثم سرحه..حسنًا المعلومات هي..ولاحظ أن الرجل مصاب بخرف الشيخوخة فهو في التسعين ويعيش في قريته في صعيد مصر حاليًا.

هتف (يوسف): أختصر يا (كامل).

عاد المحامي يقول:لقد عاد للعمل لديهم بعد وفاة (جيهان نصر الدين) ويبدو أن شخصية السيد (فاروق) قد تغيرت بعد وفاة والدة (جوري) مباشرة فلم يعد يمرح أو يضحك وأصبح يعامل والدته بجفاء لفترة ثم صار إلى ما صار اليه الآن..ومن وقتها أصبحت علاقته ب (عزمي الدمرداش) باردة جدًا.

غمغم (يوسف): ربما تكون تلك الأفعى مسئولة عن مقتل والدة (جوري) بالأشتراك مع (عزمي) وربما علم (فاروق) بهذا.

رد المحامي: ربما..ولكنه لم يعمل من قبل مع (عزمي الدمرداش) على أي حال.

قالت (بيرين): لقد وصل (عزمي)..هل أنتما مستعدان؟

رد الأثنان معًا: بالتأكيد.

ذهب (يوسف) بنفسه لأستقباله ثم دعاه إلى داخل القصر وجلس الأثنين في الصالة وأستاذنت (بيرين) وغادرت وجاءت الخادمة ووضعت فناجين القهوة وبعد مرور عدة دقائق راح فيها (عزمي) يتحدث عن الزواج والمسئولية وهنه على الخطبة القريبة قال باسمًا: الواقع بما أني هنا الآن وقد حان وقت سداد أموالك اليك أريد الحديث معك في هذا الأمر.

أعتدل (يوسف) في جلسته وقال في حيرة مصطنعة: خيراً.

فرك (عزمي) كفيه وقال باسمًا في لزوجة:الواقع أنني أرغب في أستثمار المزيد من أموالك وكما ترى فستحصل على المزيد من الأرباح وخلال أربعة أشهر..هذا وعد مني بمضاعفة ثروتك.

قال (يوسف): (كامل) يحاول أقناعي بأستثمار أموالي..ال10 مليار..وأنت أيضًا تريد مني ذلك.

قال (كامل): هذا مشروع مربح للغاية..ستعود اليك الأموال مضاعفة.

ومضت لحظة صمت ثم قال (يوسف): (عزمي) بك..إنني راغب في عمل مشاريعي الخاصة وليست لدي سيولة كافية حاليًا..ولايمكنني أن أؤجلها وأجلس عاطلاً في المنزل.

هتف (عزمي): هناك صفقات هامة تتم دائمًا في المجالات الزراعية وفي أستيراد بعض الأغذية في فصل الشتاء..خلال أربعة أشهر ستتضاعف أموالك حرفياً وستكون أنت الرابح.

بدا التردد على وجه (يوسف) فهتف (عزمي) محأولًا أقناعه: سنكتب عقداً جديداً بالشروط التي تطمئنك.

قال (يوسف): ليكن..سأترك لك 2 مليار جنيه للأستثمار..أعذرني فوالدتي سترفض أن أترك لك الأموال كلها فهي جل ثروتنا وقد كانت رافضة للفكرة في البداية.

غمغم (عزمي) محبطاً:ولكن...

قاطعه (يوسف): 2مليار ليست مبلغًا هيناً..بل أنه يعادل ثروتك حسب علمي تقريبًا.

رد (عزمي) مستسلماً: اجل.

عاد (يوسف) يقول:سيكون هناك شرطاً في العقد أن ترد الي المال خلال أربعة أشهر من تاريخ اليوم بالضبط مع نسبة الأرباح وإذا تأخرت فإن عليك أن تسدد غرامة مالية تعادل المبلغ الأصلي.

هتف (عزمي) في أستنكار: ما..ماذا؟

رد (يوسف) في حزم: يمكنك طبعًا أن ترفض الشروط وترفض العقد بالكامل..أنا شخصياً لست متحمساً..صحيح أنني أعتبرك صديقي ولكن هذا لا يعني أن أمنحك أموال عائلتي بلا ضمانة..تعلمت منذ زمن أن أكون عملياً.

مضت لحظة صمت ثم قال (عزمي) بأبتسامة شاحبة:أنا موافق.

قال (يوسف) باسمًا:ممتاز..سأجعل (كامل) يعد العقود ويمر على شركتك غدًا لتوقيع العقد.

وكاد يقفز فرحاً..إن خطته تسير في طريقها بنجاح..أما (عزمي) فقد قام بمواساة نفسه بأن المبلغ سيكفي لبدأ المشروع وربما يتمكن في المستقبل من أقناع (يوسف).

***

تمت الِخطبة يوم الخميس وكانت رائعة حقًا في الباخرة وأحضر (يوسف) لخطيبته طقم الماس كامل وجلس باسمًا يتقبل التهاني الحارة من كل المتملقين، وكان قد أتفق مع أسرتها على فترة خطوبة بسيطة شهرين فقط ولم تمانع (جوري) ولا والدها ولا زوجته طبعًا..وقرر أن يبقيا أول ستة أشهر من الزواج في قصر (نعمان) حتى ينتهي بناء قصرهم الخاص.

وفي شهري الخطوبة كان يزورها مرة في الأسبوع فيخرج معها ومع (فادي) الذي كان يرافقهما ثم لما بدأت الدراسة أصبحت (جميلة) هي المرافقة، فكان يصحبها إلى الحدائق أو المطعم للغداء أو يلتقيان في النادي، وعلى عكس المتوقع فقد كانت فترة الخطوبة خالية من التعبير عن حرارة المشاعر أو كلمات الحب..فقد كانت (جوري) تزداد خجلاً وقد أراح هذا (يوسف) في الواقع إذ لم يعد راغباً في رؤية نظرات الهيام أو الأعجاب في عينيها..وكان كلما أستمع إلى ما تقوله خلال برنامج التنصت في هاتفها..يرى المزيد من الحديث عن حبها له وعن أخلاقه العالية السامية فأنهى بغتة برنامج التنصت على هاتفها وسألته جدته مستنكرة عن السبب فقال: لم أعد راغباً في سماع أبيات الشعر التي تمتدحني فيها أو عن مشاعر الحب التي تملكت قلبها نحوي.

ولكنه وجد نفسه رغم ذلك يشعر بالسعادة في اللحظات التي يمضيانها معًا،بل كانت الكلمات العاطفية ينطق بها لسانه رغم أنفه، فقد دعاها يومًا للغداء في الخارج فذهب إلى منزلها وأسرعت (جوري) تستقبله فوجدته يثرثر مع (فاروق) في الصالة وأحمر وجهها خجلاً وهي تغمغم: مرحبًا.

قال باسمًا وهو يناولها الزهور التي أشتراها لها: مرحبًا.

تناولتها باسمة وهي تقول: شكرًا.

-أنا سعيدالآن الهدية أعجبتك.

-أجل...أنها رائعة.

هنا قال (فاروق) وهو يشير اليها كي تجلس في الصالة مع خطيبها: سأذهب إلى المصنع اليوم..أمضيا وقتٍ جيدًا.

ونهض مغادرًا وبدا الملل على (جميلة) وهي تستعد للذهاب معهما ونظرت شزراً وغيظاً إلى صورة معلقة في الصالة ل (فارس)..أما (يوسف) فقال ل خطيبته برقة: أوحشتني.

أحتقن وجهها وتمتمت في خجل: وأنت..أيضًا.

-متى نتزوج وتصبحين زوجتي وحبيبتي ورفيقتي؟

غمغمت في أرتباك: (جميلة) قادمة.

ولكن هل هو سعيد لأنه يجرب مشاعر الأعجاب والحب من فتاة لأول مرة..أم لأن خطته تسير بشكلٍ جيد..أم لأنه يحب

***

تبقت عدة أيام على زفاف (جوري)..أصبحت اكثر توتراً وأنفعالاً وأشتياقاً لهذا اليوم في نفس الوقت..في الشركة تقاعد (إسماعيل) رسميًا وتسلمت (نبيلة) مكانه كالسكرتيرة الشخصية ل (فاروق).

برغم شعور الغيرة الذي ملأ قلب (فيروز) لرؤية (جوري) سعيدة للغاية وستتزوج من هذا الشاب الوسيم الثري ألا أن الطمع في قلبها جعلها تداهن (يوسف) وتبدي سعادة زائفة وفي نفس الوقت شعرت بالقلق من أن تفلت ثروة (جوري) من بين يديها..صحيح أنها لم تكن تحت يدها بالضبط مع وجود (فاروق) الصارم المستقيم الذي لايضعف أمامها كوالده ولكنها كانت تقول لنفسها أن الثروة على الأقل تحت يدي أبنها..أما الآن فحتمًا سيتولى زوجها أدارة الشركة مع أخوها بصفته زوجها وهذا يضايقها فهو ليس (عادل) الذي يخضع لسلطة والده ويقف في صفها.

وفي هذا اليوم تساقطت الأمطار بشكلٍ طفيف فالشتاء على الأبواب وأسرعت (جوري) إلى الحديقة لتتفحص الأزهار..كانت قد توقفت عن الذهاب إلى الجامعة وقدمت طلباً للدراسة في المنزل عدا يومين في الأسبوع وهي أيام الدراسة العملية..أخوتها في الشركة والمدرسة وزوجة أبيها في النادي ووالدها في شركته..أنحنت تعدل التربة وتتفحص زهرة الكامبيون عن كثب حينما شعرت بظلاً

يقف خلفها..ابتسمت وهي تتخيل (يوسف) قادماً في هدوء محأولًا مفاجأتها فهو سيأتي اليوم وقالت باسمة: أستطيع رؤية ظلك.

واستدارت ففوجئت ب (عادل) الوغد..كان بغير كامل وعيه ومن الواضح أنه تناول شيئًا ما قبل قدومه..نهضت مسرعة وقالت: ماذا تفعل هنا؟

قال وهو يتأملها ساخرًا: ستتزوجين بعد الغد ومع هذا تعبثين بالطين بدلًا من بعض عمليات التجميل لعلك وقتها تبدين أنثى.

أطلت من عينها نظرة مزدرية ثم استدارت لتدخل القصر فجذبها من يدها صارخاً: أنا لم أنهي حديثي...كيف تجرؤين على المغادرة؟..هه.

قالت محذرة:أقسم لك أنني هذه المرة سأزج بك في السجن ولن أراعي مشاعر والديك أو الصداقة بين أسرتينا.

ترك يدها بشيء من الحدة وقال ساخرًا:القطة الصغيرة أصبحت شرسة بمخالب وأنياب منذ تعرفت على هذا ال(يوسف).

تراجعت قليلًا بحذر..كانت تريد تركه ولكنها تخشى أن يجذبها ثانية وفكرت أنها ستنادي الخدم كي يلقوه في الخارج ولكن الأمطار دفعت حارس البوابة إلى الدخول إلى غرفته والخدم إلى القصر..كانت متحيرة تفكر حينما فوجئت ب (فادي) الذي عاد من المدرسة ورأى المشهد ثم توجه مسرعاً نحوهم وقبل أن تفتح فمها أنقض على (عادل) وكال له لكمة.

كان (عادل) كما أسلفنا ضخم الجثة رياضي الجسد فوجه لكمة عنيفة إلى (فادي) جعلت الدماء تسيل من فمه وصرخت (جوري): فادي..هل أنت بخير؟

ثم صرخت بوجه (عادل): أرحل من هنا أيها الحيوان.

بدا وكأن (عادل) قد أفاق قليلًا فغمغم:هو الذي هاجمني.

وجاء الحارس وبدأ الخدم يتنبهون ويتوجهون إلى الحديقة فاستدار (عادل) منصرفاً وصرخ (فادي): أنتظر أيها الجبان.

وحاول النهوض لكن أخته جذبته بشدة هاتفة في توسل: دعه يذهب إلى حيث ألقت..أتركه.

حاول (فادي) الأفلات من يدها ولكنها تمسكت به بقوة وكان (عادل) قد أبتعد فهدأ قليلًا.

ثم أنهضته ودلفا إلى القصر وبدأت (جوري) تضمد جراحه تعاونها (ملك) بينما أسرعت (جميلة) تتصل ب (فارس) وتخبره بما حصل.

بعد ساعة عاد جميع أفراد الأسرة وراح (أكرم) يتصل بصديقه (عزمي) ويحكي له ماحصل بلهجة غاضبة وقالت (فيروز) غاضبة: ابني العزيز.

ثم تطلعت إلى (جوري) بغضب وكأنها مسئولة عما حصل.

جذب (فاروق) سماعة الهاتف من يد والده في رفق ثم قال بلهجة صارمة غاضبة: أبنك غير مرحب به في حفل الزواج ولا عندنا..إذا لمحت ظله لن يفلت من يدي.

ثم أنهى المكالمة وتطلع إلى (فادي) قائلًا: أحسنت...تصرفت كرجل.

وربت على رأسه برفق.

ثم تطلع إلى أخوه الثاني فأسرع (فارس) يقول: لقد أنتهت علاقتي به صدقني..أصبحت أتعامل معه في أضيق الحدود.

-جيد.

قالها (فاروق) في صرامة ثم أردف موجهاً حديثه للجميع:لا داعي أن نخبر (يوسف) بما حصل فلا نريد أن يتشاجر مع (عادل)..ستتزوجين يا (جوري) خلال يومين وينتهي الأمر..وإذا جرؤ هذا الوغد بعدها على شيء فسأقتله.

ثم غمغم وهو ينصرف إلى الحديقة: والآن حارس البوابة الأحمق.

***

وقف (يوسف) يتأمل بدلة الزفاف صامتًا..كان الوقت مبكراً واليوم مهم فهو يوم زواجه وعليه أن يستعد..الأمر جدي حقًا،أنه زواج.

قال لنفسه:هل كان ينبغي أن يصل الأمر إلى هذا الحد..ولكن لاحل أخر سوى هذا..لامجال للوصول إلى شركة (جوري) ألا بهذه الوسيلة..لقد حاولت.

ونفض رأسه وقال: ولماذا أبالي بها أو بهم، فلتكن ممتنة أنني لن أدمرها أو أدمر أخوتها أو شركتها وهي شركتي

أنا..وأنني أكتفيت بجعل أنتقامي مقتصراً على هذان الأثنان فقط...ليس أنتقأمًا..بل عدالة.

سمع طرقة خفيفة على باب الحجرة ثم دلفت جدته وقالت:أحضرت لك هدية..أسرع فعليك أن تذهب لحلاقة شعرك وذقنك ثم تعود لتأخذ حمأمًا..اليوم زفافك يا بني.

-تبدين سعيدة.

-لا داعي للشعور بالسعادة أو الحنين فهو مجرد زواج زائف سينتهي في أقل من عام.

وناولته قرص دواء صغير مغلف وقالت: ستكتمل سعادتي عندما يُعلق هؤلاء الثلاثة على حبل المشنقة.

تأمل قرص الدواء بصمت ثم قال: سأفرغ محتوياته في العصير.

-له طعم مر قليلًا..أحرص على إعداد عصير حلو كالمانجو مثلاً وضف بعض السكر حتى لايظهر الطعم..سيمنع حدوث الحمل لمدة ثلاثة أشهر.

-ليست له أعراض جانبية مضرة.

-كلا..لاتقلق.

ودمعت عيناها بغتة..تطلع اليها في إندهاش فقالت وهي تشهق كي تمنع أنفها من أن يسيل: كان يجب أن تكون اليوم قد صرت طبيبًا وأن تحضر والدتك حفل زفافك فتهنئك وتقبلك وتقدم لك بدلًا من هذا القرص خاتم زواجها كهدية لزوجتك ربما أو أي هدية أخرى.

تمتم وقد شعر بأنه يرغب في البكاء : جدتي.

وضعت كفيها على وجنتيه وقالت: إن كنت تحبها..تحب (جوري) فلا بأس..الآنسان لا يستطيع التحكم في قلبه..ولكن لا تدع تلك المشاعر تقف حائلاً أمام خطتنا..أتفقنا..لايمكنك أن تدع دماء والدتك تذهب هدراً..أتفقنا.

أومأ برأسه وقال بتصميم: بالطبع.

***

حفل زفاف ضخم وفاخر في باخرة تجوب نهر النيل...وصل (يوسف) حليقاً منتعشاً وسيمًا وقال لنفسه:أعلم كم كنت تتمنين يا أمي رؤية هذا اليوم ولكن مهلًا..سأنتقم من قاتليك ومن دمر حياتنا قريبًا جدًا.

أرتدت (جوري) ثوب زفافاً رائعًا ووضعت مساحيق تجميل خفيفة وبدت جميلة للغاية وهي تتقدم لتجلس بجواره..أرتفعت الزغاريد،وكان ثوبها الأبيض بأكمام ومغلق الظهر من قماش الساتان والتُل بينما الُتل اللامع يزينه مما جعله يتلألأ ولكن بدون مبالغة وقد زينت أطرافه بورود بيضاء من الدانتيل رقيقة،وكان له طرحة طويلة وضعت على رأس (جوري) وثُبتت بطوق من الورود البيضاء الصغيرة بدلًا من التاج.

كانت عائلة (عزمي) كذلك حاضرة عدا (عادل) طبعًا..وقد قامت (جوري) بدعوة الموظفين والخدم كذلك مما ضايق زوجة أبيها وبعض الحضور المتعالين فمال (يوسف) على أذنها وهمس: البعض متضايق من دعوة الخدم والموظفين.

غمغمت: أجل.

رد باسمًا: دعيهم.

ضحكت ضحكة خفيفة وأحمر وجهها.

نهضت (جميلة) من مائدة الخدم فتساءلت والدتها (ملك): إلى أين تذهبين؟

ردت: إلى الحمام.

وتوجهت إلى الحمام ومرت بجوار المائدة الجالس عليها عائلة (أكرم) فنهض (فارس) وقال: سأذهب إلى الحمام.

توجه إلى حيث الحمامات فدلف إلى حمام الرجال ووجده فارغاً فتوجه إلى حمام النساء وهمس: (جميلة)..(جميلة).

غادرت الأخيرة الحمام وقالت بغضب: ماذا تريد؟

همس وهو يجذبها إلى حمام الرجال: تعالي لنتحدث.

دلف إلى الحمام العطر النظيف ومنه إلى أحدى الحمامات وأغلق الباب ثم قال: ماذا بك؟

أزاحت يده عن كتفها وقالت بخشونة: سأخبرك ماذا بي؟..هناك شخص تقدم لخطبتي ووالدتي موافقة ولا تفهم سبب رفضي..لدي أخوة صغار منهم أخي المريض لهذا المصاريف تمزق أمي تمزيقاً..وتريد مني أن أترك الدراسة وأساعدها أو أتزوج..وأنت...لاتفعل شيئًا على الأطلاق.

قال (فارس) معترضاً:انا لاأجرؤ على هذا مع ماما..إن علمت ستقتلنا نحن الأثنين..فقط حتى تنهين دراستك ووقتها يمكنني إقناع أخي (فاروق).

هتفت في غيظ: أي دراسة؟..ألم تسمع كلمة مما قلتها لك؟

غمغم: سأعطيك أموالاً وس..

قاطعته: لا أريد أموالك..هل تسمعني؟...أريد أن نتزوج رسميًا..أياك أن تجعلني أندم لأنني أحببتك...هل تسمعني؟

ثم غادرت الحمام.

وتطلعت اليها والدتها وهي تجلس على المقعد وقالت: تبدين شاحبة الوجه.

غمغمت في ضيق:.لاشيء..لاشيء.

كتب المأذون الكتاب وشهد كلاً من (فاروق) و(كامل) على العقد.

شعرت (جوري) بأن سعادتها كاملة كما لم تكن من قبل قط.

عزفت الموسيقى وجلست على مقعدها جوار (يوسف)..أحتضن بيده القوية الدافئة كف يدها الباردة النحيلة

قال: هل تشعرين بالبرد؟

-قليلًا.

كانت (نبيلة) من ضمن الحضور وقد جلست على مائدة مع بعض موظفي الشركة وقد راحت طفلتها تركض وتمرح وتلعب مع بعض الأطفال فلما لمحت الصغيرة (فاروق) لوحت بيدها في حماس مرحبة فابتسم ولوح تلويحة خفيفة..شرد قليلًا ثم عاد يتابع حديث والده.

في المساء توجه (يوسف) مع عروسه إلى القصر إلى الجناح الذي خصص لهم والذي ضم حجرة أضافية لحجرتها وشعر (أكرم) بالدفء يسكن قلبه..الحق أنه كان يحب كل أبنائه وكان يشعر بالذنب أتجاه ابنته بالذات التي حرمت من حنان الأم في سن صغيرة وكانت زوجته قاسية معها وقالت (فيروز) وهي تتأبط ذراعه: دعنا نذهب كما قال (فاروق) إلى الأسكندرية لنقضي يوم الجمعة هيا..لنترك العروسين ينعمان ببعض الخصوصية.

***

الفصل التاسع

(مفاجأة غير متوقعة)

دلفت (جوري) إلى حجرتها برفقة (يوسف) وقال بلطف: سأنزل إلى المطبخ لأعد بعض العصير من أجلنا.

أومأت برأسها ثم دخلت إلى الحمام فأغلقت الباب ووقفت متوترة ثم تنفست بعمق وبدأت تبدل ثيابها فخلعت فستان الزفاف وكان الأمر صعباً وخلعت طرحة الفستان ثم تأملت وجهها السعيد في المرآة..تبدو جميلة وهانئة..ثمة ثوب أحمر معلق في الحمام من الحرير ومعه روب بلونه..إنها فكرة (جميلة) بلا شك..أرتدته ووضعت من زجاجة العطر ذات الرائحة الخلابة ثم غادرت فوجدت أن زوجها لم يعد بعد.

كان في المطبخ يعد كوبين من عصير المانجو ويذيب قرص منع الحمل في الكوب المخصص لها والذي كان مختلفاً في الشكل عن كوبه فهو لايريد ترك شيئًا للمصادفة، ثم صعد إلى الحجرة ودلف وتطلع اليها وقد أحمر وجهها خجلاً.. شعر بشيء من الشفقة عليها لم يشعر به منذ فترة على أي أنسان،ولكنه كان يعزي نفسه بأنه سيخفف الضرر الواقع عليها قدر المستطاع، فلن يؤذيها مباشرة ولن يسلبها شركة (ورد الجوري) دون منحها تعويض.

قال باسمًا وهو يناولها الكوب: تفضلي.

ثم تناول كوبه ورشف منه وأومأ لها مشجعاً فبدأت تشرب العصير وخيل اليها أن طعمه غريب قليلًا ولما أنهت العصير قال باسمًا: ما رأيك؟

غمغمت: في ماذا؟

-في العصير.

-أه...رائع..سلمت يداك.

نهض فأبدل ثيابه وأرتدى منامة بسرعة ثم عاد يجلس بجوارها فقالت: معذرة..سأذهب إلى الحمام.

ونهضت مسرعة لتغلق على نفسها من جديد وقد شعرت برغبة في التقيؤ وأرجعت السبب إلى التوتر لأنها لم تكن تعلم،فقد كانت (جوري) تمتلك معدة حساسة لاتحتمل الأدوية،ومن حسن الحظ أنها تقيأت بصوتٍ خفيض،لاتريد أن تثير أشمئزازه أول ليلة..فتحت صنبور الماء كي تخفي الصوت والقيء المليء بعصير المانجو ثم فرشت أسنانها بالمعجون جيدًا وغسلت فمها وغادرت الحمام متوترة،تأكدت قبلها أن ثيابها لم تتسخ،بالطبع لم تدرك أنها تقيأت محتويات الدواء كذلك.

عاد يتطلع اليها باسمًا ثم قال:(جوري)..تبدين جميلة للغاية.

أحمر وجهها ولم ترد وإن ابتسمت فظهرت غمازتيها ولم يدري لم يخفق قلبه الآن.

جلست بجواره فقال: هل أنتِ جائعة؟...يمكنني أحضار الطعام من المطبخ فقد ترك لنا الخدم الكثير منه.

غمغمت:كلا.

ابتسم ومد يده يرفع وجهها اليه برقة.

لقد أتخذ قراره، سيكمل أنتقامه ولن يحيد عن خطته حتمًا ولكنه سيكون معها زوجاً رائعًا..سيحاول تقليل الخسائر

النفسية لتلك الفتاة سيئة الحظ فهي لاتستحق سوى كل الحب والعطف الذي يمكن أن يقدمه لها في ظل تلك الظروف.

***

أشرقت الشمس وأصبحت الساعة العاشرة صباحًا ودلفت (ملك) وبعض الخدم إلى القصر وتوجهت إلى المطبخ وبدأت في أخراج اللحم والخضر من المجمد ووضعته في الحوض ثم أخرجت الحليب والبيض من الثلاجة وقالت إحدى الخادمات في خبث: يبدو أن العروسين لم يستيقظا بعد.

ردت (ملك) باسمة:بارك الله لهما..أنا سعيدة من أجل (جوري) هانم.

وبدأت تعد الأفطار المكون من الحليب والبيض المسلوق وبعض الأجبان واللحوم الباردة المدخنة ولم تنسى المربى والزبدة ووصلت أبنتها (جميلة) فقالت (ملك): تأخرتي.

ردت أبنتها في ضيق: لقد تأخرت في إعداد الفطور لأخوتي.

ردت (ملك):أي فطور؟..لقد أعددته قبل أن أوِقظك.

هتفت (جميلة):لقد أعددت كذلك الشطائر لأخوتي كي يتناولوها في المدرسة.

ناولتها والدتها صينية عليها الطعام وقالت: أصعدي بالأفطار للسيدة (جوري)..ولاتنسي أن لديك محاضرة في الكلية بعد ساعتين..تناولي إفطارك وأذهبي.

تناولت (جميلة) الصينية وقالت: لن أحُضرها اليوم ثم أن الساعة 11 صباحًا..هل من الممكن أن يكونا قد أستيقظا في هذا الوقت..إنهما عروسين.

ردت والدتها: علينا أيقاظهم،فلديهم طائرة في السابعة مساءً إلى ماليزيا لقضاء أسبوعين هناك.

ابتسمت (جميلة) وقالت: هكذا يكون الزواج.

ثم تجاهلت نظرات والدتها ووضعت الصينية في العربة وصعدت إلى حجرة صديقتها ومخدومتها فطرقت الباب برفق وغمغمت: الأفطار جاهز،سأضعه أمام الباب.

أستيقظت (جوري) وكذلك (يوسف) ولم تتكلم..فقط تطلعت اليه بحب..ضايقه هذا..منحته نظراتها شعوراً بالذنب والشفقة وبتلقائية قبلها في جبينها وكأنه يعتذر لها.

همت بالنهوض ولكنه قال: أبقي..سأنهض أنا وأحضر الطعام.

وشرعوا في تناول الطعام المعد بحب وأتقان وقالت (جوري): سلمت يدك يا(ملك).

في الثالثة عصراً قاما باعداد حقيبة صغيرة تحتوي بعض الملابس وجاءت جدته

وبعدها بعدة دقائق عاد أفراد أسرتها من الأسكندرية لتوديعها وقال (فاروق) لوالدته وهما يهبطان من السيارة: أمي..هلا تحدثت إلى (جوري) لأطمئن عليها؟

ردت في سخرية:هل أنت والدها أم أخوها غير الشقيق،والدها نفسه لايتملكه هذا القلق المجنون..هل تظن أن (يوسف) قاتل متسلسل وسيقتلها مثلاً.

هز رأسه وكأنه يقول "لن تتغيري أبداً".

فقالت بضيق وتأفف: ليكن...طبعًا سألعب دور الأم وأتحدث اليها.

جلس الجميع في الصالة ورحبوا بجدته في حفاوة وتساءلت (فيروز): ألم يستيقظ العروسان بعد؟

ردت (ملك):لقد أستيقظا..إنهما يعدان حقيبة السفر.

هبط العروسان وقد أرتديا ثياب السفر وقد تشابكت أيديهما ومن خلفهما أحد الخدم يحمل الحقيبة الصغيرة ونهضت جدته وتوجهت نحوه فأحتضنته وقبلته وفعلت المثل مع (جوري) وأثنت على جمالها الواضح وصافح (يوسف) والد وأخوة زوجته وجلس يتحدث معهم بينما أنتحت جدته مع (فيروز) ب(جوري).

تنبه (يوسف) لهذا الموقف الغريب،فماذا لو لم يحدث ماحدث وكانت الظروف طبيعية ومختلفة لكانت سعادته كاملة بالفعل، ولكان الآن يتحدث مع عمه وأبناء عمه،وربما جلست والدته الآن مع عروسه الرقيقة وابنة عمه،بل ربما كان الآن ليصبح الصديق المقرب ل (فارس) مثلاً ورفيق الطفولة ل(جوري)،ولكن الدم المراق يحول الآن بينه وبين تلك الأحلام والأماني.

وابتسم (فاروق) وهو يتأمل السعادة التي كست وجه أخته الخجولة وتوجه (فادي) فجلس بجوراها غير عابيء بنظرات والدته فقالت له (فيروز): نحن نتحدث في أمور تخص النساء.

غمغم معترضاً: أريد أن أبقى معها فهي ستسافر بعد قليل.

وقالت (جوري): دعيه.

***

وصل العروسين إلى ماليزيا الجميلة،وفي أول يوم أستغرقا في النوم في الفندق بسبب أرهاق السفر.

في اليوم الثاني توجه (يوسف) مع (جوري) نحو الشاطيء..كانوا في الشتاء ولذا لم تكن السباحة متاحة ولكنه قرر أن يشاهد شروق الشمس معها كما طلبت كي يسعدها فهو لم يكن رومانسياً إلى تلك الدرجة،ومع ذلك كان يفهم أن النساء والفتيات عاطفيات عمومًا ويعشقن تلك الأشياء المتعلقة بمشاهدة الشروق والغروب ومشاهدة القمر،كانت والدته تحب مشاهدة الغروب على الشاطيء فكان يجلس بجوارها صامتًا في أدب.

جلسوا تحت صخرة ضخمة مغطاة بالأعشاب الخضراء على الرمال وكان الشاطيء شبه خالي من الناس وأراحت (جوري) رأسها على كتفه ودفنت كف يدها الباردة في كفه وغمغمت: ما أكثر شيئ يعجبك في؟

رد باسمًا:أنكِ أنتِ.

ابتسمت في سعادة ثم قالت: أنني جادة؟

رد: وأنا كذلك.

رفعت عيونها اليه وقالت:هل تحبني؟..كلا..لاتجب على هذا السؤال لأن الأجابة لاتهمني.

ضحك وقال: لايهمك معرفة إن كنت أحبك أم لا؟

قالت وهي تبتسم بصدق:أنا أحبك كثيرًا..حتى إن كنت لاتحبني لايهمني فلن أتوقف عن حبك أبداً مهما حصل.

شرد وهو يتأمل أمواج البحر أمامه ومضت ثوانً من الصمت وهي تتطلع اليه في حيرة ثم قال:هل أنتِ جادة في هذا الكلام؟..هل ستحبينني دائمًا مهما حدث؟..ماذا إذا كرهني أهلك فجأة فقرروا جميعًا أن تتركيني أو يتخلوا عنك؟..ماذا سيكون قرارك وقتها؟

ردت ببساطة: سأبقى معك وسأحاول جاهدة مصالحة أهلي.

عاد يقول وهو يدفن رأسها في صدره ويتحسس شعرها:لا تحبيني إلى تلك الدرجة،من الخطأ أن يتعلق قلب انسانًا بأخر إلى هذه الدرجة..في النهاية قد يصاب بخيبة أمل تحطم قلبه.

رفعت رأسها وابتسمت فظهرت غمازتيها وقالت: إن كان الشخص يستحق الحب فسأحبه،ثم أنني مقتنعة أنه لا توجد درجات في الحب عندما يتعلق الأمر بالعلاقة بين الرجل والمرأة..إما أن تحب أو لا.

خفق قلبه وهو يتطلع إلى عيونها البريئة..إنه يقع في حبها ببطء وهو ما يفسد الأمور كلها..كيف يستكمل خطته وهو في هذا الوضع..كيف؟

بعد الظهر تسوقا في شارع العرب والسوق الصيني ثم توجها للسياحة فزارا البرجين التوأم والمنارة.

في المساء عادا إلى الفندق وتناولا العشاء وكانت (جوري) مرهقة فأستلقت على السرير ريثما ينتهي (يوسف) من الأستحمام ولكنها غرقت في النوم برغمها،ولما غادر (يوسف) الحمام ورأها نائمة فوجدها فرصة سانحة كي يتأملها على مهل فلم تتح له الفرصة كاملة من قبل رغم زواجهما منذ يومين،فقد كنت شديدة الخجل تبدو محرجة متوترة إذا أطال النظر اليها،والآن أتيحت له الفرصة كاملة،فتفرس في وجهها الذي يشي بطيبة بالغة وقلب عطوف وكانت نائمة بعمق وقد كست السعادة وجهها بالأشراق على عكس ما كانت عليه عندما رأها (يوسف) أول مرة،وتساءل كيف لشخص كعمه أن يحظى بأبنة ملائكية بريئة وطيبة كتلك،بل كيف يكون جميع أبنائه على غير شاكلته ولا شاكلة أمهم (فيروز).

مد يده يتحسس شعرها وهو يعزي مشاعره إلى كونه لم تكن له علاقات من قبل قط، كانُ جل أهتمامه منحصر بوالدته ودراسته..هل هذا هو السبب في أنه الآن يشعر بالعاطفة نحوها..لأنه لم يجرب أن تكون له علاقة بفتاة ما ولم يكن يومًا قريبًا من أي فتاة إلى هذا الحد،ولكنه تذكر أنه في رحلته إلى الخارج وعلى مدار عامين تلقى دروساً في كيفية التعامل مع النساء وقد بدا له هذا غريباً ومضحكاً، ولكن صديق جدته أصر على ذلك.

ببطء فتحت (جوري) عيناها لتجده يحملق فيها عن قرب فأندفع الدم إلى وجنتها وأذنها وتمتمت في أرتباك: أنهيت حمامك؟

رد باسمًا: أسف..لم أقصد أخافتك،ولكنك كنت تبدين جميلة جدًا وأنت نائمة.

أزداد أحمرار وجهها ولم تعلق بل أكتفت بابتسامة سعيدة ثم منحها الشعور الغامر بالحب القوة كي تنسى خجلها فتطلعت إلى عينيه باسمة.

في اليومين التاليين ذهبا إلى حديقة الحيوانات الوطنية وحديقة الطيور والفراشات فقضت فيهما (جوري) أمتع الأوقات وبالقرب منها مسجد كوالالمبور الكبير..ثم المعبد الهندي ومدينة بوتراجايا ومدينة الألعاب المائية صن واي.

وأتصل (فادي) و(فاروق) عدة مرات للأطمئنان عليها وراحت تثرثر مع (فادي) وتوصيه بالمذاكرة.

ثم في الأيام التالية زارا مرتفعات جنتنغ وكان كلاهما سعيد ومستمتع بركوب التلفريك وتأمل المرتفعات والذهاب إلى مدينة الملاهي وكان مشهد المرتفعات بديعاً وقد تشابكت أيدي (يوسف) و (جوري) داخل التليفريك وراحا يتأملان المشاهد فأراحت (جوري) رأسها على كتف (يوسف)،لقد خفت حدة خجلها منه كثيرًا وهو زوجها ورفيق دربها الآن.

ثم قالت: كم فتاة عرفت قبلي؟

رد باسمًا: ولا واحدة...لقد أخبرتك من قبل بهذا.

قالت: من الصعب أن أصدق أن شابًا وسيمًا مثلك عاش في أوروبا لم يعرف فتاة ولم تحاول فتاة غربية التقرب اليه.

شرد وهو يتأمل المرتفعات وقال: كنت مشغولاً بوالدتي وبدراستي..كنت أساعد والدتي وأدرس بجد كي أحقق أحلامي.

ثم تطلع اليها وغمغم: هل تعرفين أنك تذكرينني بها كثيرًا...كانت طيبة للغاية مثلك ولها أبتسامة حنونة.

قالت (جوري) في حيرة:كانت؟..هل تغيرت والدتك كثيرًا؟

حدق فيها لثانية،كاد الأحمق يقع بلسانه،ثم ابتسم ابتسامة غريبة وقال: أجل..تغيرت كثيرًا.

-هل يتعلق الأمر بالحادث الذي تعرضت له منذ سنوات؟

-أجل.

لم تحاول سؤاله عن التفاصيل فقال بلهجة تشوبها المرارة: ستعرفين كل شيء خلال شهرين.

-بهذه السرعة.

قالت جملتها بلهجة مرحة فتأملها بصمت ثم عاد ينظر أمامه وأكتفى بأن ربت على وجنتها بلطف.

قالت بغتة: هل تعلم متى بدأت أحب الزراعة والزهور والنباتات؟

ثم تنفست بعمق وعادت تقول وكأنها تتذكر ذكرى حزينة وسعيدة معًا: عندما توفيت والدتي كان عمري أربعة أعوام..و

عاد بي والدي إلى القصر وألتقيت بعدها بزوجته (فيروز) ولكنها كانت دائمًا تصيح في وجهي وتؤنبني وكان (فارس) يضايقني فكان يكسر بعض ألعابي والدمى ووالدي مشغول..الوحيد الذي كان يعاملني جيدًا ويحنو علي هو (فاروق)،وهو من أحضر لي يومًا أصيص ريحان وطلب مني أن أعنى به وأن أسقيه يومًا بعد يوم.

ثم ابتسمت (جوري) وأكملت: ومن وقتها وأنا أحب الزهور والنباتات جدًا..اشعر أنني أفهمها وتفهمني وأكون معها بطبيعتي أكثر من البشر..وأنت؟..هل تحب النباتات؟

-كانت والدتي تمتلك حديقة صغيرة زرعها والدي من أجلها رحمه الله وكانت تحبها وتفتخر بها، وكنت أحب تلك الحديقة الصغيرة وأعتني بنباتاتها وأزهارها مع والدتي.

هفتفت منبهرة: رائع..والدك رحمه الله كان يحب والدتك كثيرًا كما يبدو.

أومأ برأسه وشرد من جديد..لماذا يلقي بأسراره أمامها هكذا؟ عليه أن يمسك لسانه حتى لايقع في خطأ.

***

أنتهى الأسبوعان سريعًا،وكل الأوقات الجميلة تمضي بسرعة غير عادية..قضى (يوسف) مع (جوري) وقتٍ ممتعاً حقًا،في أخر يوم لهما زارا محمية رائعة وتسابقا معًا في الركض..ولم يكن يعلم أن زوجته الضعيفة تركض بهذه السرعة الرهيبة،وخطر له أنها كطير يتوق إلى الآنطلاق والطيران فتقطعت أنفاسه برغم أنه رياضي حتى تمكن من اللحاق بها.

وقاما بالتسوق من أجل أسرتهما وأبتاعت (جوري) لإخوتها العديد من الهدايا ولوالدته وللخدم كذلك وغمغم (يوسف):أنتٍ تحبين (فادي) كثيرًا ربما عن بقية أخوتك؟

ردت وهي تتأبط ذراعه ويسيران في شوارع كوالالمبور النظيفة: ربمالآنه أصغر مني..ولكنني أحب أخوتي كلهم كثيرًا.

ثم تركت يده وركضت إلى الميدان فأبتاعت طعأمًا للحمام وعادت تقول حينما لحق بها:هل شعرت يومًا بأنك تتمنى أن يكون لك أخ أو أخت؟

رد باسمًا:دائمًا..في طفولتي كان لدي صديق مقرب ومع ذلك كنت أتمنى أن يكون لي أخ حتى لا أشعر بالوحدة في المنزل.

نثرت الطعام على أرض الميدان فتهافت الحمام عليه لألتقاط الحبوب واستدارت اليه وقالت بحنان وهي تبتسم:أنا من الآن أختك وأبنتك إضافة إلى كوني زوجتك..لن تشعر بالوحدة لأنني سأظل معك إلى الأبد.

وتأبطت ذراعه ورفعت رأسها تتطلع اليه مضيفة وقد تملكتها الجرأة:لأنني أحبك كثيرًا جدًا يا زوجي وحبيبي.

خفق قلبه وهو يتطلع اليها ثم قال:أنا محظوظ.

لكزته في كتفه في غيظ فقد توقعت أن يصب عليها عبارات الغزل فضحك مستمتعاً بأغاظتها.

الآن حل الليل وقد عادا إلى الفندق ونامت (جوري) على السرير بجوار(يوسف)..أما هو فقد أستلقى محدقاً في السقف فقد تنبه أخيرًا إلى أنه منذ أيام أصبح ينام دون أرق ودون صداع،فتأمل وجهها الذي دفنته في صدره وابتسم وندت منه نظرة نحو المرآة المعلقة في جانب الحجرة فوجد وجهه سعيداً وأبتسامته واسعة فوجم،لا يمكنه أن يحبها،ليس هذا خياراً متاحاً..الحب والآنتقام لايجتمعان معًا..صحيح أنه لن ينتقم منها شخصياً ولكنه سينتقم من والدها وهذا حتمًا سيؤذيها..قال لنفسه: أنا لا أحبها..كل ما هناك أنها قد صارت زوجتي وأول فتاة أعرفها في حياتي لا أكثر.

ولكنه أعترف لنفسه أنه يكذب،هذه بدايات حب..وتكفي السعادة الغامرة التي تجتاح قلبه كلما لمسها أو تحدث معها مطولًا أو دفنت رأسها في صدره..لما يبتسم ويخفق قلبه كلما رأها سعيدة..بل هي بدايات عشق ولن تكون النهاية سعيدة.

***

عادا إلى القاهرة وتوجها إلى قصر (نعمان)..أستقبلهم الخدم بسعادة وأسرع (فادي) يحتضن أخته معبراً عن أشتياقه اليها،وحتى (فارس) قبل جبينها وصافح (يوسف) في حرارة،والدها فعل المثل أما (فاروق) فقد أكتفى بالتربيت على كتف أخته وكتف زوجها وحياهما وبرغم ذلك كان الأكثر أشتياقاً لها وكانت تعلم ذلك وكذلك تعرف طبيعته المتحفظة فأحتضنته هي وقبلته بلا تحفظ..وأمتدت أيدي الجميع إلى الهدايا التي أبتاعتها لهم وكذلك فعل الخدم الذين لم يصدقوا أنها تذكرتهم بالهدايا.

صعدا إلى جناحهما وفي المساء ذهبوا لزيارة جدة (يوسف) فأستقبلتهما بحفاوة وجلست تثرثر مع (جوري) بينما أستأذن (يوسف) ليتحدث مع المحامي في المكتب وغادر إلى المكتب فأغلق الباب ثم جلس مع المحامي الذي هنأه بالزواج ثم قال:كل أمور المناقصة جاهزة،خلال شهر سيفقد (أكرم) تلك المناقصة التي أودع فيها الكثير من أموال الشركة،هذا أمر..أما الأمر الثاني فقد توصلنا إلى الموظفان الذان يتلقيان الرشوى ويعملان مع (عزمي الدمرداش)..أنهما مساعدا وزير في وزارة الأستثمار.

قال (يوسف) بأمتنان: أحسنت العمل يا (كامل)..فقط بقي شهران أو ثلاثة وينتهي الأمر.

-بل سيستغرق الأمر اكثر من هذا قليلًا..يبدو أن الحكومة قامت بتأجيل بعض الصفقات لمدة شهر أو اثنان..لاتقلق..إن هي ألا أربعة أشهر أخرى فقط.

وغادر (يوسف) مع زوجته فجلست (بيرين) مع المحامي وعلى محياها القلق.

سأل المحامي: لم القلق يا سيدتي؟

ردت بلا تحفظ: (يوسف).

ظل المحامي صامتًا يصغي اليها فقالت:رأيت اليوم على محياه سعادة غامرة لم أرها عليه منذ سنوات.

-تقصدين أنه يحب زوجته..وأنك قلقة من أنه قد يغير خطتنا لأجلها.

-أقصد أنه سيتردد عندما يحين وقت الحسم..وسيحنو عندما يحين وقت القسوة.

وتنهدت ثم غمغمت: نسيت أن طبيعته كما ربته أبنتي رحمها الله تختلف عن طبيعة (يوسف) ولدي الحقيقي رحمه الله.

-وماذا تقترحين؟

-خطة بديلة..أسمعني جيدًا..في حفل زفاف (يوسف) و (جوري) لاحظت نظرات الأعجاب التي كانت تفلت من عيني (عزمي الدمرداش) أتجاه (فيروز)..لقد رأيتها بنفسك وكيف حرصت على التأنق وكأنها هي العروس.

أعتدل (كامل) وعقد حاجبيه وهو ينظر نحوها في حذر وفضول فأكملت: فتور العلاقة بين (فاروق) ووالدته بغتة وكراهية (فاروق) ل(عزمي) بشكلٍ مباغت أيضًا فالمعلومات لدينا أنه كان يحبه عندما كان صبياً صغيراً وينناديه عمو ثم بغتة أصبح لايطيق وجوده ولا رؤيته..ولكن كل تلك مجرد نظريات لا برهان لها.

-وكيف سنتأكد يا سيدتي؟

-هناك أحتفال في النادي قريبًا..خلال أسبوع..تكريم للأعضاء وذكرى تأسيس النادي..سيقوم أحدى رجالي بتصوير هذان الأثنان بالفيديو وسأشاهد التصوير كي أتأكد وبعدها سأتصل بك.

-ولكن (عزمي) غالباً لن يحضر فهو لايحضر تلك المناسبات.

-ولهذا ستتصل أنت به وتخبره أن بوسعه الحضور إلى تلك المناسبة لأقناعي بمزيد من الأستثمارات..سأتظاهر بالموافقة حتى يطمئن قلبه ويصبح في حالة من الأستقرار النفسي والعقلي ويتصرف على سجيته وعندها سيتضح لنا إن كان هناك أمرًا ما يدور بين هذان الأثنان.

***

في مكتبه بالشركة راح (فاروق) يراجع التقارير على الحاسوب ثم ألقى نظرة على مكتب (نبيلة) الفارغ وعاد يراجع التقارير.

لقد تغيبت سكرتيرته البارعة بالأمس واليوم دون سبباً واضح..وكان قد أعتاد أن يراها جالسة على مكتبها منهمكة في العمل..كانت الآن قد تمكنت من عملها بالكامل بل وأصبحت أعلى مهارة وأحترافية من (أسماعيل) الذي تقاعد وكان معها مساعد جديد شاب ولكنه لم يكن يماثلها في دقة وإتقان العمل.

كل تقاريرها ممتازة،كل تقييماتها بارعة وسهلة، بل لقد تحسن مستوى عمله الشخصي بفضلها،ثم هناك أبنتها ذلك الملاك الصغير الرائع الذي أحبه (فاروق) حقًا وهو الذي لايجيد التعامل مع الأطفال.

أنتهى من مراجعة تقاريرها فدون ملاحظاته ثم نهض مغادرًا إلى الأجتماع وقال للمساعد الثاني: هل جهزت التقييم؟

-أعدته أستاذة (نبيلة) بالأمس وأرسلته بالبريد الألكتروني.

-هل أتصلت؟

-أجل.

وهنا توقف (فاروق) واستدار نحوه قائلًا: ماذا قالت؟ لما تغيبت اليوم؟

رد المساعد: أبنتها مريضة للغاية وأضطرت للبقاء معها..يبدو أنها مصابة بحمى ما.

-حقًا؟..أتصل بها فيما بعد لتطمئن على أحوالها

ولكن المساعد مع نهاية الأجتماع حاول الأتصال بها عدة مرات ثم أعلن: يبدو أن حالة الطفلة خطرة..لقد كانت تتكلم وهي تبكي وأخبرتني أنها ستذهب بأبنتها إلى المستشفى.

-أحضر لي عنوانها ثم ألحق بي في حجرة الأجتماع.

وفي منزلها في ذلك الحي الفقير جلست (نبيلة) بجوار سرير طفلتها ووضعت لها الكمادات الباردة وهي تشعر بالقلق...وقررت أن حرارة ابنتها إذا لم تنخفض فستذهب بها إلى المستشفى.

الفتاة تفتح عيونها بصعوبة والأدوية التي كتبها الطبيب بلا جدوى ودرجة حرارتها مازالت 39.5، أبنتها هي أغلى ما في حياتها بعد وفاة زوجها المأساوية..إذا أصابها مكروه فستجن حتمًا.

أعدت بعض الحساء الساخن وحاولت إطعام الصغيرة بلا جدوى،أرتفاع حرارتها جعلها غير قادرة على التركيز أو تناول الطعام فعادت تضع مقياس الحرارة في فمها فظهر على الشاشة ذلك الرقم المخيف 39.6 إذًا فدرجة حرارتها ترتفع.

نهضت وأسرعت ترتدي ثيابها على عجل ثم لفت الطفلة ببطانية وحملتها وتوجهت نحو الباب وغادرت الشقة وطلبت المصعد ووقفت نافذة الصبر.

بدأت الدموع تتجمع في عيونها من الخوف وهي تنتظر المصعد وخيل اليها أن دهراً قد مر حتى وصل المصعد أخيرًا فدلفت اليه وهبطت وحينما غادرته فوجئت ب (فاروق) يقف على مدخل البناية فلما رأها قالت بسرعة: (فاروق) بك..حرارتها لا تنخفض بل ترتفع في كل لحظة.

حمل عنها الطفلة برفق وقال بحزم: سنذهب إلى المستشفى فورًا..معي السيارة.

لحقت به في لهفة وأستسلام وركبت السيارة وقال (فاروق) للسائق وهو يجلس إلى المقعد بجوراه: مستشفى القاهرة الجديدة..أسرع.

وضعت الطفلة على قدميها وراحت تتحسس وجهها في حنان ولهفة وخوف.

سالت دموعها فتطلع (فاروق) في مرآة السيارة اليها ثم استدار وقال: سوف تكون بخير بإذن الله.

وصلوا إلى المستشفى فحمل عنها الصغيرة من جديد وتوجه بحسم نحو الأستقبال وقال للممرضة: معنا طفلة عمرها 6 سنوات حرارتها مرتفعة.

وتطلع إلى (نبيلة) متسائلًا فأضافت: حرارتها 39.6 وتزداد في كل لحظة..قمت بعمل كمادات وأعطيتها دواء (..) و(..)..ظهر لديها طفح جلدي منذ ساعة.

دونت الممرضة ما قالوه ثم أشارت لممرض وقالت: أنقل الفتاة إلى حجرة الفحص 3..يمكنكم اللحاق بها.

بعد أن فحصها الطبيب هز رأسه ثم قال: أنها مصابة بالحمى القرمزية..سأعطيها مضادات حيوية وستبيت تحت الملاحظة لدينا لمدة يومين.

غمغمت (نبيلة) مذعورة:هل..هو مَرض خطير؟

رد الطبيب وهو يشير إلى الممرضة كي تحقن الطفلة بالمحاليل: يمكن السيطرة عليه خلال يومين..لاتقلقي.

ثم تطلع اليهما وقال مطمئناً: حمداً لله على سلامة أبنتكما.

الغريب أن أحدًا منهما لم يحاول تصحيح معلوماته..لم يتضايق (فاروق) مطلقًالآنهم أفترضوا أنها أبنته وقال: ستكون بخير بإذن الله.

أمسكت كف أبنتها الصغير وجلست بجوار فراشها وقالت: شكرًا لك يا (فاروق) بك على أهتمامك ونقلي إلى المستشفى.

هز رأسه وقال: فعلت الواجب،سأبقى قليلًا بالخارج إذا أحتجتي إلى شيء.

قالت في حيرة: لا داعي لأن تتعب نفسك معنا و...

قاطعها وهو يغادر الحجرة:سأغادر عندما تستقر حالتها.

***

بدأت الأمطار في الهطول بشكلٍ بسيط في البداية فأرتدت (جوري) معطفاً واقي من المطر وغطت رأسها بالقلنسوة ثم غادرت القصر إلى الحديقة وتوجهت نحو زهور الكامبيون في ركن الحديقة وراحت تحاول تثبيت القوس البيولوجي عليها وهي تلهث من البرد وقد أنحنت راكعة على الأرض المبتلة وجاء من خلفها (يوسف) فقال: ماذا تفعلين؟ لحظة دعيني أساعدك.

وأعانها حتى تم تثبيت القوس ثم أنهضها فقالت: كنت أحاول حماية الزهور..مع تلك الأمطار المستمرة منذ أيام كان من الممكن أن تتلف قبل الربيع.

أحتضنها وسارا معًا عائدين إلى القصر وقال: كنت قد نسيت كل شيء عن تلك الزهور.

ردت باسمة: أنها أحب جزءً لدي في الحديقة.

ابتسم ولم يعلق ولكنه قبل رأسها ثم رافقها إلى الصالة الخالية فجلسا معًا وأشعلت (جوري) التلفاز..ثم تظاهر بأنه متضايق قليلًا فقالت (جوري) باسمة: ماذا بك؟

كانت (فيروز) تتحدث عبر الحاسوب في حجرتها مع أحدى صديقاتها و(فاروق) لم يعد بعد من العمل و(فادي) يقوم بعمل واجباته في حجرته بينما (أكرم) في مكتبه و (فارس) مازال في شركة والده ولذا ظلت (جوري) مع زوجها الحبيب في

الصالة لوحدهما ووقفت خلفه وهو جالس تعبث بجهاز التحكم.

رد: أشعر بالملل من المكوث في البيت،قصرنا سينتهي بعد أشهر،المشاريع التي أرغب في القيام بها لن تنتهي قبل عامًا مثلاً،وأنا لم أعتاد الجلوس عاطلاً هكذا.

وضعت ذراعها حول عنقه وألصقت وجنتها بوجنته وقالت: حبيبي لم يفكر لحظة في أن يتولى مع أخي أدارة الشركة؟

استدار اليها وقال: ماذا؟

ردت ببساطة: ألست زوجي وعليك أن تدير أموال زوجتك..أليس هذا واجبك؟

قال وهو ينهض:ولكن ماذا عن (فاروق)،ألن يتضايق أو يحزن؟

ردت بسرعة وهي تنهض بدورها:على الأطلاق،أنت لاتعرف (فاروق)،أنت زوجي وهذا هو الوضع الطبيعي..أن تدير شركتي مع أخي..اتفقنا.

رد متظاهراً بالحيرة:ولكن..فيما بعد ستكون لدي أعمالي وأنشغل فيها.

ردت بسرعة وهي تحيط عنقه بذراعها من جديد:وماذا في ذلك..يمكنك الأعتماد على (فاروق) فلا تقلق..أنت الآن ستدير (ورد الجوري).

فتح فمه لكي يرد ولكن قاطعه صوت صيحة مستنكرة:مستحيل!!.

كان هذا صوت (فيروز) التي سمعت أثناء مرورها بأخر المحادثة.

استدار كليهما نحوها فهتفت في غضب:أهذا جزاء أخوك..تلقينه الآن جانباً بعد أن قام بتكريس سنوات عمره لأدارة شركتك.

كان صوتها مرتفعاً فغادر بعض الخدم إلى باب المطبخ وراحوا يتطلعون بفضول نحو الصالة خاصة عندما ردت (جوري) بجرأة: أخي سيظل يدير أعمالي كالمعتاد مع زوجي فما كنت لألقيه جانباً كما أتهمتني،وأنا حرة في أموالي وشركتي أفعل بها ما أشاء.

هتفت (فيروز) وقد بدأت عيناها تلمعان في توحش –إذ كانت معتادة من (جوري) على الخضوع-:أنتِ خائنة وغدارة و..

قاطعها (يوسف) هذه المرة بصرامة: أياك أن تكملي جملتك..إذا وجهتي اليها مزيداً من الأهانة فسأغادر معها هذا القصر فورًا.

خفق قلب (جوري) وتطلعت اليه..وكأنه فارسها الذي يدافع عنها، فحتى والدها نفسه لم يجرؤ يومًا على أن ينهر (فيروز) إذا أساءت اليها بهذا الحزم.

همت (فيروز) بقول شيء فأسرع (يوسف) يقول:أنتِ لاتريدين فقدان من تعتبرينها ابنتك إلى الأبد،اليس كذلك يا هانم؟

وكاد يصرخ في وجهها: لاتريدين فقدان البنك الذي تأخذين منه بلا توقف.

مضت لحظة صمت وجاء (أكرم) قائلًا في ضيق: ماذا هناك؟ لماذا تتشاجرون؟

ردت (فيروز) وهي تستدير في غضب منصرفة: أسأل أبنتك.

-أنا أسألك أنتِ؟

-سأخبرك عندما نكون وحدنا.

ونفخت في غضب واستدارت مغادرة.

ولكنها ظلت تغلي في حجرتها حتى عاد (فاروق) إلى المنزل فأسرعت إلى الطابق الأرضي وهتفت به: جئت أخيرًا..بالطبع كنت تعمل و تشقى حتى تطردك شقيقتك الغالية في الأخير بعد أن عثرت على بديلاً لك.

كان (فاروق) مازال يلتقط أنفاسه فمد يده ينزع ربطة عنقه وهو يقول: ماذا؟..لا أفهم.

-لقد قررت أختك أن تمنح إدارة الشركة لزوجها أيها الأحمق.

وكان (فاروق) يتوقع مثل هذا القرار يومًا ما..ف(جوري) مالكة الشركة وستتزوج يومًا ما ومن البديهي أن يعمل زوجها على العناية بأمورها المالية إن كان يفقه في إدارة الشركات، بيد أن (فاروق) كان قد تعلق بالشركة حقًا وأحبها وأحب إدراتها وبنائها وأنمائها وكأنها ملكاً له لذا شعر بغصة في قلبه الآن وبعض الضيق.

قال في ضيق: إنها شركتها يا أماه والقرار بيدها.

-وأنت؟..أنت تدير لها الشركة وقد بنيتها على أكتافك حرفياً في العشر سنوات الماضية.

أسرعت (جوري) بالقدوم من حجرتها وخلفها (يوسف) وهتفت مدافعة عن نفسها: أخي..كل ما في الأمر أن (يوسف) سوف يدير معك الشركة حتى تبدأ مشاريعه.

رد (فاروق): يمكنه أن يتسلم أدارتها كاملة إن كانت تلك رغبتك..أنا لن أتضايق أو أغضب.

شهقت (جوري) شهقة خفيفة لأن كلام أخيها قد صدمها وترقرقت الدموع في عينها.

رد (يوسف): هل تظن حقًا أن فكرة كتلك قد تخطر على بال شقيقتك وهي تقدرك وتحترمك وتحبك من كل قلبها.

صمت (فاروق) وقد أدرك أن والدته قد دفعته دفعاً إلى الشعور بالظلم والغضب بسبب كلامها وطريقتها في عرض ما سمعته بشكلٍ ينافي المقصود منه ويتماشى مع أعتقادها هي.

قال (فاروق): أحيانًا يرهقني العمل فأصاب بالغباء والحمق..كلا طبعًا..أعلم كيف تفكرين يا (جورية) فلا تحزني..سيكون من الرائع أن يساعدني (يوسف) بخبرته الطويلة في إدارة الشركات،سيخفف هذا العبء عني على الأقل.

أحتقن وجه (فيروز) في غضب وهتفت مستنكرة: (فاروق).

ولكن (فاروق) هز رأسه وقال: لقد أسأت فهم مقصدها يا أمي..أنا سعيد يا (يوسف)..مرحبًا بك معنا في الشركة.

ومد يده مصافحاً أياه

***

كما توقعت (بيرين) فقد هرع (عزمي) إلى حفلة النادي لأنه أعتقد أنه سيحقق المزيد من المكاسب قريبًا،ولم يحضر من عائلته سوى زوجته وأما عائلة (أكرم نعمان) فقد حضرت (فيروز) ومعها (فادي) فما كانت لتسمح بمرور هذا اليوم وهي في المنزل فهنا حيث سيحضر الصحفيين ومصوري المجلات لألتقاط الصور،حاول (عزمي) التحدث مع (بيرين) في فكرة الأستثمار فوعدته بالتفكير في الأمر ولما عادت إلى قصرها شاهدت الفيديو عدة مرات،أفلتت من (عزمي) لمرة أو مرتين نظرة أتجاه (فيروز) تشي بأهتمامه العميق بها أما هي فلم يظهر عليها ذرة من المبالاة أو الأهتمام.

ابتسمت (بيرين) وهي تقول: من كان يصدق أن عاشق المال هذا لديه القدرة على الأعجاب أو الحب لمخلوق..وليس أي مخلوق،بل زوجة صديقه.

أغلقت الفيديو وقد أقتنعت أنه أعجاب من طرف واحد وفكرت أن (فاروق) غالباً قد تنبه إلى هذا ولذا تبدلت مشاعره دفعة واحدة.

الآن جاء شهر ديسمبر ببرودته تسلم (يوسف) عمله في شركة زوجته وراح يجتهد في العمل لسبباً لا يدريه هو نفسه

في الواقع وإن أرجعه إلى رغبته في رؤية شركة والده ناجحة،وقد تم الأمر بسلاسة غير عادية، فتعاون معه (فاروق)

رغم غضب والدته التي كانت تأمل بأن تظل تلك الثروة الطائلة تحت سيطرتها، بدا أن (أكرم) كعادته يحاول أرضاء الطرفين وبرغم أن زوجته كانت على خطأ فقد تظاهر بعدم ملاحظته لذلك أرضاءً لها.

تجاوزت الطفلة (نور) مرضها وتعافت خلال أيام وكان (فاروق) يزورها يوميًا وكان أهتمامه نابعاً عن حب حقيقي لتلك الطفلة..تنبه لأول مرة أن والدتها ومساعدته الذكية النشطة (نبيلة) على قدر من الجاذبية والجمال، وجد نفسه يحب وجود (نبيلة) في الشركة..وإذا تأخرت قليلًا يشعر بأنه يفتقد شيئًا هامًا..يحب مرح (نور) وصعودها إلى والدتها أحيانًا عندما تنشغل بالعمل عن النزول اليها وقت الأستراحة.

سأل (يوسف) (فاروق) وكانا يتناولان الغداء معًا في مكتب الأخير: متى سيتم تصدير منتجاتنا إلى خارج الأتحاد العربي.

رد (فاروق): فكرت بهذا من قبل، ولكنني أخشى أن منافسة الشركات العظمى في هذا المجال ليست أمرًا سهلاً.

-وماذا عن شركاتي أنا بالخارج..يمكنها القيام بعملية التسويق كاملة والتوزيع وكل شيء..على الأقل سأكون قد عثرت على عملي الخاص..ما رأيك..أندماج بين شركة (ورد الجوري) مع شركة كبرى من شركاتي.

بدا التردد على وجه (فاروق) ثم هز رأسه وقال: دعني أفكر،عندما أعود من رحلة العمل في تايلاند سأمنحك ردي.

-أمازلت لاتثق بي؟

-ليس الأمر كذلك..أنت زوج أختي..لقد أمنتك عليها، فهل يعقل أني مازلت أشك بك.

أرتج على (يوسف) من تلك الجملة الدافئة التي صدرت من فم (فاروق) وعاوده الشعور بالذنب والشفقة فتعلل بأنه شعر بالشبع ونهض،لكن تغير ملامحه لم يغب عن عيني (فاروق) الذي ظن أنه قد ضايقه أو جرح مشاعره برفضه للمشروع

ولكن (فاروق) كان لايحب فكرة الشراكة مع أحد وإن لم يعد يعتبر (يوسف) مجرد شخص وأصبح يعتبره فرداً من عائلته فيكفيه السعادة والأشراق الذي يغمر شقيقته بسببه.

***

وفي هذا اليوم أستيقظت (جوري) باكراً وقد قررت أن تصنع كعكة بالشيكولاته بيدها لزوجها رغم كونها ليست بارعة في أعمال المطبخ لكنها قررت ان الوقت قد حان كي تتعلم.

هبطت إلى المطبخ وكان به (جميلة) ووالدتها (ملك) وخادمة أخرى تلف ورق العنب فحيتهم وقالت باسمة: سأعد كعكة،أرجو ألا يضايقكم وجودي.

ضحكت (جميلة) ونهضت قائلة: سأساعدك.

فتحت (جوري) هاتفها وشاهدت الفيديو فيه ثم قالت: ممتاز..سنحضرالمكونات.

قامت (جميلة) بتجهيز الدقيق والكاكاو بينما أحضرت (جوري) طبقاً ووضعت فيه 6 بيضات وجهزت خلاط الكعك ثم بدأت تكسر البيض وتلقيه في الآناء.

تطلعت (جميلة) إلى البيض..لزج،إنه شديد اللزوجة..شعرت برغبة عارمة في القيء فوضعت كفها على فمها وهرعت إلى الحمام.

بدا القلق على والدتها وتركت الأفطار الذي تعده ونهضت لتلحق بأبنتها.

تطلعت (جوري) إلى (جميلة) التي عادت وقد غسلت وجهها بالماء وتساءلت: هل أنتِ بخير؟ لعلك مصابة ببرد في المعدة.

غمغمت (جميلة) وهي تجلس على مقعد في المطبخ: أجل..غالباً.

وعادت والدتها إلى عملها بعد أن أطمئنت عليها وقالت لها: إن كنتِ مريضة فلا تذهبي إلى الجامعة اليوم.

ابتسمت (جوري) ثم أقتربت من (جميلة) وقالت هامسة وهي تضحك: للحظات بدوت كالحامل،أسفة لا أقصد السخرية.

أمتقع وجه (جميلة) ولم تنطق وقالت (جوري) بغتة: مهلًا..اليوم هو 17 في الشهر..أليس كذلك؟

-أجل.

أرتفع حاجبا (جوري) ثم جلست بجوار (جميلة) وقالت: لقد تأخر موعد ال...تعلمين.

-حقًا؟

-تأخرت ستة أيام في الواقع دون أن أنتبه.

ثم ابتسمت في سعادة وقالت:حينما تشعرين بتحسن..هل يمكنك الذهاب إلى الصيدلية وشراء أثنين من أختبارات الحمل..واحد للبول والأخر للدم...خذي المال من حقيبتي في الغرفة.

نهضت (جميلة) بغتة وقالت: سأذهب الآن..فأنا بخير.

ردت (جوري) باسمة:أنتِ متحمسة أكثر مني.

وعادت لعمل الكعكة وفي النهاية وضعتها بحذر في الصينية ثم ضغطت على زر الفرن وعلى الفور أشتعل تلقائياً وأدخلتها الفرن ثم أغلقته.

عادت (جميلة) وقد أشترت 4 أختبارات للحمل أخفت أثنتين وناولت (جوري) الأثنان الأخران ثم قالت لوالدتها: سأذهب إلى الحمام فيبدو أنني أصبت بالبرد فعلًا.

ردت (ملك) في حنان: سأعد لك مشروباً ساخناً.

دلفت (جوري) إلى الحمام الملحق بحجرتها فأخرجت جهاز أختبار الدم وفتحت غلافه وأخرجت سن الأبرة فثقبت حرف أصبعها السبابة وسرت قطرة الدم داخل أنبوب في الجهاز فوضعته على الطاولة ثم دلفت إلى الحمام لتكمل الأختبار الأخر بالبول.

لم تكن تدري أن (جميلة) تفعل مثلها الآن في حمام الخدم بالطابق الأرضي قرب المطبخ وقد أغلقت الباب بأحكام وجلست على أرضية الحمام النظيفة ووجهها شاحب ويدها ترتعش من الخوف والتوتر.

و بعد مرور عشر دقائق ظهرت نتيجة أختبار البول وبعدها بعشر دقائق أخرى ظهرت نتيجة اختبار الدم.

غادرت (جوري) غرفتها وقد أرتدت ثياب الخروج وبدت السعادة على ملامحها..النتيجة أيجابية ولكن عليها الذهاب إلى المستشفى الآن للتأكد بشكلٍ أفضل.

قلبها يخفق في سعادة وخطواتها مرحة كطفلة.

بينما غادرت هي القصر كانت (جميلة) تغادر الحمام مترنحة وقد زاغت عيناها وشحب وجهها..النتيجة كذلك كانت

أيجابية.

***

حينما غادر (يوسف) العمل توجه إلى قصر جدته أولًا فدلف اليها وكانت جالسة تشرب القهوة وتتابع الأخبار على شاشة مجسدة فتطلعت اليه باسمة وقالت: كيف حالك؟ وحال خطتك؟

رد وهو يجلس:كلمة السر،فقط إن عرفتها فسأصل إلى الذاكرة.

ثم تطلع إلى الشاشة وقال: تتابعين البورصة.

ابتسمت في خبث ولم تعلق،ثم قالت بغتة: كيف حالك مع زوجتك؟..أعني هل تراجعت أم أنك ماضٍ في خطتك ضد (أكرم)؟

-لن أتراجع

-ممتاز..لأنني لن أسمح لك.

-بعد يومين سألتقي بالموظفان وسأقنعهما بالتعاون بالأغراء وبالتهديد.

-ممتاز..وخلال أسبوع سيفقد (أكرم) المناقصة التي وضع فيها الكثير.

ثم تطلع إلى هاتفه..لقد أرسلت اليه (جوري) رسالة تتعجل عودته..ابتسم ورمقته جدته بنظرتها دون تعليق ثم هز رأسه ونهض مستأذناً.

عاد إلى قصر (النعمان) فوجد زوجته تهبط السلم وهي تبتسم في سعادة قالت وهي تضحك: لقد كنت في المستشفى عند الطبيب أخضع للفحص.

هتف في خوف: ماذا؟..هل أنتِ بخير؟

قالت باسمة: بخير والحمد لله..أنا..حامل.

وأرتسمت السعادة وشيءً من الفخر على محياها

هتف في تلقائية ندم عليها: مستحيل.

تراجعت وغمغمت: ماذا؟

أدرك من تغير ملامحها بغتة أنه قد جرحها وصدمها برده فأسرع يردف:أعني هل انتِ متأكدة؟

ردت باسمة وقد تناست ما قاله منذ لحظة: أختبارا الحمل كانا أيجابيان وفحص الطبيب كذلك..أنا حامل في 6 أسابيع أي منذ تزوجنا.

عاد يقول وهو يحاول التماسك: متأكدة؟

وكاد عقله سنفجر..تبًا..ماذا عن قرص منع الحمل..من غير الممكن أن يأتي بطفل يتعذب بسبب الآنتقام والدم.

ردت في إستكانة وهي تتطلع اليه بشيء من الحزن: لقد رأيت صورته،إنها معي في الغرفة..أصعد لتراها.

صعد في صمت وعقله يكاد يجن وقد رسم على شفتيه أبتسامة باردة ودلف إلى جناحهما ووقف بينما هي تعبث بحقيبتها ثم أخرجت الصورة التي ألتقطها السونار وناولته أياها.

مجرد نقطة صغيرة..خفق قلبه وهو يتطلع إلى الصورة ومد يده تلقائياً يتحسسها.

كانت شخصيته السابقة (إياد) تحب الأطفال كثيرًا وتتمنى الزواج والأستقرار والآنجاب فهل تغير إلى هذا الحد؟

وضعت (جوري) يدها على كتفه وقالت بحنان: هيا..توضأ وصلي بي ركعتين شكر لله على تلك النعمة.

تطلع اليها صامتًا،منذ أن أصبح (يوسف) وهو لم ينتظم في الصلاة ويتجاهلها كثيرًا..كان يشعر أنه لايستطيع أن يكون انسانًا صالحاً ومنتقماً في نفس الوقت.

قالت (جوري): أنا مثلك..لست منتظمة في الصلاة ولكنني سأكون سعيدة لو شجعنا بعضنا نحن الأثنان..ما رأيك؟

أومأ برأسه ثم قال في صدق: (جوري)، أنا سعيد لأنني سأصبح أبًا ولأن هذا الطفل أنتِ والدته..أعلم أنك ستنشئيه نشاة صالحة وسيكون انسانًا رائعًا.

قالت: ستكون معي في كل خطوة في تربيته.

ولكنه لم يعلق..هل حقًا سيكون معها في كل خطوة..يستبعد ذلك،ثم أنتفض كلاهما على صوت صرخة عالية..صرخة (جميلة) تحديداً.

***

كان (فارس) جالساً في حجرته أمام المرآة يصفف شعره الناعم استعداداً للخروج مع بعض رفاقه حينما سمع طرقات على باب حجرته ثم دلفت (جميلة) وأغلقت الباب.

استدار نحوها في لهفة وهتف: جئتي أخيرًا.

وأسرع نحوها فقالت: مهلًا..أريد أن أتحدث معك في أمرًا هامً للغاية.

قال وهو يبتسم:أجل،ولكن عليك أن تصالحيني أولًا.

وأشار إلى وجنته بالسبابة

هتفت في غيظ: هل أنت طفل؟..أنضج قليلًا ولو لمرة.

تطلع اليها بصمت وقال: يبدو الأمر جاداً..لاتخبريني أنك ستتزوجين فأنا لن أسمح لك بهذا.

قالت بصرامة وهي تناوله ورقة: أنا حامل.

تطلع إلى الورقة ولم يرد ثم رفع عينيه نحوها وقال: هذا..خبراً..رائع.

قالت وهي تبتسم في مرارة: عن أي روعة تتحدث؟..أقول لك أني حامل.

هتف:إذًا..ماذا سنفعل؟

ردت: نعلن زواجنا..أم أنه سيظل سرًا للأبد..ويولد أبني غير شرعي بينما والديه متزوجان عرفياً.

غمغم في أرتباك:حسنًا..أمنحيني الوقت..خلال أسبوع سأتحدث مع (فاروق) بمجرد عودته من تايلاند وسوف...

هتفت:لا..ليس عندي وقت..أحسم أمرك الآن حالاً..أشعرني أنني أحببت رجلًا حقًا.

أنفتح باب حجرته بعنف..ووقفت على الباب (فيروز) وعيونها متسعة في غضب رهيب لم يره أبنها من قبل..لقد سمعت أخر جملة أو لعلها سمعت كل شيء.

***

الفصل العاشر

(من أجل الحب)

كان (فارس) قد ورث مظهر والدته البديع فجعله هذا محل أعجاب أينما حل سواء في طفولته أو مراهقته أو الآن في شبابه وربما كان لمظهره عاملاً هامًا لتعامل من حوله،فكان الفتى المدلل لوالدته ومركز أهتمامها أكثر من أخوته، وربما

تبدو تلك ميزة للبعض ولكنها كانت أبعد ما يكون عن الميزة فقد كانت والدته تعامله بالكثير من الحب والتسلط ومحاولة السيطرة التامة على مقادير حياته وكأنها إذا فقدت سيطرتها عليه فستفقد أهم هدف لحياتها، وقد كان هو أقرب إلى الطاعة لها فحاز على الكثير من المزايا فهو الأقرب إلى قلبها فتغدق الأموال عليه وتسمح له بالسهر ومصاحبة من يشاء على عكس (فاروق) الذي كان يعاندها.

وحينما وصل صوت صرخات (جميلة) أجفل كلاً من (يوسف) و (جوري) وغمغمت الأخيرة في قلق: أنه صوت (جميلة) على ما أظن.

تساءل (يوسف): هل تتشاجر مع والدتها؟

قبل أن تجيبه زوجته أتاهم صوت (فيروز) وهي تسب وتلعن فتبادلا النظرات ثم هرعت (جوري) إلى حيث مصدر الصوت بينما تذكر (يوسف) تلك النظرة العابرة التي لمحها من (فارس) فمط شفتيه وابتسم أبتسامة خفيفة ثم تبع زوجته.

وعلى الرغم من أن (فيروز) تقترب من الستينات ألا أنها كانت تتمتع بلياقة عالية وصحة ممتازة وتمارس الرياضة بأنتظام،مازالت أمرأة قوية إضافة إلى أن (جميلة) شعرت بهلع حقيقي وقد دفعها الخوف إلى الأستسلام وكأنها مصابة بالشلل،وهكذا هرع الجميع تقريبًا حتى الخدم على صوت المشاجرة ووقعت أعينهم بلا أستثناء على مشهد (فيروز) تجر (جميلة) من شعرها على درج الطابق الثاني لتهبط بها يتبعها أبنها (فارس) وهو يتوسل أن تتركها..ثم بعنف وقسوة قامت بألقاء الفتاة البائسة كأنها جوال عند قدمي والدتها وصرخت: أنتِ وأبنتك مطرودتين..غادرا هذا القصر حالاً.

هتف (أكرم) و(جوري) معًا: ماذا حدث؟

وهتف (فارس): ماما..يكفي أرجوك.

ردت عليه: أخرس..أياك أن تفتح فمك بكلمة.

ظل (يوسف) صامتًا يراقب ما يدور وبدا التوجس والقلق على محيا (جوري) وهي ترمق (فارس) وتتساءل عن سبب تورطه فيما يحدث الآن أما (ملك) فقد شعرت بما تشعر به أي أم ترى أحدهم يزجر أحدى أطفالها أو يسيء معاملته بهذا الشكل فتركت الأحترام والرهبة جانباً وقد تملكها الغضب وهتفت (ملك) معترضة: يا هانم..لماذا تعاملين ابنتي هكذا؟

صرخت (فيروز) من جديد: غادري أنتِ وتلك العاهرة.

استدارت العيون تلقائياً نحو (جميلة) التي أكتفت بأن تتجمد في مكانها أرضًا وتبكي بحرقة بينما جسدها يرتجف.

وتطلع اليها (فارس) في عجز وغيظ وخوف،كانت والدته كاسحة الشخصية تخيفه برغم تدليلها أياه بشكلٍ بالغ.

وهنا هتفت (ملك) بعد أن استفزها اللفظ وهي تجذب أبنتها من تلابيبها: ماذا فعلتي؟..تكلمي.

عادت (جوري) تتساءل:ماذا حدث؟..طنط (فيروز) ماذا حدث؟

هنا هتف (فارس): كفى!!.

ثم عبر بجوار أمه هابطاً نحو (جميلة) وقال وهو يجذبها من ذراعها برفق:تلك الفتاة هي زوجتي وحامل بأبني ولن أقبل أن يسبها أحد.

مضت ثوان من الصمت وقد تجسد الذهول على وجه الجميع، لأنه لم ينطق بمجرد كلمات،بل كأنه ألقى بقنبلة في وسط القصر وما كان لأحدًا أن يفهم مالذي يدور في رأس(فارس) الآن وهو ينطق بتلك الكلمات المتحدية الكفيلة بإحداث ثورة غضب عارمة من قِبل والديه،ضيق (يوسف) عينيه فلم يتوقع أن يتمرد (فارس) بهذا الشكل من أجل (جميلة) ولم يتوقع أنهما متزوجين وحسبه مجرد فتى عابث يتسلى قليلًا مع ابنة الخادمة.

ثم هتف (أكرم): ماذا تقول يا ولد؟

رد (فارس): لقد تزوجنا عرفياً ومعي عقد الزواج.

لطمت (ملك) على وجنتيها وسالت الدموع من عيونها وغمغمت (جوري): مستحيل.

أندفعت (فيروز) نحو ابنها (فارس) و(جميلة) وهي تصرخ: سأقتلك أيتها الحقيرة..سأقتلك.

هنا تدخل (أكرم) فجذب زوجته بقوة ليمنعها قائلًا: إنتظري...قلت أهدئي.

وهمس في أذنها:كفى..لقد فضحتنا بصراخك أمام الجميع.

ثم استدار نحو الخدم وقال أمرًا:عودوا إلى أشغالكم حالاً.

فأسرعوا ينفذون الأمر وهتف في ولده الصغير: (فادي)..أصعد إلى حجرتك ولا تغادرها..الآن.

قلب (فادي) بصره بين وجه والديه وأخيه ثم استدار عائداً إلى حجرته.

وقال (أكرم) ل (فارس) :أتبعني إلى المكتب..وأنتِ يا (ملك) أنتظري مع أبنتك في المطبخ.

ولكن (ملك) قالت وهي تشهق بدموعها: ليس لي ابنة...تلك الفتاة لا أعرفها وليست أبنتي.

تمتمت (جميلة) من وسط دموعها وهي تلمس كتف أمها: أمي سامحيني..أنا..

ولكن أمها أزاحت يدها بعنف ثم توجهت نحو المطبخ وهي تصرخ: لست أبنتي..لعنة الله عليك..لعنة الله عليك.

توجهت (جوري) نحو (جميلة) وقالت لأخوها: سأبقى معها.

ولما أنصرف الجميع ولم يعد في الصالة الواسعة سوى (جميلة) و(جوري) و (يوسف) ناولت (جوري) منديلاً ورقياً لصديقتها فأنفجرت (جميلة) بمزيداً من البكاء.

ولكن (جوري) لم تعلق ومن عينيها أطلت نظرة لوم صامتة فألقت (جميلة) بنفسها في أحضان رفيقتها وتمتمت: أسفة لأنني لم أخبرك.

أبعدتها (جوري) ولكن برفق ودون خشونة وقالت بلهجة لائمة هادئة: لم فعلتِ ذلك؟هل يعد الزواج العرفي زواج؟ ألا تعلمين أن الأشهار والأعلان من شروط صحة الزواج..أو لاتعلمين أنه من المستحيل أن يقبل أبي أو (فيروز) هانم بتلك الزيجة.

بمقلتين محمرتين كساهم الحزن والألم والدموع تطلعت (جميلة) نحو (جوري) ثم تمتمت: أسفة.

تنهدت (جوري)،كانت تعرف طبيعة صديقتها ورغبتها في العيش بشكلٍ مريح مادياً ولكنها كذلك تعلم أنها ليست شريرة ولا خبيثة ومن المستبعد أن تكون قد أقدمت على تلك الخطوة كمحاولة للأيقاع ب(فارس) في شباكها أو طمعًا في أمواله

والراجح أنها فعلت ذلك بسبب الحب أولًا وبسبب المطامع البشرية المعتادة في الحياة الثرية المرفهة ثانيًا.

عادت (جميلة) تقول مبررة: أنا أحبه يا (جوري)..حقًا لست طامعة في أي شيء..كنت سأظل صامتة حتى يخبر هو الجميع بنفسه ولكنني عرفت..أنني حامل..ولم يعد بوسعي السكوت والصبر.

تأملت (جوري) صديقتها في عطف وقالت لها: حاولي أن تتماسكي إذًا،فلا نريد أن نضر الجنين.

وقال (يوسف) وهو يتوجه نحو المطبخ: سأعد بعض الليمون.

تطلعت اليه (جوري) في أمتنان ولم تعلق.

***

حينما أتصلت (نبيلة) ب(كامل) وأخبرته أنها تريد رؤيته لأمر هام أخبر هذا الأخير (بيرين) التي قالت له: لاشك أن لديها شكوكها..لابأس..حاول تهدئتها حتى نستكمل خطتنا.

ألتقى (كامل) ب(نبيلة) في مطعم للوجبات السريعة قريب من موقع مكتبه وبادرته هي: أنا لست مستريحة.

تساءل في حذر: ماذا تقصدين؟

-لقد قبلت العمل معكم لرغبتي في الآنتقام ولكنني لا أفهم ما علاقة (فاروق) بك بالأمر كله،حسبما رأيت فهو أنسان مستقيم ومحترم.

-ومن قالآنه سيتأذى؟

-هل تماطلني أم تخدعني؟..(يوسف) بك يسعى للأستيلاء على شركته،اليس كذلك؟

هنا قرر (كامل) أن يكذب عليها فقال: أنما سيفعل ذلك كي لايتمكن (فاروق) بك من مساعدة (عزمي الدمرداش) بأي شكل عندما يسقط قريبًا.

أطلت من ملامحها علامات الشك وقالت: هذا ليس سبباً مقنعاً.

ثم أرجعت ظهرها إلى الوراء وعقدت ذراعيها أمام صدرها وقالت في تحدي: مالذي تمثله تلك الشركة ل (يوسف) بك كي يتوق إلى تملكها لدرجة أن يتزوج صاحبة الشركة.

-ومالذي يعنيك في الأمر؟..هل (فاروق) أخوكِ أو قريبك؟..لما تهتمين بمعرفة الأسباب؟..أنتِ قبلتي التعاون معنا كي تنتقمي من قاتل زوجك وأخوك ونحن نعدك بذلك،فقط قومي بدورك وحققي أنتقامك وأحصلي على مكافئتك المادية التي ستتيح لك ولأبنتك حياة كريمة..ومن فضلك لاتطلبي مقابلتي من أجل تلك المناقشات الطفولية عديمة الجدوى.

ثم نهض لينصرف ولكنه عاد ينظر نحوها وقال: وأنتبهي لمشاعرك..لا تشتتي نفسك في هذا التوقيت الحرج.

وغادر المطعم وتركها ترمق ظهره وهو يبتعد.

***

أنهى (أكرم) المكالمة مع رجاله ثم جلس على مكتبه صامتًا وكأن الغضب لايشتعل في داخله ثم دلف (فارس) فنهض

(أكرم) من خلف مكتبه وظلت (فيروز) جالسة على المقعد ترغي وتزبد ثم صمتت أمام نظرات زوجها.

لم يكن (أكرم) يلعب دوراً كبيرًا في تربية أبنائه وكما أسلفنا فقد ترك المهمة لأبنه الأكبر وكان دوره محصوراً في منحهم الأموال وفي نوبات الغضب التي ينفجر بها في وجوههم عندما يرتكبون خطأً كبيرًا.

ولهذا كانت ردة فعله أن هوى على وجه ابنه بصفعة ثم أتبعها بأخرى ثم راح يوجه الصفعات إلى أبنه بشكلٍ محموم وقد أنفجر غضباً دون شفقة حتى تدخلت (فيروز) فأوقفته قبل أن يفتك بأبنه وحالت بجسدها بينه وبين (فارس) وراح يهتف غاضبًا:غبي..منذ ولدت وأنت لاتسبب لنا سوى المشاكل..أبنة الخادمة..هذا هو طموحك..تلك هي زوجتك وأم أبنائك؟..

تلك هي الفتاة التي ستجلب لك المنافع ولعائلتنا وشركتنا.

كم كان (أكرم) متناقضاً ومنافقاً بأمتياز في أقواله،وهو الذي تزوج من (فيروز) وهي مجرد موظفة فقيرة لأنه أحبها،والآن يُحرِم هذا الحب على ابنه.

كانت شفتي (فارس) تنزف الدماء وظل صامتًا مطأطأ الرأس فركله والده في بطنه فسقط على ركبتيه وهو يئن وهتفت (فيروز): ستقتل الولد..اللوم على تلك اللعينة...لقد خدعته كي يتزوجها طمعًا في ثروته.

غمغم (فارس):غير صحيح..أنا أحبها وهي كذلك.

تجاهلت (فيروز) كلام ابنها وعادت تقول:سنطردها وينتهي الأمر وهذا الغبي سنحبسه في مكانًا ما حتى يتعقل وينسى تلك النزوة ونزوجه فتاة من عائلة راقية محترمة.

هتف (فارس):قلت لكم أنني أحبها.

أردفت (فيروز): ربما نضطر إلى دفع بعض المال لها وينتهي الأمر.

هتف (أكرم) محتداً:والجنين؟..أنتِ لاتعرفين هؤلاء الأوباش وطريقة تفكيرهم..سترفع قضية وبعدها تطلب زواجاً رسميًا ونفقة للطفل وحقه في الميراث.

قالت (فيروز): يمكننا أن نجد طبيبًا يجري لها عملية أجهاض.

عاد (فارس) يهتف:كفوا عن تجاهلي.

ثم نهض وقال:ألا تفهمون؟...أنا أحبها.

وجه له (أكرم) لكمة قاسية في غفلة من (فيروز) فسقط (فارس) أرضًا.

وكان جواب (أكرم) الصارم: وستحب غيرها فيما بعد...هكذا الشباب.

سمع طرقات على باب المكتب ثم دلف رجلين ضخام الجثة من حراس ورجال (أكرم) المقربين فأشار إلى ابنه ونظر اليهم (فارس) في توتر ولكنهما أنهضاه بقوة ثم غادرا به القصر وهما يشددان قبضتهما على ذراعيه بينما هو يصرخ محتجاً ويقاوم.

نظر (يوسف) إلى هذا المشهد الغريب ثم وجه نظره إلى (أكرم) الذي تبدلت ملامحه لتنطق بالقسوة الشديدة، وأراد أن يتدخل ولكنه أثر الصمت وظل يلعب دور المراقب.

وقال (أكرم): سأقوم بحبسه قليلًا في شاليه الأسكندرية وسيقومان بحراسته والآن أستدعي تلك الفتاة اللعينة.

توجهت (فيروز) إلى الصالة الواسعة ونادت أحدى الخدم لأستدعاء (جميلة) ووالدتها فقالت الخادمة: (ملك) غادرت منذ قليل وقالت أنها مستقيلة ولم تحدث ابنتها أو تصطحبها معها.

-فلتذهب حيث ألقت..أحضري (جميلة).

توجهت الخادمة إلى المطبخ وكانت (جميلة) جالسة على المائدة وبجوارها (جوري) فقالت الخادمة في أحتقار:الهانم تريدك يا (جميلة).

تطلعت (جميلة) في فزع نحو (جوري) التي نهضت قائلة: سأتي معك.

بعد مغادرتهما راح الخدم يثرثرون بالنميمة عن الفتاة التي جلبت العار لأمها المسكينة.

وتساءلت (جميلة): أين (فارس)؟

رد (يوسف) بشيءً من السخرية: غادر مع رجال والده.

لم تعلق الفتاتان وإن شدت (جوري) على يد (جميلة) المذعورة الشاحبة ودلفتا معًا إلى المكتب.

قال (أكرم) وكان جالساً على مقعده في المكتب في هدوء مخيف: أخرجي يا ابنتي وأتركيني مع (جميلة)..لن أؤذيها.

قالت (جوري):إن أذيتها فلن أسامحك ابداً.

ثم أنصرفت في تردد وأنكمشت (جميلة) في خوف وهي تنظر نحو (أكرم) و (فيروز) وقال الأول:ستحضرين عقد الزواج لأدمره بيدي وسنعطيك المبلغ الذي تحددينه على أن تغادري ولا تتصلي بأي شكل من الأشكال بأبني ثانية.

غمغمت (جميلة): أنا حامل يا بك بحفيدك.

صرخ (أكرم):ستجهضينه وتنهين الأمر..هذا هو ما توصلنا اليه..أما أن تقبلي وأما ستكون العواقب وخيمة.

وأضافت (فيروز): أقبلي ولا تحاولي أن تتحدينا فأنتي مجرد حشرة نسحقها بقدمينا.

ردت (جميلة) في توتر: أنا أنسانة ولست حشرة..ولن أقتل ابني أرضاءً لكما..ولكن لدي عرض..سنتزوج أنا و (فارس) رسميًا ونستقل بسكن خاص ولن آتي لزيارتكم ولن أزعجكم ولا أرغب في أي مليم من أموالكم وثروتكم.

نهض (أكرم) وقال وفي عينيه نظرة نارية: يبدو أن علي قتلك.

ردت:أولًا: ستخسرون (فارس) للأبد إن فعلتما هذا فهو لن يغفر لكما أبداً فعلة كهذه فأنا واثقة من حبه لي...ثانيًا: تشريح الطب الشرعي سيثبت أنني حامل وبتحليل بسيط

لل دي إن أيه ستنتشر الفضيحة في جميع وسائل الأعلام وهو ما لاترغبون بحدوثه..أليس كذلك؟..ثم ما رد فعل (جورية) أو (فاروق) بك وقتها.

كانت تحاول التظاهر بالشجاعة ولكن صوتها كان مرتجفاً متوسلاً أكثر من كونه متحدياً وأتسعت عينا (أكرم) في ذهول وحدق فيها غير مصدق أنها أستطاعت أن تلقي في وجهه هذا الرد وقالت (فيروز): أيتها الحقيرة،سنحرمه من الميراث ومن الأموال ولنرى ما فائدة عنادك.

ردت بأصرار وهي تمسح بقايا دموعها:سأستفيد ببقائي مع الآنسان الذي أحبه لنكون أسرتنا ونربي طفلنا.

هتفت (فيروز) مستنكرة: أي حب؟..هل تظنين أنه يمكنك خداعنا؟

ردت: أنا أحببته حقًا وبعد موقفه منذ قليل بدفاعه عني برغم أن الجميع كان ضده تضاعف هذا الحب.

ثم نهضت مغادرة وأنتفض (أكرم) ولكن زوجته أشارت بيدها ليقف ثم قالت: تلك اللعينة محقة..أصبر ياعزيزي فسأعد خطة محكمة للتخلص منها للأبد.

أما (جميلة) فقد غادرت المكتب وبخطوات متثاقلة مفعمة بالضعف والبؤس توجهت إلى المطبخ ودون كلمة تناولت معطفها فأرتدته ولم تجرؤ على النظر إلى أحد من الخدم وقد كانت منذ ساعة واحدة تمازحهم وتتحدث معهم قبل أن يفتضح أمرها وتشعر بكل هذا الأذلال والخجل والعار، ثم لما توجهت إلى باب القصر للمغادرة هتفت (جوري) التي كانت قد صعدت لتطمئن على أخوها (فادي) ثم هبطت حالاً:هل أنتِ بخير؟ إلى أين تذهبين؟

ردت (جميلة) وهي تبتسم أبتسامة شاحبة مريرة: أنا بخير..لن أنسى لك موقفك يا صديقتي العزيزة..سأعود إلى البيت الآن.

غمغمت (جوري):إذا أحتجتي إلى أي شيء فأتصلي بي.

أومأت برأسها وغادرت صامته.

***

بسبب تلك الأحداث العاصفة لم تتمكن (جوري) من أخبار أحد بشأن حملها سوى زوجها وكانت كذلك تشعر بالقلق مما حدث فأستلقت على السرير بجوار زوجها وتطلعت إلى السقف وكذلك فعل زوجها،رمته بنظرة جانبية قلقة ثم سألته:

هل تعاني من الأرق ثانية؟

-أظن ذلك..سأتناول الدواء بعد قليل.

-أتمنى أن يعود (فاروق) بسرعة من رحلة عمله،أنه قادر على حل تلك المشكلة بعدل وعقلانية.

رد (يوسف): سوف يعود بعد الغد ويتلقى الصدمة،ولكن هل كنتِ تعلمين بشأن العلاقة بين (فارس) و (جميلة)؟

ردت: مطلقًا،رغم أنني صديقتها ولكنها لم تخبرني قط.

-لاتقسي عليها..لايمكنها أخبار أحد بأمر كهذا أصلاً.

-أظن أن (فاروق) سيعيد (فارس) إلى البيت.

استدار (يوسف) بجانبه وأستند بمرفقه على السرير وأسند ذقنه على كف يده وتطلع إلى زوجته وقال: أشعر بعدم الراحة..أعني تصرف والدك وأرجو ألا يغضبك هذا...

قاطعته في مرارة: يبدو كزعماء المافيا حينما يعاقبون إحدى رجالهم.

ثم أعتدلت في جلستها وغمغمت: أحيانًا يتصرف والدي بقسوة،إنه ليس رجلًا مثالياً وزوجته لاتعينه سوى على الخطأ ولكنه أبي وأنا أحبه كثيرًا.

مضت لحظة صمت ثم قال (يوسف): أريد أن أسألك سؤالاً هامًا.

تطلعت اليه متسائلة وبعد لحظة تردد وحذر كان يقول فيها لنفسه ألا يفعل ذلك أكمل: أفترضي فرضاً أنك أكتشفتي أن والدك قاتل قد قام بقتل بعض الأشخاص الأبرياء،هل تبلغين عنه وتقدمين الأدلة لجهة التحقيق أم تتناسين الموضوع بدافع حبك له؟

حدقت فيه صامتة لثوانً ثم غمغمت: ياالهي..من حسن حظي أن والدي ليس قاتلاً.

ثم ضحكت ضحكة صغيرة فقال بجدية:إذًا لن تبلغي عنه.

حمقلت فيه بحيرة وحذر ثم ردت وهي تبتسم:بصراحة لا أعرف، القتل أمرًا لايغتفر وخطيئة كبرى كفارتها الأعتراف ونيل العقاب..أليس كذلك؟ أم كفارتها صيام شهرين؟أم دفع دية؟

-لا، في حالة عدم القصاص، وإذا طلب أولياء القتيل القصاص سقطت الكفارة على القول الراجح، وكان قتله كفارة له.

بدا القلق على محياها وتمتمت:لما نتحدث عن القتل والموت الآن؟

رد وهو يتحسس شعرها في رفق وكأنه يطمئنها: أشعر بالفضول وأود معرفة قرارك في موقف كهذا.

-حتمًا سأتبرأ منه وسأعيش بعيدًا عنه و إذا قامت جهة التحقيق بأستجوابي..عندها لن أكذب وسأخبرهم ما أعرفه حتى لاتكون شهادة زور،ولكنني ربما لن أقدم الأدلة بنفسي..أعرف أن هذا خطأ فلا تتطلع الي هكذا...ولكن لاأستطيع.

ابتسم أبتسامة خفيفة وقال:على العكس،أظن أن ردك هذا مقنع وسليم،أي شخصاً مكانك كان ليفعل ما هو أسوأ.

وتنهد وتطلع إلى عينيها وقال: أنا سعيد لأنك زوجتي،أنت نقية وجميلة.

خفق قلبها في سعادة فقد كان وقع كلماته عليها عظيماً فقالت:أحبك كثيرًا.

وأعتدلت وقالت مازحة: أعترف،هل قتلت شخصاً ما؟

ضحك وأجاب:كلا بالطبع.

-أنا أعرف لماذا أنت قلق؟

-لماذا أنا قلق؟

قالت: أنت خائف من ألا تكون أبًا جيدًا،أليس كذلك؟ ولهذا تتحدث في أمور غريبة، ولكنك زوجٌ رائع ورجلٌ رائع وهو ما يعني أنك ستكون أبًا رائعًا.

لم يعلق كعادته كلما حدثته عن تربية الطفل وعند قرب موعد صلاة الفجر نهض بهدوء وجذب صورة الجنين من أحدى أدراج المنضدة يجوار السرير وعاد يحدق في صورة الكائن الضئيل..هذا الصغير هو أبنه الذي سيكبر متسائلًا لماذا والديه منفصلين؟ لم أُعدم جده؟..لماذا قتل جده لأمه جده لأبيه؟

ومع مطلع الصباح أنهت (جوري) حمامها ومشطت شعرها وأرتدت ثيابها ثم هبطت إلى مائدة الأفطار التي سادها الوجوم بشكلٍ ملحوظ.

كان (فادي) يعبث بطبق الطعام بلا شهية واضحة ثم نهض معلناً أنه ذاهب إلى المدرسة ونهض (يوسف) معلناً أنه ذاهب إلى الشركة وكانت (فيروز) تهمس مع زوجها ومقعدي كلاً من (فاروق) و(فارس) فارغان وكانت ترغب بأعلام الجميع بموضوع الحمل ولكنها ارتأت أن تؤجل الأمر لحين عودة أخوها الكبير.

شعرت برغبة في التقيؤ فنهضت ولم ينتبه أحد ثم عادت وقد غسلت فمها ووجهها وبدت شاحبة.

***

أما (جميلة) فقد كانت أكبر أبناء (ملك) وكانت نشأتها في بيت فقير وبيت فاحش الثراء في نفس الوقت،فكانت طفولتها

في منزل والدتها المتواضع في القرية طفولة عادية في كنف أم حنونة وأب منشغل منهمك في العمل حتى النخاع،ثم توفي والدها وعادت والدتها لتعمل في قصر (النعمان) وبعدها أنتقلت مع والدتها وأخوتها إلى بيت صغير فقير في أحدى أحياء القاهرة المكتظة،ثم أنتقلت مع والدتها إلى القصر لتساعدها وهي بعد عمرها اثنتا عشرة عامًا،ولنا أن نتخيل وقع كل تلك الفخامة والأبهة والبذخ على فتاة صغيرة في مقتبل العمر عاشت حياتها بتواضع وبعض الحرمان.

كان (فاروق) سخياً معهما ومرتب والدتها جيد ولكن (ملك) كان لها ابن مريض بمرض نادر في العظام ويحتاج إلى أبر يومية مستوردة بأسعار فلكية والعديد من الأدوية الأخرى ولولا أن لديه تأمين صحي لأنه طالب يغطي أغلب ثمن العلاج لمات منذ زمن،بيد أن ذلك لم يكن كافياً فكان معظم مرتب والدتها يذهب للعلاج ونفقة

الأسرة وظل وضع الأسرة فقير ومؤلم وظلت (جميلة) محرومة من الكثير من الأشياء التي ترغب فيها البنات في مثل عمرها وظلت ترتدي ثيابًا قديمة أو مستعملة وظلت كالكثير من البشر تأمل في حياة مريحة وثرية، ولهذا صارت صديقة ل(جوري) التي كانت بلا أصدقاء لتحقيق أي مصلحة في البداية ولكنها سرعان ما أحبتها حقًا وظلت سنوات صديقة مخلصة لها وعندما أبدى (فارس) أعجابه بها بتلميحات راحت تتخيل حياتها وهي زوجة له تعيش في هذا القصر الواسع وتركب السيارات الفاخرة وتسافر إلى العديد من الدول وعلاوة على ذلك فزوجها شاب وسيم تتمناه أي فتاة ولهذا قبلت وألمحت له بدورها بأنها معجبة به أيضًا وربما في هذه النقاط تشابهت (جميلة) مع (فيروز) ولكن الفارق بينهما شاسع ف (جميلة) كانت طيبة وخيرة وقد أحبت (فارس) سريعًا حبًا قوياً فشغفها حبًا بعمق وقبلت أن تكون زوجته بورقة لاقيمة لها وقد كانت وقتها من حبها له كالمنومة مغناطيسياً ولم تدرك فداحة ما أقترفته أو لعلها لم تبالي وأنحازت إلى قلبها على حساب عقلها أنصياعاً لميل الآنسان إلى خداع نفسه بآمال زائفة وتفاؤل ينافي المنطق وأبعدت كل ما كان يخطر في بالها من أنه قد يتخلى عنها أو يتسلى بها ثم أفتضح كل شيء بهذا الشكل الفظ المخزي وغادرت القصر أمام نظرات الغضب والأحتقار بل وبعض الشماتة.

ركبت الحافلة لتعود إلى منزلها وقد ضمت معطفها ليقيها البرد القارص،دلفت إلى مدخل المبنى الذي تسكن فيه في هذا الحي البسيط وبرغم وجود المصعد ألا أنها صعدت على الدرج وكأنها تحاول تأخير المواجهة قدر الأمكان وبخطوات متثاقلة..ثم أقتربت من باب الشقة وطرقت برفق مطولًا،أدركت من الصوت الخفيض أن والدتها تجلس في الصالة الآن وتسمعها بوضوح وتتجاهلها كذلك،أما أخوتها الصغار فقد أخلدوا إلى النوم حتمًا فغدًا لديهم دراسة.

غمغمت: أمي،أرجوكي سامحيني ودعيني أدخل إلى بيتي.

-.....

-أمي..أنا أخطات خطأً رهيباً لايغتفر ولكن..أرجوكي لاتتخلي عني.

-.....

-أمي...أرجوكي سامحيني.

-.....

ظلت جالسة أمام باب الشقة تبكي وتتوسل بصوتٍ خفيضاً خوفاً من أن يسمعها أحدى الجيران ولكن دون جدوى فقد ذهبت كل توسلاتها أدراج الرياح،ومع مقدم الفجر جلست على سلم الطابق تبكي بصوتٍ مكتوم ولم تكن تدري أن أمها تبكي كذلك بحرقة في غرفتها بعد أن دلفت اليها.

من حسن الحظ وجود المصعد فلن تقابل أحدًا من الجيران يهبط للصلاة ويتطلع اليها في فضول ويسألها عما يحدث.

نعست وهي جالسة على السلم حتى أصبحت الساعة السابعة صباحًا وأخوتها الصغار سيذهبون إلى مدارسهم خلال وقتٍ بسيطًا.

نهضت وعدلت ثيابها التي أمتلئت بالأتربة ومسحت بكمها بقايا الدموع ووقفت في نهاية السلم تتطلع إلى باب الشقة حتى ُفتح أخيرًا وغادر أخوتها نحو المصعد ووالدتها معهم توصلهم فتوجهت بتردد نحوهم وتطلع اليها أخوتها وهتفوا معًا : صباح الخير يا (جميلة).

غمغمت: صباح الخير يا أعزائي.

وصاحت (ملك):هيا إلى المصعد،إلى اللقاء ولاتتأخروا.

ثم استدارت نحو أبنتها وتطلعت اليها ببرود وقسوة ليست من طبيعتها وهمت بالعودة إلى الشقة فأسرعت (جميلة) نحوها وهي تغمغم: أمي..مهلًا.

وجهت (ملك) صفعة قاسية إلى وجه أبنتها ثم دلفت إلى الشقة وأغلقتها دون كلمة.

وبعد مرور 10 دقائق تسمرت فيهم (جميلة) في مكانها استدارت وهبطت بهدوء وأثر الصفعة على وجنتها

وغادرت البناية،فعبرت الطريق شاردة متثاقلة وكادت تصدمها سيارة وظلت تسير لا تدري أين تذهب في الواقع ثم سمعت صوت رنين الهاتف معلناً وصول رسالة فتوقفت وأخرجت هاتفها ثم شهقت فقد كانت تلك رسالة من (فارس)

"أنه أنا (فارس)،هربت منهم،قابليني في محطة القطار عند رصيف 8".

***

هتفت (بيرين) محتدة: مستحيل...مستحيل...أنا متأكدة من أن الدواء يعمل بنسبة 100%...مستحيل أن يحدث حمل.

كان (يوسف) جالساً أمامها في الصالون فقال بهدوء: أنها حامل، وأنا سأصير أبًا.

وبرغم هدوء ملامحه لمحت جدته نظرة السعادة في عينيه..تطلعت اليه ثم قالت: حسنًا ماحدث قد حدث،هل تنوي التخلص من الجنين؟

رد بسرعة مستنكرة: كلا بالطبع.

ردت وهي تتطلع اليه بنظرة جادة: هذا قرارك، وعلى أية حال ليس لذلك الجنين أي ذنب ومن حقه الحياة، ولكنك لن تتراجع عن خططك..هل كلامي مفهوم...لقد أعطيتك فرصة من قبل وأنت أخترت هذا الطريق.

-لن أتراجع عن شيء.

-ممتاز...إذًا لم يتغير شيء من خططنا.

-مطلقًا.

ثم ابتسم وقال: والآن سأخبرك بما حدث بالأمس مع (فارس).

وقص عليها الأمر ولكنها لم تضحك في جذل كما توقع بل صمتت ثم زفرت بشكلٍ مرير فقال (يوسف): أبنة الخادمة..هه..كم كنت أتمنى أن تكوني حاضرة فترين وجه (أكرم) وزوجته،أتعلمين..أنا لاأظن ان هذا الفتى سيء

إلى هذه الدرجة..أظن أن أبناء هذا الوغد رائعون إن وضعنا في الأعتبار إجرام والديهما.

قالت:هل أصبحت تحب أبناء عمك الآن،لاتستخف بالحب،تلك الفتاة الحمقاء ذكرتني بنفسي عندما كنت في عمرها.

وشرد ذهنها ثم غمغمت:أتمنى الا تلقى نفس مصيري وقتها فأنت لاتعلم شعور الأم التي ُتحرم من طفلها.

ربت على كفها بتعاطف، لايعلم ولكنه يرثى لها خاصة وأن ابنتها ماتت بعد أن عثرت عليها أخيرًا.

-والآن إن كنت ذاهباً إلى الشركة فأريدك أن تتحدث مع (نبيلة) فهي في الأونة الأخيرة تتهرب من إرسال التقارير أو ترسلها ناقصة ويبدو أنها لم تعد راغبة في الآنتقام بنفس الحماس السابق.

نهض (يوسف) وقال في سخرية: أتظنين أنها وقعت في حب أبناء عمي كذلك؟

ردت بجدية: أجل..من المرجح أنه (فاروق).

حدق فيها (يوسف) غير مصدق ثم غمغم: هل أنتِ جادة؟

ردت وهي تتناول فنجان الشاي:تحدث معها لنعرف.

غادر إلى الشركة وتوجه إلى البوابة حيث أستقبله الحرس بأحترام كالمعتاد وتوجه إلى المصعد الخاص بكبار الموظفين فصعد إلى الطابق الخاص بمكتب (فاروق) حيث يتواجد مكتبه الجديد كذلك وعلى الفور توجه نحو حجرة السكرتارية وقال ل (نبيلة): إلى مكتبي فورًا.

رفعت (نبيلة) عيونها عن شاشة الحاسوب التي تعرض إحدى التقارير ثم توجهت إلى مكتبه فطرقت الباب ثم دلفت ووقفت صامتة...تطلع اليها ثم قال: أترغبين بالآنسحاب؟

-ماذا؟

-ألم تعودي راغبة في الآنتقام من (أكرم) و(عزمي)؟

-ليس الآنتقام.. بل العدالة..أن يدفع القاتل ثمن جريمته.

-ولكن..؟

تطلعت اليه ثم تمتمت: لاشيء.

تنهد وشاعت على شفتيه شبح أبتسامة وقال:صدقيني أنا أفهم ما تشعرين به تمامًا..لذلك أؤكد لك سأبذل كل جهدي كي ينحصر أنتقامي في هذين الشخصين فقط قدر المستطاع.

هنا قالت (نبيلة): وماذا عن الأيذاء النفسي؟

مط شفتيه و رد: الأيذاء النفسي سيكون سببه جرائم الأباء مع الأسف.

ثم عاد يتطلع اليها وقال: (نبيلة)...لقد أقتربنا جدًا..خلال شهر أو أثنين سينتهي الأمر.

هزت رأسها ثم غادرت عائدة إلى مكتبها فجلست وألقت نظرة على مكتب (فاروق) الخالي وتذكرت أنه سيعود قريبًا وربما يمر على الشركة فابتسمت تلقائياً.

***

أنفجر (عادل) في الضحك وهو يتطلع إلى صديقه السابق (فارس) الذي أتصل به منذ نصف ساعة ثم ذهب ليقابله بالقرب من ملهى أعتادا السهر فيه في السابق.

كان الوقت مازال مبكراً و (عادل) لا يستيقظ قبل الظهيرة ولكن مع أتصال صديقه أضطر إلى الأستيقاظ والنهوض ليقابله وأستمع اليه ثم قال بعد أن ضحك: حسنًا لاتتطلع الي بضيق..أنا أسف ولكن...(جميلة)...أبنة الخادمة؟

رد (فارس) في تحدي: أنا أحبها.

قال (عادل) ساخرًا: وماذا في ذلك؟...أنا شخصياً أحب جميع الخادمات الشابات وأحب السكرتيرات وأحب أي فتاة أراها وتعجبني،نصيحتي لك إستمتع معها قليلًا وقم بتمضية وقتك حتى تملها ثم أعطها مبلغًا من المال وأنصرف إلى غيرها.

-ماتقوله ليس حبًا،أقول لك أنني أحبها وأريد أن تكون زوجتي رسميًا.

-عندما تتزوج يجب أن تكون زوجتك مفيدة لثروتك ومركزك وليس العكس..أراهن أن والدك غاضب وقد جمد أموالك وكروت ائتمانك البنكية.

-هذا صحيح ولكنني لا أهتم بكل هذا،وأريدك أن تقرضني بعض المال.

هز (عادل) رأسه وقال: أنت قد جننت،لست صديقي القديم الذي أعرفه..ولكن مهلًا.

ثم تطلع اليه وهتف: هل الفتاة حامل؟،لهذا تتصرف هكذا؟

غمغم (فارس) : أجل..سأصبح أبًا و...

ولكنه قطع كلامه وبدا غاضبًا من الابتسامة الساخرة التي ارتسمت على وجه (عادل) فهتف: هل يبدو لك الأمر مضحكًا؟

رد (عادل): أجل..إن كان الأمر كذلك فلا تقلق وتقم بكل تلك التصرفات الدرامية..أعرف طبيبًا بارعًا يقوم بأجهاض الأجنة وينتهي الأمر وقد جربته من قبل مع عدة فتيات،أخرها كان منذ يومين أثنين، هل تصدق؟

ثم مال عليه وقال: سأدفع التكلفة فلا تقلق.

استدار (فارس) لينصرف وهو يهتف في غضب: يالك من إنسان حقير..حقًا كان (فاروق) و(جوري) على حق.

مط (عادل) شفتيه وهو يتطلع إلى صديقه يبتعد ثم هز رأسه وقال: ياله من أحمق،يريد أن يتزوجها.

ثم عاد ينفجر في نوبة ضحك.

ولم يكن (فارس) يمتلك سوى 2000 جنيه في جيبه،وظل متحيراً يفكر في الخطوة التالية فركب الحافلة لأول مرة في حياته وتحمل الأزدحام بصبر ثم توجه بسرعة إلى محطة القطارات..لقد أتخذ قراره..سوف يهرب مع (جميلة) ويتزوجها رسميًا ويتحدى الجميع..كان يدرك أن والده سوف يبحث عنه بجنون في كل مكان وسيستخدم جميع مهندسي الحاسب في شركته من أجل هذا الغرض ولكنه سيعرف كيف يختبيء.

وصل إلى محطة القطارات فهبط وتوجه حيث المكان الذي سيلتقي فيه بحبيبته وكانت واقفة وقد بدا عليها الأرهاق والحزن وقد أنتفخت عيونها من البكاء ولم يكن هو أفضل حالاً فشفتيه مازالت متورمة ووجنته مزرقة من الصفعات ولم ينم منذ الأمس كذلك، أخرج هاتفه وقام بأغلاقه وهكذا لن يتتبع والده موقعه ثم توجه نحوها ودون تردد أمسك كفها فاستدارت نحوه وقال باسمًا:هيا بنا.

تمتمت:إلى أين؟

-إلى الأسكندرية فهم لن يتوقعوا هذا وأنا أحفظ شوارعها وأعرفها،أول خطوة هي التوجه إلى المأذون.

صارت بجواره صامتة دون أن تستفسر عن شيئًا أخر.

***

كان المساء قد حل حينما توقفت تلك السيارة الفخمة على أطراف مدينة القاهرة أمام مستودع مهجور وهبط منها (يوسف) ثم توجه إلى المستودع الذي كان يقف حوله عدة رجال أشداء لحمايته وقال أحدهم في أحترام:

سيدي،الموظفان الأثنين بالداخل.

-أحسنتم...هل تنبه أحد إلى خطفهما؟

-مطلقًا..لقد أنتظرناهم داخل تلك الشقة المشبوهة بعد أن غادر حراسهم.

-ممتاز.

ودلف إلى المستودع الواسع وسار قليلًا حتى وقف أمام شخصين يرتديان بدلة وأحدهم أصلع الرأس وله كرش والثاني نحيل يرتدي نظارة طبية وله نظرات حادة خبيثة وقد قيد كلاً منهم إلى مقعد بأحكام وحولهم الرجال فقال: سأختصر لأنه ليس لدي وقت لأضيعه..أنتما الأثنان وغدان مرتشيان برغم مناصبكم الرفيعة ومرتباتكم..لدي تسجيلات مصورة لكم وأدلة وأنتم تسربون أسرار صفقات الحكومة إلى (عزمي الدمرداش) والتي تجعله يتلاعب بالبورصة ويكسب دائمًا ويسيطر عليها.

هتف النحيل: هراء..إن كان معك أدلة فلما تحضرنا إلى هنا..لما لا تذهب إلى الشرطة؟

ابتسم (يوسف) وقال: ولماذا أفعل هذا؟..ليست مصلحتي في تسليمكما إلى الشرطة في الواقع..بل أريد منكم خدمة وسأدفع مقابلها مالًا وفيراً..أضافة إلى أنني سأسلمكم كل الأدلة التي بحوذتي ضدكما.

تساءل:أي خدمة؟...هل تريد بعض تلك الأسرار؟ أعلم أن (عزمي) بك يدفع لنا ملايين..ولن نقبل بأقل من ذلك.

رد (يوسف) مشمئزاً: يالكم من مجموعة من الذئاب الجشعة،سأدفع مئة الف لكل منكما.

هتف الأصلع:مئة الف؟..هل تمزح معنا؟..نحن نعرض أنفسنا ل...

-يمكنني أن أسلمكما إلى السجن المشدد...إنه أختياركما على أية حال.

-.....

-ما هو قراركم؟

-ماهي تلك الخدمة؟

-ستعطون ل(عزمي) هذه المرة معلومات مختلفة سأنقلها على حاسوبكم حالاً.

انتفض الأثنان معًا وهتفا: م..مستحيل.

وأسرع النحيل يضيف: سيقتلنا...إنه رجلًا خطر ومتوحش.

قال (يوسف) باسمًا: لن يجد الوقت ليفعل لأنه سيكون بالسجن.

غمغم الأصلع: ولكن...

قاطعه (يوسف) في صرامة:ليس لكما الاختيار هنا..أما أن تقبلا أو تقضيا حياتكما في السجن..مفهوم.

غمغم كلاهما بشحوب: مفهوم.

ابتسم (يوسف) ثم اشار إلى الرجال ليتخلصوا من قيودهما.

***

وما أن وصل (فاروق) إلى قصر (النعمان) بعد صلاة الظهر بقليل حتى أندفع (فادي) وكان مايزال بثياب المدرسة ليحتضنه بحرارة ثم هتف: سأخبر (جوري) بوصولك.

ولكن (فاروق) لم يدعه وأحتضنه بدوره لنصف دقيقة أخرى ثم أطلقه ليسرع إلى حجرة شقيقته فطرقها وهتف:أخي

(فاروق) قد وصل،عليك أن تسرعي وتخبريه بما حصل مع (فارس).

غادرت (جوري) حجرتها وقالت: سيخبره بابا حتمًا..علينا أن نصبر وننتظر،سوف يتخذ أخي القرار السليم.

قال (فادي) في ضيق: ولكن..هل سيعيد (فارس) إلى البيت؟

-بالطبع سيفعل هذا،أنتظر وسترى.

ثم هبطت معه إلى الطابق الأرضي فوجدت أخوها المسكين الذي عاد للتو ويبدو مرهقاً قد أحاط به والديه وكان (أكرم) يقول: لقد عدت من الشركة بسرعة كي أقابلك وأتحدث معك عن تلك الكارثة التي حلت بنا.

رد (فاروق): هل الجميع بخير؟

هتفت والدته: لسنا بخير خاصة بعد أن نخبرك بما فعله (فارس) بعائلتنا كلها.

تطلع (فاروق) في حيرة وتساءل نحو أخته وأخوه القادمين من الطابق العلوي ثم تنهد وقال: ليكن..أخبروني بما حصل.

قالت (فيروز): أجلس يا بني لتستريح..هيا بنا في الصالة..(فادي) عد إلى حجرتك وأتم عمل واجباتك فامتحانات نصف العام على الأبواب.

وتطلعت نحو (جوري) بضيق ولكنها لم تعترض على وجودها وجلسوا في الصالة وراح كلاً من (أكرم) و(فيروز) يقصون على أذنه ماحصل مع بعض الأضافات مثل

أن (جميلة) تحدثت معهم بوقاحة وهددتهم وبدا مزيج من الغضب والضيق يرتسمان على ملامح (فاروق) وبعد لحظات من الصمت قال بهدوء: (جوري)..هل هناك ما تحبين أضافته...شيئًا ما نسيه والدي.

ردت بصدق: فقط أن (فارس) كان يصر على أنها زوجته.

تطلعت اليها (فيروز) بغضب ومضت دقيقة من الصمت وبدا أن (فاروق) يفكر بعمق وبدا هادئاً فلم ينفعل أو يلوك الموضوع كما يحدث من الناس عامة في مثل تلك المواقف ثم قال: حسنًا أسمحوا لي الآن بالكلام وأرجوا ألا يقاطعني أحد حتى انتهي.

وشبك كفيه أمامه ثم بدأ يبدي رأيه قائلًا:35 عأمًا،35عأمًا كاملة خدمتنا فيها (ملك) بأخلاص وأمانة منذ كانت صبية وحتى الآن وتولت تربيتي وتربية (جوري) و(فادي) ويأتي رد الجميل لها بصورة طردها بعد فضح أبنتها على مرأى ومسمع من جميع الخدم..لحظة لاتقاطعونني رجاءً...تلك الفتاة الغبية التي أرتكبت غلطة بكل تأكيد في حق نفسها ووالدتها ولكن لاننسى أنها مجرد فتاة عديمة الخبرة في ال19 من عمرها بينما أبنكم وأخي المحترم بعد شهرين سوف يتم 25 عأمًا وكلنا يعلم كيف كان حتى عأمًا مضى يصاحب فتيات بعدد شعر رأسه أي أن محاولة تصويره على أنه شاب ساذج غررت به فتاة هو تصور غير صحيح ولا يمت للواقع بصلة.

أحتقن وجه (أكرم) وقالت (فيروز) في حدة: أهذا هو رأيك؟

قال بتهذيب : أرجوكما أن تسمعاني حتى النهاية.

وتنفس بعمق ثم عاد يقول:أيضًا لا أفهم كيف تقومان بحبسه في مكان ما..هذا تصرف لايقدم عليه أفراد أسرة المفترض أن ما يجمع بينهم أواصر المحبة والعطف وهو تصرف خطأ تمامًا..لسنا عصابة هنا والتفاهم وحل الأمور لايكون بتلك الطريقة.

قالت (جوري) بتلقائية: هذا رأيي أيضًا..و(فادي) متضايق كثيرًا مما حدث.

هنا قال (أكرم): والآن ما حل المشكلة من وجهة نظرك؟

قال (فاروق): أولًا وقبل أن تعترضوا..سوف نزوجهم رسميًا.

نهضت (فيروز) وهتفت: مستحيل،لن أزوج أبني لأبنة الخادمة..هل جننت؟ هل تتخيل ما سيقوله الناس وقتها..سيلوكون سمعتنا بألسنتهم فتلك الفتاة ليست مناسبة لنا في المستوى ولا الثروة ولا الطبقة الأجتماعية.

رد (فاروق): مع الأسف لا نملك الكثير من الخيارات مع وجود طفل لاذنب له في أستهتار والديه.

ردت والدته في عصبية: يمكن أجهاض الجنين.

قال (فاروق) مستنكرًا: هل تعرفين الحكم الشرعي لما تقولينه؟

ردت بتحدي:لا أعرف ولا يهمني.

قال (فاروق):أنا يهمني..ثم أن أختلاف الطبقات لايعني فشل الزواج فقد ينجح ولدينا مثال حي.

كان يقصد (فيروز) و (أكرم) فاحتقن وجهها بشدة وهتفت: هل تقارني بأبنة الخادمة يا ولد؟

رد بتهذيب: أبداً يا أمي..لم أقصد أغضابك وأنما أقر حقائق.

ثم تطلع إلى والده وقال: أنها طالبة في الكلية وقد تربت معنا تقريبًا،أين (فارس) الآن فيجب أن يعود.

رد (أكرم) في سخط: (فارس) قد هرب من رجالي الأغبياء.

قال (فاروق): ممتاز..والآن لن نجده لأنه لن يعود بعد ما فعلتموه به.

ثم نهض فهتف (أكرم): سوف أعثر عليه،علينا الذهاب إلى منزل تلك الفتاة اللعينة.

رد (فاروق)وهو يشير إلى أخته أن تأتي معه إلى الخارج: لن تجدها يا أبي،أنا لا أشك أن (ملك) قد طردتها أو تبرأت منها.

هتفت (فيروز): أو لعلها خططت معها.

غادر إلى حجرته ومعه أخته فقال وهو يسير بجوارها: هذا الفتى قد ألمح لي من قبل عن علاقته ب(جميلة) ولكنني لم أنتبه..عزيزتي (جوري) أرجوكي أن أتصلت بك أن تخبريني ولا تخافي فأنا لن أفعل ألا الصواب.

-أعرف أخي.

-الآن سأغير ثيابي وأذهب إلى منزل (ملك).

***

لم تشعر (ملك) بمرور الوقت..لقد عاد أبنائها من المدرسة فسألوا عن أختهم المختفية منذ يومين ولم ترد ثم دلفوا إلى حجراتهم للأستذكار وظلت هي جالسة في الصالة الضيقة وقد أسندت رأسها على كفها مهمومة ومكسورة القلب شاردة لهذا لم تسمع صوت جرس الباب في البداية ثم تنبهت على صوت أبنتها الصغيرة تهتف: الباب يا ماما....ماما ..الباب.

نهضت بتثاقل وتطلعت على الشاشة الصغيرة وبدت مندهشة وهي ترى (فاروق) يظهر أمام الباب ففتحته وغمغمت: (فاروق) بك؟

-هل يمكنني الدخول يا (ملك)؟

-بالطبع يا بك..تفضل....أجلس هنا.

-أشكرك.

-هل تشرب شيئًا...سأعد لك قهوتك التي تحبها.

-كلا.. فقط لأنني أرغب في أن اتحدث معك.

جلست فقال:أولًا: جئت كي أعيدك معي إلى عملك.

قالت بأصرار: كلا يا بك..أنا أحبكم جميعًا حقًا والله شاهداً على مافي قلبي ولكنني لن أعود إلى هذا القصر أبداً.

رد بأصرار أكبر: بل ستعودين،هذا القصر هو بيتك الثاني و أنا وأخوتي في مقام أبنائك وأنتِ كذلك لك مكانة غالية في قلوبنا.

ابتسمت أبتسامة مريرة وردت:هذا القصر ليس بيتي ولن يكون..وبعد ما حصل لم يعد بوسعي دخوله من جديد أو العمل فيه.

تنهد في صبر ثم قال باسمًا: سأمنحك شهراً أجازة وأعدك أن أحل مشكلة أخي مع أبنتك وبعدها ستعودين إلى عملك.

قالت: لم تعد أبنتي ولا أريد أن أعرفها.

قال في شفقة: أنها صغيرة وقد أرتكبت غلطة فظيعة ولكنني أعدك بحل المشكلة وأنتي أمها أن لم تسامحيها وتعطفي عليها فمن سيفعل.

مضت فترة صمت ثم أجهشت المرأة بالبكاء ولم يدري (فاروق) ما يفعل فصمت

وقالت:أشعر بأنني السبب..لم أحسن تربيتها حتمًا ولم أولها العناية الكافية والآن فضحتني وضيعت مستقبلها ومستقبل أخوتها كذلك حينما ينتشر الخبر..

قاطعها (فاروق) بحسم: لن يعرف أحد شيئًا وسأعمل على تزويجهم رسميًا وننهي الأمر..لاتخشي شيئًا.

تمتمت: لن يقبل والديك.

-دعي هذا الموضوع لي.

-جزاك الله خيراً يا بك.

قال (فاروق) باهتمام:المشكلة أن أخي قد هرب ولا شك أنه سيتصل ب (جميلة).

ردت (ملك) في توتر: ولكنها رحلت ولا أعلم إلى أين ذهبت.

أغمض (فاروق) عيناه في يأس ثم قال: ليكن..سأتصرف.

ثم نهض لينصرف وقال لنفسه: فقط أدعو الله أن أتمكن من العثور عليهما قبل والدي.

***

في المساء جلست أسرة (نعمان) تتناول العشاء دون شهية حقيقية..كان (فادي) متضايق وهو يتطلع إلى مقعد (فارس) الخالي فقد كان أخوه الأقرب اليه بشكلٍ ما فبينما كان (فاروق) أقرب إلى أبً ثاني كان (فارس) هو الأخ.

وقال (أكرم):كل رجالي جاهزون..بمجرد أن يسجل هذا الولد بياناته في أي شركة أو يشتري أي شيئًا بكارت أئتمان سنتمكن من تحديد مكانه.

لم يرد أحد وأرتفعت أصوات أدوات الطعام فقط ثم شعرت (جوري) برغبة في التقيؤ من جديد فنهضت مسرعة وقال (فاروق) في قلق: هل هي بخير؟

رد (يوسف) باسمًا: أنها بحالة ممتازة...بسبب الظروف التي طرأت لم نتمكن من أخباركم.

وتطلع اليهم ثم قال: نحن ننتظر مولوداً.

تهللت أسارير الجميع عدا (فيروز) التي قالت: بهذه السرعة؟

وحينما عادت (جوري) راحوا يهنئونها ويقبلونها معبرين عن سعادتهم ونعمت بتدليل الجميع ومزاحهم وإن خيم شيئًا من الكآبة بسبب غياب (فارس) على الحفل الصغير حتى تأخر الوقت فصعدت مع (يوسف) إلى حجرتها وغيرت ثيابها ثم تطلعت بحب إلى (يوسف) الذي كان يرتدي منامته،كم تحبه حقًا،تحب النظر اليه والحديث معه في الأمور الهامة وحتى في توافه الأمور.

استدار اليها وقال باسمًا: فيما تفكرين؟

وجلس على طرف السرير فقالت وهي تتكأ بجنبها على السرير:ألن نختار أسماً للطفل؟

رد وهو يتكأ بدوره على ذراعه وقد أستلقى:ولكننا لانعلم إن كان ولد أم بنت.

قالت باسمة: فلنختر أسماً له في جميع الأحوال..أسم مؤقت حتى نحدد نوعه في الشهر الخامس.

-أنت متعجلة..هممم،أسم مؤقت يصلح للجنسين...هذا أمرًا صعب.

قالت في دلال: لا تقل هذا..هيا أبذل جهداً وفكر.

-ليكن...سنسميه (عصمت)..لا تتطلعي الي هكذا أنه أسم يليق للجنسين.

ضحكت ضحكة صغيرة ثم قالت: ما رأيك ان نسميه أسم تدليل إذًا؟

-أسم تدليل...أسم تدليل...ميدو.

-لايليق سوى على الأولاد فقط.

-هممم..وجدتها..(نور)..أسم يليق بالجنسين وجميل وربما يصبح الأسم الدائم إن لم نجد أسماءً أخرى.

-السكرتيرة (نبيلة) لديها ابنة بنفس الأسم..انه أسمٌ جميل ولكن في بالي أسماء أخرى.

-حقًا؟

-إن كان صبياً فسنسميه (سليمان)

قال في حيرة: ولم هذا الأسم؟

تلاشت أبتسامتها وغمغمت: أنه أسم والدك.

شحب وجهه قليلًا وتغيرت ملامحه،هذا صحيح،أنها تظنه (يوسف سليمان)، فهي لاتعرف أي شيء عن أسمه الحقيقي وأنه ابن عمها في الواقع.

قال:أسم (نور) أفضل.

تأملته في حذر،لاشك أنها تمتلك الكثير من الأسئلة والأستفسارات حوله خاصة في تلك المواقف التي تفلت منه ولكنها كانت تُرجع كل شيء إلى الحادث الذي وعدها بأن يخبرها عنه بعد شهرين وقد أقترب الوقت جدًا.

فغمغمت: ممتاز...أعجبني الأسم كثيرًا..لحظة.

ثم أنحنت نحو المنضدة بجوار السرير وفتحت الدرج وأخرجت منه ألبوم صور وقالت: هذا الألبوم سيكون ل (نور)...هيا أيها الأب..أكتب كلمة في أول الألبوم.

تناول منها الألبوم وتطلع اليه ثم غمغم: وأنتِ؟

ردت باسمة: بعدك.

ابتسم وقال: حسنًا..ولكنني لست مستعداً..يعني...

قاطعته: وهذا هو المهم..أكتب من قلبك مايخطر ببالك..ليس هذا أمتحاناً كي تعد الأجابات.

مضت فترة صمت ثم قال باسمًا في شحوب: ليكن.

وفتح أول صفحة في ألبوم الصور ثم أمسك القلم وكتب:إلى طفلي العزيز الغالي..أريدك أن تعلم أن أبوك يحبك كثيرًا وسيظل دائمًا معك وسنداً لك يا أغلى عليه من روحه...وإن قسوت عليك يومًا أو أنشغلت عنك أو جرحتك فسامحني يا بني...فسأظل أحبك إلى الأبد.

قالت (جوري): أنت أطيب أنسانً في الدنيا.

ومدت أناملها تمسح على وجنته ثم تناولت منه الألبوم وبدأت تكتب: إلى طفلي الذي يملك قلبي وروحي..أحبك يا صغيري حبًا جماً وأدعو الله أن يسعدك في حياتك..إعلم أنك أغلى عندي من الدنيا وما فيها.

ثم مدت يدها إلى (يوسف) قائلة: الصورة.

قال وهو يغالب دموعه: أجل..مازالت معي..لحظة.

ثم نهض فاحضرها وناولها أياها وراحت تلصقها في أول صفحات الصور بعد صفحة الكتابة وكتبت أسفلها (عمر 6 أسابيع) ثم جلس كلاهما يتأملان الألبوم وقد أراحت رأسها على صدره وغمغمت: غدًا سأجعل الجميع يكتبون في صفحة الكتابة كذلك وسأترك مكانًا ل (فارس) حتى يعود بإذن الله..وكذلك لوالدتك حتى نذهب لزيارتها.

غمغم: أجل

أغلقت الألبوم وأراحت رأسها على صدره وقالت: لاشك ان والدتك سعيدة لأنها ستصير جدة.

رد بشرود: كانت تتمنى رؤية أبنائي.

ثم قبل الفجر وعندما غرقت في النوم نهض من جوارها بهدوء وأخرج الألبوم وراح يحدق فيه قليلًا.

ثم أعاد وضعه ودلف إلى الحمام ففتح صنبور المياه وتطلع إلى وجهه في المرآة ثم غمغم فجأة: ليس هذا وجهي.

وراح يمرر يده على وجهه ويغمغم: انا لاأعرفك...كيف طردتني من حياتي وأستوليت عليها..كيف سيطرت على أفكاري ومشاعري إلى درجة انني تورطت في مستنقع الآنتقام وورطت معي تلك الحبيبة البريئة وطفلي المسكين الذي مازال ينمو.

تراجع إلى الوراء قليلًا وغمغم: مازالت هناك فرصة أخيرة للتراجع..أجل..بوسعي أن أنسى كل شيء وأن أخذها معي وابني وننتقل بعيدًا لنعيش معًا بسعادة..سأخبر جدتي أنني لم أعد راغباً في الأستمرار وسأعترف ل (جوري) بكل شيء وأخذها ونرحل.

ثم جلس على أرضية الحمام وقد أتخذ قراره أخيرًا ولكنه بعد ثواني قال لنفسه: أيها الأحمق..ثم ماذا؟هل يظل هؤلاء الأوغاد أحياء ينعمون ويقتلون مزيداً من الأبرياء..بل ربما قاموا بقتلك إن أكتشفوا أنك مازلت حياً..كلا..(جوري) لن تخبر أحد..ولكن هل تستطيع العيش بسلام وسعادة حقًا..ألن تنغص صورة والدتك المقتولة ووالدك الذي مات شابًا في بداية حياته تلك السعادة؟..ألن تتذكر أصاباتك ومحاولة قتلك وألم الرصاصة التي اخترق رأسك والغيبوبة التي ألقيت فيها بين الحياة والموت ودمك الذي سال..وسنوات عمرك وأحلامك بالطب التي أنتهت بسببهم.

نهض وغسل وجهه وقال محدثاً نفسه في المرآة: لا تراجع.

***

الفصل الحادي عشر

(قرب النهاية)

في حجرة الأجتماعات بشركة (ورد الجوري) وقف (يوسف) أمام شاشة العرض يشرح الصفقة الكبيرة التي يرغب في أن يوافق عليها الجميع وكان (فاروق) حاضراً وكذلك رؤساء مجلس الأدارة و(نبيلة) و(جوري)...وحينما أنتهى (يوسف) من الشرح أكمل:لن تظل الشركة تبيع منتجاتها في مصر ودول الأتحاد العربي فقط،رجل الأعمال الناجح يتوقف نجاحه على رؤيته لنمو السوق، حاجته إلى الوقوف ضد المنافسين، تطوير علامته التجارية على المدى الطويل، خطط التوسع الجغرافية..أليس كذلك؟

أومأت (جوري) برأسها في حماس وهي ترنو اليه وكان (فاروق) بعد عودته قد نفذ وعده وقبل توقيع عقد مع (يوسف) بمباركة (جوري) سيتم من خلاله تزويد شركة (يوسف) بمنتجات يقوم هو بتسويقها وتوزيعها.

وقال (فاروق) وقتها وهو يوقع العقد: حسبت أن شركات والدك في مجال مختلف.

رد (يوسف):لدى أصدقائي في الخارج فندق وبه منتجع سياحي ضخم ومميز وأستخدام منتجات الشركة في المنتجع ستكون فكرة ممتازة ولدينا شركة أستيراد وتصدير صغيرة كذلك.

قام (يوسف) بشراء 25% من الأسهم من (جوري) والتي باعتها أياه عن طيب خاطر ولم تبالي بالمبلغ السخي الذي دفعه بقدر مبالاتها بأشعاره أنه شريك معها في العمل كما في حياتها.

والآن يقف (يوسف) ليشرح الصفقة المغرية للجميع وكما توقع فقد بدا القبول على وجوه الجميع.

قال أحدى الحضور: تلك الصفقة ممتازة من جميع النواحي،ما كنا لنحلم بصفقة كتلك تشمل دول شرق أسيا كمرحلة أولى.

وقال أخر: والأرباح خيالية وتبعاً لشروط العقد ودراسات السوق فهي مضمونة.

رد (يوسف): أشكركم على ثقتكم.

ثم تطلع نحو (فاروق) وكذلك فعل الجميع فرأيه أهم من آراءهم مجتمعين.

قال (فاروق): ولكن،أن نضع ثروة الشركة كلها في تلك الصفقة،أعني أن الكمية المطلوبة ستستهلك كل ما نملك في المخازن وإنتاج الحديقة وإنتاج المصنع وسنظل بلا سيولة ولا أموال ولا منتجات على الأطلاق لمدة 3 أشهر..هذه مخاطرة كبيرة.

قال إحدى الحضور: ولكن تبعاً لجميع الدراسات فالأرباح مضمونة فأين الخطورة.

وقال أخر: ثم إن تلك الصفقة تمنحنا ما يعادل أرباح خمس سنوات خلال أشهر فقط.

بدت الحيرة على وجه (جوري) ثم قالت: أنا موافقة على تلك الصفقة.

وقال (يوسف):هؤلاء الأشخاص الذين سنتعامل معهم تعاملت أنا شخصياً ووالدتي معهم من قبل كثيرًا،أنا أضمنهم لك.

بدا التردد على وجه (فاروق) ثم قال: أنا قلق من فكرة وضع الأموال كلها في صفقة واحدة فإذا لاقدر الله حدث شيء ما سنصبح مدينين لك.

قال (يوسف) في جدية: لن يحدث هذا وأنا واثق وإن حدث مالذي تظن أنني سأفعله بالضبط؟

-لا مجال للعواطف في العمل.

-سوف أفسح لها مجالاً.

-هناك السيدة (بيرين) والدتك وهي تمتلك معك الشركات.

-والدتي لن تعارضني.

صمت (فاروق) متحيراً ثم تطلع إلى (نبيلة) وقال: حسنًا..أنا أثق بك..بعد أن درستي الصفقة وأعددتي التقارير عن أصحاب الشركة في أسيا..ما رأيك المهني؟

شحب وجه (نبيلة) وصمتت فقال (فاروق): رأيك؟

كان (يوسف) باسمًا فقد انتهى الأمر الآن،قريبًا سيستولي على الشركة..ولكن حينما صمتت (نبيلة) بدأ يشعر بالقلق وتساءل إن كانت تلك الفتاة ستدمر كل شيء الآن بسبب مشاعرها الجديدة أتجاه (فاروق).

أطلت من عينيه نظرة محذرة ولكنها تجاهلتها وقالت بصوتٍ شاحب: (فاروق) بك..من رأيي أن وضع الأموال كلها في صفقة واحدة مهما كانت مضمونة أمرًا خطأ..من رأيي أن ترفض الصفقة.

خفق قلب (يوسف) وهو لا يصدق ردها وأسرع يقول: ولكن تلك الصفقة إن تخلينا عنها فهناك عشرات الشركات ستحصل عليهاالآنها فرصة ذهبية لاتعوض..(فاروق) من فضلك أقبل.

تطلع اليه (فاروق)،ثم قال: (جوري) قد قبلت،ليكن.

أنتهى الأجتماع وقالت (جوري) هامسة في أذن زوجها أنها ستذهب إلى النادي قليلًا فأخوها الصغير لديه تدريب اليوم فابتسم وأومأ برأسه موافقاً.

نظر (فاروق) نحوهما بصمت ثم غادر إلى المصنع ونهض (يوسف) مستأذناً وأنتظر في الممر حتى غادرت (نبيلة) لتهبط إلى أبنتها فلما رأته أجفلت وأحمر وجهها فقال بصرامة: قلت لك أنني لن أؤذيهم.

ردت وهي تهز رأسها: أنا لم أعد راغبة في أستكمال اللعبة..الآنتقام منهم لن يعيد لي زوجي ولا أخي وأبي..من يموت لا يعود.

رد بصرامة أكبر:والقصاص؟

تمتمت: لا أدري..أتركني بحالي.

ثم أسرعت نحو المصعد ولكنها توقفت واستدارت نحوه وقالت:أبنتي قد تعلقت به بشدة،وأنا أيضًا، صدقني ستندم بشدة إن أستمريت هكذاالآنهما لايستحقان الخيانة.

ثم أختفت داخل المصعد..فهمس: أعلم.

***

خلع (فاروق) ربطة عنقه وظل صامتًا في المقعد الخلفي للسيارة، ألقى عليه السائق نظرة سريعة في المرآة ثم عاد ينظر إلى الطريق بتركيز.

غرق (فاروق) في أفكاره ومشاعره التي حملت شيئًا من خيبة الأمل،هل كانت والدته على حق عندما أعترضت على وجود (يوسف) في الشركة مع (فاروق)..عندما يفكر الآن في أنه لم يُنشأ عملاً خاصٍ به ولا حتى عِمل في شركة والده،بل أفنى أعوام عديدة في النهوض بشركة شقيقته التي ائتمنته عليها وعلى ثروتها والآن يشعر بأنه كعامل بالأجرة ممن يتم أستئجارهم لزراعة ورعاية الأرض في الريف ثم ينتهي دورهم ويتم أقصائهم،لم يحقق شيئًا لنفسه،عمل يمتلكه أو شركة بأسمه.

لطالما أعتبر شركة (ورد الجوري) شركته وهو يعلم أن أخته لن تتخلى عنه يومًا أو تلقيه جانباً ولكنها في النهاية مالكة الشركة وماذا عن المستقبل عندما يصير لديها أبناء يكبرون ويرغبون في إدارة أملاكهم..الآن فقط تخطر على باله تلك الأفكار المشئومة،ظل طوال حياته يلعب دور الأب والراعي لأخوته وعن طيب خاطر وبرغبته..كان بوسعه أن يرفض ويتذمر وهذا حقه فهي مسئولية والده وليست مسئوليته فلماذا قِبل ولعب الدور بحماس وضمير يقظ،هل يعشق دور الضحية،الشمعة التي تحترق كي تضيء للأخرين..كلا..ليس عديم النضج إلى هذا الحد..الأغلب أنه شعر بأنه الواجب فقام به ببساطة..والآن (جوري) منحت زوجها 25% من أسهم الشركة ولم تفكر يومًا في منحه سهماً وأحدًا كمكافأة على المجهود الشاق الذي بذله طوال تلك السنوات،والآن قبلت تلك الصفقة الممتازة من جهة والمحفوفة بالكثير من المخاطر من جهة أخرى متجاهلة أعتراضاته،بل لم تمنح نفسها فرصة كي تدرس حتى مخاوفه أو وجهة نظره.

أخرج حاسوبه وأجرى أتصالاً ب(نبيلة) ولما ظهرت أمامه على الشاشة قال: أريدك أن تتواصلي مع شركات التأمين،أريد أن أقوم بالتأمين على البضائع التي سيتم تصديرها إلى دول شرق آسيا فأنا غير مطمئن.

أجابت (نبيلة) بحماس: أجل يا (فاروق) بك..تلك فكرة ممتازة.

أنهى المكالمة وشعر بشيءً من الأطمئنان فإذا غرقت السفينة بالبضاعة مثلاً أو تعرضت البضاعة للتلف في الطريق فقد تم التأمين عليها.

***

وضع طعام الغداء على المائدة وكانت (فيروز) قد أحضرت خادمة جديدة طاهية على سبيل العناد وقالت لأبنها الأكبر وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها وترفع حاجبها في تحدي: (ملك) لن تعود أبداً للعمل في هذا القصر،لقد فصلتها من الخدمة نهائياً.

ولم يشأ (فاروق) أن يتناحر مع والدته في جدل عقيم فسكت وقتها،وجلس الجميع على مائدة الطعام وظل مقعد (فارس) فارغاً وهبطت (جوري) مع (يوسف) وهما متشابكي الأيدي وقالت (فيروز) آمرة أحدى الخادمات: أخبري (أكرم) بك أنه قد تم أعداد الغداء.

ولكن (أكرم) ظهر خارجاً من مكتبه وكان يبدو زائغ العينين ممتقع الوجه فهتفت (فيروز) في قلق:ماذا حدث؟..هل أصيب (فارس) بمكروه؟

هز رأسه نفياً وغمغم بطريقة أقرب إلى الهذيان في ذهول:المناقصة،لقد خسرتها..لقد..لقد خسرنا المناقصة...كانت مهمة للغاية.

غمغم (يوسف): لابأس...ستعوض الخسارة إن شاء الله.

-أجل.

كان (يوسف) يعلم أن خسارة تلك المناقصة الضخمة تعني أفلاس الشركة قريبًا، ولا شك أن (أكرم) يعتمد على دعم ابنته المادي له فهي لن تتأخر حتى وإن كان الدعم مكلفاً جدًا ولكنها الآن لن تستطيع مع تلك الصفقة لدول شرق آسيا.

ظل (يوسف) محتفظاً بملامحه الهادئة،قريبًا سوف يأتي اليه (أكرم) زاحفاً متوسلاً،أما (فاروق) فلم يستطع المحافظة على ملامحه باردة وظهر بعض القلق على محياه وبينما يحتسي القهوة في مكتبه وقد غرق في التفكير خطر في باله أن هذه ثاني ضربة لشركة (النعمان وأبنائه) الأولى كانت قضية زبدة الشيا والتي ضربت سمعة الشركة

وسببت لها خسارة مادية ليست هينة والثانية الآن في تلك المناقصة الضخمة التي خسرها والده وخسر معها حلمه بتوسعة الشركة وبناء مصنع.

في المساء أضطجعت (جوري) على شقها الأيمن على السرير تتأمل (يوسف) منهمكاً في قراءة تقرير عمل على الحاسوب فتنبه لها وابتسم وقال معتذراً: أنشغلت اليوم كثيرًا،كيف حالك؟

ردت باسمة:أنتظر.

-تنتظرين أن أنتهي من العمل؟

-أنتظر أن تؤمني في الصلاة،أن نشجع بعضنا على الألتزام بالصلاة،أريد أن نقوم بتلك الخطوة منذ زمن.

ظل صامتًا لثوان يرمقها فقالت: قلت أنك كنت تصلي بأنتظام في الماضي..لم لاتعد إلى ذلك وتأخذ بيدي؟

ابتسم أخيرًا وقال: هكذا؟

ردت وهي تعتدل: كنت أصلي عندما كنت طفلة بأنتظام وجميع الصلوات مع (فاروق) ثم لما كبرت أصبحت أتكاسل عن القيام ببعضها وحتى الآن لم استطع الآنتظام بشكلٍ تام..من ضمن ماتمنيت في فارس أحلامي أن يَؤُمني في الصلاة.

نهض وقال ببساطة:هيا إذًا لنصلي العشاء ولنحاول الألتزام من الآن معًا.

-لحظة،أمهلني عشر دقائق.

وأخرجت من خزانة الثياب مظروفاً ورقياً وقالت باسمة: إنها هدية من أجل (فاروق).

رفع حاجبيه وتأمل المظروف في فضول فقالت: إنه دومًا ينسى أن اليوم ذكرى هامة بالنسبة لي.

سألها (يوسف): أي ذكرى؟

ردت وهي ترتدي الروب فوق ثوبها: ذكرى قدومي إلى هذا القصر..ألم أخبرك من قبل،لم يعاملني أحد بصورة جيدة سوى (فاروق)،وكان اليوم بالصدفة هو يوم عيد مولده.

وابتسمت مستعيدة ذكرى جميلة وفسرت: كان حنوناً ورفيقاً جدًا،لهذا في كل عام في هذا اليوم أمنحه هدية ما،بعض البسكويت أو كعكة أو ربطة عنق جديدة وأتحجج بعيد مولده فهو لايحتفل به مطلقًا.

وغادرت إلى مكتب أخيها الذي كان يحتسي القهوة كعادته وقد أنهمك في مراجعة تقرير ما وإن بدا أنه منهمك في خواطره لا في التقرير فقد كانت عيناه شاردتان لاتريان كلمة على شاشة الحاسوب فلما سمع طرقات الباب تنحنح وقال:

أدخل.

دلفت (جوري) إلى المكتب وقالت باسمة: نسيت تاريخ اليوم كعادتك.

عقد حاجبيه مفكراً ثم غمغم: ماذا؟،هل..أه..أمازلتِ تصرين على الأحتفال بهذا اليوم،أخبرتك أنني لا أحتفل به ألف مرة.

-أجل،أجل،..ليس هذا احتفالاً، أحب ان أمنحك هدية في هذا اليوم.

رد بجفاء: نبهت على الجميع عدة مرات فلم يعد أحد يحضر لي هدايا في هذا اليوم، لاأحب العناد كما تعلمين.

ناولته المظروف باسمة ولكنه ألقاه على المكتب وقال: أنا مشغول.

قالت برفق متجاهلة برودة مشاعره: لن يستغرق الأمر سوى دقيقة.

فتح المظروف وأخرج منه الأوراق وشرع يقرأ محتواها ثم أرتفع حاجباه وقال غاضبًا بشكلٍ فاجأها: منحتني 25% من أسهم شركتك؟،لماذا؟..هل تشفقين علي أم تظنين أنني بحاجة إلى تعويض.

ونهض من مقعده وأكمل: هل تظنين أنني كنت أدير الشركة وأرعى أمورك المالية طمعًا في الحصول على أسهم؟ أه،أم تظنين أنني سأشعر بالضيق لأنك بعت بعض الأسهم لزوجك فقررتي مراضاتي بتلك الطريقة.

هتفت محتجة:كلا بالطبع،كيف يخطر في بالك أنني أفكر بك بهذا الشكل؟

وحاولت السيطرة على أعصابها وهي تكمل: أقرأ التاريخ على الأوراق.

عاد يتفحص الأوراق ثم شعر بالدهشة والندم وقال: أنها منذ خمسة أشهر أو أقل قليلًا.

أجابته وقد بدت غاضبة منه:عندما أصبحت أسهم الشركة ملكي بالكامل أردت حقًا أن أمنحك 25% من الأسهم وجعلت الأمر سرًا كي يكون مفاجئة أيها الأحمق.

واستدارت مغادرة فاسرع يضمها إلى صدره هاتفًا بلهجة يشوبها الندم:أسف، (جوري)،أنا حقًا أسف،سامحيني يا عزيزتي فقد كنت..

وسكت فقالت باسمة: لابأس، لم أعد غاضبة ولكنني مازلت لا أصدق أنه قد خطر في بالك أنني أفكر هكذا بك.

تنهد ثم قال: لقد شعرت بالغيرة قليلًا اليوم.

تراجعت إلى الخلف قليلًا وتطلعت اليه ثم قالت: أعرف، أنت شعرت بالغيرة من (يوسف) لأنني عارضتك اليوم ووافقته على الصفقة.

لم يشأ (فاروق) أن يدخل على قلبها الحزن بأخبارها أنه تضايق كذلك بسبب بيعها للأسهم لزوجها فقبل جبينها وقال: والآن لايمكنني قبول هديتك،ليس بعد ما بدر مني.

ردت: بل ستقبلها فهي مني لك عن طيب خاطر وأنت تستحقها فما كانت تلك الشركة لتصير إلى ما صارت اليه لولا جهودك ووقتك،أنها شركتك مثلما هي شركتي وأريدك أن تظل شريكي فيها دومًا.

فتمتم (فاروق) وقد تهدجت أنفاسه من الآنفعال وشعور الحب والندم الذي يغمره الآن:أجل،سأظل قائماً على أدارتها.

***

أسرع (يوسف) يرتدي معطفه ثم لف الشال حول عنقه فالجو اليوم قارس البرودة ثم تطلع إلى زوجته التي أنتهت من أرتداء ثيابها فقال: أنتهيت..هيا قبل أن نتأخر عن موعد الطبيبة.

-أجل.

لف ذراعه حول كتفها وهبطا معًا إلى الطابق السفلي وكانت (فيروز) جالسة تشاهد التلفاز وتطلعت اليهم متسائلة: إلى أين؟

ردت (جوري): إلى الطبيبة،اليوم لدي كشف وفحص للجنين.

قالت (فيروز): أجل..أجل..لقد أتم اليوم عمر 10 أسابيع...اليس كذلك؟

-هذا صحيح...هل من أخبار عن أخي؟

ردت (فيروز) في ضيق:كلا مع الأسف، شهر كامل وهو مختفي لانعلم عنه شيءً.

ثم بدت غاضبة وهي تقول بحدة مفاجئة:أنتِ السبب..مصادقتك للخدم جعلتهم يتمردون ويتطلعون إلى من هم أعلى منهم مكانة.

ضغط (يوسف) برفق على كف زوجته كي تتجاهلها ثم غادرا دون كلمة وركبا السيارة وأنطلق السائق إلى حيث المستشفى وفي السيارة تحسس (يوسف) بطن (جوري) وقال:أنا أظن أنها فتاة...إنها هادئة للغاية.

ضحكت وقالت معترضة: ولما لايكون ولدً هاديء الطباع.

-ولكنني أريد بنتاً كي تشبهك في الملامح والطباع.

-وأنا أريد ولداً كي يشبهك في الملامح والطباع والشخصية وكل شيء.

قال باسمًا: (نور) إذًا الأسم النهائي.

ردت باسمة: أجل..يعجبني الأسم كثيرًا.

وصلا إلى المشفى وتوجها وقد تشابكت أيديهما إلى عيادة الطبيبة وجلست (جوري) على سرير الفحص وبدأت الطبيبة تمرر جهاز السونار على بطنها وتتطلع إلى الشاشة

في أهتمام ثم قالت:الجنين بحالة ممتازة،كل شيء على مايرام،حجمه ووزنه حتى الآن،تلك دقات قلبه.

خفق قلب (يوسف) وهو يستمع لخفقات قلب الجنين وسالت الدموع من عيني (جوري) وهي تبتسم بسعادة وتتطلع إلى صورته على الشاشة وبتلقائية أحتضن (يوسف) كف زوجته البارد في كفه وقال معلقاً:أنه يبدو كدودة صغيرة.

غمغمت (جوري) مستنكرة: لاتقل هذا يا (يوسف) على صغيرنا..إنه زهرة جميلة.

حدق (يوسف) في الشاشة وابتسم،أعترف لنفسه بإن تلك اللحظة واحدة من أسعد اللحظات التي مر بها،وكانت حياته الماضية سعيدة رغم ضيق الحال.

مال فجأة فقبل يد (جوري) في حنان،تلك الفتاة جعلته حقًا سعيد،أو بالأحرى أعادت اليه شعور السعادة الذي أفتقده لوقتٍ طويل بل ومنحته طفلاً رائعًا كذلك..سيتحمل جسدها كل الالآم وحده وقال للطبيبة:رجاءً..أخبريها أن عليها أن تسمن قليلًا.

قالت الطبيبة وهي تعود إلى مكتبها:هذا صحيح...هل مازال الغثيان الصباحي يزعجك؟

ردت (جوري) وهي تنهض بمعاونة زوجها:أجل.

تساءلت الطبيبة وهي تكتب لها أسماء بعض الأدوية: هل تشتهين شيئًا معيناً؟

-أجل ولكنني أتجاهل الأمر.

تطلع اليها (يوسف) وقال مستنكرًا: ولماذا؟..أطلبي أي شيء وسأحضره لك.

أحمر وجهها خجلاً ولم ترد فعلقت الطبيبة:كتبت لها بعض المكملات الغذائية.

وحينما حل المساء وأستلقت (جوري) على السرير ترك (يوسف) الكتاب الذي بيده وتطلع نحوها متسائلًا فغمغمت: ماذا؟

-أريد أن أعرف الطعام الذي تشتهينهُ وتخجلين من طلبه.

-لاتشغل بالك..سأكون بخير.

رد بأصرار: اخبريني الآن وسأعده لك بنفسي،لن أسمح بأن يولد الطفل ولديه وحمة بسبب حرمانك مما تشتهين.

-الوقت متأخر.

-أجل..والمطبخ فارغ..هيا أخبريني.

أحمر وجهها قليلًا وغمغمت: أنت لن تشعر بالأشمئزاز.

رد بثقة: مطلقًا وسآكل منه قليلًا كذلك كي أثبت لك.

-حسنًا...أنه رنجة مملحة مع البصل المقطع.

صمت مشدوهاً فأطلقت ضحكة مرحة وقالت: كنت أمزح،أشتاق إلى تناول كعك غارق في الشيكولاتة.

-حسنًا،ولكن لما كنتِ تتجاهلين الأمر؟

-كنت أخشى أن يزداد وزني.

-من الطبيعي أن يزداد وزنك أثناء الحمل،هل ظننتي أن هذا سيؤثر على حبي لك.

-أجل،هذا ما يقوله الرجال ثم يُبدون تبرمهم من أزدياد وزن زوجاتهم.

-سأعد لك بعض الرنجة مع تلك الأشياء التي طلبتها.

وتطلع اليها بنظرة ثاقبة وقال: أعلم أن هذا ما تريدينه حقًا.

***

وقف (يوسف) في المطبخ فأحضر طبقاً كبيرًا ثم أمسك بالبصلة الكبيرة فوضعها أمامه وفتح الثلاجة فاخرج منها سمكة رنجة مملحة مغلفة...كان يمقت تلك الآنواع من الأسماك ولايطيق رائحتها ولكن عليه الآن أن يفي بوعده لزوجته.

بحث عن قفازات الطهي فأرتداها ثم أمسك السمكة من حافتها وبدأ يقطعها بحرص وهو يتنبه حتى لا تتبقى شوكة في الطبق..ابتسم وهو يتذكر والدته التي كانت تحب هذا النوع من الأسماك خاصة في الشتاء وكانت تركض ورائه وهو طفل بتلك السمكة

فتضحك ويضحك،أنتهى من تقطيع السمكة فتنفس بعمق وجذب اليه البصلة وقشرها ثم بدأ تقطيعها يدوياً بدلًا من وضعها في محضر الطعام...يذكر كذلك أنه ذات مرة فقط لمرة قطع لوالدته السمكة لأنها كانت متعبة وغير قادرة على الوقوف وهو يضع على أنفه كمامة جعلتها تضحك منه ساخرة وتتساءل كيف سيصبح طبيبًا يقوم بالعمليات الجراحية وهو يشمئز من سمكة مملحة رائعة المذاق.

بدأت دموعه تسيل ولم يدري هل البصلة السبب أم الذكريات أم الأثنين معًا؟...كان ينهال على البصلة بالسكين بشكلٍ عنيف الآن وغاضب وهو يتذكر دماء والدته وعيونها الشاخصة التي خلت من الحياة تتطلع اليه،اللعنة على ذلك المشهد الذي لايفارق مخيلته ويملأ قلبه بالمرارة والغضب والحزن ويؤجج نار الآنتقام في روحه وقلبه وعقله.

وهنا جاء صوت (فاروق) من خلفه:هل أنت بخير؟

توقف عن تقطيع البصلة التي تحولت إلى مايشبه الأشلاء الصغيرة ثم استدار اليه قائلًا بصوت حاول أن يجعله متماسكاً:انها البصلة.

تطلع اليه (فاروق) في حذر فمن الواضح أن تلك الدموع لها أسباب أخرى خفية ثم هز رأسه قائلًا: شعرت بالقلق ولم أستطع النوم فهبطت إلى المطبخ لأعد فنجاناً من القهوة.

رد (يوسف) وهو يضيف البصل إلى السمكة:هذا لن يساعدك على النوم.

رد (فاروق) وهو يتجه نحو جهاز القهوة ويصب منه:لم أعد أرغب في النوم..فقط سأذهب إلى المكتب لأعمل قليلًا.

-أنت تعمل بشكلٍ كبير...كل حياتك منصبة على العمل وحده.

جلس (فاروق) على مقعد أمام المائدة الصغيرة الموضوعة في المطبخ وأعد فنجاناً أخر فهز (يوسف) رأسه موافقاً وجلس على مقعد أخر وقال (فاروق): ما الذي تعده؟

وتطلع نحو الطبق في فضول وأشمئزاز فقال (يوسف): (جوري) تشتهي تلك الأكلة فقمت بأعدادها.

رد (فاروق) باسمًا: ياله من مزاج غريب...طفلكم يشتهي أشياء غريبة.

رد (يوسف): أجل،وعدتها كذلك بأنني سأكل منه القليل.

أنفجر (فاروق) يضحك وقال: بالتوفيق إذًا.

ثم تطلع إلى (يوسف) وقال:أريد أن أسألك في أمر ما.

-تفضل.

مال (فاروق) للأمام وقال: كيف عرفت انك أحببت أختي؟

تساءل (يوسف): هل تشعر أنك واقع في الحب؟

رد (فاروق) مرتبكًا: كلا،أعني أنني أسأل من باب الفضول.

قال (يوسف) باسمًا:حقًا؟..حسنًا..في البداية لم يكن حبًا ثم بدأت أفكر فيها وفي كلماتها ووجدت أنني أشتاق اليها وعندما ألتقي بها أرغب في أن يمتد الوقت.

غمغم (فاروق) في شرود:أجل.

-لم اضيع الوقت وتزوجتها.

-هممم.

تأمله (يوسف) بنظرات ذكية ضاحكة فقال (فاروق): تناول القهوة.

تناول (يوسف) القهوة ورشف منها وقال: تحتاج إلى بعض الوقت لنفسك،لاتضيع حياتك في العمل.

-أظن أن معك حق.

أنهى (يوسف) فنجان القهوة سريعًا ثم نهض وقال:أستأذن..فزوجتي الجائعة تنتظرني.

-بالتأكيد.

-(فاروق)،أنت لست غاضبًالآن أختك رفضت قرارك لأول مرة وأيدت رأيي في المشروع..اليس كذلك؟

-كلا بالطبع...لماذا تذكر هذا الأمر الآن؟

-لأنك تغيرت في الأونة الأخيرة في العمل..ولكن طالما ليس هذا السبب فلا بد أنه سبباً أخر،تصبح على خير إذًا.

-تصبح على خير.

صعد (يوسف) إلى زوجته ووضع الطبق فأكلت في نهم حقيقي على عكس طريقتها المعتادة المتأنية في الأكل..تناول معها بضع لقيمات وهو يغالب أشمئزازه..فقالت باسمة: لابأس،ليست عقوبة..أنا أحلك من وعدك.

-شكرًا جزيلاً يا مولاتي.

ضحكت وضحك بدوره ثم لما أنتهت غسلت يديها وفرشت أسنانها ثم أستلقت على السرير ونامت هانئة بدون قلق وهي تدفن رأسها في صدره.

***

توجه (يوسف) إلى جدته التي كانت جالسة كعادتها في الصالة تشرب الشاي فلما رأته ابتسمت وقالت: أخيرًا جئت لزيارتي.

رد وهو يجلس:زرتك الأسبوع الماضي.

قالت باسمة:هل تشرب الشاي..لحظة.

ونادت الخادمة وأمرتها باحضار الشاي والبسكويت ثم قالت:هل زحف (أكرم النعمان) اليك بعد؟

-لا،ولكن الأمر لن يطول.

وضعت فنجان الشاي على المائدة ثم تطلعت اليه وقالت بصرامة مفاجئة: خطرت في بالي فكرة.

-وماهي؟

تنفست بعمق ثم قالت: منذ أن علمت بأعجاب (عزمي) ب(فيروز) وأنا أفكر أن هناك أمرًا ما لم أنتبه له،ليل نهار أفكر في هذا.

بدا الفضول والحيرة على ملامح (يوسف) فهو لايرى أن هناك أمرًا جللاً يسترعي كل هذا التفكير والهوس بأعجاب وغد بحسناء مغرورة قاسية.

قالت (بيرين):الخادمة الجديدة..بديلة (ملك)..تعمل لحسابي،القديمة كانت حمقاء.

-أنت لاتضيعين الوقت.

-طلبت منها أن تحضر الي عينات شعر وفرش أسنان لأبناء (أكرم) ول (أكرم) و (فيروز).

هتف (يوسف):ماذا؟..لماذا؟..أنت حقًا لاتظنين..

قاطعته: لاضير من التأكد،وتحليل ال (دي إن ايه) ليس مكلفاً.

-(فيروز) فيها الكثير من العيوب وهي قاسية وحقيرة ولكنها ليست خائنة.

-سوف نرى،بالنسبة للذاكرة وفيديو القتل..هل عرفت كلمة السر بعد؟..كيف ستتوصل إلى الذاكرة بدون معرفتها؟

-سأعرفها.

-متى؟...ليس لدينا وقت وأنت بدلًا من التفكير في البدائل تقضي وقتك في لعب دور الزوج الحنون وتحمل صور هذا الطفل في كل مكان.

دلفت الخادمة فصمتت ووضعت الشاي وصحن البسكويت على المائدة ثم أنصرفت فقال (يوسف): مالذي تريدين مني أن أفعله؟

ردت: لقد فعلت كل شيء بالفعل،فقط..لاتتمادى في مشاعرك كثيرًا حتى لاتُصدم.

مضت فترة صمت ثم قال (يوسف): أسمعيني إذًا يا جدتي جيدًا..أنا أحب (جوري)...لم أرغب في ذلك وقاومته ولكن قلبي لم يطاوعني او يستمع الي..أنا أحبها..وبالواقع بدأت أحب أخوتها..ولهذا سيقتصر أنتقامي على القتلة ولن أنتقم من شخص بريء لمجرد أنه ابن القاتل.

ردت جدته ببرود: حبك لها سينتهي قريبًا فهو حبًا ميت منذ البداية محكوم عليه بالفشل وقد حذرتك..أما عن كونك متعاطف مع (فاروق) أو (فارس) أو (فادي) فهذه مشكلة أوقعت نفسك فيها ولن تقنعني بالتراجع عن التحليل..أنت أحمق لأنك قررت الآنجاب من (جوري) وأحببتها..نسيت أن والدها سيُعدم حتمًا بتهمة المشاركة في قتل أخيه وإن أستطعنا أثبات أن له يد في قتل والدتك ومحاولة قتلك وسيتلطخ أسمها وأسم اخوتها وأبنك معهم بالعار مدى الحياة.

ظل صامتًا يغلي وكان أكثر ما يثير جنونه الآن أن جدته على صواب في كثير من كلامها ما لم..أجل..لا يوجد سوى هذا الحل..حينما يحصل على الذاكرة الألكترونية سيعطيها ل (جوري) ويعترف لها بكل شيء وسيترك القرار لها تفعل بالذاكرة ما تشاء..ستفهم أسبابه وتعذره حتمًالآن أي شخص مكانه كان سيفعل نفس الشيء.

يكفيه أن (جوري) ستحتقر والدها حتمًا وستهجره وربما يهجره أبنائه جميعًا حينما يعلمون بجرائمه..هذا أنتقام نظيف يحافظ به على زواجه إن أمكن ويحقق العدالة في نفس الوقت ففقدان عمه لشركته التي يعشقها ستنهيه تمامًا.

***

استرخى (عزمي الدمرداش) على الأريكة الوثيرة في غرفة الانتظار التابعة لواحدة من أهم المستشفيات الخاصة في الإتحاد، أتته ممرضة حسناء لم يرها من قبل وقالت بتهذيب: (عزمي) بك من فضلك أتبعني إلى حجرة الفحص المبدئي ريثما يأتي الطبيب خلال دقائق.

قال وهو يتطلع اليها: أنت جديدة هنا؟

ردت باسمة:هذا صحيح،ولكن لاتقلق يا بك فأنا أجيد عملي.

نهض ورائها وهو يتفحصها بنظرات وقحة بلا حياء حتى دلف إلى حجرة الفحص فجلس على سرير الفحص وجلست الممرضة بمقعد بجواره وقالت الممرضة باسمة: من فضلك حاول البقاء دون حركة قدر المستطاع.

-أجل..أعرف.

حصلت منه على عينة دم وفحصت عيناه ودون أن يدري حصلت على بصمة العين باستخدام جهاز حديث لم يصل إلى الأتحاد بعد ثم تعمدت أن تجرح أصبعه بحجة الحصول على عينة لفحص السكر في الدم بجهاز فحص السكر فوضعت ما يشبه قطعة الجلد حول أصبعه وقالت باسمة: هذا لاصق طبي حديث سيوقف الدم المتدفق فورًا.

ثم نزعت اللاصق وتظاهرت بألقائه في سلة المهملات ووضعت لاصقًا غيره مؤكدة: أنه لايعمل جيدًا وقد دفعت المستشفى مبلغًا باهظاً فيه..سيأتي الطبيب بعد قليل..سأعد نسخة من التقرير الطبي لوضعها في ملفك وأخرى لشبكتك.

ونهضت مغادرة وبعد قليل دلف الطبيب فقال (عزمي) باسمًا:هكذا تكون الممرضات..ما أجملها من شابة وأفضل من ممرضتك الشمطاء.

ضحك الطبيب في مجاملة ثم قال: المهم أن تجيد عملها.

وفي حجرتها جلست الممرضة على مكتبها وبهدوء وثقة فتحت علبة صغيرة في حجم علب الخواتم فأنبعث منها بخار الثلج مكتوب على جانبها بالألمانية (حفظ بصمة) ووضعت بحرص عدسة شفافة داخل الصندوق ثم أغلقته..ثم فتحت علبة أخرى ووضعت قطعة جلد عليها طبعة أصبع الأبهام وأغلقته ثم وضعت الصندوقين في حقيبتها وأجرت أتصالاً ولما رد الطرف الأخر قالت: (يوسف) بك..لقد حصلت على بصمة العين وبصمة الأصبع وعينة الدم...وهما صالحان لمدة شهر من تاريخ اليوم.

ثم أنهت المكالمة.

***

عاد (فاروق) إلى المنزل ودلف إلى الصالة حيث جلس (فادي) يلعب وجلست أخته (جوري) تلتهم بعض المكسرات في نهم..مال فقبل وجنة أخته ثم عبث بشعر أخيه وجلس ليستريح أو للدقة ألقى نفسه على المقعد وقال (فادي): هل تلعب معي دور كرة؟

رد وهو يخلع ربطة عنقه: ليس اليوم فأنا مرهق.

قالت (جوري) مشفقة:أصعد لتنام قليلًا إذًا ولا ترهق نفسك في العمل إلى هذا الحد.

تساءل (فاروق) وهو يخلع حذائه: أين (يوسف)؟ لقد غادر الشركة قبلي.

ردت باسمة: ربما عند والدته، أو يتابع بقية أعماله، أنه يدرس عمل مشاريع عدة كما تعلم.

هنا دلفت (فيروز) كالأعصار إلى الصالة، وهتفت: عدت أخيرًا يا (فاروق).

تساءل (فاروق): أمي، ماذا حدث؟

هتفت غاضبة: هل تمزح معي؟ هل عثرت على أخيك (فارس) أم أنكم جميعًا سعداء بتركه المنزل وضياعه مع تلك الصعلوقة الحقيرة.

قال (فاروق): ألم يجيش والدي خبراء الحاسوب لتتبع بياناته؟

ردت في حنق:لم تظهر حتى الآن، لاأدري من أين سيحصل على المال ونحن قد جمدنا أمواله سوى بالبحث عن عمل.

ثم تطلعت نحو (جوري) فجاة وهتفت: أنتِ.

تأملتها (جوري) بهدوء فهي معتادة على نوبات الغضب والاتهام منها منذ كانت طفلة، فتوجهت (فيروز) نحوها وهتفت: هل أرسلتِ له المال أو منحتي تلك الحقيرة منه؟

-كلا.

صرخت في وجهها: كاذبة.

هتف (فادي): أمي.

ووقف (فاروق) أمام أخته في مواجهة أمه وقال: ماما، هي لم تفعل هذا فأتركيها وشأنها.

هتفت من جديد: إذًا فهم يحصلون على المال من (ملك)، ألم تقرر سيادتك أن تعد لها معاشاً وأرسلته لها فعلًا؟

رد بشيء من السخرية: هل تحاولين أقناعي أنكم لا تراقبون المرأة المسكينة وتعدون أنفاسها.

-ولكننا لا نستطيع أن نراقب حوالاتها مثلاً أو جيرانها، فماذا إن كانت ترسل الأموال مع إحداهن.

رد (فاروق): في النهاية تلك غلطتك أنتِ وأبي، إذ تعاملتما مع المشكلة بشكلٍ خاطيء وعاملتما شابًا ناضجاً بالقوة والعنف وفاقمتما المشكلة بدلًا من حلها.

ثم قال وهو يغادر الصالة: سأصعد إلى حجرتي لأستريح.

هتفت (فيروز): أخوك غائب منذ شهر وأنت تبحث عن الراحة..ماذا إن قتلته تلك اللعينة مثلاً؟

-لا يوجد سبب منطقي يدفعها إلى هذا،إنه مختبيء في مكان ما وسيظهر في الوقت المناسب وعندها سيتعين عليكما تغيير موقفكما من تلك المشكلة.

نفخت في غيظ ثم نظرت شزراً نحو (جوري) وغادرت إلى حجرتها.

بعد قليل عاد (يوسف) فدلف إلى الصالة وقبل زوجته ثم قال: هيا أرتدي ثيابك.

تساءلت: إلى اين؟

-سنذهب لشراء كل مستلزمات (نور).

-ولكننا لا نعلم إن كان ولد أم بنت بعد.

-لافارق..سنشتري الأشياء الحيادية..ملابس بالوان بيضاء وألوان محايدة..سرير بلون محايد كل شيء محايد وحينما يتحدد نوعه سنشتري وقتها بقية الأشياء.

كان متحمساً فنقل لها هذا الحماس وأسرعت لحجرتها وأرتدت ثيابها ثم توجهت معه إلى شارع شهير مليء بمحلات مستلزمات الأطفال..وبرغم تأخر الوقت كانت الشوارع مزدحمة والمحال مفتوحة وقضى (يوسف) و(جوري) ساعتين وهما يتنقلان من محل لأخر ويقفان أمام كل قطعة لفترة كي يتخذا القرار..أمتلئت حقيبة السيارة ومع هذا أستمرا في عملية البحث والشراء ثم جلسا في كافيتيريا قريبة ليأكلا ويشربا

شيئًا خاصة وأن (جوري) كانت بسبب الحمل تشعر بالجوع بشكلٍ مستمر،وماكان ليتصور أن عملية شراء مستلزمات الطفل أمرًا صعب فالخيارات عديدة وكانا يقفان ربما لساعة كاملة في كل قسم من أقسام مستلزمات الأطفال وبعد منتصف الليل بقليل عادا إلى القصر متشابكا الأيدي بينما السائق والبواب يحملان عشرات الأشياء ويصعدان بها إلى جناح (جوري) ثم لما انصرفا قال (يوسف): سننتقل قريبًا إلى بيتنا وهناك سأعد أجمل غرفة ل (نور) وسأدهنها بنفسي.

قالت (جوري): سأشتاق إلى أخوتي كثيرًا ولكنني سأتي لزيارتهم بأستمرار.

-بالتأكيد.

تطلعت اليه ثم قالت: لا أحب فكرة العيش في قصر، كنت دومًا أتمنى العيش في منزل صغير وجميل.

رد باسمًا: أنت غريبة فعلًا، كل الناس تتمنى العيش في قصر، ولكنني أشاركك الرغبة فلطالما أحببت العيش في بيت صغير قريب من البحر.

تطلعت نحوه في جدية وقالت: لنفعل هذا إذًا.

رد بتلقائية:موافق.

ابتسمت فقال: (جوري)، من الخطر عليك أن تكوني طيبة القلب أكثر مما يجب في هذا الزمان.

ردت: من الخطأ أن يتجنب الإنسان الطيبة وقد خلقه الله أنسان.

ضحك ضحكة قصيرة وقال: منطقك هذا، رائع وغير واقعي كذلك، ليس البشر ملائكة كما تعلمين.

-أعرف هذا ولكنني أحب ان أعتقد أن الإنسان أصله خير وطيبة وأن الشر والقسوة دخيل على طبيعته.

ثم استدارت متوجهة إلى الحمام.

***

كان (فاروق) متوترًا بشدة هذا الصباح، فاليوم سيتخذ قراره أخيرًا.

وصل إلى الشركة باكراً كاالعادة ودلف إلى مكتبه وخفق قلبه وهو يمر ب(نبيلة) وقال بصوتٍ راجف: صباح الخير.

ردت (نبيلة) والمساعد الثاني الجالس على مكتبه: صباح الخير يا (فاروق) بك.

دلف إلى مكتبه وراح يراجع تقريرًا كاملًا عن (نبيلة) وهو يختلس النظر اليها من وقتٍ لأخر حتى عجز عن التركيز فأغلق الشاشة على مكتبه في توتر وراح ينقر بأصابعه على المكتب في شرود حتى دلفت (نبيلة) بعد أن طرقت الباب وأدخلت القهوة فقال في لهفة: (نبيلة)..انتظري قليلًا.

تطلعت اليه وتساءلت عما أصابه اليوم فهو يبدو مرتبكًا وأذنه ووجهه متوردان فقال: كيف حال (نور)؟

ردت: بخير ياسيدي..لم أعد احضرهاالآنها في اجازة منتصف العام وتذهب إلى مدرسة الهوايات.

-أه..أجل ..تلك المدرسة.

-أعتذر بشدة على هذا اليوم يا سيدي.

-ماذا؟

-هذا الموقف الذي حصل في أول أيام عملي.

-أه...تلك المدرسة مع تلك المديرة الصارمة.

-أجل.

-لابأس...انا لست متضايقًا..إذًا يا (نبيلة)

-أجل يا سيدي.

-أليس لديك أقارب مطلقًا؟

-والدتي وأخي بخير حال،والدي وأخي التوأم توفيا.

-أجل...أنا أسف،هل تعيشين مع والدتك؟

-أعيش في منزلي وأزور والدتي باستمرار..ولكنني لست وحيدة فمعي أبنتي.

-وماذا عن أقارب زوجك السابق؟

-عفوًا؟

-كنت أقصد..ألا يحبون رؤية (نور) من وقتٍ لأخر؟

-زوجي السابق رحمه الله مثلي تقريبًا..لديه أخت متزوجة وتعيش خارج مصر ووالدته توفت منذ عام ووالده تزوج ولم يعد يهتم لأمر (نور) كثيرًا.

-زوجك توفي في حادث؟

-فقد حياته مقتولًا.

-مقتولًا؟

-أجل.

-من القاتل؟

-سائق السيارة الذي لم يكن في وعيه.

-أنا...أنا أسف حقًا..لم أقصد أن أجعلك تسترجعين ذكريات أليمة أو أن أسبب لك الحزن..فقط كنت أسأل لأنني أرغب في أن أعرض عليك أمرًا.

-وماهو يا سيدي؟

حدق فيها مرتبكًا مما جعل وجهها يحمر قليلًا ومضت لحظة صمت ثم قال (فاروق): أنا..أنا معجباً بك بشدة..إنه شعور لم أختبره من قبل..(نبيلة) هل تقبلين الزواج مني؟

مضت لحظة صمت..كان وجه (فاروق) وأذنه باللون الأحمر..ولكن (نبيلة) ظلت تحدق في الأرض..وبعد أن طال

الصمت قال (فاروق): بالطبع..خذي ماتحتاجين من وقت للتفكير وسأنتظر ردك.

نهضت (نبيلة) في صمت وتوجهت نحو باب المكتب لتغادر ثم توقفت لحظة عند الباب واستدارت من جديد نحوه وقالت: (فاروق) بك...أسمح لي بأن أمنحك ردي الآن.

رفع عينيه اليها في لهفة فأردفت:أنا أسفة ولكنني لن أستطيع قبول عرضك..أيضًا..أنا أبلغ سيادتك بأنني سأستقيل وعليه فإن عليك العثور على مساعد جديد...فلقد عرض علي عمل في الأسكندرية وقد قبلت.

بدا عليه ذهول حقيقي..وكأنما كان ردها هو أخر ما يتوقعه وكان بالواقع محقًا..ولكنها أسرعت تغادر قبل أن ينبث ببنت شفة..ثم بدأت تجمع أشيائها وطلبت من المساعد الثاني كتابة بلاغ رسمي للشركة بأسمها أنها تستقيل.

ثم غادرت باب الشركة ومسحت بعض الدموع التي أنحدرت من عينيها وهي تتوجه إلى موقف الحافلات لتستقل إحداها عائدة إلى بيتها.

وظل (فاروق) جالساً في مكتبه لا يصدق ما حصل للتو..أنه متأكد من أنها قد أحبته أو شعرت نحوه بشيء ما...فلماذا هذا الرفض القاطع بل والأستقالة؟..شعر بالحزن ثم مع نهاية اليوم وحينما أعلمه المساعد بأستقالتها الرسمية تحول الحزن إلى غضب..تلك المرأة مخبولة..وكأنه عرض عليها أن تقيم معه علاقة غير مشروعة أو عرض عليها أن تبيع أعضائها..رد فعلها دليل على أنها مرتبطة بشخصٍ ما..لايوجد تفسير أخر..والتحري الذي كتب له التقرير عنها هو أحمق لم ينتبه إلى تفصيلة كهذه.

قبل أن يغادر الشركة قال للمساعد في عصبية: أعلن غدًا عن وظيفة مساعد..رجل..لاأريد نساءً...مفهوم.

***

وضعت (فيروز) ساقاً على ساق وهي ترشف القهوة وتقرأ مجلة الكترونية على الحاسوب في توتر،كان الوقت مازال مبكراً..زوجها في مكتبه يتابع أخبار شركته الغير سارة بعد خسارة المناقصة..وكان (فادي) مغادرًا مع أخته (جوري) وهتف وهو يتوجه للخارج: سنذهب إلى النادي اليوم.

لوحت (فيروز) بكفها وعادت تقرأ بلا تركيز..إنها قلقة على (فارس) وتشعر بالغيظ لأنه خيب أمالها بهذا الشكل..يُغرم بابنة الخادمة..حتى وإن كانت في الجامعة وحتى إن أصبحت عالمة نووية فهي لن تقبل بها أبداً.

بعد مضي نصف ساعة جاءتها إحدى الخادمات مهرولة ووقفت أمامها مرتبكة فقالت (فيروز) بحدة: ماذا بك؟

ردت الخادمة بسرعة: يا هانم..هناك من جاء ويريد أن يراك.

تساءلت (فيروز) بعصبية: من؟

ردت الخادمة: أنها....(ج..جميلة).

أتسعت عينا (فيروز) في توحش وأنتفضت ناهضة ثم توقفت وبدا أنها تفكر ثم حاولت تهدئة نفسها وألتقطت نفساً عميقاً وقالت: هل هي لوحدها؟

ردت الخادمة: بلى يا هانم.

-أخبري (أكرم) بك فورًا.

ثم توجهت نحو بوابة القصر الخارجية وفي عقلها يدور ألف سؤال وهي تغمغم: مستحيل...تلك الوقحة..هل جاء أبني

معها؟

ثم وقفت أمام البوابة تحدق في (جميلة) التي وقفت هناك صامتة.

مضت فترة صمت كان عقل (فيروز) يعمل خلالها بسرعة..لن تفسد الأمر هذه المرة..ستعرف كيف تتصرف بطريقة صحيحة.

قالت بتعالي: ماذا تريدين؟ وأين أبني؟

ردت (جميلة): أنه في الأسكندرية وسأمنحك العنوان بالتفصيل وسأخبرك بكل شيء..ولكن بعد أن نتفق أولًا.

أشارت (فيروز) إلى البواب كي يسمح لها بالدخول ثم قالت: إلى مكتب البك حتى نتكلم.

تحركت (جميلة) أمامها إلى مكتب (أكرم) تتبعها (فيروز) وهي ترمق ظهرها بنظرات مخيفة غاضبة.

***

الفصل الثاني عشر

(ضربة قاصمة تلو الأخرى)

قالت (بيرين) وهي تدور بأصبعها حول حافة فنجان القهوة: حصلت على العينات وأرسلتها سرًا إلى معمل ممتاز وسأحصل على النتيجة بعد قليل.

رد (يوسف): أنت لاتضيعين وقتك.

ابتسمت (بيرين) أبتسامة غامضة وسألته وهي ترمقه بنظرات حادة: وأنت معترض.

-لأن الفكرة مستبعدة.

-أو لأن الفكرة واردة.

صمت قليلًا فتركت العبث بفنجانها ورشفت منه رشفة ثم قالت: أنت لاتريد أن تؤذيهم في الصميم،ولكن الآنتقام يؤذي..

شئت أم أبيت يؤذي.

تراجع (يوسف) في مقعده وتأملها صامتًا ثم قال: مالذي تتوقعين أن يحدث؟ طبعًا إن كانت النتيجة كما تظنين.

ردت باسمة: أتوقع أن ينتهي (أكرم) تمامًا وقتها..حينما يعلم أن زوجته المحبوبة التي تآمر على أخوه وأبنتي وابن أخيه من أجلها قد خانته..هذا هو الآنتقام حقًا..ربما يقتلها أو يطلقها أو ينتحر..لا فارق عندي وقتها.

أتاها صوت رسالة وصلت لبريدها الألكتروني فتركت الفنجان وتناولت الحاسوب بجوارها وبدأت تقرأ بعينها، وتحفز (يوسف) وهو يتساءل إن كانت جدته محقة، ليست (فيروز) خائنة لزوجها،ليست من هذا النوع ولكن عيني جدته لمعت بأنتصار فخفق قلبه فقد كان يجيد الحكم على الناس وهو متأكد أن (فيروز) برغم خبثها وشرها ليست من النوع الذي يقدم على الخيانة الزوجية...فكيف حدث هذا؟

قالت جدته: كما توقعت،أحدى أبنائه الثلاثة ليس أبنه حقًا..له ابًا اخر..وتخميني أن هذا الأب هو حبيب قديم للأم أو...

صمتت وهي تتطلع إلى (يوسف) بنظرة ذات معنى و الذي فكر قليلًا ثم هتف تلقائياً: (عزمي الدمرداش)..إنه هو من يأتي ويذهب إلى العائلة طوال الوقت،كذلك يمقته (فاروق) بشدة.

ابتسمت جدته في ظفر ولكن (يوسف) هتف: جدتي..لا تخبري أحدًا بهذا..هل يمكنك فعل هذا من أجلي؟

تنهدت جدته وقالت باسمة:حينما أحصل على عينة من (عزمي) وأفحصها وأتأكد سوف أرى وقتها ما سأفعله.

-لاتفعليها من فضلك..لاتستخدمي هذا الأسلوب للأنتقام.

ردت بلهجة حاسمة: بل سأفعل، ولا يمكنك أنت أو كل سكان الأرض أقناعي بالعكس.

نهض متضايقًا وقال: فكري.

-ألا تريد معرفة من منهم ليس ابن عمك؟

-كلا.

وأنصرف دون كلمة

***

ولكن ما الذي حصل مع (فارس) و(جميلة) خلال الشهر الذي اختفيا فيه معًا.

وصلا إلى الأسكندرية وقبل الوصول وعندما توقف القطار في أحد المحطات قبل الأسكندرية للراحة لمدة ساعة تزوجا رسميًا عند مأذون وبعدها وصلا إلى الأسكندرية و جلسا في مطعم يقدم مع الطعام خدمة تصفح الشبكة مجانًا وطلبا غداء ثم راح (فارس) يبحث عبر الحاسوب الموضوع على المائدة عن منزل للأيجار بأسعار تناسب ما معه من مال وراح يشاهد المنازل المعروضة ثم زفر في ضيق.

تساءلت (جميلة): ماذا هناك؟

-أي مالك منزل سيطلب البطاقة العائلية أو ورقة الزواج.

-وماذا في ذلك؟

-لايمكن الآن..بمجرد أن تدخل بياناتنا إلى النظام سيتمكن والدي من معرفة مكاننا وسيأتي مع رجاله ليعيدني..ولكن لكل مشكلة حل.

توجه معها إلى منطقة فقيرة في الأسكندرية ومنها إلى مبنى سكني فقير وتطلع إلى مدخل المبنى الضيق في توتر ثم سأل عن صاحب المبنى وجلس يتحدث معه ومضى معه عقد لمدة شهر ب 2000 جنيه

غمغم (فارس) في شحوب وهو يخرج المبلغ من جيبه:تفضل.

وكان أصحاب تلك النوعيات من المباني لا يهتمون بأدخال البيانات أو تسجيل عقود للمستأجرين..كل ما يهمهم المال مقابل غض الطرف لفترة عن الأوراق طالما أن الشخص ليس هاربًا من الشرطة ولهذا كان مبلغ الأيجار باهظاً.

وقال صاحب المبنى: لايهمني ممن تحاول الأختباء..طالما ستدفع المال في موعده ولا تبحث عنك الشرطة.

وكانت الشقة صغيرة وخالية من الأثاث ولا يوجد بها سوى سجادة فرشت على بلاط الصالة القديم الرمادي اللون وأما الحوائط فقد تآكل طلائها في عدة مواضع..وكان الحمام شديد القذارة فقالت (جميلة) وهي تشمر ساعديها:

سأنظفه فورًا...ياللقذارة.

جلس (فارس) في الصالة على السجادة وهو يغمغم: الجو بارد في الأسكندرية عن القاهرة.

-أجل.

فكر (فارس) مهموماً أنه لايملك مالًا على الأطلاق بعد أن تم تجميد أمواله وكروت ائتمانه وبعد أن ترك أسرته وقصره وفراشه الوثير.

كان بالحمام بقايا صابونة لا شك أن (جميلة) قد أستخدمتها في التنظيف والآن لن يستطيع الأستحمام ثم أنه لايملك ثيابًا على الأطلاق ولا يوجد بالمنزل سوى سجادة..عليه أن يتصرف ويحضر مالًا لشراء الطعام وأغطية فهم مازالوا في الشتاء وربما سرير..هل عليه أن يتصل ب (فاروق)؟..ولكن كلا،لن يتصل بأحد منهم،سيعتمد على نفسه وهذا قراره.

عادت (جميلة) بعد نصف ساعة فقالت باسمة: لقد أصبح الحمام نظيفاً.

نهض وقال: شكرًا حبيبتي.

أردفت: ولكن لا يوجد صابون في الحمام.

ودلف إلى الحمام وأكتفى بغسل وجهه بالماء ثم غادر وقال وهو يجلس بجوارها على السجادة:نحتاج إلى المال.

ردت: معي 500 جنيه.

قال بسرعة: ليس هذا قصدي..أعني أن علي البحث عن عمل فورًا.

أراحت رأسها على كتفه وقالت: أنت أنهيت دراستك وأظنك ستجد عملاً بسهولة.

رد مشفقاً: ليت الأمر بتلك السهولة..إذا عملت في أي شركة فستدخل بياناتي إلى النظام ومنها تصل إلى مهندسي أبي.

-ومالعمل؟

-سأعمل في مكانًا لا يدخل بيانات عماله ببساطة، عمل بأجر جزئي.

ثم نهض وقال: سأحاول ألا أتأخر.

ولكنها نهضت وهتفت: مهلًا..سأتي معك.

رد مستنكرًا: إلى أين؟..أقول لك أنني ذاهب للبحث عن عمل لا للنزهة.

ردت في عناد: وأنا كذلك سأعمل وأساعدك...نحن بحاجة لكل مليم.

هتف بصرامة وقد بدأ الغضب يتسلل إلى لهجته: أنتِ حامل...لن أسمح لك بالعمل...أبقي في البيت.

قالت بلين محاولة أقناعه:سأعمل شهراً أو شهرين..نحن بحاجة إلى المال حتى نتمكن من الأستقرار ثم بعدها سأجلس.

بدا التردد عليه فأردفت: شهرين فقط.

وافق أخيرًا وراحا معًا يبحثان عن عمل في أماكن بسيطة...في النهاية وجدت مطعم في المنطقة التي سكنوا فيها وقد علق لوحة أعلانية صغيرة كتب على شاشتها أنه بحاجة إلى عمال..فدلفت إلى المطعم ومنه إلى مكتب المدير الذي قرر السماح لها بالعمل في غسيل الصحون وفحص بطاقتها ثم طلب منها أن تبدأ من الغد.

أما (فارس) فعثر على عمل في شركة للشحن ووظيفته ببساطة حمل الصناديق ووضعها في سيارات الشركة وترتيبها حسب الأرقام والبيانات.

كانت ظروف العمل مرهقة والمرتب بسيط خاصة بالنسبة ل(فارس) ولكنهما أضطرا للقبول.

خلال الشهر عملا بجد وأستطاعا شراء بطانية والطعام والصابون ومقعدين ومنضدة صغيرة وظل الوضع صعباً للغاية.

بالنسبة ل(جميلة) كان الوضع محتملاً بشكلٍ ما فهي لم تكن يومًا ثرية وقد أعتادت العمل ونقص ما تحتاجه أحيانًا..أما (فارس) الذي كان مدللاً منذ مولده وبرغم أنه كان يُظهر التحمل والصبر والجلد لكنه كان مضغوطاً مرهقاً وتعساً..الفتى الذي أعتاد على وفرة المال والطعام الرائع والسرير الوثير والمدفأة المركزية ومكيف الهواء..الفتى الذي أعتاد الأستيقاظ متأخراً والعمل كمدير في شركة أبيه أصبح عاملاً يتلقى الأوامر واللوم والتقريع إن أخطأ ويعيش في منزل حقير بائس تحتاج حوائطه إلى الدهان وتحتاج أرضيته إلى السجاد بل ويحتاج البيت نفسه إلى الأثاث والأجهزة،راح يفكر مهموماً في مصاريف زوجته ومصاريف أدويتها وطبيبها وولادتها بل وما يحتاجه الصغير من ثياب وطعام..ومع ذلك ظل يقول في عناد وأباء: ولو..لن أعود لهم ولن أتخلى عن حبيبتي.

لم يستطع كذلك تكوين صداقات مع زملاء العمل الذين كانوا يتأملون ملامحه الوسيمة ويده الناعمة في شيء من السخرية والحيرة متساءلين عما يدفع شاب كهذا يبدوا من عائلة راقية إلى تلك المهنة المتدنية.

رأت (جميلة) منه الأصرار على الأستمرار في طريق الأستقلال عن عائلته ولكنها بدلًا من الشعور بالأعجاب بشجاعته أشفقت عليه..كانت تلمح نظرة الأشمئزاز في عينيه وهو يقص عليها لوم المدير له وهو الذي لم يعتد هذا..وتساءلت هل سيأتي اليوم الذي يكرهها فيه..إنه يهيم بها حبًا الآن ولكن بعد مرور فترة وبسبب نفوذ والده الذي سيمنعه من العمل في أي مكان محترم سيظل وضعه صعباً ولن يحتمل وسيقل ويضعف حبه لها تدريجياً حتى يصل إلى نقطة اللوم..سوف يلومها على كل شيء وسيكرهها في النهاية..كم كانت ساذجة حمقاء عندما ظنت أنها قد تصبح زوجته رسميًا يومًا ما وتتقبلها (فيروز)هانم و(أكرم) بك برحابة صدر.

مع نهاية الشهر سقط (فارس) مريضاً،لاشك أن عمله القاسي وحمل الأشياء الثقيلة والعرق الذي كان يتصبب منه من فرط المجهود ثم خروجه إلى البرد القارس بأستمرار كان عاملاً هامًا،فأرتفعت درجة حرارته كثيرًا وراح يسعل وأنفه يسيل بشدة ويشكو من ألم عظامه وعدم مقدرته على الحركة فأرقدته (جميلة) على الأرض وغطته بالبطانية وأعطته دواء مخفض للحرارة وذهبت للمطعم فأخبرت صاحبه بأن زوجها مريض..بدا الرجل متضايقًا وسمح لها بأجازة بقية اليوم وغدًا للعناية بزوجها ولكنه ألمح لها أنه لن يسمح لها بالأستمرار في العمل لديه وأنه غير راض عن مستوى العمل منها وأن عليها البحث عن عمل في مكانٍ أخر مع نهاية الشهر.

عادت إلى المنزل وأعدت حساءً ساخناً وأطعمته قليلًا إذ كان غير قادرعلى تناول أي شيء..ظلت تعد له الكمادات حتى اليوم التالي.

أنخفضت الحرارة قليلًا وفتح عينيه أخيرًا وكان يشعر بالثقل في رأسه وبمعاناة أثناء تنفسه وتناول عصير الليمون ثم عاد يستغرق في النوم فأحكمت الغطاء حوله وقبلته في جبينه ثم نهضت وتركت له ورقة أنها ذاهبة إلى العمل وتوجهت إلى محطة القطار فركبت القطار المتجه إلى القاهرة ومنه إلى القصر وهناك التقت على البوابة ب (فيروز) التي سمحت لها بالدخول.

***

جلس (أكرم) خلف مكتبه بهدوء مصطنع وتبادل نظرة سريعة مع زوجته التي جلست واضعة ساق على ساق وقد عقدت يديها أمام ركبتها وراحت تتأمل (جميلة)..جلست الأخيرة ثم استجمعت شجاعتها وقالت: (فارس) مريض بشدة.

تخلت (فيروز) عن هدوئها وهتفت: ماذا؟..ماذا حصل لأبني..تكلمي.

ردت (جميلة): أنه مصاب بأنفلونزا..لاتقلقي..أنا جئت اليكما لأقدم عرض وأتمنى أن تقبلوه..هذا العرض سيريحنا جميعًا وينهي تلك القصة.

دار (اكرم) بمقعده وقال: تكلمي.

قالت:تعرف يا (أكرم) بك طبعًا أننا تزوجنا رسميًا.

نظرت (فيروز) مستنكرة إلى زوجها الذي رد ببرود: في طنطا..لقد مشط رجالي المحافظة دون جدوى.

عادت (جميلة) تقول: أسمحا لزواجنا أن يستمر لستة أشهر فقط...بعدها يمكن ل(فارس) أن يطلقني..بهذا الشكل يتحقق

مرادكما وهو خروجي من حياة ابنكما إلى الأبد لأنني لن أتصل به أبداً بعد الطلاق..وأيضًا يتحقق مرادي والمطلقة بعد سبعة أشهر أفضل وضعاً من فتاة تزوجت وطلقت بعد شهر..هذا أولًا.

قالت (فيروز) بعد أن تبادلت نظرة سريعة مع زوجها: وثانيًا؟

عادت (جميلة) تقول: أريد نفقة لأبني فقط لا غير..لا يهمني أن تدخلوه في الميراث من عدمه ويمكن لوالده رؤيته متى شاء وأيضًا ان تسامحوا (فارس) وتعاملوه كما أعتدتما قبل أكتشاف حقيقة علاقتنا.

كان هذا أكثر مما يحلم الأثنان به...الفتاة جاءت اليهما وتتوسل لزواج مدته 6 أشهر ثم تخرج من حياتهم إلى الأبد..لم يعودوا مضطرين إلى تزويجهما تحت رغبة (فاروق) وأصراره زواجاً حقيقياً.

نهضت (فيروز) وقالت: شروطك عادلة..نحن موافقان عليها..والآن أعطيني عنوان أبني بالضبط.

أملتها العنوان وقالت: ولكنه مريض،أرجوك يا بك أن تأمر رجالك أن يعاملوه برفق.

رد (أكرم) بصلف: لست أنت من سيعلمني كيف أعامل ابني.

وأسرع يتصل برجاله بينما نهضت (جميلة) فهتفت بها (فيروز): إلى أين؟

غمغمت: إلى أمي..سأحاول الأعتذار لها.

قالت (فيروز) بلطف لا يناسبها: حسنًا..ولكنك بعدها ستعودين وتمكثين في القصر مفهوم..لا تقلقي وتنظري الي هكذا.

حدقت فيها (جميلة) في حيرة وشك ثم غمغمت: أجل.

عادت (فيروز) تقول:أنتبهي لنفسك وغدًا سنأخذك إلى الطبيبة التي تتابع معها (جوري)..أنها ممتازة..تعالي غدًا بعد الظهر.

غمغمت (جميلة) غير مصدقة: أجل.

ثم غادرت..وهتف (أكرم): والآن هلا شرحتي.

أطلقت (فيروز) ضحكة شامتة مباغتة ثم تطلعت إلى زوجها وقالت: يا عزيزي..ألم ترى كم أن تلك الفتاة حمقاء..صدقني بعد هذا التصرف الأحمق منها لن يسامحها (فارس) وسيكرهها حتمًا..ولن يضطره شيئ إلى استمرار زواجه منها.

-لا أفهم..كيف ولماذا يكرهها؟

-بعد أن تخلى عن أهله وثروته ومكانته من أجلها تهرع هي الينا طالبة منا أن نعيده..كيف تظن أنه سيشعر؟

-وماذا عن الطفل؟

-أي طفل؟

-في أحشائها..إنها حامل.

-لن تظل كذلك.

-لايمكننا أيذائها وألا تعرفين سيجن (فارس) وكذلك (فاروق).

-نحن لن نمسها.

-كيف؟

مالت (فيروز) على زوجها ووضعت كفها على وجنته بلطف وقالت: هل تذكر فضيحة عقار (...) الأوروبي..المفترض أنه دواء ليساعد الحوامل على مقاومة القيء الصباحي وتغيرات الشهية..ثم ثبت بعد ذلك أنه يؤدي إلى تشوهات الأجنه والأجهاض وتم منعه في أوروبا وسحبه وأنتهى الأمر بدفع تعويضات جسيمة للضحايا.

غمغم (أكرم): وبعد؟

ردت باسمة: هذا الدواء يا حبيبي مازال بعضه يباع في السوق السوداء بأسعار فلكية في بعض الدول..كل ما عليك فعله أن تحضر لي شريطاً منه ثم ندسه لها في الطعام أو الشراب وخلال أسبوعين سيتعرض الجنين للتشوه وتجهضه وينتهي الأمر ولن يكتمل زواج (فارس) منها وأي طبيب سيفحصها بعد ذلك سيؤكد أن الجنين مشوه..ولن يخطر على بال أحد أنها أخذت من هذا الدواء المحظور منذ 20 عامًا.

هتف (أكرم): ياإلهي..أنتِ عبقرية يا حبيبتي..أنتِ أذكى أمرأة رأيتها في حياتي..من أين خطرت لك تلك الفكرة الجهنمية؟

ردت باسمة: بالبحث شهراً كامل على الآنترنت في وسيلة للأنتقام وبالطبع كانت خطتي هي قتلها كذلك بعد العثور عليهما ولكن بعد أن جاءت بنفسها وعرضت علينا عرضها فلم نعد بحاجة للتخلص منها فهي قد أنهت نفسها بنفسها.

ثم نهضت وقالت بحسم: ولكن أسرع في أحضار الدواء.

رد بضيق:ليس الأمر سهلاً،أحضار الدواء وأدخاله عبر الأتحاد..سأدفع الكثير من المال وأتعامل مع مشبوهين وحاليًا تعرفين وضع الشركة الحرج بعد أن خسرت المناقصة..لا أمتلك سيولة تقريبًا.

ردت بحدة: خذ من أموال أبنتك إذًا...تصرف.

عاد يقول في أرتباك: أموال أبنتي في صفقة هامة لن تستلم ارباحها ألا بعد...

قاطعته بغتة: خذ من حسابك في البنك..تلك الوديعة قم بصرفها.

-ليكن..ولكنها أخر سيولة معنا.

- لديك زوج ابنتك الثري.

ثم استدارت مغادرة في ضيق.

***

قال (فادي) في حماس: هل رأيتِ كيف لعبت ببراعة واحترافية في المباراة؟

كان جالساً بجوار أخته في السيارة وقد وصلا إلى القصر وقد غربت الشمس وأذن لصلاة العشاء منذ ساعة.

وردت أخته وهي تتابع شاشة حاسوبها وتبتسم: اجل..لقد حصلت على الكأس مع فريقك..سجلت لك المبارة كذلك.

مط شفتيه وقال بضيق: أتمنى لو أن ماما وبابا قد حضرا معنا اليوم.

-لاشك أن كلاهما مشغول للغاية...أنت نفسك بعد يوم ستعود إلى المدرسة للفصل الدراسي الثاني.

-لما عليك تذكيري دومًا،ولكن ماذا تقرأين؟

-(يوسف) أرسل لي رسالة.

-لماذا تبتسمين هكذا؟ هل أرسل شيئًا مضحكاً؟

-شيئًا من هذا القبيل..أنت مازلت صغيراً على هذا الفضول فأسكت قليلًا.

ولكنه كان يحدق من النافذة جهتها ثم تهللت أساريره وهتف:(فارس)!!.

استدارت (جوري) لتنظر عبر النافذة وكانت السيارة قد دلفت إلى القصر وتستعد للوقوف فرأت (فارس) يغادر سيارة والدها وقد أحاط به رجلين ضخام الجثة من رجال أبيها وكان يبدوا مرهقاً فهتفت محتجة: ليس ثانية يا أبي..(فادي) أتصل ب (فاروق) وأخبره.

ثم هبطت مسرعة من السيارة وتوجهت نحو الرجلين وقد عزمت على الشجار معهما ثم مع والدها ولكن هالها منظر (فارس) الشاحب المتعب وتنبهت إلى أن الرجلين يساعدانه على الوقوف والسير لا يرغمانه كما ظنت..فغمغمت:ماذا حصل؟ هل أنت بخير أخي؟

هز رأسه بضعف فتبعتهما إلى الداخل وكانت (فيروز) و(أكرم) في الآنتظار وهتفت (فيروز): أصعدوا به إلى حجرته ليستريح..لقد أتصلت بالطبيب..هل أنت بخير يا روحي؟

ووضعت يدها على جبينه الساخن ثم شهقت في فزع وتبعتهم إلى الأعلى.

وعاد (فادي) من الخارج فهمس في أذن أخته: لقد أتصلت.

ردت في حيرة: أحسنت..ولكنني لاأفهم شيئًا..وأين (جميلة)؟..أبقى هنا.

ثم صعدت خلفهم بينما ظل (أكرم) واقفاً وقد عقد يديه خلف ظهره وأكتسى وجهه بقناع صارم يحاول به أخفاء قلقه.

لم تكن (جوري) قد رأت أخوها في هذه الحالة من قبل سوى مرة منذ سنوات حينما أخذ جرعة حبوب زائدة وراح يتقيأ وقد أحمرت عيناه..يومها كان (فاروق) غاضبًا بشكل لم تره فيه من قبل..بعدها جلس مع أخوه يلومه ويقرعه ساعة كاملة حتى أبكاه وهو الأمر الذي أعتبرته رائعًا وأفضل من فعل والدها الذي راح يضربه بينما (فارس) يتصرف ببرود..ولكن لماذا تتذكر هذا الموقف الآن..تدخلت مع (فيروز) لتعينه على الرقاد في سريره وتغطيته وغادر الرجلين وبعد قليل وصل الطبيب وصعد فورًا إلى حجرته وبدأ يفحصه باهتمام ثم قال: الحمد لله..كان من الممكن أن تحدث مضاعفات ويصاب بذات الرئة..مع الراحة والأدوية والأغذية سيتحسن ويشفى سريعًا.

راحت (فيروز) تتحسس شعره في حنان بينما رقد هو على السرير لايتحرك أو يتكلم وأكتفى بأن يحدق في السقف وبدا على محياه علامات الأكتئاب لا المرض فقط.

جلست (فيروز) على مقعد بجوار سريره..وغادرت (جوري) لترافق الطبيب وترسل في طلب الأدوية وألتقت ب (فاروق) و(يوسف) وقال الأول متسائلًا:هل (فارس) بخير؟ وكيف تمكنوا من أعادته؟

ردت: أنه مريض للغاية..الطبيب كتب له تلك الأدوية وسأرسل إلى الصيدلية القريبة كي تحضرها..لا أعرف بقية التفاصيل.

صعد (فاروق) إلى حجرة أخوه وقال (يوسف) وهو يتبعه: سأتي معك للأطمئنان عليه.

ودلفا إلى الحجرة فاستدارت اليهم (فيروز) ثم قالت: أنه مريض للغاية..تلك اللعينة هي السبب.

قال (فاروق) وهو يجلس على طرف السرير ويتأمل أخوه: أنت بخير أخي؟

ووقف (يوسف) على باب الحجرة وقال: شفاك الله وعافاك.

هتفت (فيروز): جاءت (جميلة) هانم الينا وأخبرتني بمكان أبني..مقابل مبلغ من المال وأن يطلقها أبني بعد 6 أشهر..وافقت حينما هددتنا بأنه مريض ووجوده وحده خطر على حياته.

هتفت (جوري) غير مصدقة: يطلقها؟

أشار (فاروق) إلى أمه بعينيه بمعنى أن تصمت ولكنها أردفت في تحدي غير عابئة بأشارة ابنها:وطلبت بأن يكون لطفلها نصيب من الميراث ونفقة شهرية.

دلف (فادي) وقال: الدواء سيصل خلال دقائق وستحضره الخادمة فورًا.

ربت (فاروق) على كتف أخوه برفق وقال: حمداً لله على سلامتك.

وقال (فادي) بلهفة:هل سيكون بخير؟

رد (فاروق): بالطبع.

أشارت (فيروز) بيدها إلى (جوري) و(يوسف) وقالت: هيا إلى حجرتكما..إنه بحاجة إلى الراحة كما تعلمان.

أحتقن وجه (فاروق) من الغيظ من أسلوب والدته ولكن (فارس) قال بصوتٍ مبحوح ضعيف النبرات:وأنت أيضًا غادري يا أمي.

هتفت (فيروز) محتجة: ولكنك...

ولكنه استدار على جنبه ليعطيها ظهره وغطى وجهه بالأغطية.

تطلعت اليه بضيق ثم استدارت بكبرياء ولم تنسى أن ترمق (جوري) بغل قبل أن تغادر..وبقي (فاروق) و (فادي).

جذب (يوسف) يد زوجته برفق وعادا إلى جناحهما صامتين فغيرا ثيابهما وقال (يوسف): لنتناول العشاء اليوم في حجرتنا.

ردت: أجل.

جلس وربت على رأسهاالآنها بدت قلقة وقال:قالت زوجة أبيك أن (جميلة) جاءت إلى القصر وأعطتهم العنوان..

حبيبتي..أنتي تدركين طبعًا أن (فيروز) هانم أضافت أحداث لم تحصل وبالغت من عندها كي تجعل (فارس) يكره (جميلة).

-ح..حقًا؟

ضحك من سذاجتها فقالت: ولكن..لماذا تكذب؟..سيسأل (فارس) (جميلة) عما حدث معها حتمًا.

نهض قائلًا: سأذهب لأطلب من الخدم أحضار العشاء.

غمغمت: مازلت أحاول الأتصال ب (جميلة) دون جدوى.

في الصباح تحسن (فارس) قليلًا واستطاع النهوض بمعاونة أخيه (فاروق) الذي سمح له بالبقاء معه في الغرفة..وناوله الدواء ثم قال (فاروق) وهو يعينه على الأستلقاء على السرير من جديد: أذكر أنك مرضت من قبل منذ سنوات قبل حتى أن يولد (فادي) وسهرت بجوارك مع ماما وكانت قلقة للغاية عليك..وقتها أصريت على اللعب في الشارع تحت الأمطار وأصبت بنزلة برد قوية..أنت عنيد ودائمًا تجلب لنفسك المتاعب.

تمتم (فارس):أجل.

تنهد (فاروق) وقال: إن كنت تحبها كان يجب أن تخبرني..على كل حال،أنتما متزوجين وأنتهت المشكلة.

رد (فارس) ببرود: وسأطلقها، لايمكنني أجبار زوجتي على البقاء معي رغمًا عنها.

-دعني أتحدث معها لفهم ما تريده حقًا،لن نكتفي بما تقوله ماما.

وحينما وصلت (جميلة) بعد الظهر إلى القصر في اليوم التالي كانت (فيروز) تجلس في الصالة الواسعة فتطلعت اليها وقالت: جئتي إذًا..لقد أعددنا لك غرفة الضيوف..(فارس) في حجرته ولكنه مريض ونائم..لن تتمكني من رؤيته الآن وقالآنه لايريدك في حجرته،إنه غاضب قليلًا ولكنه سرعان ما سينسى غضبه ويصالحك..فقط إذهبي مع (جوري) إلى الطبيبة وطمئنيني عليك حينما تعودين.

كان لطف (فيروز) الذي لايناسب شخصيتها مرعباً حقًا وتساءلت (جميلة) عما إن كانوا يخططون لقتلها أو شيئًا ما.

هبطت (جوري) في تلك اللحظة بينما صعدت (فيروز) فقالت لها: صديقتك (جميلة) قد جاءت..خذيها معك إلى الطبيبة للفحص.

أسرعت (جوري) نحو الصالة حيث جلست (جميلة) فهتفت بها:
(جميلة)..أوحشتني..ولكن لماذا لا تجيبين أتصالاتي؟.. هل جننت كي تطلبي من زوجك الطلاق..أن (فارس) لا يبدو سعيداً بهذا.

أحتضنتها (جميلة) بحرارة ثم تهانفت مما دفع (جوري) إلى أن تشفق عليها فربتت على كتفها قائلة: لا بأس..ستكون أمورك بخير..(فاروق) قالآنكما لن تنفصلا وأنت تعرفين كم هو صارم وعنيد.

تساءلت (جميلة):هل تحسنت صحة (فارس)؟..هل أصبح بخير؟

-أجل...يومًا أخر وسيشفى بإذن الله.

-كنت قلقة عليه ولم أنم طوال الليل بسبب قلقي.

-كنت أحاول الأتصال بك.

-نسيت أن أفتح الهاتف..سأفعل هذا اليوم.

قالت (جوري) باسمة:ستأتين معي إلى الطبيبة للفحص..هيا فالسيارة جاهزة...هل تناولتي إفطارك؟

-أجل..هيا بنا.

***

أسترخى (أكرم) على المقعد أمام مكتبه وتطلع إلى الشاشة أمامه ثم رفع عينيه إلى (فيروز) التي دلفت إلى مكتبه وقال: كيف حال (فارس)؟

ردت: بخير..اصعد وأجلس معه قليلًا.

-سأفعل...لدي خبر سيعجبك..خلال ساعات سيصل الدواء وسأحضره.

توجهت نحوه وقبلته ثم قالت باسمة:رجلي الرائع..والآن أصعد إلى (فارس) وأوضح له أنك قبلت بزواجه من تلك الفتاة وسنقوم بعمل عرس بسيط خلال أسبوعين نكون فيها قد مهدنا للناس من معارفنا على أن يطلقها بعد 6 أشهر...يجب أن لا يشك لحظة في أننا نخطط لشيء.

-حسنًا...هل جاءت؟

-وذهبت إلى الطبيبة مع أبنتك..عندما تعود علينا أن نتظاهر بالأهتمام بهذا الطفل ونتأمل صور الموجات فوق الصوتية.

-أجل.

ثم عاد يتطلع إلى شاشته وغمغم: وصلت رسالة..ماهذا؟

-ماذا؟.

-انها رسالة من...لحظة..عجباً.

نهضت (فيروز) وقالت: أنا مشغولة..سأذهب إلى الكوافير..بإذنك يا عزيزي.

عاد يتطلع إلى الرسالة وغمغم: رسالة من مجهول..كيف عرف عنوان بريدي..حسنًا سأقرأها فيما بعد.

ثم نهض ليصعد إلى حجرة أبنه.

عادت (جوري) و(جميلة) بعد العصر بقليل..راح (اكرم) يشاهد صور الأجنة وكانت (جميلة) حامل في الأسبوع ال 15 مما مكن الطبيبة من تحديد نوع الطفل.

وهتفت (جوري) لوالدها: أن (جميلة) حامل بولد.

رد (أكرم) وهو يجبر نفسه على الأبتسام:حقًا...ممتاز..وانتِ يا أبنتي؟

-ليس بعد...مازال الوقت مبكراً على معرفة نوع الجنين.

ثم جذبت (جميلة) من يدها وقالت: فلنصعد إلى حجرة (فارس) لنخبره..هيا بسرعة.

تبعتها (جميلة) في تثاقل وطرقت (جوري) الباب ودلفت ولكنها وجدت (فارس) نائم..فغمغمت: مسكين.

ثم أغلقت الباب وقالت: سنأتي بعد ساعة او أثنتين.

أومأت (جميلة) برأسها ثم توجهت إلى حجرة الضيوف المعدة لها.

***

قال (يوسف) في حيرة: استقالت؟

رد (فاروق) وهو يتناول غدائه في مكتبه مع (يوسف) بلا شهية:أجل..قالت أنها ستذهب للعمل في الأسكندرية.

مط (يوسف) شفتيه وبدت نظرة عابثة في عينيه وهو يقول: وستتركها؟

أحمر وجه (فاروق) قليلًا وقال بصرامة:هي حرة تقرر ما تشاء..لقد تقدم لوظيفتها ثلاث أشخاص وقد قبلت بأحدهم.

رد (يوسف) باسمًا: أتمنى أن يكون بمثل براعتها.

غمغم (فاروق) بضيق: المساعد الجديد بارع كذلك.

ثم تجمد وتوقف عن الأكل فجأة وقال: هل تظن أنها أستقالت لأنها خشيت أن أسيء معاملتها بعد رفضها عرض الزواج.

هز (يوسف) كتفيه بمعنى أنه لايعلم حقًا أما (فاروق) فقد أورثته الفكرة شعوراً بتأنيب الضمير وأحساس بالذنب فنهض وقال:سأذهب لساعة في مشوار هام وسأعود.

توجه إلى منزل (نبيلة) وطرق باب الشقة ففتحت الباب وقد بدت شاحبة قليلًا فلما رأته تطلعت اليه في دهشة والغريب في شيءً من اللهفة فقال (فاروق):عودي.

لم ترد فعاد يقول: أنسي عرضي..أعدك بأنني لن أعرضه عليك مرة أخرى ولن أضايقك من جديد..فقط عودي إلى العمل كالسابق..وإن كان الأمر يزعجك بشدة يمكنني نقلك إلى قسم أخر بعيدًا عني.

هزت رأسها نفياً وغمغمت وهي تغالب دموعها:كلا..أنا قررت السفر وقبول الوظيفة التي عرضت علي..أتمنى لك التوفيق حقًا.

مضت فترة صمت ثم استدار (فاروق) مغادرًا دون كلمة أخرى فأرتفع رنين هاتفه في ألحاح فأجاب:وعليكم السلام،ماذا؟..ما..ماذا تقول؟

وتوقف صامتًا لايصدق ثم تنفس بعمق وأسرع يتوجه إلى حديقة الشركة الجميلة وعلى بوابتها أستقبله بعض العمال متوترين وقال أحدهم مفسرًا: هناك مادة كيميائية ما

تسللت إلى مياه ري الحديقة، يا (فاروق) بك، لقد تلوث الآنتاج بالكامل ولم يعد يصلح للأستخدام.

توجه (فاروق) نحو الحديقة سيراً بجوار المهندس المسئول الذي راح يشرح له الكارثة التي هم بصددها وقد تملكه الوجوم والذهول وعصف به القلق،أجرى أتصالاً مع مساعده وقال: على الفور أبحث عن شركة ومزارعين نشتري منهم مكونات دفعة أنتاج هذا الشتاء والربيع، أبحث في الأسعار وأبلغني تقريرك،هناك صفقة وقعنا عقودها وإذا عجزنا عن أرسال المنتجات ستكون كارثة.

***

غادرت (جميلة) حجرتها المخصصة لها بعد أن مكثت فيها طوال اليوم وتناولت فيها الغداء وحدها ولكن الآن حان موعد العشاء فأستجمعت شجاعتها وقررت أن تشاركهم المائدة وتتقبل نظرات الخدم نحوها..على الأقل ستكون (جوري) حاضرة وعلى كل حال العائلة لطيفة بأستثناء الأب والأم..كانت كذلك تشعر ببعض الألم في معدتها فتوجهت إلى مائدة الطعام الفخمة وكانت (جوري) تضع الأطباق مع الخدم فغمغمت: معدتي تؤلمني..هل لديك مسكن ما؟

ردت (جوري): بالطبع..في صيدلية الحمام الرئيسي ستجدين مسكن لألم المعدة أمن على الحوامل خذي قرصين.

-شكرًا يا (جوري).

وتوجهت نحو الحمام الذي كان قريبًا من مكتب (أكرم) وأثناء مرورها أتاها صوت (فيروز):انها تتناول الطعام في حجرتها..عندها نعطيها الدواء ونتخلص من الجنين للأبد.

تجمدت في مكانها وخفق قلبها في ذعر..كانت إحدى الخادمات تتوجه نحو المكتب فأكملت طريقها إلى الحمام ودلفت اليه ثم أغلقت الباب ووقفت تفكر فيما سمعته..إنهم يتحدثون عنها حتمًا فمن غير المنطقي أن يكون الحديث عن (جوري)..كانت تعلم أنهما يخططان لشيء ما..التخلص من الجنين بدواء ما..وربما قتلها أو ربما قتلها مع جنينها.

وضعت يدها على بطنها تلقائياً ثم ضربت رأسها بيديها..كم أنتِ غبية يا (جميلة)..صحيح أن هناك العديد من الزيجات تتم بين الطبقات المختلفة ولكن ليست تلك العائلة..من المستحيل أن تقبل (فيروز) بك كزوجة أبنها..بماذا كنتِ تفكرين أيتها الحمقاء الساذجة حينما وقعتي في حب أبنهم..تطلعت إلى نفسها في المرآة..هل أنبهرتِ بحب هذا الشاب الوسيم

الثري؟..دون أن تفكري في العواقب..هل وافقتي على زواج سري بورقة لا معنى لها برغم اقتناعك بخطأ ما تفعلين؟...انتِ تستحقين ما أنتِ فيه الآن..بل تستحقين أن تموتي بالفعل.

غسلت وجهها بالماء ثم غمغمت: محاولة أخيرة..(فارس)..ساعدني،أرجوك،أنت الوحيد القادر على مساعدتي.

ثم غادرت الحمام فوجدت (فيروز) تغادر المكتب وهي تقول لزوجها: ألن تأتي للعشاء..لقد عاد (فاروق) و(يوسف) منذ قليل.

رد (أكرم) من داخل المكتب: سأقرأ تلك الرسالة فقد نسيتها ثم أتي فورًا.

-ليكن.

ثم تطلعت (فيروز) إلى (جميلة) وقالت: تبدين شاحبة..هل أنتِ بخير؟

ردت (جميلة) في ارتباك:ألم..ألم في المعدة..لقد أخذت دواء.

-ممتاز.

وفي مكتبه جلس (أكرم) وتطلع إلى الشاشة ثم ضغط زر فتح الرسالة..كان قد فحصها وتأكد من أنها ليست خدعة أو برنامج تجسس ما وبدأ يقرأ الرسالة "السيد (أكرم أدهم نعمان)..أنا فاعل خير شعرت بالشفقة عليك وأنت تلعب دور الزوج المخدوع أو الرجل الأحمق..أختر ما شئت من القاب...زوجتك يا سيدي تخونك..ومع صديق عمرك (عزمي الدمرداش) والدليل..أحدى أبنائك الثلاثة ليس أبنك في الواقع..بل هو ابن (عزمي) وقد خدعك كلاهما ببراعة ونسبوا اليك هذا الأبن..لن أخبرك من

هو..ولكن إن أردت التأكد من صحة كلامي فما عليك سوى عمل تحليل الدي إن أيه؟...أليس كذلك؟"

أحتقن وجه (أكرم) بغضب وهو يقرأ تلك الرسالة وهتف: ماهذا الُسخف؟

ونهض غاضبًا..هراء..مستحيل أن تقدم (فيروز) على خيانته..إنها تحب المال والثراء وهي خبيثة وداهية وقاسية ولكنها ليست خائنة..مستحيل.

عاد يجلس على المقعد ويعيد قراءة الرسالة ثم قال: ليكن..سأرسل إلى جميع خبراء الحاسوب والشبكات..وسأعرف من أرسل تلك الرسالة السخيفة وسأسلخه حياً.

ثم أسرع يتصل بمهندسي الحاسوب في شركته وأعطاهم التعليمات لمعرفة من أرسل الرسالة ومن أين.

ثم نهض متوجهاً إلى مائدة الطعام بصمت.

***

استرخى (عزمي الدمرداش) في مكتبه..تم تقديم موعد الصفقة وأحضرت له الخادمة كأس وزجاجة الويسكي المعتادة في مثل هذا اليوم وهذا الصباح..اليوم وصلته على الشبكة كل المعلومات من هذان الموظفان الذان يتلقيان منه ملايين الجنيهات..فتح الشاشات العديدة التي تملأ المكتب وفتح الاتصال مع مساعده ثم أمره:أشتري الأسهم كلها.

قال المساعد معترضاً: ولكن تلك الأسهم تنخفض.

-أفعل كما أمرتك.

ملأ الكأس ثم جرعه ودلفت زوجته إلى المكتب فأغلق عينيه..اللعنة على تلك المزعجة..ستبدأ حتمًا في الشكوى والحديث عن أنشغاله طوال الوقت وكأنه مشغول في اللعب لا في العمل من أجلهم ومن أجل القصر الذي يسكنون فيه والسيارات الفارهة التي يركبونها والخدم والمجوهرات و..و..و.

قالت زوجته لتقطع حبل أفكاره:هل تشرب في هذا الصباح الباكر؟..على كلاً أبنتك أعجب بها شاب من النادي..انه ابن رجل الأعمال (..)...زوجته تحدثت معي..

قاطعها: ليس الآن يا عزيزتي...غدًا سأفهم منك التفاصيل.

تطلعت اليه في غيظ ثم غادرت وصفقت الباب خلفها بعنف فعاد يشرب كأساً ثانيًا ويتأمل الشاشات..الأسهم تهبط والجميع يقوم ببيعها بينما هو الوحيد الذي يقوم بعملية الشراء..فالمعلومات التي وصلت اليه أن تلك الأسهم سترتفع خلال ساعات خاصة بعد أعلان وزارة الزراعة ووزارة التجارة عن صفقتين مرتبطتين بتلك الأسهم.

بعد ساعتين كان قد أشترى معظم الأسهم فراح يتحدث بعصبية مع مساعده: أريدك أن تشتري جميع الأسهم..جميعها بأي ثمن.

بعد ساعة أشترى الأسهم كلها بكل الأموال..لا بأس فالمكسب سيكون 600% إن كانت حسابته صحيحة.

ثم ظهر أعلان الوزارتين وتجمد (عزمي) في مكانه وأتسعت عينيه في ذعر..لقد جاءت الأخبار عكس ما كان ينبغي أن يعلن...مستحيل..هل يعقل أن هذان الوغدان كذبا..ولكن كيف ولماذا؟

سقط الكأس من يده وتحولت عيونه إلى أحدى الشاشات التي تعرض تلك الأسهم..تلك الأسهم التي أشتراها كلها بكل أمواله..وشعر بأن قلبه سيتوقف عن الخفقان..الأسهم تهبط بشكلٍ لا يصدق..صرخ في مساعده عبر سماعة الأتصال: بع الأسهم فورًا..بعها بأي ثمن.

راحت قيمتها تنخفض وتنخفض حتى وصل سعر الأسهم إلى الحضيض وإن عرضها مجانًا فلن يشتريها أحد.

بدا يتصبب عرقاً وهو لا يصدق..هذا لا يحدث له..مستحيل..لقد خسر كل شيء..إن باع كل ما يملك من أراضي أو بيوت اوعقارات فلن يكفي لسداد دين (يوسف)...ربما يسدد ديون المستثمرين ولكن.....

والكارثة أن العقد واضح وقد وقع عليه..إن موعد السداد اليوم...اليوم الذي تتم فيه الصفقة هو يوم السداد.

جاءه صوت مساعده: لا أحد يشتري الأسهم يا بك...يابك؟....يا بك؟

***

قال (يوسف) ببساطة وهو يتناول عشائه: سأقوم بإقراض شركة (ورد الجوري) كل المال الذي تحتاجه.

رمقه (فاروق) بنظرات متشككة فأجابه (يوسف) بنظرات باردة متحدية بها لمسة انتصار واضحة.

شعر (فاروق) بالتوتر حقًا،ترى هل شكوكه في محلها؟ هل ل (يوسف) يد فيما يحدث؟ هل هو حقًا يسعى لأمرٍ ما خبيث؟

قالت (جوري): أظن أن لدينا ما يكفي من السيولة، أليس كذلك يا (فاروق)؟

هم (فاروق) بالرد ولكن (يوسف) أسرع يقول: لن تكفي.

قال (فاروق): بسبب تلك الصفقة التي وضعنا فيها أموالنا، الصفقة التي نصحتنا بها.

رد (يوسف) بتحدي:أجل،بسبب تلك الصفقة.

ثم ربت على شعر زوجته برفق وقال: سأشتري 25% من أسهم الشركة بالطبع فلا تقلقي من فكرة الإحراج من طلب قرض مني.

هتف (فاروق): وتملك بعدها 50% من أسهم (ورد الجوري).

بدا التوتر يسري إلى (جوري) من هذا المناخ العدواني المخيم على المائدة وقال (يوسف):نمتلك، فشقيقتك هي زوجتي وابننا هو وريثي.

مضت لحظة صمت وكان (أكرم) واجماً فتساءلت (فيروز): هل قرات الرسالة؟

غمغم (أكرم):أجل..إنها من مساعدي،أخطأت وحسبتها من مجهول.

عادت تأكل ثم قالت فجأة:هذا رائع..(جوري) لم تعودي إلى التهام هذا السمك ،كان مقرفاً للغاية.

ردت (جوري) باسمة:أجل..الآن أصبحت أشتهي شيئًا أخر.

تساءلت (فيروز): حقًا؟...ماهو؟

ردت (جوري):ال...

قاطعتها (فيروز) بغتة متحدثة إلى (أكرم):ألم يتصل (عزمي)؟

صمتت (جوري) وشعر (يوسف) بالغيظ من أسلوب (فيروز) الشرير مع زوجته فرماها بنظرة قاسية ثم عاد يأكل صامتًا.

أما (أكرم) فقد قال في عصبية:ولماذا تسألين؟

قلبت (فيروز) شفتيها..كان من الواضح أن أسلوب رد زوجها لم يعجبها فقالت ببرود:من أجل أموالنا طبعًا.

هنا قال (يوسف) في براءة: هذا صحيح فهو يستثمر لك بعض الأموال..لم يتصل ولم يأتي حتى الآن رغم أن موعد السداد قد حان..أتساءل مالذي حصل؟

ثم تطلع إلى (فاروق) قائلًا:معك حاسوبك..اليس كذلك؟..لم لا تبحث عن أخبار البورصة بعد أن تنهي العشاء..أسف لأني أزعجك.

قال (فاروق) وهو يخرج الحاسوب من جيب معطفه:على الأطلاق..لقد أنهيت العشاء..لحظة.

وراح يضغط ازراره وأرتفع حاجباه وهو يتابع الشاشة ثم قال غير مصدق: (عزمي) خسر كل شيئ اليوم في

البورصة..الخبر يملأ جميع المواقع الأخبارية منذ ساعة.

هتف (أكرم):مستحيل..أنه لم يخسر في البورصة من قبل قط.

وهتفت (فيروز):هذه كارثة.

غمغم (فادي):أبي؟

ولكن (أكرم) تهاوى على مقعده فأسرع (فاروق) نحوه ولكن والده أشار اليه كي يجلس وقال: أنا بخير.

تساءل (يوسف) في براءة: ماذا يحدث؟

همست(جوري) مذعورة: والدي كان يعول على أرباح اليوم.

ثم تقلص وجهها في ألم وأمسكت بطنها...شعر (يوسف) بالخوف عليها

فأسرع يقول: أهدئي ولا تقلقي مطلقًا.

ثم نهض وقال: لا بأس..أموالي موجودة وبوسعك يا عمي أن تأخذ منها ما تحتاج وتردها لي وقتما تستطيع.

ابتسمت (جوري) وتطلعت بحب إلى زوجها.

نهض (أكرم) وقال: أعرف..أعرف..أشكركم يا أعزائي..والآن سأتصل ب (عزمي) كي يأتي غدًا ليفسر لنا ما سنفعل.

ثم غادر إلى مكتبه وقال (فادي) بقلق: هل سنترك بابا لوحده؟

ردت (فيروز) وهي تعود إلى تناول الطعام: سأطمئن عليه بعد قليل.

أما (أكرم) فقد دلف إلى مكتبه وأرسل رسالة إلى (عزمي) بعد أن فشل في الأتصال به ولما أنتهى هز رأسه وقال: أنا أثق ب زوجتي ولكن لنقطع الشك باليقين.

ثم أجرى اتصاله بطبيب العائلة وطلب منه الحضور غدًا.

***

الفصل الثالث عشر

(ابن غير شرعي)

أنبعثت من شفتي (فارس) زفرة حارة وبد على محياه القلق وهو جالس في المكتب بالطابق العلوي يحدق في شاشة الحاسوب ويقرأ بعض تقارير العمل محأولًا شغل عقله عن التفكير في مشاكله الشخصية،لقد تدهورت أوضاع شركة والده وصار مديناً بمبلغ باهظ من الأموال.

طرقت (جميلة) باب المكتب حيث يجلس (فارس) فأتاها صوته: أدخل.

دلفت إلى المكتب وأغلقت الباب ورفع (فارس) عينيه عن الشاشة لثانية يتطلع اليها ثم عاد يتابع الشاشة صامتًا فغمغمت: يجب أن نتحدث في أمرًا هام.

رد بهدوء دون أن يرفع عينيه عن الشاشة: تحدثي.

أخذت (جميلة) نفساً عميقاً ثم قالت: لقد سمعت والديك بالصدفة في المكتب بينما كنت متجهة إلى الحمام..أظن..ما سمعته يدل على أنهم قد قرروا التخلص مني ومن الطفل.

لم تتغير ملامح (فارس) وظل يتابع ما على الشاشة وأكتفى بأن قال: وبعد؟

-ماذا؟

-مالمطلوب مني؟

-ألن تفعل شيئًا؟

-أنتِ فتاة بارعة وأنا واثق من أنك ستفكرين في خطة جيدة هذه المرة أيضًا.

غمغمت مستنكرة: (فارس)؟

-ماذا؟

-ك...كيف..هل سمعت ما قلته لك؟

-أجل..فمرضي لم يؤثر على حاسة السمع لدي.

تمتمت:ألن تفعل شيئًا إذًا؟

هنا رفع عينيه عن الشاشة وبدت نظرة غاضبة في عينيه وإن ظل يتحدث بلهجة هادئة وقال: أولم أفعل شيءً حقًا؟...ألم أتخلى عن أهلي وبيتي وثروتي ومكانتي ومعارفي ورفاقي من أجلك؟

تمتمت وقد بدأت الدموع تتجمع في عيونها:أعرف هذا..وأقدره حقًا..ولهذا فعلت ما فعلت لكي أعيدك إلى حياتك بعد أن كدت أدمرها.

قال (فارس) وقد بدا صوته يرتفع قليلًا:(جميلة) لماذا تعتقدين أنني أحببتك؟

-.....

-لقد عرفت مئات الفتيات ممن هن أجمل وأغنى منك...دعيني أخبرك..الفتى المدلل الوسيم لم يختار في حياته أي شيء

يحبه تقريبًا..أجل..والدتي تدللني جدًا ولكنها مسيطرة بشكلٍ لايصدق..كنت أتمنى دومًا دراسة العلوم..هل تصدقي هذا؟ ولكنها رفضت وجعلتني أدرس التجارة كي أعمل في شركة والدي العزيز.

تطلعت اليه (جميلة) صامتة فعاد يردف:تمنيت أن يكون لي أب وأم يكرسان وقتهما لي..ولكن والدي كان يقضي أغلب وقته في الشركة ووالدتي تتركنا مع المربيات وتهرع إلى النادي أو الجمعية أو صالون التجميل أو المنتجع أو أياً كان.

ثم ضغط بعض الأزرار أمامه فأغلق الشاشة وعاد يقول:أردت حيواناً أليفاً ولكن والدتي رفضت لأنها تخافهم..شربت المخدرات وقضيت سنوات في السهر ومحاوله نسيان واقعي..كنت أخلق لنفسي وقتها عالماً أخر..ووجهت الي كل الأتهامات بأنني تافه ومنحل ومستهتر..والآن هل عرفتي لماذا أحببتك؟

ردت في لهجة أتهام: كي تتحدى أهلك.

ابتسم أبتسامة ضعيفة حزينة وقال: هل هذا ما فهمتيه من كل كلامي؟ لقد أحببتك لأنك الوحيدة التي أعتبرتني رجلًا يمكن الأعتماد عليه والثقة به..أحببتك لأنك أسلمت حياتك الي..لم تنظري الي على أنني منحل ومستهتر وتافه..لقد كنتِ سبباً في تغيري إلى

شخصاً أفضل ،هل فهمتي لماذا؟..هل فهمتي لماذا أنا غاضب منك ولن أتدخل لمساعدتك؟

سالت دمعه على وجنتها وتمتمت: لقد أردت أن تعود إلى حياتك.

هتف هذه المرة بصوت مرتفع جعله يسعل:هل أنا طفل حتى تتخذي قراراتي بالنيابة عني؟..لقد فعلتُ ما أردت وأنا أعرف العواقب وكنت مستعداً لتحملها حتى النهاية...كنت على أستعدادٍ للتنقل من عملاٍ إلى أخر مهما كان حقيراً حتى أجمع مالًا كافياً يتيح لي رعاية أسرتي..كنت مستعداً لحرماني من الثروة ومن القصر وأبدأ معك من الصفر وأعمل وقتها في شركة وأوفر لك بيتاً جميلًا وكان أهلي برغمهم سيأتون محاولين إصلاح العلاقة معي..وإن لم يفعلوا فهذا شأنهم..ولكنك طعنتيني في قلبي.

هتفت: لم يكن هذا قصدي.

رد: بل أنتِ لم تثقي في بالقدر الكافي ولهذا هرعتي إلى والداي لتعقدي معهما أتفاقاً..أنتِ مثلهم لم تؤمني أني قادر على تحمل المسئولية حتى النهاية..ولهذا لاتأتي الي الآن لتشتكي.

ثم عاد يفتح الشاشة وقال: لدي الكثير من العمل..تفضلي بالمغادرة.

تطلعت اليه ودموعها تسيل بصمت ثم استدارت مغادرة.

***

استرخت (جوري) على السرير وأراحت ظهرها على الوسائد المرتفعة ثم أخرجت كتابًا الكترونيًا وبدأت تقرأه بأهتمام...دلف زوجها إلى الحجرة فأرتدى منامته وتطلع نحوها باسمًا ثم قال: لم أعرف أنك تحبين القراءة.

ردت بلطف: انا أعشقها في الواقع..أسفة لأنني لم أخبرك.

جلس بجوارها وقال:لاتعتذري...أنها غلطتي أنني لاأعرف اهتمامات زوجتي.

وتطلع متسائلًا إلى الكتاب وقال: هل هي رواية عاطفية؟

ردت باسمة وهي تنحني حتى يتمكن من رؤية ما تقرأ: إنه كتاب عن الحمل والولادة.

-أه...بالطبع...(نور) ستسرق مني قريبًا كل الأهتمام.

-هههههه..أنت أيضًا عليك قراءة الكتب المخصصة للأباء عن الحمل والولادة والتربية.

-أجل..أجل..سأفعل..فأنا سأكون أبًا رائعًا.

-ألا تحب القراءة؟

-كنت أعشقها قديمًا...كنت أقرأ كتابًا على الأقل يوميًا.

-وماذا حصل؟..أعني لماذا توقفت عن القراءة؟..فأنا لم أرك تقرأ أي كتاب منذ تزوجنا تقريبًا.

تطلع اليها قليلًا ثم قال:لقد تغيرت كثيرًا.

أغلقت الكتاب واستدارت نحوه وأسندت رأسها على يدها وهي تتطلع اليه صامتة فابتسم قائلًا: أنتِ دائمًا تُبدين الأهتمام وبدون ضغوط.

غمغمت باسمة:هل تغيرت إلى الأفضل؟ أم الأسوء من رأيك؟

ابتسم وقال:وكأنني مع طبيبة نفسية..همم..أظن أنني لا أعرف حقًا.

-كيف كنت في السابق؟

-ساذجاً..مثالياً...ضعيفاً.

قالها بشيء من المرارة فقالت:والآن..هل أصبحت لئيماً..واقعياً..قوياً.

رد باسمًا: لئيماً؟..كلا..لنقل أنني لم أعد ساذجاً.

قالت: لم تكن شخصيتك سيئة كما تصفها..لا أدري لماذا تغيرت؟ ولكنني كنت لأحبك بنفس القدر وربما أكثر.

-أعدك أن أخبرك قريبًا كل شيء.

-هل تعني أنك تخفي سرًا؟

تساءل: وماذا عنك؟..لم تتغيري عما كنت عليه مثلاً منذ عشر سنوات.

-كلا...طبيعتي ظلت كما هي.

-أجل..أنت تذكرينني كثيرًا بوالدتي..أعني في السابق..وبنفسي كذلك.

-أخبرتني من قبل..أظن أنني كنت لأحب والدتك كثيرًا في السابق.

رد بشرود: وهي كانت لتحبك كثيرًا..أعني في السابق.

ووضع يده على بطنها وقال: وكانت لتحب حفيدها كثيرًا.

قالت بحيرة: كلامك يشعرني أن طنط (بيرين) لاتحبني.

ابتسم وقال: لم يكن هذا قصدي..ولكن مهلًا...ماهذا الكتاب بجوارك؟

ومد يده يتأمل الغلاف ثم قال باسمًا وقد بدأ يستعيد بعض ذكرياته الماضية: رواية (مرتفعات ويذرنج)، شاهدت الفيلم منذ

سنوات مع والدتي، أعتبرُت وقتها البطل شخصية حقودة،ولكنني الآن غيرت رأي.

-حقًا؟

-لقد تعرض للظلم ومن حق المظلوم أن يحظى بالعدالة والآنتقام ممن ظلمه إن لم يكن بطرق قانونية فبأي طريقة.

قالت وهي تتفرس في ملامحه بأهتمام:لا أتفق معك،البطل في النهاية خسر كل شيء رغم أنه حقق أنتقامه كما يظن.

-ولكنه أنتقم.

-الآنتقام سلاح ذو حدين فهو سيجرح المظلوم كما يجرح الظالم.

مط شفتيه وأجاب:لاضير طالما سيجرح الظالم.

أتسعت عيناها قليلًا ثم غمغمت: أنت وعدتني بأن تخبرني بما حدث معك.

-وسأفعل قريبًا.

***

في اليوم التالي ظل أفراد الأسرة بالمنزل..فقد كان هذا يوم الجمعة وهو يوم العطلة..أستيقظ (فادي) باكراً فأنهى واجباته كلها ثم في الساعة الثامنة صباحًا راح يتوسل في لهفة إلى (فاروق) كي يسمح له باللعب على جهاز الألعاب فوافق باسمًا وعلى الفور هرع إلى أخته التي هبطت من حجرتها للتو وهي تتثاءب وهتف: تعالي العبي معي حتى يتم تحضير الأفطار.

غادر (فارس) حجرته وقد بدا في حالة أفضل وأكتسى وجهه بأشراقة وقلت نوبات السعال وهبط بدوره فجلس في الصالة وراح يتابع لعبة أخيه وأخته شارداً.

بدأ الخدم يرصون على المائدة اكواب الحليب وفناجين القهوة والأفطار.

هبط (يوسف) وبعده (أكرم) مع زوجته وأجتمع الجميع على مائدة الأفطار بعد نصف ساعة وكان وجه (جميلة) يوحي بأنها قضت ليلتها في البكاء..علقت (فيروز) وهي تتأملها: تبدين مرهقة يا عزيزتي..حاولي أن تسترخي من أجل الجنين

كانت (جميلة) شاردة تمامًا فلم تعلق.

قال (فاروق):ما رأيكم ان نخرج اليوم جميعًا للنزهة في مكانًا ما؟

هتف (فادي) متحمساً: أجل.

ردت (جوري): فلنذهب إلى حديقة الشركة.

شحب وجه (فاروق) لأنه لم يخبرها بعد وغمغم: بل نذهب إلى مكان جديد.

كان (فارس) يتجاهل (جميلة) تمامًا مما أغضب (جوري) بينما جعل عيون (فيروز) تلمعان في سعادة وهي تنظر نحو زوجها بما يعني "ألم اقل لك".

لما أنتهى الأفطار وصل طبيب العائلة بناءً على طلب (أكرم) وجاء الخادم ليعلن عن وصوله فقالت (فيروز): لماذا جاء الطبيب؟..هل أنت من طلبته يا (فارس)؟

هز رأسه نفياً وقال (أكرم): أنا من طلبته..سوف يأخذ عينات من دمائنا جميعًا لفحصها.

قالت (فيروز): ولماذا؟..هل نحن مرضى؟

رد (أكرم): أشعر بالقلق وأريد أن أطمئن.

ردت (فيروز) بعصبية:أنت تعرف أنني أكره الأبر..ثم أننا قمنا بالفحص السنوي أول العام في يناير.

رد (أكرم) بأصرار:الأبر ألكترونية ولا تسبب أي ألم..هناك تحليل دم نسي الطبيب القيام به وكان محرجاً وهو يخبرني.

قالت بغيظ: طبيبًا أحمق.

دلف الطبيب إلى الصالون مع الممرض وجاء أفراد الأسرة وبدأ ياخذ مع الممرض عينات الدم من الجميع كما أتفق مع (أكرم) وهو يعتذر عن نسيانه لأحد تحاليل الدم ثم نهض باسمًا وشكرهم وأعطى العلبة للممرض ليسبقه إلى السيارة وقال: (أكرم) بك...أريد أن أخبرك عن أمرًا هام.

نهض معه (أكرم) ليوصله إلى الباب ومنه إلى السيارة ثم قال: كما أتفقنا.

-أجل يا بك..ولكن هل أنت متأكد؟

-بالطبع،أريد النتيجة بأسرع وقت.

-سيستغرق الأمر يومين.

-هراء...أريد النتيجة أسرع من ذلك.

-يا بك..نحن مضغوطون للغاية

-معك حتى الغد.

-ولكن هذا يعني أن نعمل عليها 24 ساعة دون راحة وهو أمر صعباً للغاية.

-سأدفع لك تعويضاً ولكن أمنحني النتيجة خلال يوم.

رد الطبيب في أستسلام: سأحاول.

-وهذا سر طبعًا.

-بالطبع يا بك.

ثم ركب سيارته مغادرًا بينما دلفت سيارة (عزمي) فقال (أكرم) لنفسه: شرفت يا بك.

كان مظهر (عزمي) رثاً وعيونه منتفخة وبدا في حالة غير معتادة بعد أن كان شديد التعالي والغرور.

غمغم بشحوب وهو يصافح (أكرم) ويتوجه معه إلى داخل القصر:مرحبًا صديقي العزيز..الوضع صعبٌ للغاية.

رد (أكرم) بعصبية: لم لاتجب على أتصالاتي؟..أدخل هيا.

جلس (عزمي) في الصالة فنهض (فاروق) وقال: أنا ذاهب إلى المكتب قليلًا.

وقالت (جوري) في ترحاب: مرحبًا عمو..كيف حالك؟ وحال (أسيل)؟

-ب..بخير.

قال (يوسف) فجأة: معذرة ولكن..أريد أن نتحدث في العمل وحدنا.

نهض (فارس) قائلًا: سألعب مع (فادي)...فقد أشترى لعبة جديدة.

وغمغمت (جوري): كنت سأذهب لرؤية الأزهار على أية حال.

ظل (أكرم) جالساً ووضعت (فيروز) ساقاً على ساق وقالت بتحدي: سأظل..أنها أموالنا.

مضت لحظة صمت ثم قال (أكرم):هل تشرب قهوة يا (عزمي)؟

رد (عزمي): كلا..أجلس من فضلك..كما تعلمون لقد منيت أمس بخسارة رهيبة وغير متوقعة..ولكنني حتمًا سأعوض الخسارة..أنتم تعرفونني..أليس كذلك؟..أنه أنا...وحش البورصة.

هتفت (فيروز): نحن على وشك أعلان إفلاسنا..لقد خسر (أكرم) المناقصة وخسر أمواله في البورصة بسببك..لقد ضاعت أموالنا..ماذا ستفعل؟

قال (عزمي) في ضيق:الخسارة لنا جميعًا،أنا قد خسرت الكثير وسداد أموال بعض المستثمرين تقتضي مني أن أبيع العديد من أملاكي .

قال (أكرم): ماذا سنفعل في تلك الكارثة؟

رد (عزمي): سنعبر تلك الأزمة.

ظل (يوسف) يتابع حديثهم صامتًا هادئاً ثم وبلهجة هادئة قال:(عزمي) بك.

تطلع اليه الجميع وقال (عزمي) بشحوب: (يوسف) بك..أنا حقًا..

قاطعه (يوسف) بلهجة هادئة صارمة وملامح هادئة تخفي الكثير من أنفعالاته الحقيقية:كان يجب أن أستلم أموالي بالأمس وقد أتصل المحامي وطلب أذني ليبدأ في الأجراءات القانونية ولكنني أمرته أن ينتظر قليلًا حتى ألتقي بك وأتكلم معك.....أريد أموالي الآن.

تطلع (أكرم) نحو (عزمي) الذي غمغم:هذا...أعني أنه مستحيل...أنت تطلب مني كل ثروتي...إذا دفعت الشرط الجزائي.

رد (يوسف): غدًا سيبدأ (كامل) بالحجز على ممتلكاتك وجميع أموالك ومشاريعك.

ونهض بهدوء ليغادر الحجرة أما (عزمي) فكان يبدو كالفأر المحاصر وغمغم: تعرف أنني لن أستطيع سداد المبلغ..أعني..هل نسيت صداقتنا و...

-أي صداقة؟...في عالم الأعمال لا يوجد مكان للعواطف ثم..أنا أعرفك منذ أقل من عام ومعرفتي بك ليست بهذا العمق الذي يجعلني أتنازل عن مبلغ كهذا من أجلك..أليس كذلك؟

-كنت...ا....أعني أن عليك أن تمنحني وقتٍ.

- تذكر أنني لم أكن راغباً في أي صفقات أخر مرة وأنت من صمم ومنحتني وعود لا تنتهي بالربح المؤكد.

زاغت عينا (عزمي) وأسقط في يده فغمغم: لن تستفاد شيئًا إذا دخلت أنا السجن وثروتي كلها لن تُكمل مبلغ الدين.

فتدخل (أكرم) وقال: أعرف أنك تربيت في أوروبا ولم تعتاد على العواطف في العمل..ولكن من أجلي..ألا يمكنك أن تمنحه مهلة.

مط (يوسف) شفتيه وقال:لا.

ثم غادر الحجرة ولما ولاهم ظهره وأيقن أن أحدًا منهم لن يلمحه ابتسم أبتسامة أنتصار واسعة، لن يستفاد شيئًا كما يظن (عزمي)،بل هو حقق مبتغاه تقريبًا،غادر القصر وقال ل (جوري) التي كانت تتفحص النباتات في حديقة القصر أنه ذاهب في زيارة سريعة لوالدته وسيعود بعد ساعة.

***

قال (كامل): بدأت في الأجراءات،قريبًا سيفقد (عزمي الدمرداش) ثروته وسطوته وستنتهي أسطورة وحش البورصة.

بلهجة مرحة قالت (بيرين): وقريبًا خلال أسبوعين على الأكثر سيعلن (أكرم النعمان) أفلاسه، وأنت الآن يا (يوسف) صرت تمتلك 50% من أسهم شركة (ورد الجوري).

رد (يوسف): أشتريتها ولم أستولي عليها.

-حسبتك ترغب في الشركة كلها.

-عندما فكرت في الأمر وجدت أن هذا غير عادل، ف (جوري) لها نصف الشركة ورثتها عن والدتها التي كانت شريكة لوالدي و (فاروق) بذل سنوات من الجهد والعمل للحفاظ على مكانة الشركة.

ظل (كامل) صامتًا يصغي إلى المحادثة وقالت (بيرين): أتضح أن أحد أبناء (أكرم) هو ابن (عزمي الدمرداش) يا (كامل).

رد (كامل): أجل، أخبرتِني يا هانم.

رفع (يوسف) عيناه نحوها وقال: أنتِ أبلغتِ عمي ولهذا قام اليوم باستدعاء الطبيب والحصول على عينات دم من أفراد الأسرة بحجة الأطمئنان على صحتهم.

-أجل.

-طلبت منك ألا تفعلي.

ردت بحدة: دعه يعرف حقيقة المرأة التي ضحى بضميره وورط نفسه في عملٍ قذرمن أجلها..وقتل أخوه وأبنتي وحاول قتل ابن اخيه..أم أن (جوري) وبرائتها وأبتسامتها قد أنستك دماء والدتك ووالدك وجيرانك ودماء العديد من الأبرياء.

-أنا لم أنسى...ولكنني أردت فقط أن ينحصر أنتقامي في أشخاص معينين..مالخطأ في ذلك؟

ردت باسمة:الخطأ أن الآنتقام نار تحرق كل ما أمامها بدون تمييز..أنت أخترت الطريق فاستمر فيه إلى النهاية.

-وهل أنتِ متأكدة أن هذا الأبن هو ابن (عزمي الدمرادش) فعلًا؟

-أجل.

نهض (يوسف) وقال: بما أن أخبار خسارته تملأ كل مكان فولاء رجاله الآن سيتجه لمن يدفع لهم أكثر.

هتف (كامل) و(فيروز) معًا: عرفت كلمة السر؟

-أجل.

قال (كامل) محذراً: ليس أمامك سوى فرصة واحدة،وإذا كانت كلمة السر خطأ فستنفِجر الِخزانة وأنت واقفٌ أمامها.

رد: وماذا سيحدث وقتها؟..(يوسف سليمان) أو (إياد النعمان)..كلاهما ميت.

ثم استدار مغادرًا وظلت (بيرين) ترمقه وهو يغادر ثم تنهدت
وقالت:(كامل)..أسمعني،أريد منك أن تقوم ببعض الأشياء من أجلي.

-بأمرك.

***

جلست الأسرة تتناول الغداء وقال (فاروق): هذا الرجل كل حياته حرام وأعماله مشبوهة..في النهاية أصبح مديوناً عاجزاً..لاشك أنه كان يتلاعب بالبورصة وأنه كان يسرق المعلومات وحتمًا جاءته هذه المرة معلومات خاطئة ضيعته.

قالت (فيروز) في ضيق: كف عن الشماتة.

رد (فاروق): لست شامتاً ولكنني أعرف هذا الرجل..أخبريه أن لايحلم بأن يمد يده على مليم من أموال أختي..فلن أقرضه قرشاً.

قال (أكرم):وأنا صديقه وأستثمر معه الأموال،هل تعني أنني أقوم بأعمال مشبوهة؟

غمغمت (جوري): توقفوا عن الشجار.

أكتفى (يوسف) بالأستماع إلى مايقال وهو يكتم ابتسامته..أصبح أفراد الأسرة متوتري الأعصاب في الأونة الأخيرة، أتته رسالة شكر على هاتفه من (نبيلة) تشكره لأنه أنتقم من (عزمي)، هي لم ترى شيئًا بعد.

أنتهى الغداء وجلسوا في الصالة وفتحوا التلفاز ونهضت (فيروز) قليلًا ثم عادت وهي تحمل كوباً من الحليب بالقهوة ووضعته أمام (جميلة) قائلة: تناوليه.

تطلعت (جميلة) في ذعر إلى الكوب فقال (أكرم): انتي لاتأكلين جيدًا ولا تشربين الحليب لهذا فكرنا أنا وعزيزتي (فيروز) أن إضافة بعض القهوة قد تساعدك على تناوله دون اشمئزاز.

هتفت (جميلة): كلا..لا أريد..شكرًا.

ردت (فيروز) بحدة: أنتِ لاتأكلين تقريبًا..هل تحاولين قتل حفيدي من الجوع..أشربي هيا.

أنكمشت (جميلة) في مقعدها وغمغت: لا أشعر برغبة في...

قاطعها (أكرم): بصرامة: أشربي.

وهتفت (فيروز):هيا..بعد قليل سنعطيك بعض الطعام.

تطلعت (جميلة) بفزع إلى (فارس) ولكنه كان منتبهًا إلى التلفاز ولا يلقى بالًا لمَ يحصل وقالت (جوري) محاولة تلطيف الموقف:أمنحوها بعض الوقت..أحيانًا تشعر الحامل بفقدان شهية تام.

ردت (فيروز): لا تتدخلي يا (جوري) فهي لم تأكل شيئًا منذ الصباح.

كانت (فيروز) قد وضعت قرص الدواء الذي وصل اليوم صباحًا في الحليب وأضافت بعض القهوة كي تخفي طعم الحليب الذي تغير قليلًا.

أمسكت (جميلة) الكوب بيد مرتجفة وحاولت أن تسقطه ولكن (فيروز) كانت تمسك الكوب وتتطلع إلى (جميلة) بحدة فرشفت (جميلة) من الكوب رشفة بسيطة وغمغمت: شكرًا.

قالت (فيروز) بلهجة أمرة شرسة: أكملي المشروب.

هزت (جميلة) رأسها في ضعف وتمتمت: لا أستطيع فمعد..

هنا نهض (فارس) بغتة وتوجه نحوهما وجذب الكوب برفق من يد والدته ووضعه على المنضدة وقال: (جميلة)..لا أريد رؤية وجهك،غادري المنزل فورًا إلى منزل والدتك.

هتفت (جوري) مستنكرة: (فارس).

وطأطأ (فاروق) بلسانه ولكن (فارس) قال بلهجة حادة: إذا لم تغادري فورًا والآن فسُأطلقك.

دون كلمة وقد تجمعت الدموع في عينيها نهضت (جميلة)،كانت الدموع قد فارقت مقلتيها وسالت على وجنتيها بصمت،

دموع تحمل الحزن والندم والأمتنان ثم تمتمت: سأفعل.

نهضت (جوري) وكانت تنوي منعها من المغادرة ولكن (جميلة) أسرعت تقول: أريد أن أغادر بالفعل.

واستدارت مغادرة القصر وقال (فاروق) ساخطاً: هل جننت؟

رد (فارس) وهو يتطلع إلى أخيه مباشرة:هذا أفضل لها.

عقد (فاروق) حاجبيه وهو يتساءل إن كان والديه يخططا لأمر ما.

تعكرت الأمسية بعد كل تلك الأحداث وتأمل (يوسف) كل من حوله،عندما كان يعيش مع والدته كان دومًا يتمنى أن يكون لديه أقارب وأخوة يمرح ويمزح معهم..هم بالفعل أقربائه وأبناء عمه..شعر بالغثيان..غيظ عارم ملء صدره أتجاه عمه..إن كان انسانًا..لو أنه فقط أحب أخاه ولم يورط نفسه في دمه..لتغير الوضع...لنشأ (يوسف) الآن في هذا القصر..لكان (إياد) يعيش مع (جنى) الآن في جناحهما الخاص..ولقضى (يوسف) طفولته يلعب مع (جوري) وأخوتها ويشاركهم الأفراح والأحزان..ولكن مضى الوقت الآن على تلك الأماني وبالطبع فتلك الأمال بلا جدوى على أرض الواقع.

كان (يوسف) مستلقياً بجوار زوجته فقال: زوجة أبيك..أتمنى حقًا أن أكسر رأس تلك المرأة.

غمغمت:لا بأس..أنا أشفق عليها حقًا.

قال مستنكرًا: تشفقين عليها؟

ردت: لم تتزوج من شخصاً عن حب بل من أجل أن تعيش مستريحة...لم تستطع أن تعتني بأولادها مثل أي أم رغم حبها لهم..لاترضى أبداً مهما حصلت على الأشياء الثمينة..ليست لدي فكرة عن طفولتها ولكنني لاأظن أنها حظت بطفولة سعيدة.

-هذا ليس عذراً.

-بالطبع...ولكنها تمتلك نعماً كثيرة..زوج يحبها..أبناء رائعين..ثروة عظيمة وحياة مريحة ومع ذلك...لديها القدرة على الحقد والكره واللؤم وهو ما يؤكد لأي شخص أنها أنسانة تعيسة،يكفي فقط أنها ليست راضية أو منتبهة لنعم الله عليها.

وقال (يوسف) وهو يتحسس شعرها:لك وجهة نظر في الناس مميزة..وقدرة على التسامح لم أرها من قبل..أنا حقًا أحبك يا (جوري).

-وأنا أحبك من كل قلبي.

وفي المساء ذهب الجميع للنوم وظل (أكرم) متيقظاً حتى جاء صباح يوم السبت وكانت (فيروز) جالسة في الصالة تقرأ مجلة فلما رأت كلاهما باسمين متشابكي الأيدي أطلت من عينيها نظرة غيظ تحولت إلى نظرة غل حينما رأت (فارس) يغادر القصر هاتفًا:سأذهب لزيارة زوجتي وطنط (ملك).

أطلت نظرة أستنكار من عيني (فيروز) وهي تصرخ لنفسها: طنط!!!.

ثم نهضت في عصبية وتوجهت إلى مكتب زوجها الذي كان جالسًا في حالة شرود يفكر فاندفعت إلى المكتب ثم أغلقت الباب وقالت: فلنقتلها.

تطلع غليها (أكرم) ثم قال: عما تتحدثين؟

ردت وهي تجلس: فلنقتل تلك الحقيرة..(جميلة)...أنت لم تر ابني منذ قليل قالآنه ذاهب لزيارة (ملك).

بدا الضيق على وجه (أكرم) ثم قال:هل تظنين أنني زعيم عصابة؟ أقتل الناس عندما أرغب في ذلك.

تطلعت (فيروز) نحوه تتفحصه، ثم قالت: أنت متعكر المزاج منذ أول أمس ولا أعرف السبب.

رد ببرود: لاشيء، أنتِ تتوهمين.

-كلا، منذ أول أمس وأنت لست على مايرام.

-أعذريني أن كان إفلاسي قريبًا يثير توتري، ثم ما الذي تتوقعين أن نستفاده من قتل (جميلة)..هل تريدين أن تفقدي (فارس) إلى الأبد؟

-نفقده!! ألا يمكنك أن تجعل الأمر يبدو كحادث.

-حادث؟ إن أصيبت بنزلة برد فسيتهمنا ابنك بأننا سببنا لها ذلك، تلك هي نهاية تدليلك لهذا الولد..كل أبنائي غرباء الأطوار ولا أدري ما السبب.

هتفت في حدة: ماذا تعني؟

رد في غيظ: (فاروق) لا أنا ولا أنتِ نتفاهم معه مطلقًا وكل آرائه عكس آرائنا طوال الوقت..(فارس) يفعل كل ما يثير غيظنا وجنوننا..(فادي) لن نعرف حتى يكبر قليلًا وإن كان هو الوحيد الذي يبدو طبيعيًا بعض الشيء.

ثم زفر في ضيق وأردف: سنستمر في خططنا الأصلية وهي إجهاض الجنين وبعدها قد نتخلص منها ونجعل الأمر يبدو وكأنه انتحار بسبب حزنها ولكن علينا أن نعد خطة محكمة لا تشوبها شائبة ولا تجعله يشك فينا للحظة، ولكنني لن أكون مسئولاً إن أصر على الشك بنا وخسرناه إلى الأبد والآن هلا تركتيني أستكمل عملي.

حدقت فيه (فيروز) في حيرة..لقد كان نادرًا ما يعاملها بتلك الطريقة الخشنة قليلًا..نهضت تغادر وهي تتساءل هل أزمته المالية هي السبب أم أن هناك شيء ما آخر.

أما (أكرم) فما أن غادرت حتى أسرع يتصل بالطبيب وبعد ثوان ظهرت على شاشة الحاسوب صورة الطبيب فقال (أكرم) في لهفة: النتيجة؟

بدا الارتباك على على وجه الطبيب وقال: الواقع أن نتيجة الفحص قد ظهرت فعلًا..أمهلني دقيقتين كي أرسل لك التقرير.

-وماهي النتيجة؟

-سيكون التقرير لديك خلال دقائق يا بك.

وأنهى الطبيب المكالمة.

أتسعت عينا (أكرم) في ذعر، مستحيل.. إرتباك الطبيب وتهُربِه من الإجابة ليس له سوى معنى واحد.

نهض (أكرم) متثاقلًا..غادر مكتبه مذهولاً فيروز) قد أقدمت على خيانته.. بعد كل مافعله من أجلها..أحد ابنائه ليس ابنه..ترى من منهم.

توجه نحو الحمام القريب من مكتبه..بالطبع ليس (فاروق) فهو يشبه أباه وجده وقليلًا من عمه..هذا الشعر الداكن المموج والعيون الداكنة والابتسامة الطيبة..كلها ملامح عائلة (نعمان).

غسل وجهه بالماء البارد وهو يفكر..إذًا..هل هو (فارس)..أجل هذا الفتى عابث وتبالغ والدته في تدليله..صحيح أنه تغير كثيرًا للأفضل في الآونة الأخيرة ولكن ماذا عن ملامحه.. أجل.. إنه يملك عيون زرقاء وشعر بني حريري وبشرة بيضاء مشربة بالحمرة.. إنه نسخة من والدته وكأنه حصل على مظهره كاملًا منها دون أبيه.

راح (أكرم) يحدق في المرآة.. ربما هو (فادي).. الفتى ذو العيون العسلية والملامح التي لاعلاقة لها لا بأمه ولا بأبيه، ربما يشبه والدته إلى حد ما وقد ذَكرت (فيروز) من قبل أنه يشبه والدتها التي لم يلتقي بها (أكرم) من قبل ولم يرى لها حتى صورة أو فيديو.

عاد بخطوات متثاقلة إلى مكتبه.. توجه إلى المقعد وجلس وتطلع بعيون زائغة نحو الشاشة.. التقرير قد وصل.. ضغط زر الطبع ثم ضغط زرًا جانبيًا.

خرج من آلة الطبع التقرير فراح يقرأه ويقلب صفحاته، وخفق قلبه وبدت نظرة نارية تطل من عينيه..ثم سحق الورق بين يديه ومزقه والقاه في الأرض، ونهض كالمجنون والشرر يتطاير من عينيه مغادرًا مكتبه وصرخ في وجه خادمة كانت تمر:أين الهانم؟

ردت الخادمة مرتبكة: ذهبت إلى المنتجع الصحي وستعود مساءً.

-عليها اللعنة.

انتفض جسد الخادمة من صوته المرتفع ثم أسرعت الخطى إلى وجهتها.

***

جلس (عزمي) في مكتبه صامتًا...ليس أمامه حل أو خيار سوى بيع أملاكه كلها بلا استثناء وسحب أمواله وعندها فقط سيتمكن من تسديد ديونه بما فيها جزء من أموال (يوسف)..وبعدها سيدخل إلى السجن حتمًا،هذا ما لم يبدأ (يوسف) بالحجز على ممتلكاته..ربما عليه أن يهرب من الاتحاد بأمواله ويبدأ من جديد..هذا حلٌ لا بأس به ولكن ثمة حل آخر أفضل..أن يتنازل (يوسف) عن أمواله..ولايمكن لأحد إقناعه بهذا الحل الغير منطقي ولا العقلاني سوى (جوري) فحبه لها واضح، ولكن مهما كان يحبها فمن غير المعقول أن يتنازل..ولكن ماذا عن ثروة (جوري)، إن ثروة الفتاة

كاملة بشركتها بكل شيء يمكن أن تساعده، إنها فتاة عاطفية وستقبل بمنحه كل ثروتها مقابل.. مقابل ماذا؟

أجل، مقابل أن يعطيها الذاكرة الالكترونية التي إن نشرها لن تقضي عليه وعائلته وحده.. بل ستقضي على عائلتها بالكامل.

هز رأسه..لقد جن..أتلك حقًا هي الخيارات المتاحة..أن يهرب خارج البلاد بما تبقى من ثروته أو يساوم الفتاة على الذاكرة التي لاتعرف عنها شيئًا والتي تُورطه هو شخصياً مثلما تُورِط (أكرم) و (فيروز).

نهض متوجهاً إلى الصالة حيث جلست زوجته تتابع التلفاز بينما أبنائه في النادي وجلس بجوارها فتتطلعت اليه بأستغراب ثم عادت تتابع وقال: عزيزتي..أنا...

قاطعته بحدة: لن أعطيك ذهبي لتبيعه ولا الألماس فلا تحلم..حل مشاكلك التي ورطت نفسك فيها بعيدًا عني.

قال في غيظ: أي ذهب وألماس؟ هل تظنين أنه يكفي لسداد ربع الديون حتى؟ لو أن ابنتك الغبية تمكنت من الأيقاع ب(يوسف) أو ابنك الأحمق تزوج من (جوري) لحللت جميع مشاكلي.

هتفت في غضب:لا تلقي اللوم على أبنائك..عملك الذي كنت تقضي حياتك كلها متجاهلًا أيانا من أجله هو من قضى عليك.. حان وقت أن تدفع ثمن أخطائك.

نهض من جوارها ورد في حدة: لا أمل سوى أن نغادر الاتحاد كله.

-ماذا؟

-لنأخذ أموالنا المتبقية وذهبك ومجوهراتك ونهرب من مصر والاتحاد العربي كله.. لنذهب إلى آسيا أو أوروبا..إلى دولة لا تسلم المطلوبين..هذا هو الحل الوحيد.

ردت ببرود: أنا لن أترك أهلي وأقاربي من أجلك.. أنت لم تضحي في حياتك مرة واحدة من أجلي والآن تريد مني أن أهرب..وما شأني أنا بمشاكلك.

-الست زوجتي؟

-ليس بعد الآن يا حياتي، لقد أنتهيت من تجاهلك لي وقد كبر الأبناء بما يكفي، يمكنك أن تطلقني وتهرب حيثما شئت..بيت والدي موجود ولدي ميراثي من والدتي رحمها الله..ولكنك لن تلمس مجوهراتي ولا ذهبي..ولا بيتي هذا..والآن لا تعطلني فكما ترى أنا أشاهد فيلمًا رائعًا.

وقف (عزمي) مذهول..ولكنها تجاهلته تمامًا فراح يسب ويلعن ثم غادر عائداً إلى مكتبه.

***

رحبت (ملك) ب (فارس) بحرارة وقال وهو يخرج من جيبه مظروفاً: هذه أموال من أجل (جميلة) والطفل فقد أرسلُتها اليكِ ونسيت أن أمنحها المال.

خرجت (جميلة) من حجرتها اليه ونهضت (ملك) وقالت: سأعد بعض الشاي.

مضت لحظة صمت ثم نهض (فارس) وقال: إلى اللقاء.

فهتفت (جميلة) في لهفة: مهلًا.

تطلع اليها صامتًا فقالت: أريد..أن أشكرك من كل قلبي..زواجك مني كان كل ماأتمناه حقًا وحمايتك لي وللطفل والنفقة.

رد بلا مبالاة: كان هذا هو الأتفاق..اليس كذلك؟

-.....

-فقط قمت بأستعجال الأمر حتى أنتهي بسرعة.

قالت وقد بدأت الدموع تتجمع في عينيها من جديد:أعرف أنك فعلت هذا كي تحميني.

رد: على كل حال نحن سننفصل بعد 6 أشهر..أليس هذا ما تريدينه؟

-كلا...ليس هذا ما أريده أبدًا.

-ألم تتفقي مع والداي على زواج مدته 6 أشهر؟

-(فارس)..أرجوك توقف عن معاملتي هكذا..أنا حينما فكرت في حديثك أدركت أنني أخطأت فعلًا وجرحتك بشدة ولكن اقسم بالله لم يكن هذا هدفي..كنت فقط أرغب في أن أراك سعيداً من جديد ولم أكن أريد أن تكرهني يومًا أو تلومني..وأنا حقًا..أسفة..اسفة..أسفة.

ثم سقطت على ركبتيها وأنفجرت الدموع من عيونها بغزارة.

تنهد (فارس) ثم ركع بجوارها وربت على رأسها وناولها المنديل وقال: لا بأس..أنا لم أعد غاضبًا الآن فهوني عليك..هه..من أين تأتي البنات بكل تلك الدموع..هل يمتلكن بئراً خاصاً داخلهن؟

ابتسمت برغمها وهي تمسح دموعها فعاد يقول:أنتِ حمقاء..ما كنت لأكرهك أبداً.

ثم أنهضها وجذبها برفق ثم توجه إلى الباب فتمتمت:إلى أين؟

قال باسمًا:بحثاً عن منزل طبعًا..أين تبيت الزوجة إن لم يكن مع زوجها.

ابتسمت وقال: أمكثي مع والدتك لفترة حتى أنظم أموري..ثقي بي هذه المرة.

-سأثق بك دومًا.

***

الإنتقام طبق يقدم باردًا.

هكذا فكر(أكرم) وهو جالس في مكتبه وقد أغلق الباب على نفسه...سوف يقتل (فيروز) ويمزقها أرباً أرباً ولكنه سيحرق قلبها أولًا...عليه أن ينتقم من (عزمي) كذلك..ذلك الشيطان الحقير الذي كان يعتبره صديق عمره وتآمر معه لقتل أخوه خانه مع زوجته الحقيرة..إن قتله للأثنين لن يشفي غليله...يجب أن يراهم منهارين محروقي القلب أولًا لذا عليه أن يهدأ ويفكر في خطة..خسارة حقًا..كان يحب (فادي) ويعتبره أبنه حقًا..كان يراه الوحيد الطبيعي في أبنائه ثم يتضح الآن أنه ليس أبنه.

لقد قامت بخيانته إذًا منذ 17 عامًا في الفترة التي كانا يتظاهران فيها بالآنفصال..الوقت الذي كان متزوجاً فيه من والدة (جوري).

نهض بهدوء شديد وكان المساء قد حل وأخيرًا عادت (فيروز).

موعد العشاء وعليه أن يخرج لتناوله مع العائلة ويتظاهر أن كل شيء على مايرام.

جاءت (جوري) ابنته الطيبة التي أذنب في حقها حقًا فجلست وجاء (يوسف) وبعد قليل (فاروق)..جلس (فادي) وراح يتحدث في مرح وبصوتٍ مرتفع فقال (أكرم) في عصبية: كف عن الأزعاج.

تطلع اليه الجميع في حيرة وأحمر وجه (فادي) قليلًا ولكنه صمت.

جلست (فيروز) وكانت قد صبغت شعرها بلون أحمر جعلها فاتنة برغم أنه لون شبابي وحقنت وجهها فتسطحت التجاعيد وبدت جميلة كالعادة ومالت على (أكرم) هامسة في أذنه:ما رأيك في لون شعري الجديد؟

غمغم: رائع.

كانت تلك الحركة قديمًا تجعل قلبه يخفق ولكنه الآن لم يتأثر..كان منذ البداية يدرك أنها تتزوجه من أجل ماله قبل كل شيء فهو ليس أحمق ومع ذلك لم يمانع..لقد أحبها منذ رأها..وأراد أن يتزوجها..ومن أجلها فعل الكثير وتغير كثيرًا.

قال (أكرم) بغتة: لقد أعددت لكم مفاجأة.

تطلع اليه الجميع متسائلًا فأضاف: الشاليه في الأسكندرية...أمرت الحارس هناك بتنظيفه وأخبرته أن أبنتي وزوجها وأبني وزوجته سيقضيان فيه يومًا...أعني على سبيل الأحتفال بزواجك يا (فارس) وعلى سبيل الأستجمام يا (جوري) وأنت أيضًا يا (فاروق).

غمغمت (فيروز) مذهولة في أستنكار:أحتفال؟

قال (فاروق): والعمل؟..أعني أن الشركة..

قاطعه (أكرم) بلهجة حاسمة: لا أريد أعذاراً...إنها هدية مني اليكم..أحُصل على أجازة ليوم..هيا..أريدكم أن تذهبوا غدًا بعد الظهر لقضاء يوم ممتع وربما يومين.

قال (فارس): شكرًا أبي،سأصطحب (جميلة) معي.

ابتسم (أكرم) أبتسامة لم تعجب (يوسف) الذي تطلع اليه في حيرة وفي المساء حينما أخلد الجميع إلى النوم نهض (يوسف) بهدوء شديد..كان يشعر بأن (أكرم) قد تحقق من خيانة (فيروز)...كان الصراع الآن يحتدم في داخله...لايريد أيذاء الأبناء..لا يريد أيذاء زوجته الرقيقة..هو لا يبالي ب(أكرم) أو زوجته ولكن (أكرم) لايبدو طبيعياً...فماذا إن كان ينوي أيذاء هذا الأبن.

دلف بخفة إلى مكتب (أكرم)...الجميع نائم...حاسوب (أكرم) ملقى على المكتب..فتح الشاشة..وراح يبحث عن الرسائل..لا شيء...لقد قام بمحوها حتمًا..أعاد إغلاق الحاسوب ثم عاد إلى حجرته فأرسل إلى جدته رسالة:"من منهم "

وأخلد إلى النوم.

في الصباح نهض (يوسف) ففتح حاسوبه في لهفة ولكنه لم يتلقى رداً بعد.

زفر في ضيق فتمتمت زوجته وهي تتثاءب:صباح الخير..هل أنت بخير؟

-صباح الخير يا حبيبتي..بخير..فقط أنتظر رداً على رسالة.

-الوقت مازال مبكراً..كم الساعة؟...إنها الثامنة..هل نرتدي ثيابنا؟

-أجل...الخير في البكور..هيا لننطلق إلى الأسكندرية.

***

في الساعة الحادية عشر صباحًا...أتصل (أكرم) ب (عزمي) فرد عليه الأخير وكان يبدو مهموماً فقال له (أكرم): هل وجدت حلاً لما نحن فيه؟

-ولماذا تشعر بالقلق فلديك ابنتك وثروتها تساعدك بها متى أحتجت..أما أنا فلا أجد أحدًا يمد لي يد العون وجميع الدائنين يريدون أموالهم بسرعة.

-لاتضغط على نفسك..حاول أن تتوصل معهم لطريقة لسداد الأموال ولو بالتقسيط.

-ربما لن يقبلوا.

-أخبرهم أنهم لن يستفيدوا شيئًا إن ُسجنت.

- فكرة رائعة إن أستطعت تطبيقها على (يوسف) بك..هل يقبل بأن ُأسدد له أمواله على دفعات..هلا كلمته في ذلك؟

-بالطبع...أين أبنائك؟

-(أسيل) عند جدها مع والدتها و(عادل) لم يذهب للشركة طبعًا نظراً للظروف وسيذهب إلى النادي اليوم أيضًا.

-أرسل تحياتي اليهم، هلا أرسلت (عادل) الي،سأعطيه بعض المال كي يوصله لك سريعًا،أرسله الساعة 12 والنصف بالضبط لأنني سأغادر بعدها، لاداعي لتشكرني فنحن أصدقاء.

ثم انهى الأتصال وقد أتسعت أبتسامته ونهض فغادر مكتبه وكانت (فيروز) تتابع على التلفاز قناة تعرض أحدث تصاميم الأزياء فقال باسمًا: بمناسبة مظهرك الرائع يا عزيزتي..الا تظنين أنه ينقصك ثوب جديد؟..كي تكتمل أناقتك ثم أصحبك يومين إلى الغردقة.

ردت: وماذا عن الأزمة المالية التي نمر بها؟

-لاعليك..سأتصرف وأتجاوز تلك الأزمة كما تجاوزت غيرها.

ومد يده ببطاقة أئتمانية باسمًا فألتقطتها منه وقالت باسمة: ذكرني أن أغير مظهري كل يومٍ إذًا.

ونهضت وقالت:سأذهب للتسوق..وأنت..لما لا تأتي معي؟ أفضل من مكوثك في البيت.

رد: تعلمين أنني لاأطيق التسوق..أستمتعي بوقتك.

صعدت إلى حجرتها وأرتدت ثيابها وتأنقت وبعد ساعة هبطت وركبت السيارة مغادرة.

الآن أصبح وحده في القصر والخدم في عملهم توجه إلى مكتبه وفتح الخزنة وأخرج مسدسه ووضعه أمامه على مكتبه

وجلس صامتًا ينتظر..سيعود (فادي) من المدرسة بعد قليل.

كيف أختفى كل الحب الأبوي الذي ُيكِنهُ لهذا الفتى...لا يدري..ربما كان بالفعل انسانًا قاسياً كما أخبره أخوه مرة.

عاد (فادي) وهبط من حافلة المدرسة ودلف إلى القصر و كان مكتب والده مفتوحاً فتوجه اليه في حيرة بعد أن وضع حاسوبه على إحدى مقاعد الصالة وغمغم: بابا..لقد عدت.

ثم أجفل وهو ينظر إلى (أكرم) الذي دفن وجهه بين كفيه ثم رفع وجهه فإذا بالدموع تتساقط من عيونه.

***

أخيرًا وصل الرد..كانت الساعة الثانية عشر ظهرًا وقد وصلت السيارة إلى الأسكندرية وهي تقل (فارس) وزوجته و(يوسف) وزوجته و(فاروق).

وبدأت المرأتان تعدان في الشاليه بعض الطعام الخفيف ليأخذانه معهم إلى الشاطيء بينما أسترخى (فارس) على الأريكة فهو لم يعتد الأستيقاظ باكراً وجلس (فاروق) في الشرفة يتأمل الأمواج من بعيد.

مد (يوسف) يده في لهفة فقد سمع صوت رسالة ففحص هاتفه بحثاً عن رسالة جدته وقرأ الرد: لماذا تسأل الآن؟

كتب الرد: إن كان (فارس) أخبريني حتى أتخذ أحتياطاتي فقد أرسلنا (أكرم) إلى الأسكندرية وأخشى أنه يعد له فخاً ما.

وضغط زر الأرسال.

مضت ثوانً ثم جاء الرد: إنه (فادي).

أغلق (يوسف) عينيه وفكر..لقد أرسلهم بعيدًا وسيصبح (أكرم) لوحده مع (فيروز) و(فادي).

هتف منادياً زوجته فجاءت (جوري) متساءلة وقال باسمًا: لما لانتصل ب(فادي) ونطلب منه اللحاق بنا..أشفق عليه من بقائه وحيداً.

ردت (جوري) وهي تجفف يدها في المنشفة:لديه دراسة ومذاكرة وليس هذا الوقت الأمثل للنزهة.

-هذا صحيح..أتصلي به كي نطمئن عليه إذًا..أظنه شعر بالحزن لأننا لم نصطحبه معنا.

-لن يرد يا عزيزي ففي المدرسة يغلق هاتفه وألا تمت معاقبته ثم أن هذا موعد عودته من المدرسة وهو يغير ثيابه وينام قليلًا ثم يستيقظ لتناول الغداء وعمل الواجبات..الساعة 12:15 ..إنه الآن على وشك النوم ولن يجيب.

-لم ينم بعد..أتصلي به.

-وهل سيلحق بنا وحده؟..ربما تعترض (فيروز) أو والدي فلديه دراسة.

-فلنجرب.

أخرجت الهاتف من جيبها وأتصلت ولم تتلقى رداً مرتين فقالت: ألم أقل لك أنه نائم.

كان (يوسف) يشعر بالقلق ولكنه راح يقول لنفسه إن (أكرم) هو من قام بتربية الفتى ومن غير المعقول أن يؤذيه أو يقتله بدم بارد.

وصلا إلى الشاطيء وجلست (جوري) على الشاطيء وتركت الماء يغمر قدمها وهي تتأمل الشمس والبحر كعادتها بينما

راح (فارس) وزوجته يسبحان برغم برودة الجو ويقذفان الماء على بعضهم.

شرد (يوسف) وهو يتذكر الغردقة منذ أشهر عندما تنصت على زوجته الجالسة على الشاطيء،كان قد بدأ يعجب بها وقتها والآن يحبها حبًا ًتمَلك قلبه وجوارحه وعاد (يوسف) يفكر..ولكن (أكرم) قتل أخوه وزوجته وحاول قتله هو شخصياً بدم بارد..لايمكنه أن يعتمد على عواطف هذا الرجل فهو مجرم حقًا.

جلس الجميع لتناول الطعام في شهية بينما ظل (يوسف) شارداً وقلِقاً فتساءل (فاروق):ماذا ُيقلقُك؟

-لاشيء.

ومع قرب غروب الشمس بدأت الرومانسية تحل على المرأتان فتبادل الرجلان النظرات وهما يؤيدان زوجاتهما فيما تقولان عن الغروب وابتسم (فاروق) ولم يعلق.

جاءت ل(يوسف) رسالة جديدة ففتح هاتفه وفتح الرسالة التي كانت من جدته: أفتح الأخبار المحلية حالاً.

شعر بالقلق وفتح النت وبحث في الأخبار ثم أتسعت عيناه وهتف: يالهي.

استدار اليه الجميع فقال: إنه (فادي).

***

حينما دلف (فادي) إلى مكتب والده ووجده في تلك الحالة الغريبة شعر بالقلق وهتف:أبي..هل أنت بخير؟

رفع (أكرم) عيونه الدامعه إلى وجه أبنه ثم قال: نحن في مصيبة يا ابني.

تطلع اليه الفتى فعاد يقول: لقد تأجل سفر أختك إلى الغد فذهب أخوك وزوج أختك إلى الشركة وخرجت أختك تتمشى قليلًا مع زوجة أخوك.

هتف (فادي):هل أصابهم مكروه؟

رد (أكرم) في حزن أجاد أصطناعه: إنه (عادل) لقد ظهر أمامهم وأنهال على زوجة أخيك ضرباً و أبنتي ولم يكن هناك أحد في الشارع لسوء الحظ..كلتاهما نقلتا على المستشفى وكلتاهما تعرضتا للأجهاض..أما هذا الوغد فسيأتي بعد قليل كي يتفاهم معي على مبلغ للتعويض.

ثم أمسك المسدس وقال: سأقتله.

ولكن (فادي) الفتى المراهق المليء بالعواطف والمشاعر الدافقة أسرع يختطف المسدس وقد أتسعت عيناه في غضب مجنون وهتف: بل أنا من سيفعل، لقد حذرته من قبل ألا يقترب منها.

ثم جلس يغلي وقد أطلت من عينه نظرة نارية غاضبة..لقد صدق تلك القصة برغم ما فيها من ثغرات ولم يحاول حتى الأتصال أو التأكد ولكنه لايستطيع أن يلوم صبي مراهق يفتقر إلى ضبط النفس والتحكم في الآنفعالات.

ظل (أكرم) جالساً على مكتبه وقد أختفت الدموع تمامًا وحلت مكانها أبتسامة متشفية على شفتيه،ولكن (عادل) لم يأتي وبدأ يشعر بالقلق وبأن خطته ستفشل ألا أن (فادي) صرخ بجنون: جبان..سأذهب اليه فهو حتمًا في النادي كعادته.

ثم أسرع إلى النادي الذي لم يكن بعيدًا جدًا عن المنطقة السكنية وقد وضع المسدس في جيبه...سيقتل ذلك الوغد..سيقتله..لقد أخبره من قبل ألا شأن له بأخته الحبيبة ولكن ذلك الحقير لم يبالي..أن أمثال (عادل) مكانهم المقابر..هؤلاء الفسدة لايجب أن يعيشوا ليدمروا حياة الناس ويؤذوهم..هذا الحقير يستحق القتل.

وصل بعد نصف ساعة إلى النادي ودلف لأن حرس النادي يعرفونه فوجد مجموعة من الشباب يجلس (عادل) دومًا برفقتهم فتوجه اليهم وقال أحدهم ساخرًا: مرحبًا بالرجل الصغير.

-أين (عادل)؟أين ذلك الوغد؟

-في الحمام ولكن..

دون كلمة توجه (فادي) إلى الحمامات التي كانت خالية وبغضب راح يوجه الركلات إلى أبواب الحمامات وهو يشهر المسدس الذي لايعرف كيف يستخدمه أصلاً ثم تراجع مذعوراً وشهق وهو يسقط أرضًا، فقد كانت جثة (عادل) ملقاة داخل الحمام خالية من الحياة وحولها تناثرت الدماء.

***

الفصل الرابع عشر

(قصة إياد)

في الثالثة عصراً أتصل المحامي ب(أكرم) وكان ملهوفاً قلِقاً وأخبره أن ابنه الصغير (فادي) في مديرية الأمن بتهمة القتل.

تساءل (أكرم) ببراءة مصطنعة: قتل؟..قتل من؟

-(عادل عزمي الدمرداش).

-هل مات (عادل)؟

-مات فورًا..أنا توجهت إلى المديرية لأكون مع ابنك.

-أبذل جهدك يا أستاذ.

وأنهى المكالمة ثم نهض فطلب من أحدى الخادمات فنجاناً من القهوة وفتح التلفاز في الصالة ليتابع أخبار عملية القتل على قناة الأخبار المحلية وهو يرشف القهوة ولما أنتهى أتصل ب(فيروز) وقال لها أن تعود حالاً وتترك التسوق لأن الأمر خطير..بعد ساعة كاملة جاءت زوجته محملة بما أشترت وطلبت من السائق أن يضعها ويغادر ثم توجهت إلى الصالة حيث (أكرم) متسائلة عما هنالك فأشار برأسه إلى شاشة التلفاز وتطلعت إلى الخبر الذي عاد يتكرر على الشاشة وأطلقت صرخة ملتاعة وهتفت: مستحيل..ماهذا؟..هل هذا الخبر صحيح؟

رد زوجها: أجل...(فادي) قد قتل (عادل) منذ ساعات في حمام النادي.

هتفت وقد بدأت تبكي:هل جن هذا الولد؟..كيف يدمر مستقبله ونفسه بهذا الشكل؟

-المحامي معه وسُيطمئننا بالأخبار بعد قليل.

وتطلع إلى دموعها ببرود ثم تلقى أتصالاً من (عزمي) فوضعه على مكبر الصوت وراح يستمع إلى الأخير يصرخ بجنون ويسب ويلعن بعد أن قتل أحدى أبناء (أكرم) ابنه الوحيد...وكان رد (أكرم) الذي حاول ألا يُظهر شماتته بأنه لايعلم لما فعل ابنه

هذا وأنه حزينًا للغاية ولا يملك شيئًا ل (عزمي) سوى الدعاء له بان يمنح الله قلبه الصبر.

كان يومًا حزينًا حقًا في تاريخ الأسرة فقد أسرع (فاروق) مع الجميع بالعودة إلى القصر وهو لايصدق ثم هرع إلى المديرية كي يلحق بأخيه والمحامي وتساقطت دموع (جوري) بحرارة وصديقتها (جميلة) تحاول تهدئتها وراح (فارس) يواسي والديه بينما تطلع (يوسف) إلى (أكرم) غير مصدق، وإن كان قد شعر للحظة بالشفقة عليه فهو لن يشعر بها ثانية أبداً..ذلك الوغد ضيع الفتى الذي رباه كأبنه في لمح البصر متناسياً كل مشاعر الأبوة كي يحقق أنتقامه اللعين.

لم يكن (يوسف) يعلم التفاصيل ولكنه أدرك أن (أكرم) قد خدع هذا الصبي بشكلٍ ما ودمر حياته،وأرخى (يوسف) عينه في أزدراء فكيف بأب أن يوظف مشاعر الأبوة كغرض يستخدمه وينزعه متى شاء،كيف نسي ببساطة كل ذكرياته مع هذا الصبي،كل الحب والقلق والعاطفة التي يمر بها أي أب في حياته مع أبنائه،كيف نسيها أو أزاحها جانباً هكذا ببساطة.

غمغم من بين أسنانه: حقير.

ثم ربت على كتف زوجته ومال عليها قائلًا: كفي عن البكاء من أجل أبننا ومن أجل صحتك فالبكاء لن يفيد...سأذهب الآن إلى المديرية وسأعود سريعًا.

ثم قبلها في رأسها وغادر وقام بقيادة السيارة بنفسه وتوجه إلى المديرية وهبط من السيارة فوجد (فاروق) واقفاً عند باب المديرية يتحدث مع المحامي فتوجه نحوه مسرعاً فصافحه مشجعاً وقال (فاروق): سيتم تحويله إلى النيابة غدًا صباحًا...لقد أعترف أنه لم يقتل (عادل) بل عثر عليه مقتولًا..والشهود يؤكدون أنه سأل عن (عادل) وكان يبدو غاضبًا ويتنوي على الشر،أعني هكذا قالوا في شهادتهم.

لأول مرة يلمح (يوسف) الدموع تترقرق في عيني (فاروق) وشعر بشفقة هائلة عليه...من المؤلم رؤية شخص صارم قوي بهذه الحالة من الضعف والأسى..حسنًا لقد أتخذ قراره..سيكشف حقيقة (أكرم) لأبنائه،بل لأول مرة منذ بدأ خطة أنتقامه تبزغ تلك الفكرة في عقله ناصعة مقنعة،ليس هناك أسوأ من أن ينتهي الأب في عيون أبنائه فيفقد

أحترامهم وتوقيرهم له،إن تقديم الفيديو للشرطة جميل ومن شأنه أن يلقي ب(أكرم) و(عزمي) و(فيروز) في السجن ولكن ماذا لو لم يعتبر القاضي أن هذا قتل عمد وأعتبره قتل خطأ، فالثغرات القانونية عديدة، وأما عن والدته الحبيبة فليس لديه دليل للأسف يثبت أنهما قد تآمرا لقتلها،أختمرت الفكرة في عقله ولكنه ظل مترددا ولم يستطع تجنب شعور أجتاحه بالذنب وبأنه يضيع حق والده..وفي الصباح الباكر أتصلت جدته به فتجاهل الرد عليها عدة مرات..كان يشعر بالغضب لأنها وبسبب ما فعلته تعرض هذا الطفل بشكلٍ غير مباشر لضرر بالغ ثم جاءته مكالمة من (نبيلة)...وضع السماعة في أذنه ورد على المكالمة قائلًا بحذر:مرحبًا يا (نبيلة).

أتاه صوت صراخها الغاضب في أذنه: أيها الوغد...لقد قلت أنك لن تؤذي (فاروق) و أخوته...لقد أقسمت،هل أنت السبب فيما حصل..قل الحقيقة.

رد:كلا..لست السبب بل هو (أكرم) شخصياً.

مضت فترة صمت ثم قالت (نبيلة): لقد حققنا أنتقامنا..أليس كذلك ولهذا سأمهلك حتى الغد كي تخبر الجميع بكل شيء فقط حتى لا تفقد زوجتك وبعدها سأخبر (فاروق) بنفسي بكل ما أعرفه.

وأنهت المكالمة فزفر (يوسف) في ضيق ونهض يرتدي ثيابه على عجل ونهضت (جوري) فقال: لما أستيقظتي باكراً أنتِ لم تنامي ألا بعد الفجر.

ردت وهي تنهض: أريد الذهاب معكم إلى النيابة..لاترفض يا (يوسف) أرجوك.

-بل سأرفض..أبقي مستريحة وسنتصل ونخبرك بكل شيء.

-لا أستطيع أن أجلس مستريحة فالتوتر والقلق سيظل رفيقي سواء ظللت في القصر أو جئت معكم..دعني أتي.

وجد كلامها منطقياً فغمغم: حسنًا..أرتدي ثيابك وتناولي أدويتك ثم عديني بأن تعودي لتستريحي على الفور دون بكاء أتفقنا.

-أتفقنا.

***

في النيابة كان (فادي) دامع العينين وقد قضى الليل كله يبكي وشعور الذنب يقتله..حقًا ليس قتل انسانٍ آخر أمرًا سهلاً..ولم يكن (فادي) بطبيعته شريراً او قاسياً لذا بعد أن كان ينتوي في لحظات غضبه على القتل ندم بشدة وتمنى لو أنه وصل اليه باكراً،لعله كان قد أسعفه.

بعد أن أنتهى التحقيق قررت النيابة حبسه على ذمة القضية ووجهت له تهمة القتل العمد ووضع الحارس الأصفاد الألكترونية في يده وأقتاده إلى سيارة الترحيلات حيث سيوضع في سجن للأحداث نظراً لعدم وصوله لسن البلوغ القانوني 18 عأمًا...راح المحامي يطمئنه وهو يسير بجوراه ثم وصل (فاروق) و(فارس) و (فيروز) و(يوسف) و(جوري) التي أندفعت نحوه هاتفة: (فادي)...حبيبي.

تأملها (فادي) في حيرة لثانية ثم قال: هل أنتِ بخير؟

قالت وهي تحاول كتم دموعها: بخير..أنا بخير..هل أنت بخير ؟

وأندفعت والدته تحتضنه وهي تهتف: أبني..لماذا فعلت هذا يا حبيبي؟..لماذا أضعت مستقبلك هكذا؟

أشار الحارس بصرامة كي يبعدهما عنه وقال: سأمنحكم دقيقة فقط.

تساءل (فاروق): هل أنت بخير؟..سيبذل المحامي جهده لأخراجك في أسرع وقت،هناك أدلة كثيرة على براءتك منها سلاح الجريمة المختفي وهو سكين كما قيل في التقرير المبدئي،ولكن لم ذهبت إلى النادي للشجار معه.

-لدي أسبابي.

قال (فاروق) وقد أحتدت لهجته: هل تحاول أستفزازي يا ولد؟

تدخل (يوسف) وكان قد لمح نظرة الحيرة لمدة ثانية التي ظهرت على (فادي) حينما رأى أخته فقال: أظن أن (أكرم) بك لديه الأجابة،أليس كذلك يا (فادي)؟

تطلع (فادي) بحذر نحوهم ولم يرد ثم مال على أذن أخته وهمس: ستكونين بخير أختي.

وتوجه مع الحارس إلى السيارة وهتفت أخته وراءه وهي تلحق به: أنا بخير فعلًا ولا أفهم عما تتحدث...(فادي).

وقال (فاروق) ل (يوسف): ماذا تقصد بأن أبي يعرف الأسباب؟

رد (يوسف) وهو يسير بجواره مع المحامي و(فيروز): فكر من أين وكيف حصل (فادي) على مسدس والده الموضوع دائمًا في الخزانة؟

ثم توقف بجوار (جوري) التي راحت تتطلع بحزن إلى سيارة الترحيلات وهي تنطلق إلى وجهتها وقال:إنه بريء،سوف يخرج من القضية ويحصل على البراءة بإذن الله.

دفنت (جوري) وجهها في صدره وبكت فرفع وجهها نحوه وقال: لاتبكي وأنا معك.

وعاد الجميع إلى القصر ولكن (يوسف) أستأذنهم فهي فرصته الآن فتوجه إلى شركة (عزمي الدمرداش) فبلا شك هو غير موجود فيها الآن ودلف من الباب ثم توجه نحو المصعد الخاص فحياه الحراس مفتولي العضلات الذين تلقوا بالأمس مبلغًا محترماً في حساباتهم البنكية فسيدهم قد أفلس وعليهم البحث عن مصالحهم الآن.

وقف أمام المصعد ثم صعد إلى الطابق الأخير حيث الخزينة،وغادر المصعد وتوجه إلى الحجرة..ثمة كاميرا تسجل مايحدث ولكنه لم يبالي فوقتما يكتشف (عزمي) ماحدث يكون قد فات الأوان..توجه إلى ذلك الباب الحديدي شديد الصلابة في ركن الحجرة..ذلك الباب الذي لاتلتقطه الكاميرا بأوامر من (عزمي) حتى لايعرف أحد كلمة السر..الباب الذي لايمكن لقنبلة أن تفتحه أو تخدشه.

أخرج من حقيبته الصندوق وأخرج عدسة زجاجية شفافة فارتداها وأخرج عينة دم فوضعها في مكان الفحص ووضع أصبعه وعليه الجلدة المحتفظة ببصمة الأبهام ووقف أمام الجهاز الذي قام بفحص عينيه بشعاع له لون أزرق باهت ثم

خلع العدسات لأنها آلمت عيناه وأعادها إلى الصندوق ووقف صامتًا لدقيقة ثم ظهر على الشاشة الصغيرة بركن الباب:

من فضلك أدخل كلمة السر.

مد (يوسف) يده إلى لوح الكتابة وابتسم أبتسامة ساخرة مريرة فإذا كتب كلمة السر خطأ ستنفجر الخزانة بما فيها ولكنه الآن متأكد من الأجابة ولعله سيكون أول شخصاً ينجح في اختراق هذا النظام الأمني المحكم.

ثم كتب: فيروز.

وأنفتح الباب.

دلف إلى الحجرة التي كانت فارغة من أي شيء عدا منضدة صغيرة عليها صندوق حديدي..توجه (يوسف) نحوه وفتحه..ثمة بعض قطع الألماس..ثمة بعض الأقراص المدمجة الضئيلة الحجم..ثمة ذاكرة ألكترونية يعرفها ويحفظ شكلها جيدًا.

وضعها في جيبه ثم غادر متوجهاً إلى المصعد ومنه هبط وغادر الشركة وركب سيارته وقادها متوجهاً إلى قصر النعمان.

***

زوجته أفعى جميلة وخائنة، كذا فكر (أكرم) وهو يغادر إلى بوابة القصر الخارجية ويتمهل قليلًا ويتلفت حوله كأنما يخشى أن يلمحه أي شخص وكان قد منح الخدم اليوم الكثير من المهام ليشغلهم وخاصة البواب والبستاني فأرسل الأول لشراء شيئًا ما لايباع ألا في مكان بعيد وأرسل الثاني لشراء بعض البذور من محال مخصصة لبيعها في وسط البلد بالقاهرة وهكذا سيصعب أن يلمحه أحد ثم بدأ يتحرك سيراً حتى بلغ نهاية الشارع فعرج جانباً وعاد يسير حتى وصل إلى مبتغاه حيث يقف ذلك الرجل يرتدي جلبابًا به بقع زيت جافة وصندل في قدمه بينما يقبض بيد على كيس قماشي مغلق ولما رأه الرجل ابتسم كاشفاً عن صف من الأسنان الصفراء وأستطاع (أكرم) سماع صوت الفحيح الصادر من الكيس القماشي.

قال الرجل: أفعى الطريشة يا بك، سمها يقتل في ثوان وليس له أعراض،فقط أخرجها في الحجرة وستظل مختبأة في البداية ثم سرعان ما تغادر نحو الجسد الدافيء وتلدغه،يمكنك قتلها بعد ذلك.

تناول (أكرم) الكيس القماشي وأخرج من جيبه مظروفاً منتفخ بالمال ناوله للرجل الذي هز رأسه في رضا ثم قال محذراً:

كن على حذر يا بك،فهذا الثعبان خطر للغاية.

دون كلمة استدار (أكرم) عائداً إلى القصر وتلفت حوله من جديد ثم دلف إلى القصر وصعد إلى حجرته فأرتدى حذاءً طويل الرقبة ووضع نظارات على عينيه وغطى وجهه جيدًا متتبعاً تعليمات الرجل ثم فتح الكيس القماشي وألقى منه الأفعى التي قفزت محاولة لدغه ثم أسرعت تزحف بشكلٍ جانبي لتختبيء أسفل السرير،فتراجع (أكرم) ثم أغلق الباب وراءه وهبط إلى مكتبه فعليه أن يجري أتصالاً هامًا الآن فدلف إلى مكتبه وأغلق الباب وجلس خلف المكتب يحدق أمامه.

هنا في تلك الحجرة منذ أعوام عديدة شاهد أخاه يموت..هنا في تلك الحجرة خطط للتخلص من (جيهان نصر الدين) في حادث وحرم ابنته من الأم..هنا منح موافقته لقتل أرملة أخيه وابن أخيه..الواقع هو أن شخصيته قبل حادثة أخيه كانت تختلف عن شخصيته بعدها،وكأن أشتراكه في تلك الجريمة قد مس شيئًا ما في نفسيته أو عقله فبدله أو لعله أظهر حقيقته الخفية..المهم أنه من وقتها غدا أكثر قسوة وعلى أستعداد للقتل والأيذاء.

أتصل به المحامي فتلقى المكالمة في فتور وأخبره المحامي: غالباً سيتم تبرئة (فادي) قريبًا،بالنسبة للشركة يا بك فأرى أنه لابد مع الأسف من أعلان أفلاسنا.

رد (أكرم): لاداعي لهذا..سأقترض المال من زوج ابنتي.

وأنهى المكالمة ثم أجرى الأتصال ب (عزمي الدمرداش) وكان (عزمي) ملقى على الأريكة في مكتبه يتطلع بعيون زائغة إلى السقف..أبنه الوحيد قد ُقتل..زوجته في المستشفى مصابة بإنهيار عصبي وابنتها معها..فقد كل ثروته ومهدد بالسجن بسبب الديون..لقد أنتهى..ربما يمكنه الهرب دون أسرته بما تبقى من أموال والعيش في الخارج ما تبقى من سنوات عمره...ولكن الأموال لن تظل إلى الأبد..سيتعين عليه بدء مشروع من جديد..يبدأ من جديد في هذا السن ثم فكر أنه حتى وابنه قد توفي منذ أيام وبرغم حزنه يظل يفكر في المال وفي نفسه..بالطبع عليه أن ينتقم من قاتل ابنه.. حتى

وإن كان ابن صديقه..إنه قاصر ولن يحصل على الأعدام..دعك من أن شهادة الشهود ستؤكد حسن أخلاقه وأن (عادل) شاب سيء الخلق يضرب الناس دائمًا..لهذا عليه أن ينتقم..سيجد داخل السجن شخصاً يقتل (فادي)..عندها فقط سيستريح،وسيقل حزنه وغضبه.

حينما وردته المكالمة تطلع إلى الحاسوب بغضب..أي وقاحة هذه..هل يتصل لتعزيته ثانية..تلقى المكالمة صوت وصورة وفي جفاء قال: الو.

رد (أكرم):أعرف أنك غاضب وحزين ولكن أسمعني فلن أطيل عليك،لدي عرض لك،سأقنع (يوسف) بتسديد جميع ديونك...ما رأيك؟

اعتدل (عزمي) في جلسته وقال: حقًا.

قال (أكرم): شرط أن تتنازل عن القضية..لاتتطلع إلى هكذا،لاتنسى أن (فادي) أبني وعلي أن أدافع عنه، لقد أعترف لي بأنه قتل ابنك ولكن المحامي أخبره أن ينكر والقضية بها ثغرات عديدة وسيخرج ابني براءة،ولذا بدلًا من الفضائح لم لا تقبل عرضي، فكر وأعطني ردك بعد ساعة.

-بل سيحكم على ولدك القاتل بالسجن.

-سأقوم بتهريبه خارج الأتحاد إذًا.

هتف (عزمي) وقد أطلت من عينه نظرة نارية:هل جننت؟...أتعلم..ابنك هذا سأقتله غدًا.

ثم أغلق المكالمة وعلى الجانب الأخر..أغلق (أكرم) الأتصال ثم ابتسم وقال: أقتله يا عزيزي وبذا تكون السبب في قتل ولديك الأثنين.

***

عادت (فيروز) شاحبة دامعة العينين فقال (أكرم) وهو يلتقط يدها ويلثمها: ستكون الأمور بخير.

غمغمت (جوري): يارب.

قال (فاروق): بابا..أريد الحديث معك قليلًا.

قال (أكرم): أصعدي يا عزيزتي إلى حجرتك كي تستريحي قليلًا فأنتِ لم تنامي بشكل جيد منذ تلك الكارثة.

ردت (فيروز): لاأستطيع النوم.

بلطف أجاب (أكرم): خذي مهديء من صيدلية الحمام إذًا،سأوقظك مساءً.

هزت رأسها موافقة وعاد (أكرم) إلى مكتبه بعد أن نظر نحو (فارس) الذي أصطحب معه (جميلة) بنظرة باردة ولحق به

(فاروق) وكان يحاول أن يفهم منه ماحدث بالضبط يومها وجعل (فادي) يهرع غاضبًا إلى النادي.

قال (أكرم): لقد أتصل بي (عادل) ويبدو أنه كان مخموراً وقال كلام فارغ عن أنه سيضرب (جوري) وسيختطفها وحدث أن عاد (فادي) في تلك اللحظة وسألني عما حدث فقد كنت أبدو غاضبًا ومتضايقًا فأخبرته.

مضت لحظة صمت ونظرات (فاروق) الثاقبة تحاول أختراق ذلك القناع الكاذب المغلف لوجه ابيه ثم قال: ثم؟

مط (أكرم) شفتيه وقال: ثم أظن أن (فادي) أساء الفهم فأختطف المسدس وأسرع يركض خارج القصر.

-كيف حصل على المسدس من الخزنة؟

-لم يكن في الخزنة..كنت وقتها أنظفه.

-تنظفه؟

بدا عدم التصديق على وجه (فاروق) ولكنه لايدري كيف يجيب والده أو يخبره بعدم أقتناعه فهز رأسه ونهض مغادرًا.

***

بينما يقود (يوسف) سيارته عائداً إلى القصر أعترضته سيارة وهبط منها ثلاث رجال مفتولي العضلات تعرفهُم (يوسف) فهم رجال جدته..ابتسم في سخرية وفتح النافذة وهو يتطلع اليهم ببرود..كان من الواضح أن التعليمات الصارمة لديهم هي حسن المعاملة فقال أحدهم: يا بك..الهانم تطلب منك تسليم الأمانة لنا الآن من فضلك.

رد:الأمانة؟

قال الرجل: الذاكرة الألكترونية..وتدعوك لزيارتها للتحدث عن أمر الذاكرة.

إنها تراقبه بصرامة إذًا وتعلم أنه صعد للطابق 21.

رد (يوسف): أخبر جدتي أنني لن أتي لزيارتها وأن ما فَعلتُه رغم توسلي لها تسبب في دمار حياة طفل لا ذنب له..أما الذاكرة فهي تخص والدي لا والدتي رحمهما الله، وما أفعله بتلك الذاكرة أمرًا يخصني وحدي.

دون كلمة استدارو إلى سيارتهم وكان قد توقع أنهم ربما سينزعون منه الذاكرة بالقوة أو عنوة ولكن هذا لم يحدث وأنتظر حتى غادرت سيارتهم ثم عاد ينطلق نحو القصر.

ولما وصل دلف إلى القصر وقابل (جميلة) التي قالت له أن زوجته لم تأكل منذ الصباح شيئًا فهز رأسه وتوجه إلى المطبخ وأمر أحدى الخادمات باعداد طاولة الغداء ثم صعد إلى حجرته ودلف وتطلع إلى (جوري) التي أستلقت على الفراش محاولة النوم فجلس على حافة السرير وتحسس شعرها قائلًا برفق:هوني عليكِ...ستكون الأمور على مايرام.

في شحوب نهضت تجلس بجواره وقالت:إن (فادي) طيب ولا يمكنه أن يؤذي نملة..إنه لايفكر سوى باللعب..كيف سيتحمل السجن؟ ولسنوات؟

مسح بيده الدمعة التي سالت من عينها وقال:بل سيحصل على البراءة فهو لم يقتل أحد، والآن..لاتبكي وهيا نتناول الطعام..لا يجب أن نترك (نور) جائعاً.

أومأت برأسها وبعد قليل صعدت الخادمة معلنة أن الغداء قد صار جاهزاً فجذبها من يدها وهبط معها ولم تكن (فيروز) حاضرة فلم يسأل عنها سوى (فارس) فأجابه (فاروق) بأنها نائمة بعمق بعد أن تناولت قرص مهديء.

وكانت المائدة واجمة والجميع تقريبًا بلا شهية رغم جودة الطعام وقد خيم شيئ من الكآبة على الأسرة.

غمغم (فاروق) مشجعاً: قال المحامي أن (فادي) سيخرج بعد غدًا بإذن الله.

فقال (يوسف): ممتاز..وقتها سيكون لدي أمرًا هام أخبركم به جميعًا.

ابتسمت (جوري) له فهي حتمًا واثقة من أنه سيقول أخباراً جيدة وعبس (يوسف) قليلًا...كان يرغب في أخبارها هي وأخوتها عن كل شيء..عن هويته الحقيقية ولعبة الآنتقام التي أستهوته..ما يخيفه ليس رد فعلهم ولكن أنكسار قلب تلك الفتاة...زوجته...ولكنه كذلك لايستطيع أخفاء الأمر أكثر من هذا...قلبه أحبها وليته لم يفعل..ليته أستمع لعقله وأدرك أن من مصلحته ألا يفعل..من مصلحته ألا يحبها..والآن وقد أحبها كان عليه أن يتنازل عن هدفه وخططه من أجلها..الآن في ذروة نجاح مخططه ولكنه أراد كل شيء..يريد أن يحقق أنتقامه وأن تظل (جوري) مخلصة له محبة وعاشقة كما هي الآن،ترى هل هو أناني إلى هذه الدرجة...يمني نفسه الآن بعد أن يشرح ويكشف كل شيء أن تظل (جوري) مخلصة لحبه..أن تتناسى ما حصل وتستمر حياته معها وكأن شيئًا لم يكن..ولكن هذا شبه مستحيل.

***

كانت ليلة ليلاء للجميع، تظاهر (أكرم) بأنه مشغول في المكتب وظل به ولم يصعد إلى حجرته..تمنى لو أنه مزقها أرباً او أحرقها حية،بدلًا من ذلك ستنام وتموت بلدغة أفعى دون أن تشعر بأي ألم..ولكن جزءً خفياً من عقله كان راضياً عن قتلها بهذا الشكل،ربما كان عليه أن ينتظر حتى يموت (فادي) فيحترق قلبها بنار الفقد ولكنه خشي أن يفقد بمرور الوقت عزيمته ورغبته في قتلها..وأما ولديه (فاروق) و(فارس) فكان نومهما مضطرب ومرهق حتى أشرق الصباح.

أما (يوسف) فقد تناول هاتف (جوري) منها فقد أتصلت (بيرين) على هاتف زوجته كي تجبره على الرد وتظاهرت بأنها تطمئن على صحتها ثم طلبت منها أن تحادث (يوسف)، وعلى مضض أجاب هذا الأخير فقالت جدته: كف عن التهرب مني وأسمعني الآن جيدًا فالأمر هام..

قاطعها: سأفعل ما أشاء كما أبلغتك.

ردت ببرود: لا أقصد هذا، بل أتحدث عن أمر أخر،تعلم أن لدي جاسوستان في المنزل لديك،أحداهما تتبعت (أكرم) اليوم ورأته يلتقي برجل غريب ويأخذ منه حقيبة قماشية ويعود بها إلى القصر ويدلف إلى حجرته ويخرج من دونها..وقد قامت كما أخبرتها بتصوير ما حدث.

بدا الأهتمام على وجه (يوسف) ونهض متوجهاً إلى حمام الحجرة وتمتم بصوتٍ خفيض: مالذي كان في الحقيبة؟

ردت جدته: لا أعلم، ولكن تخميني هو ثعبان أو أفعى أو عقرب.

أتسعت عينا (يوسف) غير مصدق فقالت (بيرين) التي لاتراه: هل صعد إلى حجرته؟

-لا أظن.

-هل ظهرت (فيروز) هانم؟

-أنها..أنها نائمة.

-إلى الأبد كما يبدو.

-ماذا أفعل؟

-لاشيء، إن كان حدسي صحيحاً فهي قد ماتت منذ ساعات عدة،ربما تخبر ابنائها بقلقك على غيابها ولكنني لا أظن أنه يمكن أنقاذها.

أغلق الهاتف دون كلمة، تطلع إلى الساعة التي تشير إلى السادسة صباحًا وتذكر تلك المرأة طاغية الجمال التي تتراجع مخفية الدواء وراء ظهرها بينما (إياد) والده يمد يده نحوها متوسلاً.

عاد إلى الحجرة وكانت (جوري) قد نامت ولكنها سرعان ما فتحت عيناها الناعستان ومدت يدها تجذبه برقة ليستلقي ودفنت رأسها في صدره كعادتها،وظل صامتًا يتأمل سقف الحجرة بقلق ثم نهض برفق وقال: سأتحدث مع (فاروق) قليلًا.

وتوجه نحو حجرة (فاروق) فطرق بابها مرة دون رد ثم الثانية دون رد..قال لنفسه: لعله نائم.

ولكن (فاروق) فتح باب الحجرة بعد قليل وتطلع بتساءل إلى (يوسف) الذي قال: صباح الخير.

-صباح الخير.

-لاحظت أن (فيروز) هانم لم تستيقظ حتى الآن فشعرت بالقلق عليها.

-أنها لم تنم منذ يومين، عندما يُعد الأفطار سأوقظها بنفسي.

وعلى مائدة الأفطار تلقى (أكرم) أتصالاً من المحامي وكان يخبره بلهجة قلقة متلهفة: أبلغتنا أدارة السجن أن (فادي) كادُ يقتل اليوم صباحًا في الحمام...أحدى المساجين حاول طعنه..الأدارة تحقق طبعًا.

مط (أكرم) شفتيه وقال: هل هو بخير؟

-أجل، أنه بخير، لقد أفادته تدريبات الكراتيه.

شعر (أكرم) بالغيظ، هذا الفتى بعدة أرواح كما يبدو..لا بأس مازال أمامه وقت..المهم الآن الصعود إلى الحجرة والتخلص من الأفعى القرناء قبل أن يدخل أحدًا بالخطأ إلى الحجرة ويتلقى لدغة مميتة..لقد أبتاع مسدساً جديداً وحان وقت أستخدامه فنهض قائلًا: سأصعد للأطمئنان على (فيروز).

ونهض أمام نظرات (يوسف) صاعداً والمسدس في جيبه ومضت دقيقة ثم أنتفض الجميع مع صوت الطلقة.

***

فشل الأحمق في قتل الفتى..كان (عزمي) قد تواصل مع أحد نزلاء الأحداث ووعده بمبلغ سخي إن قتل (فادي) بل منح جزءً من المبلغ لعائلة الصبي خارج السجن إذ كان ينوي قتل الفتى على أية حال والآن بعد أن أثار (أكرم) غضبه بتلك المكالمة بالأمس

قرر أن يستعجل قليلًا..وظل جالساً أمام شاشة الأخبار المحلية حتى أصبحت الساعة 12 ظهرًا فصرخ في غضب..وراح يطلق صيحات كأنه أصيب بلوثة عقلية..لقد فشل.

مد يده إلى زر الأتصال وطلب رئيس رجاله ثم قال: هل توصلت إلى عنوان الموظفين الوغدين؟

كان يقصد الأثنين الذان يسربان اليه أخبار البورصة من داخل الوزارة وقد أوقعوه في فخ لا فكاك منه.

رد الرجل أن لا، فراح (عزمي) يسب ويلعن ويتهم رجاله بالغباء والحمق ثم هتف: أسمعني جيدًا..ابن (أكرم) أقصد (فادي) سيخرج براءة..أنشر رجالك في كل مكان..أريدكم أن تقتلوه وألا ساقتلكم بنفسي.

ثم أنهى الأتصال.

سمع طرقات الخادمة على الباب ثم دلفت وهي تبدو منزعجة ومن خلفها ضابط شرطة وعساكر وقال الضابط: السيد (عزمي الدمرداش)..أنت مطلوب القبض عليك بتهمة التحريض على قتل (فادي أكرم).

رد (عزمي):هذا كلام غير صحيح.

رد الضابط: يتم الآن التحقيق مع الفتى الذي حاول قتل (فادي أكرم) ولدينا تسجيل بصوتك وصورتك تهدد فيه السيد (أكرم نعمان) بأنك ستقتل (فادي أكرم) اليوم..قدمه لنا (أكرم نعمان).

تحرك العساكر وجذبوا (عزمي) من كتفه وأضاف الضابط: سأقرأ عليك حقوقك..يحق لك ألتزام الصمت..يحق لك أن تطلب محامي..يحق لك ألا تسمح لنا بالحصول على أي عينات من جسمك أو منزلك أو ممتلكاتك بدون أذن النيابة..تحرك معنا.

بوجه ممتقع شاحب تحرك (عزمي) وهو يكاد يفقد الوعي وفكر..(أكرم)..ذلك الوغد..لقد أوقعه في فخ..قام بتسجيل مكالمة الأمس ولكن لماذا؟..هل جن؟..هل يظن أنه سيذهب إلى السجن وحده...صبراً..سينتقم منه ومن عائلته كلها.

هتف في يأس: لقد قتل ابني.

رد الضابط: لقد ألقينا منذ قليل القبض على قاتل ابنك.

أتسعت عينا (عزمي) في ذهول والضابط يردف: أنها فتاة تعمل موظفة في النادي،يبدو أن ولدك المغدور قد غرر بها.

لم يجد (عزمي) في حلقه قدرة على الرد أو الكلام وصمت تمامًا شاعراً بأنه يغرق في بئر لا نهاية له، كم حذرته زوجته من أن إهماله لتربية أبنائه سيجلب الوبال عليهم،هذه المرة واحدة من الفتيات اللائي أعتاد (عادل) أن يتسلى بمشاعرهن قتلته، طعنته في عنقه بسكين، ولكن الغريب أن (عزمي) لم يلوم ابنه بل راح يلعن تلك الفتاة.

***

بعد أن سقطت الأفعى ميتة تأمل (أكرم) جثة زوجته الميتة وغمغم باسمًا:أجل يا حياتي..أعرف بخيانتك لي مع (عزمي) وأن (فادي) ليس أبني..والآن حققت أنتقامي..(فادي) في السجن..وكذلك (عزمي) وأنت ميتة..إلى الجحيم يا حبيبة قلبي.

وتناهى إلى مسامعه وقع الأقدام المهرولة على الدرج إلى حجرته.

و (فاروق) يتذكر وهو يصعد إلى مصدر صوت الطلقة...منذ 17 عأمًا وفي تلك الليلة ثملت (فيروز)...الخدم رحلوا بأمرها و أبنها (فارس) مازال طفلاً نائماً في حجرته وابنها الكبير (فاروق) لم يعد بعد فهو في رحلة مع أصدقائه وسيعود اليوم..راحت تسكب لنفسها الكأس وراء الكأس وتثمل وتثمل..وهي تغمغم لنفسها بصوت كالفحيح: الوغد..لم يأتي كما قال..ويجلس في أحضانها..أنا من أوصله للقمة..في النهاية يفعل بي هذا.

الغيرة تقتلها قتلاً...كان من المفترض أن يُطلق زوجته الجديدة (جيهان) بعد أن يحصل على ثروتها...بل كان يجب أن تموت بالسرطان تلك اللعينة ولكنها شفيت بمعجزة والآن أنجب منها طفلة ويعيش معها ويبدو أنه سعيد بوضعه الحالي مع زوجتين.

عادت (فيروز) تسكب كأساً أخر فوجدت الزجاجة قد فرغت..ألقتها وفتحت أخرى..ثم قررت أن تشرب من الزجاجة مباشرة..فجرعت في نهم جرعة أخرى ثم عادت تقول: يتحجج بالوصية..الوغد الخائن..كل يوم يعدني بأقناعها.

سمعت جرس الباب فتهللت أساريرها وعدلت فستانها الضيق الذي ترتديه ثم نهضت وفتحت الباب بلهفة..كلا لم يكن (أكرم) بل هو (عزمي)..بدت عليها خيبة الأمل وأشارت بيدها كي يدخل ثم عادت تفترش أرض الصالة

فقال (عزمي): أين (أكرم)..ألم يأتي بعد؟

-ولن يأتي.

-أريد الحديث معه في أمر هام...لقد أخبرته أن ينتظرني اليوم.

-صديقك الحقير مع زوجته الثانية عليه وعليها وعلى ابنتهما اللعنة.

وعادت تجرع من الزجاجة.

تطلع (عزمي) إلى طاولة الطعام التي وُضِع عليها الطعام وقد تم تغطيته ووضعت الشموع..من الواضح أن (فيروز) كانت تعد لليلة رومانسية مع زوجها الذي لم يحضر.

سقطت (فيروز) شبه فاقدة للوعي وراحت تهمهم بكلمات غير مفهومة بها سباب لزوجها...تطلع اليها (عزمي)..طوال حياته لم يستطع أن ُيحب أحد سوى نفسه فقط...حتى بعد أن تزوج لم يستطع أن يحب زوجته..تزوجها لمصالحه الشخصية لا أكثر..حتى حُبهُ لِأطفاله نابع عن شعور عارم أناني أنهما سيكونان امتداداً له ولأسمه وسلالته لا أكثر..وإن كان بوسعه أن يُخَلَد في الدنيا لما تزوج ولا أنجب أصلاً..ولكنه مضطر حتى لاتضيع أمواله بعد وفاته..عليه أن يورث ثروته لأبنائه.

ولكنه لما رأى (فيروز) أول مرة شعر بشيء ما يتحرك في صدره..الشابة رائعة الجمال شديدة الدهاء والخبث ترمي بشباكها حول (أكرم) وكان وقتها أغنى منه...بعدها كلما رأها تحرك هذا الشيء..هل هو حب أم أعجاب؟...لا يدري..كل ما يعرفه أنها الآنسانة الوحيدة التي لها هذا التأثير عليه.

مال عليها فتطلعت نحوه بعينين ناعستين وأنبعث من فمها رائحة كريهة لاتطاق للخمور التي جرعتها وهي تهمهم: ذلك الوغد.

اقترب أكثر منها ومال عليها أكثر.

وبعد نصف ساعة عاد (فاروق) من الرحلة فلوح لأصدقائه مودعاً وغادرت الحافلة وهم بعبور الشارع فوجد (عزمي) يغادر بوابة القصر في سيارته ويسرع بالرحيل..كان يرغب في تحيته ولكن لن يستطيع الآن..مضى إلى داخل القصر..لم يكن طفلاً وقد أدرك من مظهر والدته التي تغط في النوم على أرض الصالة ما حصل خاصة أن والده غير موجود وكذلك الخدم..لقد خانت والده مع (عزمي)..ذلك الوغد الخائن.

أدرك كذلك أنه لن يحكي ما حصل أبداً..لن يدمر أسرته بالكامل وبرغم تردده فقد حسم أمره،سيحتفظ بالسر وسيلتهمه هذا السر وسيورثه الأحتقار لوالدته والكراهية والمقت ل (عزمي) وسيجعله يدفن نفسه في العمل وفي أي شيء قد يشغل عقله عن التفكير حتى بعد عودة والده بساعتين لم يتكلم وهو يحاول مصالحة والدته التي كانت تستشيط غضباً...فيما بعد وجد أن (فيروز) و(عزمي) يتصرفان وكأن شيئًا لم يحصل..برغم غيظه الشديد وحزنه وألمه الأشد فقد قرر الصمت خاصة وأن زوجة والده ماتت في حادث بعدها بيومين وعاد والده اليهم وإلى والدتهم من جديد بالكامل.

بيد أن هذا الحادث جعله يغلق قلبه أمام النساء وأمام والديه ويكره (عزمي)..وبرغم شكه في وضع (فادي) فقد أشفق على هذا الطفل الذي لاذنب له وقرر أن يحاول أن يحبه كأخ حتى وإن كان ثمرة للخيانة وهو أمر غير محسوم فلعله أخوه ولعله نصف شقيق،المهم ألا ذنب له.

***

برغم كل هذا..سالت دموع (فاروق) وهو يتحسس وجه والدته التي ماتت وراح يردد: أمي..أمي لاتتركيني.

من سوء الحظ أن (فارس) كان موجوداً فهو أبنها المدلل وقد أنهار أرضًا وراح ينشج ويبكي.

شعر (يوسف) بالشفقة لا الشماتة لموت تلك المرأة وذلك لأثر هذا الموت على ابنائها..من المؤلم أن يمر (فاروق) بما مر هو به..أن تُقتل والدتك أمام عينيك وأنت عاجز عن مساعدتها أو الزود عنها.

ظل (أكرم) جالساً في الصالة وطلب قدحاً من القهوة راح يشربه بلا مبالاة..لقد تمت خطته بنجاح...سيقول الطبيب أنها توفيت بلدغة أفعى وينتهي الأمر.

أتصل (يوسف) بالأسعاف وجاءت ومعها الطبيب الذي دلف إلى حجرتها..كانت ميتة ولا سبيل لأعادتها إلى الحياة فأخرج الطبيب جهاز تابلت وبدأ يكتب عليه التقرير..أسم المتوفية وسنها وحالتها الحالية والسبب المبدئي للوفاة..وتم حمل جثة الأفعى ووضعت في كيس والجميع متحير من وصول تلك الأفعى التي تعيش في الصحراء إلى داخل حجرة المتوفية.

***

كما وعد المحامي خرج (فادي) من السجن ووجد عند مغادرته سيارة تنتظره تجلس فيها (جوري) و(يوسف)، فتوجه إلى السيارة وأسرعت أخته تحتضنه بقوة وعاطفة جياشة وتربت على رأسه مهدئة وهو يبكي فقد علم بوفاة والدته وكان معرضاً للقتل بالأمس وكان يريد أن يقول شيئًا ولكن الكلمات أختنقت في حلقه وظل يبكي صامتًا وحتى وهو جالس بجوار أخته في السيارة وكفها يحتضن كفه لم يكف عن البكاء فظلت كلماتها الرقيقة تواسيه حتى وصلا إلى القصر.

لم يكن من سبيل إلى أخفاء الأمر عليه فهو سيغادر السجن ويفاجأ بجنازة والدته اليوم فكان لابد من أن يعلم حتى لايتعرض لصدمة أكبر.

داخل القصر بدا الشيخ يقرأ القرآن..اليوم هو جنازة (فيروز)...ففي الصباح وبعد التشريح بالأمس تم تسليم الجثمان لأبنائها وتم دفنها منذ قليل وعاد الجميع من المقابر..جاء بعض رفيقاتها من النادي للتعازي وغادروا

..ظلت (جوري) صامتة وشعرت بحزن حقيقي على (فيروز) فقد كانت (جوري) طيبة القلب متسامحة على أي حال.

بكى (فارس) بحرقة وظلت زوجته تواسيه وظل (فاروق) متماسكاً وظل (يوسف) معهم وهو من أنهى أغلب الأجراءات والمعاملات الرسمية.

بعد قليل ظهرت (بيرين) وقد أرتدت ثوباً داكناً وجاءت للتعزية.

تطلع (يوسف) نحوها في أستغراب وضيق متسائلًا عما تنتويه.

قالت: البقاء لله...رحمها الله وغفر لها.

ثم غمغمت بصوتٍ غير مسموع: كانت ذنوبها كثيرة.

غمغم (فاروق): شكر الله سعيك.

جلست (بيرين) وتطلعت نحو (أكرم) صامتة ولاحظت (جوري) نظرتها ولكنها لم تعلق، أما (أكرم) فقد كان دامع العينين قليلًا ولم ينكر أنه شعر بالحزن لرحيل (فيروز) إلى الأبد ولكن الحزن أختلط لديه بالغبطة مما جعل ملامحه وتعبيراته ونظراته غريبة.

دلفت (نبيلة) إلى القصر ترتدي ثوباً داكناً ورفع (فاروق) عيناه نحوها وحاول منع قلبه من الخفقان بقوة دون جدوى وقالت: البقاء لله..غفر الله لها.

وجلست صامتة ترمق (يوسف) فلم يبالي بها، إن كانت تريد أن تخبر (فاروق) فلتفعل فهذا سيوفر عليه المجهود.

بعد قليل نهضت (نبيلة) وقالت بصوت خفيض: (فاروق) بك..أعتذر فأنا أعرف أن الوقت غير مناسب ولكن هل يمكنك القدوم اليوم إلى المطعم بجوار الشركة في السادسة مساءً فهناك أمرٌ هام للغاية ولا يحتمل التأجيل ويجب أن أخبرك به..أنه حقًا لا يحتمل التأجيل وهو يتعلق بمصير أسرتك وشركتك.

تمتم (فاروق) بعد لحظات من التردد: ليكن.

تساءل في حيرة عما تريده منه ثم أسرع يغادر القصر في الخامسة ويتوجه إلى المطعم وكان الطريق مزدحماً فتأخر عن موعده قليلًا ولما وصل وجد (نبيلة) جالسة على أحدى الموائد تشرب كوباً من العصير في شرود فتوجه نحوها

فرحبت به وجلس..عليه أن يكف عن التعلق بها فقد عرض عليها الزواج ورفضت وعرض عليها العودة إلى العمل ورفضت كذلك.

قالت: أرجوك..فقط عدني أنك ستسامحني بعد أن أحكي لك كل شيء..أنا لن أعود لحياتك ثانية ولكنني لن أحتمل فكرة أنك تكرهني..هل يمكنك أن تعدني بهذا؟

قال وهو يتطلع اليها في حيرة:ليس قبل أن تخبريننى ما لديك.

قالت وهي تتنفس بعمق وكأنها تستجمع شجاعتها: ما حصل في حفل عيد ميلاد أبنة (عزمي الدمرداش) كان مخطط له منذ البداية..كل شيء مخطط له حتى توافق على أن أعمل لديك.

لم يرد وأن عبرت عيناه عن مشاعره فعادت تقول: كان الهدف من العمل لديك التقرب منك لمعرفة أهم أسرار الشركة وأهم صفقاتها حتى نحقق أنا وشركائي خطة للأنتقام من كلاً من (أكرم النعمان) و (عزمي الدمرداش).

ابتسم (فاروق) بركن فمه وقال: مالذي فعلاه هذه المرة أيضًا؟ وما علاقتهما بشركة أختي؟

ردت:هما السبب في مقتل زوجي وأخي ووالدي..هل هذا سببٌ كافٍ...زوجي وأخي قتلا في حادث نتيجة لتهور سائق ثمل وكأنهما كلبان والسائق هو ابن(عزمي الدمرداش) ولكنه لم ينل جزاءه بسبب نفوذ والده ومساعدة والدك (أكرم) بك..لم نكن ننوي أيذاء شركة (جوري) أو هي أو أنت أو أخوتك..ولولا أني متأكدة من هذا لما شاركت منذ البداية ولما أستمريت في تلك اللعبة.

-ومن هم شركائك؟

-زوج أختك (يوسف) ووالدته.

نهض (فاروق) بحركة حادة وقد أتسعت عيناه غير مصدق فعادت تقول:نحن السبب في خسارة المناقصة وأفلاس والدك وفي خسارة (عزمي) في البورصة وأفلاسه..أجلس..فأنا لم أنتهي بعد.

ولكن (فاروق) قال وقد شعر بأن الدم يغلي في عروقه وأن جسده يسخن من شدة الغضب:لقد تزوج أختي..هل تظنين أن حياتها وسعادتها لعبة؟

ردت متوسلة في لهفة: أؤكد لك..صدقني..إنه يحبها حقًا من قلبه..حاول كثيرًا ألا يفعل ولكنه...

قاطعها (فاروق) بصوتٍ هادر: كفي عن الكذب...أيُ حبٍ هذا؟

هتفت مسرعة وهي تنهض محاولة منعه من المغادرة:أسمعني من فضلك للنهاية..والدك و (عزمي) قد أذوه بشدة وكان

الهدف....

ولكنه أندفع مغادرًا بسرعة وقد بدا عليه غضب لايوصف بعد أن ألقى بثمن المشروب على الطاولة فهرعت تلحق به أمام نظرات الناس الفضولية وقبل أن يدلف إلى سيارته أستوقفته هاتفة: أنتظر..فقط لدقيقة.

توقف في مكانه أمام السيارة وتطلع اليها بنظرة مريرة ألمتها..تلك الفتاة..بعد أن كان قلبه مغلقاً كل تلك السنين قرر أن يُفتح لفتاة متآمرة عليه وعلى عائلته وشركته..ليس هذا فقط بل زوج أخته أيضًا متآمر بل هو المخطط..كان عليه ألا يتعجل في زيجة أخته ولكن جشع والده وتلهفه وحماقة أخته التي أحبت هذ الوغد حالت دون ذلك..ولكن مهلًا..تقرير السفارة قالآنه أنسان ممتاز.

هتفت (نبيلة) متوسلة: رجاءً أنتظر.

توقف أمام باب السيارة ودون أن ينظر نحوها قال:هل عبثتي بتقرير السفارة؟

وقفت تلهث ثم قالت: أجل.

استدار نحوها فأكملت: متأسفة.

-إذًا هو ليس أجنبياً ولا ملياردير؟

-لا أعرف..السيدة (بيرين) تلك هويتها الحقيقية..أما (يوسف) أبنها فهو قد مات في حادث وذلك الجزء محوته من التقرير ومعه صورة شهادة الوفاة.

-وما حدث ل (فادي)،هل هو من تدبيره؟

-بل من تدبير والدك.

تجمد (فاروق) وحملق فيها غير مصدق ثم ركب السيارة وأنطلق دون أضافة كلمة ولم ينظر نحوها واقفة وهو يبتعد وحجمها يتضاءل في مرآة السيارة،هو ليس (فارس) ربما يسامحها يومًا ولكنه لن يقترن بها أبداً.

صرخ بغته: لماذا؟

ثم أوقف السيارة وعاد يصرخ: طوال حياتي وأنا أبذل جهدي كي أكون انسانًا صالحاً..شريفاً مستقيمًا..حاولت جهدي كي أبعد أخوتي عن تأثير والدتي وأبي وصديقه القذر (عزمي).. أجل..أعرف أنهما ليسا رائعين..أعرف أنهما تسببا في أيذاء كثير من الناس ولكن ماذنبي أنا وأخوتي.

وقفت سيارة بجواره وتساءل قائدها: هل تحتاج مساعدة ياسيدي؟

تطلع نحو قائد السيارة المجاورة ورد في تهذيب بلهجة عصبية: شكرًا..كلا.

مضت ثوانٍ من الصمت ثم أنفجر (فاروق) يضحك في سخرية ومرارة وظل هكذا لنص دقيقة ثم قال لنفسه: هيا يا (فاروق) أذهب وقل لأختك الحامل الضعيف أن زوجها الذي تحبه من كل قلبها ووالد ابنها نصاب..هيا أفعل ذلك..ربما تموت أو تنهار أو تفقد الجنين.

ثم قاد السيارة عائداً إلى القصر وغادر وكان يبدو شاحبًا غاضبًا ودلف إلى القصر فوجد (فارس) جالساً في الصالة شارد الذهن دامع العينين فجلس بجواره صامتًا

قال (فارس): (فادي)..هلا صعدت اليه..والدي غادر وقالآنه سيذهب إلى النادي.

-سأصعد لرؤيته بعد قليل..أين (يوسف)؟

-مع (جوري) في حجرتهما.

نادى (فاروق) بعصبية على أحدى الخادمات بشكلٍ جعل (فارس) يجفل وقال :أصعدي إلى حجرة (يوسف) بك وأخبريه أن يأتي إلى مكتبي بالأعلى حالاً.

ثم نهض صاعداً إلى حجرته ومر على حجرة أخيه الصغير النائم فدلف وأقترب من سريره وتحسس شعره برفق ثم طبع قبلة حانية على رأسه وكلمات (نبيلة) تتردد في أذنه بأن والده من كاد لأخيه، من رحمة الله عز وجل بهذا الصبي أن (عادل) كان قد قُتل بالفعل قبل وصوله اليه فما كان هذا الصبي ليتحمل السجن ولو لأيام.

غادر إلى مكتبه بجوار حجرته فدلف اليه ولم يستطع الجلوس فظل واقفاً حتى جاء (يوسف) يرتدي منامته فاستدار اليه (فاروق) وفي عينيه نظرة غضب مميتة وفتح فمه ليتكلم فقال (يوسف): إذًا فقد حكت لك (نبيلة) كل شيء.

-هل أصبح اللعب الآن على المكشوف؟

-لقد أنتهيت من أنتقامي ومن اللعب.

-ممتاز..أريدك خارج هذا القصر حالاً.

-كلا.

-ماذا قلت؟

-لن أغادر القصر..ليس قبل أن أوضح كل شيء.

-لا أريد أن أسمع توضيحاتك أو مبرراتك..لايهمني ما فعله والدي و(عزمي) بك أو بأهلك...لايهمني سوى أن تغادر وألا قتلتك بلا رحمة ولا تردد وأريدك ان تطلق اختي كذلك..وستعيد أموال أختي من صفقة تلك الشركة الأسيوية فورًا وألا...

تساءل (يوسف) بهدوء: وألا ماذا؟

-وألا سُتلقى بالسجن أيها النصابُ الُمحتال..المنتحل لشخصية رُجلٍ ميت.

قال (يوسف): هذا صحيح..أنا لست (يوسف سليمان أوغلو)...وحتى ملامحي ليست ملامحي فقد قمت بعملية تجميل لتغييرها..ولكنني لم أنتحل شخصية أخرى لأني أردت ذلك..بل كي أتخفى لأن والدك والسيد (عزمي) أرادوا قتلي وحاولوا فعلًا عدة مرات..كذلك قتلوا أمي أمام عيني وقتلوا أبي قبل أن أولد منذ سنوات.

صرخ (فاروق): كاذب..أنت تكذب وبكل وقاحة.

ثم خفض صوته وأضاف:أن كنت تتحدث عن (عزمي) فقط كنت سأصدقك فهو قادر على القتل..أما أبي فإن أقصى ما يفعله مخالفات قانونية أو محاربة شركة منافسة بطرق قذرة..والدي لا يستطيع قتل أنسان.

أستفزته أبتسامة (يوسف) القاسية الساخرة ثم جاء رد (يوسف): أستطيع رؤية أرتعاشة يدك ونبرة التردد في صوتك،

هل تدافع عن والدك بأستماتة هكذا لثقتك به أم لأنك تحتاج إلى هذا؟ تعرف أن والدك قادر على القتل وأيذاء حتى من يحبهم وإن شاء يمكن أن يتحول إلى وحش.

أتسعت عينا (فاروق) في غضب وإن خفق قلبه في خوف..ماذا إن كان هذا الكلام صحيحاً.

-أخرج من هذا القصر.

-لا، زوجتي وابني في هذا القصر، كما أنني أمتلك نصف هذا القصر في الواقع.

-ماذا تعني بالضبط؟

فقال (يوسف): أسمي هو (إياد إياد أدهم النعمان)..يمكنك التأكد بتحليل الدي إن أيه طبعًا.

ترنح (فاروق) وكأنما تلقى ضربة على رأسه وظل صامتًا ثم قال أخيرًا بعد صمت:ابن عمي قد توفي..في حادث سطو مس..

قاطعه (يوسف): قُتل هو ووالدته على يد رجال والدك و (عزمي).

-وعمي، لقد كان مريضاً بالقلب وهذا ما تسبب في وفاته.

-بل قُتل عمداً بمنع الدواء عنه وعدم طلب سيارة الأسعاف حتى لفظ أنفاسه أمام قاتليه.

ظل (فاروق) صامتًا مذهولاً فأكمل (يوسف): السيدة (بيرين) هي جدتي وهي من أنقذ حياتي،غدًا صباحًا سأجعلك تشاهد السبب.

واستدار مغادرًا ففتح الباب ثم تجمد في مكانه فقد كانت (جوري) تقف على باب المكتب تنظر اليه الآن مباشرة بهدوء حزين..نظر نحوها بندم وأسف شديد ولكنها قالت بصوت خفيض ضعيف: كنتما تتشاجران منذ قليل بصوت مرتفع فأتيت لأعرف السبب.

تمتم (فاروق): (جوري).

ردت: دعنا نعرف السبب الآن، لا أريد أن أنتظر للغد.

لم يتكلم (يوسف) فقد كان قلبه ينقبض في أنفعال ولا يجد ما يمكن قوله في هذا الموقف الرهيب، كان يريد أن يمهد لها الأمر لا أن تسمعُه هكذا.

عادت (جوري) تقول: (فادي) نائم، فلندعه خارج هذا الأمر فهو لن يتحمل صدمة أخرى..(يوسف) أفصح عن كل شيء من فضلك الآن..الآن.

نطقت كلمتها الأخيرة بصوت مرتفع وبانفعال شديد وقد أحمر وجهها وأذنها وتجمعت الدموع في عينها دفعة واحدة فأجفل الأثنين ثم قال (يوسف): لنهبط إلى الصالة، (فاروق) نبه على الخدم ألا يغادرو المطبخ أو مواقع عملهم.

استدارت (جوري) هابطة إلى الصالة حيث جلس (فارس) صامتًا وقد عادت (جميلة) إلى منزل والدتها منذ قليل وتبعها (يوسف) و(فاروق) الذي نفذ ما طلبه منه (يوسف) ثم أجتمع الأربعة في الصالة.

وبدا (فارس) متحيراً من تجهم ملامحهم ثم قال (يوسف): هناك شيء يجب أن تروه، وقد فعلت الكثير كي أحصل عليه.

مضت فترة صمت ثم عبث (يوسف) في جيب البنطال وأخرج علبة صغيرة فتحها وناولها ل (فاروق) صامتًا.

تطلع (فاروق) إلى محتوى العلبة ثم قال في حيرة:ذاكرة ألكترونية؟..ولكنها قديمة الطراز جدًا..هناك أنواع أحدث...

رد (يوسف) مقاطعًا: الطراز لايهم..ما يهم هو المحتوى..حصلت عليها من خزانة (عزمي الدمرداش).

ثم نظر نحو زوجته الرقيقة التي ظلت صامتة تستمع إلى مايقال بأنتباه ودون حتى أن تتطلع اليه بأتهام..كان في نظرته

أعتذار وندم.

وضع (فاروق) الذاكرة الألكترونية في التلفاز وقام بتشغيلها..ثمة فيديو فقام بتشغيل الفيديو..وأتسعت عيناه وشحب

وجهه أما (فارس) فقد تجمد مذهولاً..(جوري) المسكينة لم تصدر أي صوت..فقط راحت دموعها تسيل بصمت تام وكأنها تخشى أن تصدر صوتاً فتزيد من ألام اخوتها ثم تطلعت إلى (يوسف) الذي همس: أنا أسف.

أنتهى الفيديو..لم يكن التصوير متقناً ولكنه واضح ولم يكن الصوت واضحاً ولكنه مسموع..وأنتهت معه حياة تلك الأسرة...فمن المستحيل أن تعود حياتهم كما كانت.

وخطر في بال (جوري) أنه لايجب على (يوسف) أن يعتذر بل يجدر بها هي وأسرتها الأعتذار له، لقد شاهدت والدها للتو بالأشتراك مع (فيروز) و(عزمي) يقتل أخيه عمداً، وحرم (يوسف) من أباه وحقوقه حتمًا.

غمغم (فاروق): مستحيل..مستحيل..لقد كنت يومها في حجرتي ألعب..كنت يومها..

ثم صمت، أما (فارس) فقد دفن وجهه بين كفيه ولم ينبث ببنت شفة.

قال (يوسف): أنا (إياد إياد أدهم النعمان)..تم قتل والدتي بمجرد أن وصلتنا تلك الذاكرة من مصورها الذي كان يحتضر فشعر بتأنيب الضمير وأحضرها لنا..والدي هو المالك الحقيقي لنصف شركة (ورد الجوري) وتم تزوير الأوراق،ولهذا حصلت على حقي لا أكثر 50% من أسهم الشركة، حصلت على تلك الذاكرة من شركة (عزمي) بشق الآنفس منذ وقت قصير فقط وهي لكم،أنا حقًا..أقسم بالله..لاأرغب في أيذاء أي منكم.

رفع (فارس) وجهه..مزيد من الصمت..موقف لايجد فيه أي شخص ما يقول ثم نهضت (جوري) ببطء صاعدة إلى حجرتها وسمع (يوسف) صوت سيارة (أكرم)

تتوقف في الخارج وهو حقًا لا يطيق رؤيته الآن بالذات فصعد بدوره إلى حجرته وقال قبل أن يفعل: (فاروق)..الذاكرة لك أفعل بها ما شئت.

***

الفصل الخامس عشر

(نهاية القصة)

الشاي بالنعناع رائحته لاتقاوم.

مد (كامل) يده فرشف من كوبه ثم قال: بالنسبة لي يا سيدتي..لقد حققت أنتقامي..(عزمي الدمرداش) ُمتهم بالتلاعُبِ في البورصة بعد أن قُمتُ بتقديم هذان الموظفان بأوراق أدانتهما إلى الشرطة ومتهم بالتحريض على القتل ومتهم بالنصب وعليه ديون عليه تسديدها...وسيتم الحجز على جميع ممتلكاته.

وتطلع نحوها في فضول، وكانت شاردة غارقة في أفكارها الخاصة فتنحنح المحامي مما أعاد لها أنتباهها فقالت:

(يوسف) وقع في حب الفتاة وأخوتها.

لم يجب (كامل) فقد قرر أن يدعها تفضفض بما في جعبتها فعادت تكمل: لن ينتهي الأمر نهاية سعيدة،بالنسبة له..كنت مخطئة،هذا الولد وبعد أن أتم أنتِقامه لن يشعر بالسعادة، سوف يسلم الذاكرة إلى (جوري) أو (فاروق)..في النهاية لم ينتقم لوالدته حقًا.

ثم ابتسمت فجأة وتغيرت لهجتها إلى الجذل وهي تقول: جاسوستي قامت منذ قليل بالذهاب إلى الشرطة والقيام بدورها كاملًا، والآن لن يشعر المحققون بالحيرة من وجود أفعى سامة قاتلة في حجرة (فيروز).

ورشفت من كوب الشاي ثم قالت: أخبرني، كم سيمكث (عزمي الدمرداش) في السجن؟

رد (كامل): التحريض على القتل دون وقوع القتل من 10 إلى 12 عأمًا، التلاعب في البورصة وتدميرعدة شركات ورشوة موظفين 15 عأمًا..عدم سداد الديون حوالي من 7 أو 10 أعوام...سيظل في السجن 30 عأمًا في المتوسط وغالباً لن يغادره فهو ليس شابًا.

ردت بضيق: هل تعني بأن هذه العقوبة أفضل؟..ربما ولكن ماذا عن (أكرم)؟

-سنرى.

-أجل...سنرى.

***

ليست (جوري) في حجرتها..خفق قلب (يوسف) في قلق وشعر بالآنقباض، لقد صعدت إلى حجرتها منذ دقائق وقد لحق هو بها ولكنها ليست هنا..بحث في الحمام الملحق والشرفة ثم قام بفتح خزانة الثياب فوجد أحدى ثيابها ناقص،لقد أرتدت معطفاً خفيفاً وحملت حقيبتها وهاتفها وغادرت..أسرع يهبط إلى الطابق الأرضي ومنه إلى الخارج وكان (أكرم) يدلف إلى القصر بتثاقل وبطء وكأنه لا يرغب في العودة إلى قصره بعد أن غادرته (فيروز) التي قتلها بنفسه وقال (أكرم) شيئًا ما ل (يوسف) الذي تجاهله مسرعاً حيث البواب وسأله بسرعة: هل رأيت (جوري) هانم؟

رد البواب: غادرت منذ دقائق يا بك.

-في أي أتجاه؟

-من اليسار.

أسرع (يوسف) يركض بحثاً عنها..أين ذهبت؟..في هذا الوقت وبحالتها النفسية والجسدية الواهنة..لكنه لم يجد لها أي أثر، ليست في مركز التسوق القريب ولا الحديقة ولم يرها بائع الفاكهة على ناصية الشارع فخمن أنها غالباً قد أستقلت سيارة أجرة إلى مكان ما.

توقف عن الركض ووقف يفكر، قام بفتح هاتفه وراح يحاول تتبع موقعها ثم تذكر برنامج التنصت الذي قام بأغلاقه منذ زمن..أسرع يتصل بمهندس الأتصالات وطلب منه في لهفة وعجالة أن يعيد فتح البرنامج الآن فورًا.

وضع السماعات على أذنه وأوقف سيارة أجرة بعد أن عرف أخيرًا وجهتها المجهولة..أنها متوجهة إلى موقع حديقة الشركة.

لاصوت..ظل يستمع بانتباه وحاول سائق سيارة الأجرة أن يثرثر فأشار اليه بصرامة أن يصمت، فليس لديه أدنى رغبة في الثرثرة وقلبه وعقله مشغولان بفتاته الكسيرة.

أخيرًا جاءه صوت تنفسها..ثقيل ومفعم بالهموم..تتنفس ومع كل نفس يخرج منها يشعر بالمرارة الجاثمة على قلبها،ثم شرعت في البكاء فخمن أنها لوحدها الآن في أحدى أركان الحديقة ولكن صوت بكائها صار مكتوماً وكأنها تضع يدها على فمها..لعلها تبكي من أجل الزهور والنباتات التي قامت بزراعتها بنفسها والتي كادت تتلف فقط كي يُتِم خِطته، ولكن المؤكد أنها تبكي بسببه..بسبب ما عرفته.

قال السائق: وصلنا يا بك.

لم يجد لديه القوة كي يجيب وظل قابعاً في المقعد الخلفي يحدق في سور الحديقة بصمت، كرر السائق جملته في ملل فناوله (يوسف) أجرته وغادر ولكنه لم يدلف إلى الحديقة بل وقف على الرصيف المقابل صامتًا..مازالت تبكي وقد تمنى أن يهرع اليها فيضمها إلى صدره لولا أن رؤيتها له الآن قد تدفعها إلى مزيد من البكاء أو تدخل على قلبها المزيد من الحزن.

لم يعد يشعر بالوقت وخُيل اليه أنه يمر ثقيلاً شديد البطء حتى هدأت أخيرًا وإن ظل تنفسها يعكس مشاعر قلبها، ثم شعر بها تنهض وبعد قليل غادرت الحديقة وحيت حارس البوابة بهزة رأس فنهض مسرعاً كي يشير إلى سيارة أجرة مارة ثم فتح لها الباب كي تركب فشكرته بلطف كعادتها وتحركت سيارة الأجرة.

تساءل (يوسف) إن كانت ستعود الآن إلى القصر وظل واقفاً لدقائق ينتظر سيارة أجرة حتى مرت واحدة فأوقفها ودلف اليها متتبعاً (جوري)، ولكنها لم تكن متوجهة إلى القصر..إلى أين ستذهب الآن، لا يدري..ثم خطر في باله أنها ربما هي نفسها لاتدري، أنها تهيم على وجهها لعدم رغبتها في العودة أو ربما حتى لاتراه،أسرع يتصل بها ولكنها تجاهلته ثم أغلقت الهاتف..والآن فقد أثرها مؤقتاً حتى يعمل برنامج التجسس على تتبعها من جديد.

لقد توقفت عند كوبري قصر النيل وهبطت قال للسائق : أسرع من فضلك.

وفكر في ذعر أنها قد تُقدِمُ على الآنتحار..صوت تنفسها يتسارع كشخص يقاوم بكل قوته حتى لاينهار باكياً..هتف بالسائق أن يتوقف وقفز من السيارة تقريبًا وأسرع يركض..هاهي تقف شاردة وتتأمل نهر النيل بينما الهواء البارد يبعثر شعرها وقد أحمر أنفها من البرد والبكاء ثم استدارت بغتة منصرفة فتوقف وتطلع اليها إذ تتحرك مبتعدة وبعض المارة يرمقونها في فضول..ظل يتبعها بأنتباه وعلى مسافة كافية وقد تيقن أنها تفتقد التركيز فيما حولها الآن فعقلها غارق في أفكاره ولو مشي بجوارها فلن تنتبه لوجوده..أستمر الوضع ساعة ثم توقفت وقد بدت متعبة حقًا وأشارت إلى سيارة أجرة وهذه المرة عادت إلى القصر.

***

حينما عاد (أكرم) كان (فاروق) هو الوحيد الجالس في الصالة يحدق أمامه صامتًا فتوجه نحوه وقال: أين أخوك؟

رد (فاروق): في حجرته،يجمع ثيابه في حقيبة لأنه سيغادر.

قال (أكرم) في غيظ: هل جن الجميع؟...أخبرتكم أن موضوع (فادي)...

قاطعه (فاروق) بهدوء: منذ سنوات وأنا أحاول الحفاظ على تلك العائلة...منذ سنوات وأنا ألعب دور الأب البديل والأخ والمسئول...هل تعرف يا أبي كم أحترق قلبي وأنا أكتم أحيانًا وأتجاهل أحيانًا ما أعرفه كي نظل أسرة سعيدة..هل تدرك كم يعاني ابن يحتقر في أعماقه والديه ولكنه يضغط على نفسه كي يكون أبناً باراً؟

قال (أكرم): تأدب يا ولد..هل جننت؟

ولكن (فاروق) ابتسم أبتسامة حزينة وقال:ظللت مهذباً باراً أطول مدة أستطعتها ضاغطاً على نفسي أو واهماً نفسي..هل أحببت أنا أسرتي أكثر منك؟

هتف (أكرم) هذه المرة بغضب: ما معنى كلامك هذا؟

رد (فاروق): كل ما حصل مع (فادي) كان من تخطيطك أنت.

هتف (أكرم): ولماذا أؤذي ابني؟

رد (فاروق): لأنك عرفت كما أعرف أنا أنه ليس أبنك.

-.....

ظل (أكرم) مشدوهاً لثوان ثم أتسعت عيناه وقال: هل كنت تعلم؟

هز (فاروق) رأسه نافياً بمرارة، فهو لم يكن يومًا مستيقناً من الأمر،ما يعلمه أن والدته قد خانت والده في تلك الليلة رغم أنه ظل يقنع نفسه بأنه لم تقع أي خيانة وأنه متوهم..أما عن (فادي) فقد أفترض دومًا أنه شقيقه ولم يحاول التفكير في الأمر حتى لايجره هذا إلى المزيد من الحقائق المؤلمة، هو أخوه سواء نصف شقيق أو شقيق.

صاح (أكرم): كيف عرفت إذًا؟

تمتم (فاروق) وقد بدأ يشعر بالضعف والأختناق والرغبة في أنهاء هذا الموقف: كان لدي شكوك، ولهذا حذرتك يا أبي مراراً من (عزمي الدمر...)

قاطعه صفعة قاسية هوى بها (أكرم) على وجهه،وهي من اللحظات النادرة جدًا التي كان يضرب فيها (فاروق) فلطالما كان هو الأبن الأقل إثارة للمشاكل من بين أبنائه.

كان يبدو أقرب إلى الجنون حقًا..كان يصرخ: ابني أنا قد خانني..ابني حولني إلى ديوث..كنت تعرف وسكت طوال تلك السنوات..كل أبنائي أوغاد..أنت أو أخوك اللعين (فارس) أو ذلك اللقيط (فادي).

بدأ الخدم يغادرون المطبخ ويسترقون السمع..وتجمد (فارس) في مكانه..كان يهبط الدرج جاراً حقيبته ونظر نحو تلك المشاجرة ثم ترك الحقيبة وتوجه إلى الصالة بعد أن أمر الخدم بصرامة أن يعودوا إلى أشغالهم.

صفعة أخرى على وجه ابنه الكبير وهو يصرخ: تحب أمك الحقيرة إلى هذه الدرجة...أيها القذر الوغد..ولكن صبراً..أنتم جميعًا محرومون من الميراث ومطرودون من بيتي...ليس لي أبناء سوى (جوري) فقط..ابنتي المسكينة..كم ظلمتها..كلكم أوغاد وأبناء@$#^%$^.

أتسعت عينا (فارس) وكان لايفهم القصة طبعًا ولكنه أدرك أن والده يسب والدته المتوفية فهتف: لم تلقي علينا المواعظ وتسب والدتي رحمها الله، لايمكنك أن تلومها

لوحدها على جريمتك فقد كان أخوك وقد شاهدته يموت ثم أنك قتلت زوجته وحاولت قتل ابن عمي.

شحب وجه (أكرم) دفعة واحدة وقد بوغت بأن أبنائه يعلمون عن جرائمه وشعر بهزة تجتاح جسده أمام تعريه بهذا الشكل أمامهم.

قال (فارس): سأذهب إلى زوجتي وسأبتاع بيتاً أعيش فيه معها ولن أعود ثانية إلى هنا.

وأومأ برأسه إلى (فاروق) وقال:لم أعد أطيق البقاء هنا لثانية.

واستدار مغادرًا القصر،وأنهار (أكرم) على أحدى المقاعد ثم غمغم: كيف عرفتم؟

رد (فاروق) بعد أن جلس بدوره: هناك تسجيل للجريمة.

صاح (أكرم): ولكننا تخلصنا من (صابر).

كان (أكرم) يفقد حذره ويرد بغضب وتلقائية ويكشف أوراقه بالكامل.

قال (فاروق): أبي،هل تكن أي مشاعر أبوة أو حب ل(فادي) على الأطلاق.

رد (أكرم) ببرود: ولا ذرة.

-كيف هان عليك؟ كيف طاوعك قلبك؟..انه أخي وأبنك..فأنت من رباه صغيراً..كيف تبخر كل الحب الأبوي من قلبك.

-هههههه...حب أبوي؟..لماذ أكن أي حب للقيط ليس أبني..سأترك الحب الأبوي لوالده..أما أنا فقد أنتقمت لشرفي وكرامتي...وأنت يا (فاروق)..غادر هذا المكان فأنت لست أبني وأنا أتبرأ منك.

لم يعلق (فاروق) بل نهض وتوجه إلى الطابق العلوي..من حسن الحظ أن (فادي) نائم بعمق..سيشرح له الأمر بتأني ورفق فيما بعد، الله وحده يعلم كيف يمكنه أن يشرح أمرًا كهذا ولكنه سيجد حلاً..دلف إلى حجرة (فادي) فأستلقى على السرير بجوار أخيه يحدق في السقف أملاً في أن يتمكن من النوم ولو قليلًا فعليه أن ينتقل بدوره مع (فادي) من هذا المنزل، ولكنه الآن يشعر بالقلق من ترك أخيه لوحده حتى الغد.

***

حينما عادت (جوري) إلى المنزل الذي يخيم عليه الصمت توجهت إلى حجرتها ولكنها لم تصرخ ولم تحطم ما حولها..بل جلست على الأريكة صامتة غارقة مستغرقة في خواطرها.

لايحزنها حقيقة أن والدها فعل ما فعل بقدر ما يحزنها أن زوجها وحبيبها (يوسف) كان يخدعها منذ البداية..لم يتزوجهاالآنه أحبها..لم يطاردها ولم يدافع عنها في كل مناسبة بدافع الحب..بل كي يخدعها فتحبه ويتزوجها ويدخل إلى العائلة ليدمرها..ويستولي على الشركة..سمعت طرقات على باب الحجرة ثم دلف (يوسف)...أنحنى أمامها على ركبته ومد يده الدافئة يضعها على وجنتيها..لم تفعل شيءً..ظلت دموعها تسيل بصمت.

لم يدر ما يقول في البداية ثم فتح فمه ليتكلم ولكنها قاطعته قائلة: تلك هي الحادثة التي غيرتك؟ التي وعدتني بأن تخبرني بتفاصيلها؟

-أجل.

-الأرق والصداع الذي ينتابك أحيانًا..

-الأرق نفسي كما يؤكد الطبيب، والصداع كذلك وإن كنت أظن أن الطلقة التي تلقيتها في رأسي تلعب دوراً ما في الأمر.

ندم على أسلوبه الساخر قليلًا عندما تبدى الألم على ملامحها وكأنها تشعر بالرصاصة تخترق رأسها هي فهتف مسرعاً:

أنا بخير الآن.

ومضت لحظات من الصمت ثم قال:أغفري.

-.....

-أنا أحبك..إن كنت خدعتك في البداية فأنا الآن أقول الصدق..لاتتخلي عن هذا الحب.

-.....

-سأحرق تلك الذاكرة الألكترونية فلا أريد أيذائك أو أيذاء أخوتك..لم أعد أريد سوى ان نعيش معًا بعيدًا عن الماضي..(جوري)؟

-.....

مال فقبل دموعها ثم مد أصبعه ومسح الدموع ولكنها ظلت تسيل.

عاد يقول: أنتِ قلتِ أنك لن تتخلي عني أبداً مهما حصل...أنتِ تحبينني فلا تنهي هذا الحب فتحكمي علينا نحن الأثنين بالتعاسة.

أخيرًا تكلمت فتمتمت: هل تحبني؟

-بالتأكيد وأنت تعلمين.

-ولكن حبك لي لم يكن قوياً بما فيه الكفاية كي يثنيك عن أنتقامك.

نهض وقال في شيء من الحدة: لقد تعذبتُ كثيرًا وأنا أنفذ خطتي لأنني كرهت نفسي بسبب ما أفعله بك.

-ومع ذلك..أستمريت..أنت توقفت الآن...الآن فقط.

-بل كنت أنوي التوقف منذ فترة..أخبرت جدتي..(بيرين) هي جدتي والدة أمي..اخبرتها بأنني سأنتقم لمقتل أمي..أمي قتلت أمام عيني وهي ساجدة ووالدي قتل قبل أن أولد...وحاولوا قتلي في المستشفى وأنا ملقى في غيبوبة لا أحد يسأل عني...غيرت أسمي وشكلي كي أهرب من الموت..بربك إن تعرضت أنتِ لكلِ هذا أما ُكنتِ لترغبي في الآنتقام؟، في تحقيق العدالة ضد من أفلتوا منها.

تهانفت وقد أحمر أنفها بسبب البكاء ثم عادت تقول: والآن ماذا؟..هل تظن أنه يمكننا أن نعيش معًا حياة طبيعية كزوجين..هل ستنسى أن والدي قتل والديك؟..هل سأنسى أنك خدعتني وتزوجتني لتحقيق أنتقامك؟

هتف: أجل..سأنسى لأن والدك نال جزاءه فعلًا..وكذلك (عزمي)..لقد أنتهى الأمر تمامًا بالنسبة لي..وأنتِ ستسامحينني لأنك تحبينني..أجل خدعتك ولكنني أقسم بالله

أحببتك..أحب برائتك وطباعك وأبتسامتك وغمازتيك..أحب أفكارك وشخصيتك وأرائك..أحب أبننا (نور) الذي تحمليه.

وقبل رأسها وقال: قولي أنك لن تتخلي عني..دعينا ننتقل إلى بيت جميل صغير نعيش فيه أنا وأنت و(نور)

وأخوتك معنا كذلك إن رغبوا..ما رأيك؟

هزت رأسها وقالت: ولكن..حتى زواجنا مزور..تزوجت شخصاً غير موجود..أسمك الحقيقي هو (إياد) لا (يوسف).

-الأثنين هما شخص واحد..أنا..انتِ تزوجتني أنا..لا يهم الأسماء فهي مجرد أسماء على ورق..المهم هو أنني زوجك وحبيبك.

نهضت (جوري) ولكنها ترنحت وكانت في حالة من الضعف والتعب فسارع (يوسف) بأسنادها وأفلتت منه بلطف ودلفت إلى الحمام وظل هو واقفاً في مكانه لايدري ما يفعل ثم توجه إلى حجرة (فاروق) فلم يعثر عليه ولا في مكتبه فتوجه إلى حجرة (فارس) فوجدها كذلك خاوية فتوجه إلى حجرة (فادي) وطرق مرة ثم فتح الباب ونظر إلى (فاروق) الذي بادله النظرات فقال: أين الذاكرة؟

مد (فاروق) يده إلى جيب بنطاله فأخرجها وناوله أياها فتناولها (يوسف) وهبط إلى المطبخ وكان خالياً نظراً لتأخر الوقت فوضعها على الموقد الألكتروني
وأشعلها..وتحمل الرائحة الكريهة والأبخرة حتى أنتهى أمر الذاكرة بالكامل فعاد يصعد إلى حجرته وهتف (أكرم) من مكتبه متسائلًا: ما تلك الرائحة؟

ولم يجبه أحد فقد تجاهله (يوسف) تمامًا ودلف إلى حجرته فوجد (جوري) جالسة على حافة السرير ووجهها مبتل بالماء وبعض خصلات شعرها وتحاول ألا تبكي من جديد.

قالت بغتة: أنا أريد الطلاق.

رد بحزم ولكن بلطف وهو يجذب يدها بهدوء: لن يحدث.

-ما نحن فيه كذبة..لازواج...الآنسان يتزوج كي يُكوِن أسرة..كي يكونَ مع من يحب...أما أن يتزوج من أجل إتخاذ الزواج وسيلة للأنتقام..فهو ليس زواج..إنه كذبة يجب أن تنتهي.

حاول (يوسف) أن يهدأ كي لايرفع صوته في هذا الوقت فقال: أنا أحبك وأعرف أنك تحبينني فلا تنكري.

ردت: لن أنكر..أنا أحبك جدًا..منذ رأيتك..وحتى الآن بعد أن عرفت كل الحقيقة مازلت أحبك.

-لماذا تتحدثين عن الطلاق ودمار أسرتنا إذًا؟

-لأنك دمرت أسرتي بالفعل..لأن الحب وحده لايجعل من الزواج ناجحاً..هناك عوامل كثيرة كالصدق والصراحة وعدم وجود ثأر قديم مثلاً وكل تلك العوامل ليست في زيجتنا.

وجذبت يدها برفق وأضافت: (يوسف)..حتى ملامحك الأصلية لا أعرفها وطباعك الحقيقية قبل أن تتعرض لما تعرضت له برغم تلميحاتك السابقة..أنا لاأعرفك حقًا.

هتف هذه المرة: قلت لك أنا هو أنا.

ثم خفض صوته وقال: أحببتك حقًا وما كنت أظن أنني سافعل ولهذا لن أتخلى عن زواجنا ولا عن هذا الحب.

هزت رأسها وقالت: وانا مصرة على الطلاق.

-وأنا لن أطلقك.

من عينها أطلت نظرة عطوفة حزينة وقالت: إذا بنيت الأساس بشكلٍ خاطيء..فمن البديهي أن ينهار البناء عاجلاً أو أجلاً.

-فلسفة..وما زلت لن أتخلى
عنك.

-حسنًا فكر في الأمر هكذا ودع نفسك مكاني..تخيل أن زوجتك التي تحبها وتثق بها كانت تنام بجوارك على الوسادة وهي تخطط لسجن والدك وتدمير أسرتك ثم تبتسم لك مؤكدة أنها تحبك...أرأيت؟..الآن فهمت؟..أنا لا ألومك على رغبتك في الآنتقام لأنني بصراحة إن كنت مكانك لما أستطعت أن أغفر ولكن..ولكنني ألومك لأنك أستطعت خداعي والكذب وأنت تتطلع إلى عيوني..أنا لم أعد أثق بك..كما أنني أخشى أنك لن تنسى أبداً أن أبي قتل والديك كما لن أنسى أنا ما حدث لأبي..لذا أرجوك..طلقني..ولا تجبرني إلى اللجوء للمحاكم.

-لا أستطيع..لن أفعل..سأتركك قليلًا كي تهدأ أعصابك وسأمكث حتى الصباح في حجرة الضيوف..حاولي أن تنامي.

وغادر الحجرة.

***

خرج (عزمي) بكفالة على ذمة التحقيق، ولم يعلم شيئًا عما حدث لصديقه ولا لمحبوبته المغدورة وبينما يسير مغادرًا بجوار محاميه أكد له المحامي أن موقفه ضعيف خاصة عندما يعترف الفتى ووالده بأنه من منحهما المال وحرضهما على القتل.

قال (عزمي): أنا لن أظل هنا..سأهرب من الأتحاد.

-ولكن أسمك وضع على قوائم الممنوعين من السفر سيدي.

-تصرف إذًا..الست المحامي..أوجد لي وسيلة للهروب أي كانت.

ثم ركب السيارة وقال للسائق: توجه إلى الشركة.

سوف يهرب ولكن قبلها سينتقم..سيُحضر الذاكرة الألكترونية التي أحتفظ بها طوال تلك السنوات بدل من تدميرها كما أخبر الجميع..كان على حق في أحتفاظه بها فهاهو الآن يحتاجها..ضحك فتطلع اليه السائق عبر المرآة..سوف يرسل الذاكرة إلى المدعي العام وبذلك ينتهي (أكرم) وعائلته إلى الأبد..ولكن قبلها سيحصل على بعض الأموال

من (جوري) مقابل الذاكرة..أما هو فسيغادر الأتحاد ويعيش حياته في الخارج..ستكون زوجته وأبنته بخير..فوالد زوجته من عائلة عريقة وله نفوذ وعضو في البرلمان.

وصل إلى الشركة فهبط من السيارة في أستعجال ولم ينتظر حتى يفتح له السائق الباب وتوجه إلى المصعد الخاص الذي لايصعد ألا للخزينة السرية.

لاحظ غياب الحرس ولكنه تجاهل الأمر للأن وصعد بعد أن مر بجميع الأجراءات الأمنية إلى حيث خزانته..توجه نحو الباب وضغط كلمة السر ووقف قليلًا حتى فتح الباب فدلف..وتوجه وعيونه تلمع في ظفر وأنتصار نحو الصندوق وفتحه ثم تجمدت ملامحه..راح يعبث في الصندوق دون جدوى..لا أثر للذاكرة الألكترونية..قلب محتويات الصندوق كلها ورح يبحث في أرجاء الحجرة دون جدوى..ولو أن أمًا عادت إلى منزلها ففوجئت بمقتل أبنائها جميعًا لما بدت ملامحها هكذا.

أسرع (عزمي) كالمجنون يهبط عبر المصعد إلى الطابق السفلي ثم توجه نحو رجال أمن البوابة وصرخ فيهم:من سرق الذاكرة من صندوقي؟

تطلع نحوه الحرس في حيرة فعاد يقول: من دخل حجرتي وعبث بأشيائي.

رد أحدهم: ولكن يا سيدي لا أحد يصعد إلى هناك ما لم يُسمح له كما أنه يخوض الأجراءات الأمنية.

وأضاف الثاني:وهناك كلمة سر كذلك.

صاح (عزمي) مهدداً:سأضعكم في السجن يا لصوص..كيف أختفت الذاكرة إذًا؟

بدا الضيق على ملامح الحرس وقال الثالث في شيء من الغلظة: لانعلم..أفعل ما يحلو لك يا بك ولكننا لسنا لصوصاً.

هتف (عزمي): أين حرس المصعد؟

رد الحارس: لا نعلم يا بك، توقفوا عن القدوم إلى العمل منذ أيام وهم لا يجيبون على مكالمات المدير.

أتسعت عينا (عزمي) ثم توجه نحو حجرة الأمن وطلب فحص الكاميرا المراقبة للطابق وراح يتفحص الكاميرا حتى وصل إلى تسجيل اليوم الذي صعد فيه (يوسف) إلى هذا الطابق شديد الحراسة..وتطلع إلى (يوسف) وهو يتوجه نحو خزانته بالفعل ثم ولأن الكاميرا لاتصور هذا الجزء لم يظهر شيء.

راح يتمتم وهو يغادر الشركة:هذا اللص الوغد...ولكن كيف عرف؟

راح يسأل نفسه كيف عرف بأمر الذاكرة..ما لم تكن خدعة ما من (أكرم)..فلا شك أنه هو من طلب من زوج أبنته أن يُقدم على هذا..بل كيف عرف كلمة السر؟...كيف؟...كيف؟...انها مؤامرة عليه.

أسرع نحو السيارة وطلب من السائق أن يوصله إلى بيته ثم لما وصل أسرع يصعد إلى مكتبه فأخرج مسدسه وتوجه نحو قصر (النعمان).

***

رغم أقتراب رحيل الشتاء فقد كان اليوم مكفهراً ولم تشرق الشمس إلا قليلًا..استيقظ (فادي) ففوجيء بأخيه الكبير مستلق بجواره..نهض ففرك عينيه وهمس:
(فاروق)..أخي.

فتح (فاروق) عينيه المحمرتين المرهقتين وغمغم: أستيقظت..ممتاز..أجمع بعض أشيائك في حقيبة فسوف نغادر قليلًا.

-نغادر إلى أين؟

-سننتقل إلى مكان جديد مؤقتاً.

-لماذا؟

-سأشرح لك كل شيء فيما بعد.

وأستيقظ (يوسف) أو بالأحرى فتح عينيه فهو لم يستطع النوم طوال الليل ونهض مهموماً فوجد البواب يدلف إلى القصر بصحبته ضابط شرطة وبعض الجنود وسأل الضابط بصرامة: أين السيد (أكرم أدهم النعمان)؟

صعد أحدى الخدم لأستدعائه وهبط (أكرم) من حجرته منزعجاً فقال الضابط: أنت السيد (أكرم أدهم النعمان)؟

-أنه أنا.

-أنت متهم بقتِل زوجتك..من فضلك تفضل معنا.

رد (أكرم) بذعر: لقد ماتت بلدغة أفعى كما قال تقرير الطب الشرعي..لدينا حديقة القصر ولا شك أن..

قاطعه الضابط وهو يشير إلى أحدى الجنود كي يضع الأصفاد في يديه: لدينا شهادة أحدى الخادمات وتسجيل بالصورة والصوت أنك أحضرت الأفعى عمداً ووضعتها في حجرة زوجتك..جاري البحث عن صاحب الأفعى.

لم يصدق (يوسف)..لقد فعلتها جدته وجاسوستها الجديدة.

هبط أبناء (أكرم) وبينما تقتاده الشرطة إلى القسم ألتقت عيناه بعيني (يوسف) التي خلت من المشاعر وإن بدا فيها شيئًا من الرضا الممزوج بالأسى ونظرة (فاروق) المصدومة المزدرية الحزينة بعد أن أدرك أن والده قتل والدته عمداً ونظرة (فادي) الغير مصدقة ونظرة (جوري) أخيرًا المليئة بخيبة الأمل والأحباط والخوف.

أتصلت (جوري) بالمحامي وهي تختلس النظر إلى أخوتها ولم يذق أحد من الأسرة لقمة طعام واحدة مما وضِع على مائدة الأفطار،كما لم يتحدث أحد في أي موضوع فأثر (يوسف) أن يصمت الآن.

بعد الظهر بدأ بعض الضيوف يتوافدون للتعزية في وفاة (فيروز) رغم مرور عدة أيام على وفاتها ولكن كان بعضهم خارج البلاد او لم تسنح له ظروفه بالمجيء، وأعد الخدم فناجين القهوة وأقداح الشاي وأشعلت (جوري) القرآن في التلفاز وجلست بينما تولى (فاروق) تلقي التعازي وفوجيء (يوسف) بجدته تدلف إلى القصر ثانية وقالت بصوتٍ مرتفع ضايقه: أفتح هاتفك ولا تتجاهل مكالماتي.

ثم جلست على أحدى المقاعد وتطلعت نحو (يوسف) صامتة ولاحظت (جوري) نظرتها فقالت برقة: أنا أسفة.

ردت (بيرين) وقد رفعت أحدى حاجبيها قليلًا: ماذا؟

-أنا أسفة..حقًا.

-لما تعتذرين؟

ردت (جوري):من أجل..ابنتك..رحمها الله..أنا أسفة لأن والدي فعل بك هذا.

قالت (بيرين) بهدوء: أنت فتاة طيبة القلب..إذًا فقد أعترف حفيدي بكل شيء..لاتعتذري..ليس أنت من يجب أن يعتذر.

وتوجهت نحو حفيدها بنظراتها مضيفة:أنا سأغادر الأتحاد العربي وأعود إلى أوروبا خلال أيام...هل ستصحبني؟

رد (يوسف): مكاني هنا في وطني مع زوجتي وطفلي.

ولكن (جوري) قالت: لا داعي لبقائك.

تطلع (يوسف) نحوها فأختلست (جوري) النظر إلى أخويها الشاردين في ركن الصالة ثم قالت: أنا مصرة على الطلاق.

ثم نهضت مغادرة فتبعها (يوسف) قبل أن تصعد وأمسك يدها برفق وقال: أخبرتك أن إجابتي هي الرفض.

واستدارت كي تصعد حينما سمعت صياح (عزمي) من الخارج: يا عائلة (النعمان)..واجهوني ياحقراء.

كان (عزمي) قد وصل إلى قصر (النعمان) سيراً على الأقدام فراح يصيح على البوابة ثم دلف بالقوة بعد أن دفع حارس البوابة بعنف ودخل القصر ثم توقف وهو يتطلع إلى الرجال الذين قدموا للتعزية وصوت القرآن المنبعث من التلفاز..يبدو أنه ثمة جنازة ما.

قال في حيرة: هل مات والدكم الوغد؟

ردت (بيرين): لقد توفيت (فيروز).

أمتقع وجه (عزمي) وهو يتطلع إلى نظرة (فاروق) الساخطة ثم غمغم: م...مستحيل.

ردت (بيرين): لا أحد مُخلد في الدنيا.

مضت لحظة صمت وكان (فاروق) يحاول التماسك قدر الأمكان أمام الحضور ثم نهض قائلًا: سعيكم مشكور..والآن غادر القصر ولا أريد رؤية وجهك ثانية.

ضحك (عزمي) في سخرية جعلت الحاضرين يتطلعون نحوه مستنكرين.

وقال (عزمي): سأغادر بالفعل ولكن ليس قبل أن أحصل على ما يخصني والذي سرقه زوج أختك.

تطلع (فاروق) نحوه في غيظ..كل تلك الفضائح وأمام كل الحاضرين.

قال (فاروق) في غضب: ليس الآن هو الوقت المناسب لمثل هذه...

قاطعه (عزمي) صارخاً:أين أنت أيها اللص؟..أين تختبيء يا (يوسف)؟

جاء (يوسف) تتبعه زوجته إلى الصالة الواسعة ورغمًا عنه تسللت أبتسامة ساخرة إلى شفتيه أثارت جنون (عزمي) فقال:أريد ما سرقته من خزانتي أيها اللص.

رد (يوسف): تعني الذاكرة الألكترونية؟...لقد أحرقتها وأنتهت.

هتف (عزمي): كيف تجرؤ؟ سأبلغ الشرطة أنك..

قاطعته (بيرين): أتحداك أن تفعل..وكما قال (فاروق) بك..ليس هذا هو المكان ولا الوقت المناسب لمثل تلك المناقشات.

راحت عيون (عزمي) تتطلع إلى الحضور الذين راحوا يتهامسون..بعضهم يريد أموالاً منه وقد راحوا يتطلعون اليه بنظرة ضايقته.

قال بلهجة من هو موشك على الجنون: أنا (عزمي الدمرداش)..أنا وحش البورصة..كيف تنظرون الي هكذا؟..كيف تجرُؤن على طردي؟

ثم توقفت نظرته على (جوري) التي كانت تقف بجوار زوجها وقال باسمًا:أعرف أنك طيبة القلب..هل يرضيك ما فعله زوجك؟..يسرقني ويحرق ممتلكاتي.

ثم أخرج بغتة المسدس فشهق الجميع ووجهه نحو (جوري) مضيفاً: زوجك سيضعني في السجن بالديون..وأحرق الورقة الرابحة التي كانت ستنقذني..ووالدك الذي كنت بجانبه دومًا خانني ..ولكن مازال هناك أمل..إن قتلتك فسأكون قد أنتقمت من الجميع..اخوتك وأبوك وزوجك حتى...ما لم...

بدأ الضيوف يتراجعون وراح بعضهم يتصل بالشرطة..ووقف السائقين وحارس البوابة متحفزين..وهتف (فادي): عمو (عزمي) من فضلك توقف.

وهتف (فاروق): هل جننت أيها الوغد؟..أخفض سلاحك قبل أن أقتلك.

عاد (عزمي) يقول: ولكنني لن أفعل يا عزيزتي..كل ما أريده وسأقبل به هو تعويض مادي بسيط...لنقل 10 ملايين مثلاً...بعدها لن تري وجهي ثانية.

تحرك (يوسف) فهتف (عزمي) وأصبعه يضغط على الزر الجانبي للمسدس: أياك،فهو مبرمج وبضغطة واحدة تنطلق

منه ثلاث طلقات دفعة واحدة.

كان المعزين قد غادروا ووقفوا في حديقة القصر مذعورين فقال (فاروق):إهدأ من فضلك..إن كان هدفك الآنتقام فوالدي في السجن.

قال (عزمي): في السجن هه؟...خلال أشهر ستسدد أبنته العزيزة ديونه كاملة ويخرج.

ردت (بيرين) باسمة: لن يحدث هذا..لن تساعده أبداً ولايمكن لأحد مساعدته..إنه في السجن بتهمة قتل زوجته وليس بسبب الديون.

هتف (يوسف): أصمتي يا جدتي.

ولكن (عزمي) راح يبدل نظره بين (جوري) و(بيرين) ثم قال: قتلها؟..م..مستحيل.

قالت (جوري) بصرامة وقد أفاقت من نظرة الصدمة على وجهها: أبعد هذا المسدس وأخرج من هنا أيها الحقير.

ضحك (عزمي) وقال: القطة الرقيقة تأمرني..أنظروا اليها كيف تغيرت؟

ولكنها تحركت نحوه بجرأة مرددة:أخرج من هنا.

ضغط (عزمي) الزر وقد توتر من حركتها المفاجئة وأنطلقت الرصاصات الثلاثة...ولكن (يوسف) قفز أمامها ليتلقى الرصاصات وكان أخر ما سمعه صرخات جدته ثم أغلق عينيه وغاب عن الوعي.

***

أخيرًا فتح (يوسف) عيونه...ظل راقدً على السرير وتطلع حوله..إنه في مستشفى من جديد..ترى هل كان في غيبوبة مرة أخرى؟..كلا..كما أنه لم يرى أحلأمًا مطلقًا..وكأنه أغلق عينيه وأعاد فتحهما وها هو ذا قد أصيب بالرصاص من جديد وتألم بشدة من جديد ثم فقد الوعي وها هو في المستشفى من جديد.

دلفت الممرضة إلى الحجرة مع الطبيب ثم تبعتها جدته..وقال الطبيب بعض عبارات التهنئة ل (يوسف) الذي سأل باسمًا:كم مكثت فاقداً للوعي هذه المره؟

قالت جدته وهي تتراجع قليلًا كي تسمح للطبيب بفحصه: 3 أيام.

وقال الطبيب: تم أستخراج الرصاصتين من صدرك..من حسن الحظ لم تمس أي أعضاء حساسة..يمكنك الخروج بعد الغد بإذن الله..حمداً لله على سلامتك.

ثم غادر مع الممرضة.

تطلع إلى جدته وبدت له حنونة على غير عادتها..جذبت مقعداً وجلست فقال بقلق: (جوري) بخير،أليس كذلك؟

أومأت برأسها أيجابًا وقالت: أنت أخر من تبقى من أسرتي..تعإلى معي إلى أوروبا..قم بأدارة شركاتي وممتلكاتي..ما قولك؟

أعتدل بصعوبة وتأوه من الألم قليلًا ثم قال: أبقي أنتِ معي هنا..أنا لا أريد إدارة الشركات.

مطت جدته شفتيها وقالت: كما تشاء..لقد أنهيت مهمتي هنا وسأعود..أتصل بي من وقتٍ لأخر..وتعإلى لزيارتي..كنت أريد أن أترك لك المال ولكن...

قاطعها: لاتفعلي...أنا بخير.

-أنتهى كل شيءً إذًا.

-ستظلين جدتي وكما قلتِ سأتصل بك دومًا وأتي لزيارتك..أما الآن فلدي مسئوليات كثيرة وأمور عدة علي أن أعتني بها...أين (جوري)؟

نهضت جدته وقالت:زوجتك في حجرة بنهاية الرواق.

نهض مذعوراً فتألم ومع ذلك هبط من سريره وهو يقول: أنها بخير..اليس كذلك؟ لماذا هي في المستشفى؟

ردت جدته وهي تعينه على النهوض: لقد أصابتها أحدى الطلقات.

ثم شدت على يده وهي تضيف بعطف:لقد فَقدَت الجنين.

مادت الأرض من تحت قدميه..وكأنه طعن بسكين في قلبه الآن..أسندته جدته فجلس على المقعد وبدأت شفتيه ترتجف ثم سقطت دموعه..كان يمقت هذا..يكره أن يبكي وأن يظهر ضعفه بهذا الشكل..ولكنه الآن أب مكلوم في وليده..حتى وإن لم يولد بعد،هذا أكثر شعور حزين شعر به منذ مقتل والدته..الآن يشعر بأن تنفسه صعب وقلبه يحترق..شعر برغبة في الموت..كيف يعيش هو بينما صغيره ميت؟ كما أنه كان يعتبر هذا الطفل هو الرباط القوي بينه وبين (جوري) والآن أنحل هذا الرباط، ثم أنتهت كل الأحلام التي وضعها وتصورها لثلاثتهم.

ربتت جدته على رأسه وعادت تقول: فكر في السفر معي من جديد..لاتبقى هنا وحدك..فكر أنه من الرحيم موت ذلك الجنين بدلًا من..

نهض من جديد وغادر متوجهاً نحو حجرة زوجته..وسار ببطء يتناسب مع أصابته..تطلع من نافذة الحجرة فوجدها راقدة نائمة وقد بدت شاحبة مرهقة وثمة آثار دموع على وجنتيها..لاشك أنها بكت على طفلها بحرقة.

شعر بيد توضع برفق على كتفه وقال (فاروق): حمداً لله على سلامتك يا ابن عمي.

***

في مطعم المستشفى غمغم (فاروق): أشكرك وأيضًا أعتذر، أتمنى أن تجد في قلبك يومًا القدرة على المغفرة لوالداي.

رد (يوسف) وهو يجلس بصعوبة:هل تسخر مني؟

-مطلقًا..أنت أنقذت حياة أختي ووقفت بجانبنا في الأونة الأخيرة..ودمرت الذاكرة التي عانيت كثيرًا للحصول عليها من أجلنا.

ابتسم (يوسف) في شحوب ولم يرد فعاد (فاروق) يقول: ليت الظروف كانت مختلفة..اليس كذلك؟

-أجل.

-ستخرج أختي اليوم من المشفى...لقد قررنا أن نعود للعيش في قصر (النعمان) وحتى (فارس) سيعود مع زوجته.

مضت فترة صمت..ثم قال (يوسف): وكيف حالها؟

-الرصاصة أصابتها في بطنها وقتلت..أعني لقد توفي الجنين...لله الأمر من قبل ومن بعد.

نهض (يوسف) وقال: وبذلك ينتهي أخر رباط بيننا.

رد (فاروق): سنظل أبناء عمومة، أيضًا لديك ميراث في القصر وفي الشركة.

قال (يوسف): لا أريد،أعني أنا لا أرغب بعد الآن في إدارة أي شركات..أنت..أنت أستكمل إدارة الشركة كما كنت تفعل دومًا وأنا سأعود لأستكمال دراسة الطب..أجل..كنت أدرس الطب.

نهض (فاروق) بدوره وسار بجواره بخطوات متباطئة وقال: سأرسل لك نصيبك كل عام،هذا حقك وأنا لن أقبل بمليم منه فلا تحاول.

-أعتبر الصفقة الأسيوية منتهية ولستم مضطرين لدفع أي عقوبات مالية.

تبسم (فاروق) ولم يعلق ثم توقف (يوسف) عن السير وتطلع اليه وقال: أنا أحبها.

رد (فاروق):طلقها..لم يعد من الممكن أن تستمرا معًا وأنت تدرك هذا.

مضت لحظات من الصمت ثم قال (يوسف): هل تظن أننا قد نعود زوجين في يومًا ما؟

رد (فاروق): لا أدري، ربما..سيستغرق ألتئام كل تلك الجروح وقتٍ.

-أريد توديعها.

-لاتفعل، كانت تلك رغبتها.

أجاب (يوسف) بصوتٍ مهزوز: ليكن..سأطلقها رسميًا غدًا.

ثم استدار منصرفاً،وعاد إلى حجرته فغير ثيابه ثم غادر عائداً مع جدته إلى قصرها الذي عرضته للبيع تمهيداً لرحيلها.

في اليوم التالي غادرت جدته عائدة إلى أوروبا فلما أستيقظ ولم يجدها شعر بالغضب من سفرها المفاجيء..وجلس في الصالة يتناول الشاي وقالت له الخادمة أن اليوم هو أخر يوم عمل للخدم جميعًا في القصر فقد تم بيعه وسيأتي المستأجرون الجدد بعد غد للقصر.

بعد الظهر جاء المحامي (كامل) وجلس معه ثم قال: حسنًا علي الآن أن أخبرك بكل شيء.

وطلب قهوة من الخادمة ثم عاد يقول: لقد سافرت السيدة (بيرين) عائدة إلى أوروبا وقالت أنها لن تعود ثانية..وقد وكلتني بعدة أمور.

رد (يوسف): لقد باعت القصر وأنا مازلت فيه وأنصرفت.

رد المحامي: أولًا..لقد رفعت لك قضية لأسترداد أسمك الحقيقي وهويتك وسيتم إستخراج الجثة المدفونة مكانك وعمل التحاليل المطلوبة ومقارنتها وعمل تحاليل ال دي إن أيه لك ومقارنتها مع تحاليل والدتك السيدة (جنى) رحمها الله ووالدك.

أعتدل (يوسف) وتطلع في أهتمام إلى المحامي الذي أكمل: ستستعيد هويتك الحقيقية بعد شهر على الأكثر وهي قد تركت أعترافاً بكل شيء يتعلق بخطفها لك واستبدال

الجثة وتغيير ملامحك والأوراق المزورة..كل شيء..ليس لديك مشكلة قانونية في هذا خاصة والشرطة لديها تقارير قديمة أنه تمت عدة محاولات لقتلك وأنت في الغيبوبة.

جاءت الخادمة بالقهوة ووضعتها ثم أنصرفت.

قال (يوسف): جدتي فعلت هذا حقًا؟

رد المحامي: ليس هذا كل شيء..هذا عن أولًا.

-وثانيًا؟

-لقد دفعت أموال العملية للطبيب وبوسعك الذهاب اليه وإعادة ملامحك الأصلية في أي وقت يناسبك.

-....

-أيضًا طلبت مني أن أرفع لك قضية حتى تتمكن من العودة لأستكمال دراستك في كلية الطب وقد فعلت هذا وقامت بشراء منزلك في مرسى مطروح وأعادت طلائه وجددت كل شيء فيه وهو الآن ملكاً لك رسميًا..فعلت هذا منذ أسبوعين في الواقع..وتركت لك مصاريف دراستك كلها حتى تتخرج..ومبلغ بسيط من المال للأنفاق على نفسك كي تتفرغ لدراستك.

ثم رشف من القهوة.

غمغم (يوسف): جدتي فعلت كل هذا.

-أجل.

-وهل لديك أخبار عنهم؟

رد المحامي: (جوري) منهارة نفسياً بسبب فقد الجنين..البقاء لله.

-لله ما أخذ ولله ما أعطى.

-(فاروق) سيعود قريبًا إلى الشركة ومعه أخوه..أعني شركة أخته..وضع (فادي) ليس سيئاً جدًا..لقد أخبره (فاروق) فأنت تعلم أن (أكرم) تم القبض عليه وقد أعترف بقتل

(فيروز) وقالآنه فعل ذلك أنتقأمًا لخيانتها ولم يعد بالأمكان أخفاء الأمر عن (فادي)،وأخوته معه ويدعمونه كما يدعمون أختهم..تلك الأسرة تمر بمأساة حقيقية ولكنهم أقوياء وأواصر الحب بينهم قوية كفاية وسيتغلبون على محنتهم.

ثم نهض فصافح (يوسف) بحرارة وقال: لقد شرفني معرفتك والتعامل معك..وأشكرك لأنك أنتقمت لألاف الضحايا من هذان الوغدان.

في اليوم التالي توجه (يوسف) إلى عنوان مستشفى تجميل خاصة شهيرة ودلف إلى الطبيب وأعاد ملامحه وبعد يومين نزع الضمادات حول وجهه وظل يتطلع في المرآة إلى وجهه الحقيقي ويتحسسه..هذا وجهه هو لا وجه خاله الذي الصقته به جدته. وفكر أنه إن ذهب إلى (جوري) لرؤيتها فلن تتعرفه.

خفق قلبه من الفكرة..عليه أن يبتعد عنها..إن كان يحبها حقًا..من يدري؟ ربما يأتي يومًا ما يعودان فيه إلى بعضهما من جديد..هذه المرة ستتعرف على (إياد) لا (يوسف)..من قالآن الأثنين واحد..الحقيقة أنه تغير كثيرًا ولم يعد هو..ما كان (إياد) ليفكر في خداع فتاة أبداً والعبث بمشاعرها.

لقد كانت محقة حينما تساءلت كيف أستطاع أن يكذب عليها بكل صفاقة ثم يقسم أنه يحبها..الحقيقة أنه يكره نفسه الآن بسبب ذلك.

ركب القطار وعاد إلى مرسى مطروح..نزل في فندق مؤقتاً حتى حكمت المحكمة له برد هويته الأصلية فعاد إلى بيته..وراح في جذل وحزن يشاهد رد فعل جيرانه وسكان المنطقة وهم يرون من مات قد عاد إلى الحياة من جديد، يبسملون ويحولقون ويضربون كفاً بكف غير مصدقين.

بل لقد جاء (يحي) مسرعاً وكان قد ترك منزل والديه منذ زمن وسكن في منطقة قريبة..(يحي) صديق طفولته ورفيق صباه وجاره..راح الأبله يبكي وبعد أن هدأ جلس يسمع من (إياد) كل التفاصيل..حكى له كل شيء وفضفض له بمكنون قلبه.

في النهاية قال (يحي): إذًا فقد سجن قاتل والداي..هذا جيد.

ثم راح يثرثر معه حتى حل المساء وأنصرف عائداً إلى منزله الجديد وأسرته الصغيرة فقد تزوج منذ شهرين.

تأمل (إياد) البيت الذي يضم أغلب ذكرياته..لقد أعيد طلائه وتم تغيير بلاط الأرضية..الفناء فارغ..عليه أن يبدأ منذ الغد في زراعة شجرة برتقال جديدة..وأن يزرع كل النباتات العطرة التي كانت والدته تزين بها الفناء.

تطلع إلى البقعة حيث سقطت والدته ميتة غارقة في دمائها وتساءل هل سيستطيع حقًا أن يعيش في المنزل حيث قتلت والدته؟..ثم تذكر أن في هذا البيت ألف ذكرى رائعة ودافئة..هذا البيت يستحق ألا يتخلى عنه..ذكرى طفولته ومراهقته وبداية شبابه.

كانت جدته قد أعادت تأثيث البيت فدلف (إياد) إلى حجرته القديمة فجلس على السرير الجديد..وتأمل الحجرة التي أختفت من حوائطها رسومات والده القديمة..إنه مرهق جدًا..لقد كان ما مر به في أخر عدة أيام صعباً للغاية..أستغرق في النوم حتى الصباح.

غادر حجرته وخرج إلى الفناء..الشمس مشرقة وقد حل الربيع تقريبًا ورحل الشتاء..هذا الشتاء الذي لن ينساه أبداً..تزوج في بداية الشتاء وأنفصل في نهاية الشتاء..عاش قصة حب لاتنسى في عدة أشهر وعاش أحداث لاتصدق كذلك.

توجه إلى الجامعة لينهي أوراق دراسته وألتقى بأساتذته الذين كانوا بالطبع مذهولين غير مصدقين لقصته..عطف عليه الجميع ووعدوه بالمساعدة في الدراسة وضعوا له برنامج خاص كي يتمكن من أنهاء دراسته بسرعة أكبر من المعتاد فبعد مرور تلك السنوات أصبح أكبر سناً من أقرانه.

أبتاع أنواع البذور في طريق عودته ليزرعها في الفناء وليعود (إياد) إلى حياته السابقة وينسى الماضي.

***

الفصل السادس عشر

(تلك الزهرة قدري)

بعد مرور 5 سنوات:

دلف (إياد) إلى أحدى عربات القطار المعلق عائداً من المستشفى إلى منزله..تمهل قليلًا كدأبه كي يتشمم البحر ويسمع صوت الأمواج من بعيد..ألقى التحية على جيرانه الجالسين على المقهى فردوها بحرارة..أبتاع بعض الجبن والزيتون والخبز من البقال فالثلاجة شبه فارغة ثم عاد إلى منزله..ضغط كلمة السر ودلف ثم أغلق الباب...وضع الطعام على المائدة الصغيرة في فناء المنزل ثم توجه إلى حجرته فغير ثيابه وخلع حذائه..توضأ وصلى العشاء فقد تأخر في صلاتها..جلس يتناول الطعام وهو يتابع التلفاز..ثم نهض فأعد لنفسه الشاي وأحضر الماء وبدأ يروي شجرة البرتقال والنباتات المزروعة في كل ركن في الفناء..بعدها جلس على المقعد أسفل الشجرة وبدأ يستذكر.

لقد تخرج وأصبح طبيبًا والآن يقوم بتحضير الدراسات العليا وقد قرر أن يتخصص في جراحة المخ والأعصاب شديدة الصعوبة..وسيناقش الرسالة خلال يومين وعليه أن يستعد.

عانى كثيرًا في السنوات الماضية..كلما تذكر (جوري) قام بدفن نفسه خلف أطنان الكتب والمذاكرة حتى أنه كان أحيانًا يظل بلا نوم عدة أيام يستذكر فقط كي يكف عقله عن التفكير بها، وكان الصداع يعاوده أحيانًا وكذلك الأرق عندها يتذكر أنه كاد يشفى تقريبًا من كليهما عندما كان مع (جوري).

إن لكل شاب فتاة أحلام يتمنى أن يجدها بالمواصفات التي يحلم بها..وعندما يمر الوقت يبدأ في التنازل عن بعض مواصفاته حتى يتمكن من الزواج والأستقرار..أما هو فهو حتمًا الأحمق الوحيد الذي عثر على فتاة فيها كل ما كان يتمناه في شريكة حياته..بل وتزوجها وكان سعيدً معها ثم دمر علاقته بها بسبب رغبته في الآنتقام.

أحيانًا كان يكلم جدته وسافر لها مرتين في ال 5 أعوام الماضية وكانت تبدو له بخير..أخر مرة قالت له: تعالى وأبقى معي.

رد: أنا سعيدٌ هناك، سأزورك دومًا فلا تقلقي.

ردت باسمة وهي ترمقه بعينيها المخيفتين:بل أنت تخشى أن تغادر هناك فلا تستطيع (جوري) أن تعثر عليك.

لم يعلق بينما ترمق هي خصلة الشعر البيضاء التي بدأت تظهر وسط شعره الداكن رغم أنه مازال شابًا.

(يحي) كان يزوره مرة أو أثنتين في الأسبوع ويدعوه إلى بيته كذلك من وقتٍ لأخر حتى لايشعر بالوحدة..ويحضر له الطعام الذي تعده زوجته أحيانًالآنه يراه لا يهتم بصحته أوغذائه.

أيضًا كان يتحدث مع (فاروق) بانتظام،وكان في البداية يذهب إلى القاهرة كلما ألح عليه الشوق بجنون ولا يستطيع المقاومة فيتسلل إلى حيث قصر (النعمان) ويتسلق أحدى الأشجار في الشارع أملاً في أن يتمكن من رؤية (جوري) وهي تخرج إلى الحديقة من هذا الأرتفاع الأعلى قليلًا من أرتفاع سور القصر.

كان يراها شاحبة ذابلة في البداية فيتألم...بعدها تحسنت..وأخر مرة رأها منذ عامين تحمل طفلاً رضيعاً هو ابن (فارس) الثاني وتضحك من قلبها مع زوجة أخيها..خفق قلبه وهو يتخيلها تحمل أبنهم العزيز المتوفي (نور)..فتلك الصورة كانت جميلة للغاية وربما يتواجد فيها أيضًا..يروي الحديقة بينما تحمل هي الطفل..بعدها لم يذهب إلى القاهرة ثانية أبداً.

حاول (يحي) أقناعه بأن يتزوج أو يرتبط ولكنه كان يدرك أنه سيظلم أي أنسانة يرتبط بها..سيظل يبحث عن غمازتي (جوري) وأبتسامتها البريئة وشخصيتها الرقيقة ولكنه لن يجدها ألا لدى (جوري) فقط.

في الشوارع حينما يسير ويجد الأطفال يلعبون في مرح يتذكر (نور) ويتساءل كيف كان سيبدو أو تبدو إن كانت بنتاً.

وكان يجلس على الشاطيء يتأمل الغروب الذي لم يكن يحبه ولكنه يعلم أن (جوري) تحبه.

مرت 5 سنوات وظهرت شعرة بيضاء لديه لا يدري أسببها السن والتقدم في العمر أم أن السبب هو المعاناة التي عاناها.

أما عن مصير الأخرين فقد كان يتابع أخبارهم وعرف كل شيء.

(عزمي الدمرداش) وجهت اليه تهمة جديدة هي محاولة قتل (جوري) وأطلاق النار على (يوسف)..وقتل جنين في رحم أمه..في النهاية أعترف الفتى من سجن الأحداث كذلك أنه دفع المال لوالده كي يقتل (فادي) وأدين في كل التهم التي وجهت اليه وحكم عليه بالسجن المشدد 50 عأمًا.

(أكرم النعمان) أدين في تهمة قتل زوجته عمداً وحكم عليه بالسجن 25 عأمًا...ولكنه قُتل في السجن بعد عدة أشهر وثبت بعد التحقيقات أن (عزمي) هو من قتله إذ كان الأثنين في نفس السجن وإن لم يكونا في نفس الزنزانة فحكم عليه بالأعدام هذه المرة وُنفِذ الحكم.

هكذا مات الأثنين وأستراح الناس من قسوتهم وشرهم، ولكن (إياد) لم يشعر بالفرح الغامر أو السعادة كما كان يظن،بل تلقى خبر مصيرهما بنوع من الرضا ربما أو الراحة فقط.

أما (فادي) فقد تجاوز أزمته النفسية وأنهى الدراسة في كلية علوم الحاسوب، وأما (فارس) فقد رزق ب 3 أبناء من زوجته، صبيين وبنت رضيعة حاليًا.

أما (فاروق) فقد تزوج كذلك ولديه طفل عمره عام..لم يتزوج (نبيلة)..بل تعرف فيما بعد على فتاة طيبة القلب وأحبها وتزوجا وقد دعا (إياد) إلى حفل الزواج ولكنه أعتذر كما أعتذر من قبل في جميع المناسبات العائلية وأكتفى بمكالمة تهنئة.

شركة (ورد الجوري) عادت متألقة وأستمر (فاروق) مع أشقائه في أدارتها بنجاح.

كان كذلك يشعر بالذنب كثيرًا أتجاه أبناء عمه،فهم أبرياء ولا ذنب لهم في أخطاء والديهما وقد دفعه هذا إلى الأبتعاد رغم أنه كان يرغب كثيرًا في التقرب اليهم والأستئناس بهم في وحدته.

***

في النهاية قرر (يحي) أن كل هذا سخف..صديقه أحمق و تلك التي تدعى (جوري)..كلاهما بعد مرور 5 سنوات لم يتزوجا..فلما لا يعودان لبعضهما ويحاولان من جديد..كم من زيجات تفشل ثم تنجح بعد محاولة أخرى.

كان هناك مهمة تابعة لعمله في القاهرة فوجدها فرصة سانحة وتوسل لمديره كي يرسله إلى هناك خاصة وهو سيرافق (إياد) إلى جامعة القاهرة لمناقشة الماجيستير.

ركبا القطار صباحًا وقال (يحي) في براءة: هل ستزور أبناء عمك؟

رد: كلا...لاداعي لأن أتطفل على حياتهم من جديد.

وصلوا إلى القاهرة ونزلوا في فندق نظيف قريب من الجامعة...غدًا مناقشة الماجيستير.

ذهب (يحي) لينهي أعماله حتى يتفرغ للمهمة التي تفتق عنها ذهنه..ثم توجه إلى عنوان قصر (النعمان).

وتطلع قليلًا في أنبهار إلى القصر ثم طرق الباب..تساءل حارس البوابة عمن يريد فقال: هل السيدة (جوري) موجودة؟

- من يريدها؟

-أخبرها (يحي) صديق زوجها السابق (إياد) يريد رؤيتها في أمر عاجل ولن يأخذ من وقتها الكثير.

تطلع اليه الحارس قليلًا ثم توجه إلى الحديقة حيث جلست (جوري) تلعب مع أبناء (فارس) فلما أخبرها الحارس خفق قلبها بشدة..قالت له: أخبره أن ينصرف..فأنا لا...

ثم فكرت برهة وتنهدت..نهضت وقالت: حسنًا..دعه يدخل وسآتي حالاً.

عاد الحارس وسمح ل(يحي) بالدخول ثم أوصله إلى الصالة وعاد إلى البوابة..جلس (يحي) متوترًا..فلو علم (إياد) بما يفعله سيغضب بشدة ولكنه لا يرى حلاً أخر وكلاهما أحمق عنيد.

جاءت (جوري) فحيته بهزة رأس..كانت ترتدي حجابًا الآن أبيض اللون زادها رقة وحياء وجلست على المقعد أمامه وقالت: ماذا تشرب يا سيدي؟

رد بتهذيب: لا شيء مطلقًا..أشكرك.

قالت باسمة:لايجوز أن يأتينا الضيف وينصرف دون ترحيب..من فضلك، ماذا عن الشاي؟

-ليكن..سأشرب الشاي.

نادت أحدى الخادمات وطلبت منها إعداد الشاي ثم عادت تتطلع اليه فقال:أسمي (يحي)..وأنا صديق حميم ل (إياد)..ليس هو من أرسلني.

تطلعت اليه وقالت: أنت..أعرفك..فقد قرأت منذ سنوات عن قضية (إياد)...هل أنت ابن الجيران الذين قُتلوا يومها؟

-أجل..هذا صحيح.

ترقرقت الدموع في عينها وقالت معتذرة: يالهي..أنا أسفة جدًا...أرجوك أن تقبل أعتذاري.

رد في حيرة: لماذا تعتذرين؟.

ردت: لقد كان والدي السبب.

قال (يحي) وقد وجد الفرصة سانحة :سأقبل أعتذارك بشرط.

-ماهو؟

-إن (إياد) سيناقش الماجيستير غدًا في جامعة القاهرة.

لم تخفى عليه شبح الأبتسامة التي تلاعبت على ثغرها وأختفت في أقل من ثانية...إنها سعيدة لأنه نجح في دراسته..هذا يعني أنها مازالت تحبه.

جاءت الخادمة بالشاي ثم أنصرفت.

قالت (جوري): أرجوك ألا تطلب مني حضور المناقشة..فأنا لن أستطيع فعل هذا.

-أنه مازال يحبك..يفكر فيك..يرفض محاولات أي فتاة تتقرب اليه..وبعد أنفصالكما أزداد حبه وشوقه.

نهضت (جوري) وقالت: عذراً ولكن ما يشعر به لايهمني.

قال (يحي): ألا تحبينه أنت أيضًا..أعذري وقاحتي ولكن....

-ليس لك عذر..رجاء ألتزم الحدود في كلامك معي.

تنهد (يحي)..يبدو أنه لاخيار أخر لديه خاصة أنها استدارت منصرفة.

قال: سوف يعود غدًا إلى مرسى مطروح ولن تريه ثانية مدى حياتك لأنه سيموت.

تجمدت في مكانها ثم استدارت اليه وقد تبدت نظرة منزعجة بل ومذعورة في عينيها وإن قالت بلهجة غير مصدقة:ما هذا الكلام الفارغ.

فعاد يقول: أنه مريض ولم يعد يستجيب للعلاج..سوف يموت قريبًا جدًا..لهذا جئت اليك..ربما يموت خلال هذا الأسبوع..حالته متأخرة.

-م..مريض.

-أجل،على الأقل قومي بتوديعه.

ظلت متجمدة وهي تستجمع شتات نفسها فنهض (يحي) وقال:

أنتِ حرة في قرارك..ولكنها فرصتك الأخيرة..لقد خدعك لينتقم ثم أحبك فأوقف أنتقامه..وثقي بكلامي..من يجد شخصاً يحبه كل هذا الحب فلا يجب أن يدعه يفلت من بين يديه...لا أحد يُحب بصدق في هذا الزمن.

ثم أنصرف مغادرًا القصر.

***

كان قصر النعمان قد تغير فقد تم تخفيض عدد الخدم فلم يتبقى سوى حارس البوابة وخادمتين فقط إضافة إلى البستاني وعلى مائدة الغداء لم تكن (جوري) حاضرة وقالت الخادمة أنها تستريح في حجرتها منذ غادرها الضيف صديق (يوسف) ولا ترغب في الأكل.

بعد الغداء صعد (فاروق) إلى حجرة شقيقته وطرق الباب برفق ثم دلف وهاله عينا شقيقته المستلقية على سريرها وقد أحمرتا وبدت فيهما أثار البكاء الحار والدموع.

ربت على رأسها في رفق متسائلًا:ماذا أصابك؟..أخبريني.

-أخي...جاء اليوم صديق (يوسف) لرؤيتي.

-من؟

-أسمه (يحي)...صديق ل (يوسف)

-أه..تقصدين (إياد)؟...حسنًا..ماذا قال لك؟

-قالآن (يو..إياد)..سيناقش رسالة الماجيستير غدًا وطلب مني الحضور.

رد أخوها: هذا صحيح..لقد وجه لنا الدعوة وأنا أنوي الحضور غدًا وكذلك (فارس)، بل (فادي) قالآنه اشتاق اليه وينوي الحضور.

قالت بعصبية: هل تمزحون؟..بعد أن خدعنا..لماذا ترغبون في رؤيته؟

رد (فاروق) وهو ينظر اليها مشفقاً: فكري بالأمر ولا تنظري الي هكذا،ما حصل ل(فادي) كان بسبب أبي..ما حصل ل(عزمي) وشركة أبي كان بسبب المخالفات القانونية بالمقام الأول..بل لقد أسدى لنا (إياد) خدمة سأظل ممتناً له طوال حياتي..لقد أحرق تلك الذاكرة..اليس كذلك؟..لقد كان يعاملك معاملة رائعة عندما كنتما متزوجان..ويومها قفز وتلقى الطلقات مكانك ليحميك.

-هل طلب منكم الأتحاد ضدي وأقناعي؟

قال (فاروق) في شفقة: كوني سعيدة (جوري)..كفي عن إتعاس نفسك...لقد رأيت كيف أنهرتِ بعد فقدان الجنين وكم بكيتي لأشهر..لم يكن السبب فقط لأنك فقدت ابناً..بل السبب أنك فقدتي جزء من (إياد) كنتِ تتمنين أن يظل معك.

لم ترد وإن بدأت الدموع تتجمع في عيونها فتحسس شعرها وقال: لا أنا ولا أخوتك سنضغط عليك بأي شكل..أفعلي ما يحلو لك..كل ما في الأمر أننا نحبك كثيرًا وننصحك بما نراه صواب.

أنفجرت (جوري) في البكاء بغتة فتراجع أخوها متفاجأً وقالت: مالفائدة؟...أنه سيموت على أي حال ويتركني إلى الأبد..

سأفقده ولن أراه ثانية أبداً.

-ماذا تقصدين؟

قالت وهي تخفف من دموعها: لقد أخبرني صديقه أنه مريض للغاية وفي مرحلة متأخرة وسوف يموت قريبًا.

قال (فاروق) مندهشاً: لم يخبرني أبداً..هذا الفتى.

ثم مد يده لينهضها وقال: أنهضي واغسلي وجهك...يجب أن أحدثه وأطمئن عليه فورًا.

***

أنهى (إياد) المكالمة الهاتفية ثم تطلع في لوم وغضب إلى (يحي) الذي أحنى رأسه في حرج..كانا جالسين في الحجرة في ذلك الفندق وقال (إياد): مريض وسأموت قريبًا؟..ما هذا الكلام الفارغ؟

رد (يحي): أردت أقناعها بالحضور لرؤيتك في مناقشة الماجيستير.

هتف (إياد) في عصبية: ومن طلب منك التدخل؟

-ولكن..ولكنك أكثر من أخ..كنت أحاول مساعدتك.

-لست بحاجة لمساعدتك في هذا الأمر.

قال (يحي) وهو يتطلع اليه:ولكنك تحبها ولهذا لاتريد السفر إلى أوروبالآنك تأمل بأنها ستأتي اليك..ومع ذلك لم تفكر في الذهاب اليها والحديث معها،لو أنكما ألتقيتما لمرة واحدة، فقط لمرة..

-سأكرر كلامي يا (يحي)..لاتتدخل في هذا الأمر..والآن أغلق الضوء لأنني سأنام..تصبح على خير.

ولم يستطع النوم وظل طوال الليل يفكر فيها..يستعيد ذكرياته معها من جديد

أبتسامتها..غمازتيها..حيائها..رقتها..يدها الباردة دومًا..وحمها العجيب..(نور)،دعك أنه منذ أنفصل عنها لم يستطع النوم بصورة جيدة..كان دائمًا ينام بعمق ويشعر بسعادة غامرة عندما تدفن رأسها الصغير في صدره..كان يشعر بثقة غريبة في النفس..يشعر وكأن زوجته تحتمي فيه من كل ما يخيفها ويقلقها.

هي كذلك لم تستطع النوم..بعد أن عرفت أنه ليس مريض كما قال صديقه كذباً وبعد أن أقسم هو بالله ل(فاروق) أن صحته بخير كان عليها أن تطمئن وتنام بعمق ولكنها ظلت فريسة للأرق.

الآن وقد شعرت بأنها كانت على وشك فقده وكان قلبها يحترق حرفياً أدركت أنها مازلت تحبه..راحت تسترجع كل ذكرياتها معه..في السابق كانت كلما تذكرت تلك الذكريات تشعر بالغضب والحزن والحنين خاصة ذكرياتها معه قبل زواجهما..عندما التقت به أول مرة وتقيأت عليه..لم يذهب بها إلى الطبيب من باب الشهامة..بل من باب المصلحة...عندما تجاهل (أسيل الدمرداش) الجميلة واهتم بها هي لم يكن بسبب الأعجاب..بل ليوقعها في حبه ويحقق أهدافه...كل موقف دافع فيه عنها كان بسبب أهدافه لا حبه ولا أعجابه...أو هكذا اعتادت أن تقول لنفسها ولكنها الآن تتساءل..ربما فعل كل ما فعل ليحقق أهدافه وأيضًا لأنه معجب بها..ثم إنها متأكدة، وقلب المرأة يشعر بذلك أنه يحبها حقًا..خاصة بعد زواجهما..والآن تتذكر كل كلمة أو همسة أو لمسة منه فيخفق قلبها في أشتياق وحنين..وتسيل دموعها من جديد.

في اليوم التالي توجه (إياد) إلى الجامعة في الواحدة ظهرًا، وبدأ مناقشة رسالة الماجيستير..جلس (يحي) يسجل المناقشة..بعد قليل جاء (فاروق) مع زوجته و(فارس) مع زوجته و(فادي).

كلا لم تأتي (جوري)..مع الأسف لم تأتي..وبرغم غضب (إياد) من صديقه (يحي) فقد تمنى حقًا أن يدفعها ما فعله الأخير إلى الحضور.

تلك هي النهاية إذًا..أنها تحبه ولكنها لن تغفر له..ولكن عليه ألا يقطع الأمل فما زال هناك ساعتين في المناقشة وربما أكثر، على أن أربع ساعات قد مروا وأنتهت المناقشة ونجح (إياد) بتقدير جيد جدًا، وتوجه اليه الجميع لتهنئته ولم تظهر (جوري).

كانت أول مرة يرى أبناء عمه منذ 5 سنوات وجهاً لوجه وكان محرجاً قليلًا ولكنهم أحتضنوه وراح (فاروق) يلومه لأنه لم يحضر زفافه ولا يأتي لزيارتهم ابداً..وكان (فادي) متحمساً للتحدث معه.

ظلوا يتحدثون في مطعم قريب من الجامعة لساعة ثم لما حان موعد القطار نهض (إياد) مودعاً الجميع وهم بالآنصراف مع صديقه ولكنه توقف وعاد اليهم على المائدة وقال:هل رفضت (جوري) الحضور؟

مضت لحظة صمت ثم قال (فارس): أعتذرت عن الحضور بالفعل.

هز (إياد) رأسه مودعاً وتوجه مع صديقه إلى محطة القطار عائدين إلى مرسى مطروح.

لم يتكلم طوال الرحلة وأحترم صديقه صمته.

***

ودع صديقه (يحي) على مفترق الطرق بأن أحتضنه وأرسل سلامه للولدين فقد أصبح (يحي) أبًا منذ سنوات ثم توجه إلى حيث منطقة سكنه، تريث في سيره قليلًالآنه كان غارقًا في التفكير وفي قراره فقد قرر أخيرًا.

سيتصل بجدته ويخبرها أنه قادم اليها..لقد أنتظر كثيرًا ومل من الآنتظار..مازال يحبها وهو حب لا يصدقه هو نفسه..ولكنه لن ينتظر أكثر، ربما سيعمل في الخارج طبيبًا فحتمًا جدته على أستعداد لمساعدته بأي شكل.

تقع عيناه أثناء سيره على بعض الأُسر التي تتمشى في الطرقات بدورها ويتذكر (جوري) ويتمنى لو أنهما متزوجين ويذهبان إلى الشاطيء يوميًا لرؤية الغروب وربما تناول الغداء..أي حبًا عميقاً هذا الذي يشعر به نحوها وهو قد عرفها أقل من عام.

القى التحية على جيرانه..أقترب من منزله ثم تجمد في مكانه.

(جوري) واقفة أمام باب منزله..كلا..ليس حلمًا جميلًا ولا خدعة..أنها هي فعلًا..ترتدي حجابًا ولكنها هي برشاقتها ورقتها وطيبتها.

تجمد في مكانه كالأبله بدلًا من أن يركض نحوها..وحانت منها التفاتة فرأته..التقت عيناها بعيناه..مضت لحظات وقد تصلب في موضعه وكأنه مشلول ثم أسرع الخطا نحوها وأوقف نفسه مواجهاً لها،مقاوماً نفسه ومتحدياً قلبه الذي يموت شوقاً وعقله الذي يأمر جسده بضمها اليها بكل قوة.

فتحت فمها لتتكلم ولكنه قال: فقط قولي أنك لن ترحلي أبداً.

قالت: لن أرحل وأتركك أبداً..وهذه المرة سأفي بوعدي.

قال باسمًا:هل تأتين معي لرؤية الغروب على الشاطيء القريب.

ردت بتلقائية وهي تسير بجواره: أجل.

توجه معها إلى الشاطيء وهو يطيل النظر اليها وقال:هل سامحتني؟

ردت: أجل..منذ زمن.

كان مشهد الغروب خلابًا للغاية..قالت وهي تتأمل المشهد وقد أنعكست أضاءة الشمس المحمرة قليلًا على وجهها: بعد زيارة صديقك وأتصال أخي بك فكرت..أنت بخير ولست مريضاً ولن تموت ولكن الحقيقة هي أن لا أحد يضمن عمره لحظة..أنا نفسي

قد أموت بعد دقائق..وشعرت بأنني بدونك سأرغب بالموت حقًا فلماذا أضيع مزيداً من الوقت بعيدًا عنك.

وتطلعت اليه قائلة: مازلت وسأظل أحبك..وأود التعرف عليك من جديد يا (إياد).

رد باسمًا:وانا أحبك وسأظل أحبك..وسأبذل جهدي لتعويضك عن كل ما سببته لك من حزن.

ولما رحلت الشمس لتشرق على أراضيٍ أخرى ونهض كلاهما مغادرين قال:سنعود إلى القاهرة وسأطلبك للزواج من أخوك..وسنتزوج الليلة..لن أصبر أكثر من ذلك..فهل تقبلين الزواج مني؟

قالت: أقبل.

عاد يقول: لماذا تاخرتي كل هذا الوقت حتى عدتي الي؟

ردت باسمة: أرعبتني فكرة أن يظل شبح الماضي جاثماً على قلبينا وحياتنا..كنت أنتظرك أن تأتي الي ولكنك لم تفعل.

-كنت أخشى أن أذهب اليكِ فتطردينني من حياتك..وعندها أيأس وأغادر..أغادر البلاد كلها..فإذا ما غيرت رأيك وجئتِ ألي لن تجديني..لهذا ظللت بعيدًا.

-كنت تخاف من نفسك إذًا..وليس من رفضي.

-أجل في الواقع.

-ألست واثقاً من حبك لي؟

-أثق بشدة ولهذا شعرت بالخوف.

-دعنا ننسى الماضي..دعنا نبدأ من جديد وعلى أساس سليم.

-أجل..فلنفعل ذلك.

ولم يدري لماذا تذكر كلام والدته يومًا حينما لامها أنها لم تخبره بتورط عمه في مقتل والده

قالت (جوري): ماذا؟ فيما تفكر؟

رد باسمًا: والدتي قالت لي يومًا شيئًا هامًا..عندما سألتها لما لم تخبرني حقيقة ما حصل لوالدي

-ماذا قالت؟

-قالت: لأنني لم أرغب بأن تقضي عمرك باحثاً عن الآنتقام أو الحقيقة..كل ما أردته أن تحيا حياة طبيعية مثل أقرانك وأن تتخرج وتعمل وتقابل فتاة تحبها وتتزوجها وتكون سعيداً معها وتكون أسرتك..ذلك هو كل ما أتمناه لك.

-رحمها الله..تبدو لي أمًا رائعة.

-أنها كذلك.

وشرد قليلًا ثم تمتم: ليتها كانت حية فأخبرها بأنني بعد أن حِدتُ عن الطريق الذي تمنته لي..عدت اليه من جديد.

وتزوج (إياد) من (جوري) وعاشا معًا في البيت الصغير الجميل في مرسى مطروح..عاشا في سعادة وحب..صحيح كانت أحيانًا تحصل بينهما شجارات ومشاكل أسرية معتادة عابرة ككل المتزوجين ولكن حبهما لبعضهما البعض لم ينقص مقدار ذرة.

ربيا طفليهما (يوسف) و(جنى) بكل حب وعطف..وكانا يزوران أخوتها أو يأتي أخوتها لزيارتها بانتظام.

ويستمتع الجميع بزياط الأطفال وهم يلعبون معًا ويصدرون الضوضاء.

واليوم يمكن لأي شخص يأتي للتصييف في مرسى مطروح مع أسرته أن يراهما بعد تلك السنوات الطوال وبعد أن تزوج أبنائهما..هذا الرجل المسن الجالس على الشاطيء مع زوجته المسنة يراقبان الغروب بسعادة ويتساءل..كيف يمكن للحب أن يستمر كل هذه السنوات؟

الأجابة..لا أدري..أظن ان الحب يستمر عندما يحظى بالرعاية كالنبات أو الزهور النادرة..عندما يكافح الطرفان في سبيل أستمراره.

تمت